وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ١	تأويل خبر من تعلم القرآن ثم نسيه ٢	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ٥
باب التوكيل عن الزوج ٤	خبر إذا أحب أهل البيت فليستعد ٦	من شهود الشهر وتقدمهم زوائد ٧
مسئلة قوله تعالى لا تدركه الأبصار ٨	فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ٩	وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ١٠
تأويل خبر ليس منا من لم يتغن ١١	وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ١٢	وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ١٣
ذلك يوم مجموع له الناس ١٤	تأويل خبر لا تسبوا الدهر ١٥	كذلك وأورثناها قوما آخرين ١٦
أحب الأعمال إلى الله أدومها ١٨	ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ٢١	تأويل خبر إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ٢٣
خبر مارية القبطية ٢٤	تأويل آية ومن كان في هذه أعمى ٢٦	نقص الأرض أفلا ذكره ما تنقيصه وجوانبه ٢٩

تأويل قوله عليه السلام هذا سيد أهل الوبر ٣٢	تأويل التكرار في سورة الكافرين ٣٥	قوم يقولون بالبداء ويقولون التناسخ ٣٧
فأما مطيع بن إياس الكناني ٤٢	ومنهم من قال بالعدل واشتهر بالقول بالعدل واصل بن عطاء ٤٨	ليس البر أن تولوا وجوهكم ٦١
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ٦٦	خبر الحسين رضي الله عنه وهو صبي يلعب مع صبية ٦٨	إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ٧٠
باب ذكر شيء من أخبار المعمرين ٧٢	ومنهم المستوغر وهو عمرو ٧٢	ومنهم دويد بن زيد بن نهد ٧٣
ومنهم زهير بن جناب بن هبل ٧٤	ومنهم ذو الإصبع العدواني ٧٥	ومنهم معدي كرب الحميري ٧٨
ومنهم الربيع بن ضبع الفزاري ٧٨	ومنهم أبو الطمحان القيني ٧٩	ومنهم عبد المسيح بن بقيلة ٧٩
مسئلة تتعلق بما ذكرناه من تطاول الأعمار ٨٢	باب في الجوابات الحاضرة المسكتة ٨٣	ذكر مستحسن الجوابات ٨٦

لما ولي سليمان بن عبد الملك ٩٠	سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض ٩٤	خبر قلوب بني آدم بين ٩٨
تعلم ما في نفسي ٩٩	ان من ازواجكم عدوا لكم ١٠١	وجعلنا نومكم سباتا ١٠٣
خبر ان الله ليغضب ... عليه ١٠٥	خبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ١٠٦	فغشيهم من اليم ما غشيهم ١٠٧
فخر عليهم السقف من فوقهم ١٠٨	خبر ان هذا القرآن مأدبة الله ١٠٨	وقالت اليهود عزير ابن الله ١١١
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ١١١	خبر لو ادركته لاسلم ١١٢	والى الله ترجع الامور ١١٤
وليس البر بان تأتوا البيوت ١١٥	اولئك لهم نصيب مما كسبوا ١١٨	واستفزز من استطعت ... بخيلك ١٢٠
خبر ... وضوءا ... النار ١٢٠	قد افترينا على الله كذبا ١٢٢	خبر خير الصدقة ما ابقت غنى ١٢٤

واتبعوا ما تتلوا الشياطين ١٢٧	خبر لو كان هذا القرآن في اهاب ما مسته النار ١٣٠	فاما الذين في قلوبهم زيغ ١٣٤
لا تثريب عليكم اليوم ١٣٨	خبر ان النبي نهى ... الزيارة ١٣٨	خلق الانسان من عجل ١٤١
ولقد همت به وهم بها ١٤٥	قال رب السجن احب الي ١٤٩	خبر ... تتبع ... الشمعة ... ١٥٠
ونادى نوح ربه ١٥٣	فلا تعجبك اموالهم استجيبوا لله وللرسول ١٥٦	يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ١٦٠
... ان ... للعالمين هو الا ذكر ١٦٤	اولئك لم يكونوا معجزين ١٦٨	ما منعك ان تسجد لما خلقت ١٧١
نحن اعلم بما يستمعون ١٧٤	كل شيء هالك الا وجهه ١٧٧	واذا سألك عبادي عني ١٨١
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ١٨٤	ليس لك من الامر شيء ١٨٧	خبر لا تجسسوا ولا تدابروا ١٨٨

وقالت اليهود يد الله مغلولة ١٩١	جر لعن الله السارق ١٩٢	الله ولى الذين آمنوا ١٩٤
ربنا لا تزغ قلوبنا ١٩٧	ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ٢٠٠	لئن بسطت الى يدك ٢٠٤
جز لا يموت لمؤمن ثلاثة ٢٠٥	ثم قست قلوبهم ٢٠٦	وعلم آدم الاسماء كلها ٢٠٩
وسئل من ارسلنا من قبلك ٢١٣	كل مولود ٢١٤	فاما الذين شقوا ففي النار ٢١٦
اسمع بهم وابصر ٢١٩	واذ نجيناكم من آل فرعون ٢٢٢	ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ٢٢٥
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا ٢٢٨	الله يستهزئ بهم ٢٣٢	وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض ٢٣٥
انظر كيف ضربوا لك الامثال ٢٣٧	جز الجارية فقال لها اين الله فقالت في السماء ٢٣٩	حتى اذا جاء امرنا وفار التنور ٢٤٠

جز الذنب بروبه بن عمار الذهبي ٢٤١	هل انبئكم بشر من ذلك ٢٤٣	الذي جعل لكم الارض فراشا ٢٤٥
يا اخت هارون ٢٤٧	جز لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ٢٤٩	وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ٢٥٠
ولما جاء موسى لميقاتنا ٢٥٤	واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ٢٥٦	هو الذي خلقكم من نفس واحدة ٢٥٨
قال اتعبدون ما تنحتون ٢٦٠	ولا ينفعكم نصحي ٢٦٣	شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ٢٦٥
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان ٢٦٧	قد نعلم انه ليحزنك ٢٦٩	ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ٢٧١
واذا الموؤدة سئلت ٢٧٤	جز خ ان يقتل الرجل ولده واباه ٢٧٦	وهديناه النجدين ٢٧٦
الدر والقرن تعرف الملتقى ٢٧٩	مسئلة لو دخل لفظ كان في كونه تعالى ٢٨١	الم تر ان الله يزجي سحابا ٢٨٢

مسئلة في الاختصار والحذف للعلماء لتقصير الكلام ٢٨٤	بحث نية المؤمن خير من عمله ٢٨٦	مسئلة ذكر اسم الله تعالى الاعظم ٢٨٧
مسئلة تنذر قوما ما انذر آباؤهم ٢٨٨	مسئلة التجارة ٢٨٩	مسئلة الالثغ والالتغ ٢٩١
بحث يغفر اعمالكم اعمالكم بنية ٢٩١	ومن آياته خلق السموات ٢٩١	مسئلة على الافعال الظاهرة قيامه قيام وقعود ٢٩٢
مسئلة في تفضيل الانبياء على الملائكة ٢٩٤	مسئلة حدوث الجسم والجوهر ٢٩٦	مسئلة في العصمة ٢٩٧
مسئلة في جمع اجناس من الطير والبهائم ٢٩٨	قل تعالوا اتل ما حرم ربكم ٣٠٠	ولا تعجل بالقرآن ٣٠١
ثم اورثنا الكتاب الذين ٣٠٣	ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ٣٠٤	يا قوم انكم ظلمتم انفسكم ٣٠٦
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٣٠٧	اني يكون لي غلام ٣٠٩	مسئلة واذ نجيناكم من آل فرعون ٣٠٩

وسئل الفضلا ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ٣٠٩	وسئل الفضلا فان كنت في شك مما انزلنا ٣١٠	مسئلة ما القول فيما يخبره المنجمون ٣١٠
مسئلة في الخبر المنسوب الى الصادق عليه السلام ٣١٥	مسئلة الاحجاج في اللغة العربية ٣١٦	مسئلة وما ورد في القرآن من معاتبات الرسول عليه السلام ٣١٦
مسئلة [illegible]		

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAĞIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 571

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب

٧١٢
~~٦٩٩~~

٧٠٧

RAĞIP P.
Ka. N.
705

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشريف الامام الاجل المرتضى علي بن الحسين بن موسى
الموسوي رضي الله عنه **تاويل آية** قال الله جل من قائل واذا
اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا في هذه الآية وجوه من التاويل كل منها يبطل
الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بها وبها عن وجهه
وصرفوه عن بابه اولها ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون
قبيحا فاذا كان مستحقا او على سبيل الامتحان كان حسنا وانما يكون
قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة به لا يقتضي تعلقها به على الوجه
القبيح ولا ظاهر للآية يقتضي ذلك واذا علمنا بالادلة تنزه
القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك
الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب
ان يكون المامور به هو الفسق وان وقع بعده الفسق وانما
يجري هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد
انني امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ويمكن ان يقال
على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها
ان يقال اي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك
مستحق بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله اذا اردنا امرنا
لان امره بما يامر به لا يحسن ارادته للعقاب المستحق بما تقدم من
الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة
الامر المذكور في الآية فهذا الذي تابونه لانه يقتضي انه تعالى

مريد لاهلاك من لم يستحق العقاب والجواب عن ذلك انه تعالى
لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي
حسن قوله واذا اردنا امرنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة
والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وايجابا للحجة عليهم حتى
يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار
الوعيد والوعظ والانذار ممن يحق عليه القول وتجب الحجة
يشهد لصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الآية وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا **والوجه الثاني** في تاويل هذه الآية ان يكون
قوله امرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله
واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية من
صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون اذا على هذا الجواب لم
يات لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من
الدلالة عليه ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ولم يات لاذا جواب في طول
الكلام للاستغناء عنه ويشهد ايضا لصحة هذا التاويل قول
الهذلي ● حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ● شلا كما تطرد الجمالة الشردا
فحذف جواب اذا ولم يات به لان هذا البيت آخر القصيدة **والوجه
الثالث** ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازا واتساعا وتنبيها على
المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا
ويجري ذكر الارادة هاهنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته
النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق وقولهم اذا اراد
العليل ان يموت خلط في اكله وتسرع الى كل ما تتوق اليه نفسه
ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا المريض ايضا لكن لما

كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن
هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب
وحىٌ واشارات واستعارات ومجازات ولهذه الحال كان كلامهم
فى المرتبة العليا من الفصاحة وان كان الكلام متى خلا من الاستعارات
وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغه.
وكلام الله تعالى افصح الكلام والوجه الرابع ان نحمل الآية على التقديم
والتاخير فيكون تلخيصها اذا امرنا مترفى قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا
العقاب اردنا اهلاكهم والتقديم والتاخير فى الشعر وكلام
العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهدا لصحة هذا التاويل من القرآن
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله تعالى واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة
معه يكون قبل اقامة الصلاة لان اقامتها هى الاتيان بجميعها على
الكمال فاما قراءة من قرا الآية بالتشديد فقال امّرنا وقراءة من
قراها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتها عن
الوجوه التى ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا
بان يكون ما تضمنه الآية هو الامر الذى يستدعى به الفعل
تاويل خبر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم
القرآن ثم نسيه لقى الله وهو اجذم قال ابو عبيد القسم بن سلام
مفسرا لهذا الحديث فى كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد
واستشهد بقول المتلمس ، وما كنت الا مثل قاطع كفه
، بكف له اخرى فاصبح اجذما ، وقد خطّأ عبد الله بن مسلم
ابن قتيبة ابا عبيد فى تاويله هذا الخبر فقال الاجذم وان كان
المقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان
العقوبات من الله تعالى لا تكون الا وفقا للذنوب وبحسبها

واليد لا مدخل لها فى نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد
بقوله تعالى الذين ياكلون الربى لا يقومون الا كما يقوم الذى
يتخبطه الشيطان من المس وزعم ان تاويل الآية ان الربى اذا
اكلوه ثقل فى بطونهم وربا فى اجوافهم فجعل قيامهم مثل من يتخبطه
الشيطان تعثرا وتخبلا واستشهد ايضا بما روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قوله رايت ليلة أُسرى بى قوما تقرض شفاههم وكلما
قرضت وفت فقال لى جبريل هولاء خطباء امتك تقرض شفاههم
لانهم يقولون ما لا يفعلون قال فالاجذم فى الخبر انما هو المجذوم
وانما جاز ان يسمى المجذوم اجذم لان الجذام يقطع اعضاءه
ويشذبها والجذم هو القطع وقد اخطا الرجلان جميعا وذهبا عن
الصواب ذهابا بعيدا وكان غلط ابن قتيبة افحش واقبح لانه
علل غلطه فاخرجه الى اغاليط كثيره ونحن نبين معنى الخبر ثم
نتكلم على ما اوردناه اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى
معرفة بمذاهب العرب فى كلامها وانما اراد عليه السلام بقوله
يحشر اجذم المبالغة فى وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما
كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من
حسن التشبيه وعجيبه لان اليدين من الاعضاء الشريفة التى لا
يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها ففاقدها
يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التى كانت
يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسى القرآن ومضيعه
بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابسا له من الجمال ومستحقا له من
الثواب وهذه عادة للعرب فى كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد
ناصره ومعينه فلان بعد فلان اجدع وقد بقى بعده اجذم قال
الفرزدق يرثى مالك بن مسمع ، تضعضع طود وائل بعد مالك
، واصبح منها معطس العز اجدعا ، وانما اراد المعنى الذى ذكرنا

وللعرب ملاحن فى كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات بالمعانى متى لم يفهمها ويسرع الى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم وتاويل خطابهم كان ظالما نفسه متعديا طوره ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد فان خطأه من حيث لم يفطن للغرض فى الخبر وضل عن وجهه والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئا وان كانت شبهته التى اوقعته فى هذا التاويل ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن لان الجذم اولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم اولياءه والصالحين من عباده ويقطع اعضاءهم بالامراض وقد يبتدئ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس بلازم فى الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان ناسى القرآن يستحق العقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن باسره فرضا واجبا وحتما لازما لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك فاما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه فى الخبر الذى ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا فى محل الذنب وهذا القول يوجب عليه ان لا يجلد ظهر الزانى وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب ان يعاقب فى لسانه دون سائر اعضائه والخبر الذى استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان اقوى حظا فى باب الكلام فلم تختص العقوبة به وحلت بالشفاه دونه ثم غلطه فى تاويل الآية التى اوردها اقبح من كل ما تقدم لانه توهم ان ما تضمنته الآية من تخبط آكل الربى وتعثره عند القيام انما هو فى الدنيا من حيث يثقل ما اكله فى معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيرا من آكلى الربى اخف نهوضا واسرع قياما وتصرفا من غيرهم ممن لم ياكل الربى قط والمعنى فى الآية ما ذكره المفسرون من ان معنى ما وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار والزلل والتخبط

يجذّم

على

على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولى والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الاجذم هو المجذوم ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذى هو القطع يوجب عليه ان يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق اوصاله كالجدرى والآكلة وغيرهما يسمى جذاما ويسمى من كان عليه اجذم وهذا باطل فاما قول الشاعر

، حرق قيس على البلاد ، حتى اذا اضطرمت اجذما ،

فليس من هذا الباب بل هو من الاجذام الذى هو الاسراع فكانه قال لما اضطرمت اسرع عنى وتباعد منى والاجذام بالذال المعجمة وبالدال غير المعجمة جميعا الاسراع فاما قول عنترة ، هزجا يحك ذراعه بذراعه ، ، قدح المكب على الزناد الاجذم ، فهو من هذا الباب لان الاجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكانه قال قدح المكب الاجذم على الزناد وهذا من حسن التشبيه وواقعه

الهزج الرنة

مسئلة قال الشريف المرتضى رضى الله عنه كان بعض الشيوخ المتقدمين يقول ليس بممتنع ان يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيمة غير مستحق لشئ من الاعواض او لما يوازى القدر المستحق عليه منها فاذا اراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لان العوض ليس يختص بصفة لان العوض تمنع من التفضل عليه بمثله ولا يجرى فى ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز ان يكون موقوفا على ما يتفضل به لان الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز ان يتعلق الا بامر واجب والتفضل لفاعله ان لا يفعله فتؤل الحال الى تعذر الانتصاف وقالوا من يعلم الله انه يرد القيمة ولا اعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون ان يمكن من الظلم من يكون فى حال غير مستحق للعوض او غير

مستحق للقدر الذي يوازي الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم
من حاله انه يرد القيمة وقد استحق من الاعواض ما يوازي ما عليه منها
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وهذا القول نعني تجويز تمكين الظالم
من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي ابطلنا بها قول
من اجاز الانتصاف بالتفضل لانا نعلم ان تبقية المكلف وغير المكلف لا تجب
وللقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان
الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس
بواجب وليس لهم ان يقولوا ذلك يحسن لان الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق
اعواضا لان عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فاجيزوا ايضا ان يرد القيمة وهو
لا يستحق العوض ويعلم الله تعالى انه يتفضل عليه لا يخرج التفضل من ان
يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله تعالى بانه يبقي من لا عوض له ليستحق
العوض لا يخرج العوض التبقية من ان تكون غير واجبة فاستوى الامران
والصحيح ان يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم
الكلام ويطرد **مجلس ثان تاويل آية** ان سال سائل عن قوله
تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم
الا قليلا وقد ظن قوم من غفلة الملحدين وجهالهم ان الجواب عما سئل
عنه في هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما وانما هما على
سبيل المدافعة والمحاجزة عن الجواب وفي هذه الآية وجوه من التاويل
تبطل ما ظنوه وتدل على ما جهلوه اولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه
بان ذلك ادعى لهم على الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه تعالى
اليهم لازدادوا فسادا وعنادا اذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين
وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير من الاحوال فيمن يسالنا عن الشيء ان
العدول عن جوابه اولى واصلح في تدبيره وقد قيل ان اليهود قالت لكفار
قريش سلوا محمدا عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي

فانا نجد في كتبنا ذلك فامره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علما له
ودلالة على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابي علي محمد
بن عبد الوهاب الجبائي وثانيها ان القوم انما سالوه عن الروح وهل هي
محدثة مخلوقة ام ليست كذلك فاجابهم بانها من امر ربي وهو جوابهم عما
سالوا عنه بعينه لانه لا فرق بين ان يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين
قوله انها من امر ربي لانه انما اراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب
ان يكون الروح التي سالوا عنها هي التي بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلام
ام جبريل عليه السلام فقد سمى الله تعالى جبريل روحا وعيسى عليه السلام
ايضا مسمى بذلك في القرآن وثالثها انهم سالوه عن الروح الذي هو
القرآن وقد سمى الله تعالى القرآن روحا في مواضع من الكتاب واذا كان
السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لانه قال لهم ان الروح الذي
هو القرآن من امر ربي ومما انزله على نبيه عليه السلام ليجعله دلالة وعلما
على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وهذا جواب
الحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فكانه تعالى قال ان القرآن
من امري وفعلي ومما انزلته علما على نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وازلته
وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله **فصل** قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني في قوله تعالى
والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون
قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما ان غاية
المكيل تنتهي الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت في
باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الموزون اعم من المكيل والوجه
الآخر ان في الوزن معنى الكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء
ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل فخص الوزن
بالذكر لاشتماله على معنى الكيل وهذا قول ابي مسلم ووجه الآية وما

يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصًا عنها ولا زايدًا عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تاول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على احد التاويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب قال الشاعر

، لها بشر مثل الحرير ومنطق ، رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر ،

والهراء الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى ان تقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري

، وحديث الذه هو مما ، ينعت الناعتون يوزن وزنا ،
، منطق صائب وتلحن احيانا ، وخير الحديث ما كان لحنا ،

وهذا الوجه الذي ذكرناه اشبه بمراد الله تعالى في الآية واليق بفصاحة القرآن الكريم وبلاغته الموفية على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم فاما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن احيانا فلم يرد اللحن في الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما اراد الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقول الشاعر

، ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ، ولحنت لحنًا ليس بالمرتاب ،

وقد قيل ان اللحن الذي عنى في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعل احدكم ان يكون الحن بحجته اي افطن لها واغوص عليها ومما يشهد لما ذكرناه ما اخبر به ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا احمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن اسمعيل اليزيدي قال اخبرنا اسحق ابن ابراهيم قال تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها اتلحنين وانت شريفة في بيت قيس قالت اما سمعت قول اخي

مالك

مالك لامراته الانصارية قال وما هو قالت قال ، منطق صائب وتلحن احيانا ، وخير الحديث ما كان لحنا ، فقال لها الحجاج انما عنى اخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فاصلحي لسانك وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن في النساء الغرائر وليس يستحب منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بابيات مالك بعينها وظن انه اراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر من لحن ان اصيب في كتابه قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني ابي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسره على انه اراد اللحن في الاعراب وانما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورى عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال له قد فطنت لذلك بعد فقلت فغيره من كتابك فقال فكيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطائه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد الازدي ان رجلا من بني العنبر حصل اسيرًا في بكر بن وائل فسالهم رسولا الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجئ بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني لعاقل قال ما اراك عاقلا واشار بيده الى الليل فقال ما هذا فقال الليل قال اراك عاقلا ثم ملا كفيه من الرمل فقال كم هذا قال لا ادري وانه لكثير فقال ايما اكثر النجوم ام النيران فقال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء وامرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب باية ما اكلت معكم حيسًا واسالوا عن خبري اخي الحرث فلما

غ
الاعراب

الغرائر جمع غريرة وهي
التي لم تجرب
الامور

ادّى العبد الرسالة اليهم قالوا القدجن الاعور والله ما نعرف له
ناقة حمراء ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحرث فقصوا عليه
القصة فقال قد انذركم اما قوله ادبى العرفج يريد ان الرجال قد
استلئموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء اى اتخذت الشكاء
للسفر وقوله الناقة الحمراء اى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان
وهو الجمل الاصهب وقوله اكلت معكم حيسًا يريد اخلاطا من الناس قد
غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا ما قال وعرفوا
لحن كلامه مجلس آخر تاويل خبر روى ابو عبيد القسم بن سلام في
كتابه غريب الحديث عن امير المومنين على رضى الله عنه انه قال من احبنا
اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا او تجفافا قال ابو عبيد قد تاول بعض
الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر فى الدنيا وليس ذلك كذلك
لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى فى سائر الناس من الغنى والفقر ولا
تميز بينهما قال والصحيح انه اراد الفقر فى يوم القيمة واخرج الكلام
مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا
فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفة
عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما
قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر فى الدنيا ومعنى الخبر من احبنا فليصبر
على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال
الدنيا واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب لانه يستر
الفقر كما يستر الجلباب والتجفاف البدن قال ويشهد لصحة هذا التاويل
ما روى عنه رضى الله تعالى عنه من انه راى قوما على بابه فقال يا قنبر من
هولاء فقال له قنبر هولاء شيعتك فقال ما لى لا ارى فيهم سيماء الشيعة
قال وما سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من
الظماء عمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان جميعا في
الخبر حسنان وان كان الوجه الذى ذكره ابن قتيبة احسن وانصع ويمكن

الاصهب ما اختلط البياض بحمرته

العرفج جنس من الشوك وادبى اى اورق وصار الورق عليه كالدبا والدبا صغار الجراد

اراد بالصمان الارض وكنى عنها بالجمل الاصهب

فليعد

ان

ان يكون فى الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى
لفظة الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى
على جبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك وبعير
مفقور وبه فقرة وكل شى حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه
سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحمل القول على انه رضى الله عنه اراد من
احبنا فليزم نفسه وليخطمها وليعدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها
اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما اريد منها كما يفعل
بالبعير الصعب وهذا وجه فى الخبر ثالث لم يذكره وليس يجب ان يستبعد حمل
الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب لان
الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله
الكلام من وجوه المعانى ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها
منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه واكثر ما
يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام فصل قال الشريف
المرتضى رضى الله عنه ممن كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على
مذاهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحرث
وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو فى صفة الوتد
اشعث باقى رُمّة التقليد والرمة القطعة البالية من الحبل ويقال
حبل ارمام اذا كان ضعيفا باليا وقيل انه انما لقب بذى الرمة لانه كان
وهو غلام يتفزع فجاءت امه بمن كتب له كتابا وعلقته عليه برمة من حبل
فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه فى العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن
عمران المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو عثمان الاشنانداني
عن التوزى عن ابى عبيدة قال اختصم روبة وذو الرمة عند بلال بن
ابى بردة فقال روبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا
الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب
ان ياكل حلوبة عيائل ضرائك قال روبة افبقدرته اكلها هذا كذب على الذئب

عليه

تقرمص اى اتخذ قرموصا وهو الموضع الذى ياوى اليه

ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب
وهذا خبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فاما
العيايل فهو جمع عيل وهو ذو العيال والضرائك جمع ضريك وهو الفقير
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا
احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي عن اسحق بن سويد قال
انشدني ذو الرمة ، وعينان قال الله كونا فكانتا ،
، فعولان بالالباب ما تفعل الخمر ، فقلت له فعولين خبر الكون فقال
لي لو سبحت ربحت انما قلت وعينان فعولان وصفتهما بذلك وانما تحرز
ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روي هذا الخبر
على خلاف هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن
خالد النخاس قال حدثني محمد بن القسم ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي
قال لما انشد ذو الرمة ، وعينان قال الله كونا فكانتا ، فعولين بالالباب
ما تفعل الخمر وهو يريد كونا فكانتا فعولين بالالباب فعولين حيث
كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما فقل فعولان بالالباب فقال
له ذو الرمة ما ابالي اقلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال
يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت جاهلا قال الشريف المرتضى رضي الله
عنه وممن روي انه كان على مذاهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى
اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله ، استاثر الله بالوفاء وبالعدل
وولى الملامة الرجلا ، وممن قيل انه كان على مذاهب الجبر من المشهورين
ايضا لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله ، ان تقوى ربنا خير نفل ،
، وباذن الله ريثي وعجل ، من هداه سبل الخير اهتدى
، ناعم البال ومن شاء اضل ، وان كان لا طريق الى نسب الجبر الى مذهب
لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك اما قوله فباذن الله
ريثي وعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتاول عليه قوله تعالى وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله اي بعلمه فان قيل في هذه الآية انه اراد بتخليته

وتمكينه

وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة امكن مثله في قول لبيد فاما قوله
من هداه اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض
الوجوه التي يتاول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق
بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار
معروفا بغير هذه الابيات فلا يتاول له هذا التاويل بل يحمل مراده على
موافقة المعروف من مذهبه **مسئلة** قال الشريف المرتضى رضي الله
عنه اعلم ان اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى
بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير
وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه
على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له في وقت من
الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لا يرى وقد شاركه
في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات والاعتقادات
فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدح بنفي الرؤية عنه واثبا
له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان
الموجودات المحدثات على ضروب منها ما لا يرى ولا يرى كالارادات
والاعتقادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان
وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبتت المدحة لله تعالى بتضمن
الآية فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون صفة لا تقتضي المدحة
بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح
متمدح بانه شيء عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف الذات
بانها شيء وموجودة وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها
لا تقتضي مدحا فكذلك لا تقتضي في نفي الرؤية عمن ثبت له من حيث كانت
بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس
يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت
الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة

والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان
بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين
الوصف بالشيء والوجود وبين ما ذكروا من حيث ثبت لها تينك الصفتين
في المدح واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ما تكاد تفتقر الى شرط
في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افترق
الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح
والاثبات اشد اختصاصا الا ترى انه ليس بعالم من الذوات وليس
بموجود اكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه
والثاني لا يكون الا متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح
احتاجت الى شرط يخصصها وانت اذا اعتبرت تباين صفات النفي التي
يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون
ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا
كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على
الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي
حتى تكون مدحا ان تكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا
لانه ان كان نفيا لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح مثال
ذلك انا اذا امتدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدعه داع
الى الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه
ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن
تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب حاجته ودواعيه فاذا
صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الآية انما تتعلق بنفي الادراك
عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ولا نجعل كل واحد من الصفتين
تقتضي المدح مجتمعا مع ان كل واحد لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس
بمنكر ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل يوجد خ
مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشروط

معروفة

معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى واحسم للشبه
مما تقدم ذكره مجلس آخر ثالث تاويل آية ان سال سائل فقال ما تقولون
في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
وقال في موضع آخر وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا
ولم يعقب يا موسى والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من
الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون
العصا في حالة واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها
وباي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام الجواب اول ما نقوله
ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان
مختلفتان فالحال التي اخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة
وقبل مصير موسى عليه السلام الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها
ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك
واذا اختلفت القصتان فلا مسألة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب
عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة
لا يجوز ان تنقلب في حالتين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان
او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن
بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلفوا الجواب لاجله لان الاولين
لا يكونان الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة
في تاويلها احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم
خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها
ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان
وسرعة حركته وهذا اظهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا تناقض
معه بين الآيتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات
الثعبان ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله سبحانه
ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة

ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها
صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشئ
بغيره فى بعض وجوهه فيشبهون المراة بالظبى والبقرة ونحن نعلم ان فى
الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون فى النساء وانما وقع
التشبيه فى صفة دون صفة ومن وجه دون وجه **الجواب الثانى** انه
تعالى لم يرد بذكر الجان فى الآية الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه
تعالى اخبر بان العصا صارت ثعبانا فى الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك
كاحد الجن فى هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى فلما
رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى ويمكن ان يكون للآية
تاويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه
فى تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار فى الحجة وان التناقض الذى توهم
زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان
وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة
واحدة فتتفق الآيتان على هذا التاويل ولا يختلف حكمها وتكون الآية
الاولى التى تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الآية
الثانية تتضمن ذكر الحال التى ولى موسى فيها هاربا وهى حال انقلاب
العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان
فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هى ثعبان
مبين وهذا يقتضى انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس
تفيد الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هى الاخبار عن قرب الحال
التى صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان فى مصيرها كذلك ويجرى
هذا مجرى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا وقولهم
ركب فلان من منزله فاذا هو فى ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا
هو فى الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا

بالظبية

وانه لم يصل اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة
الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد **آية اُخرى**
قال الشريف المرتضى رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بنى
آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الستُ بربكم قالوا بلى شهدنا
ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا
من قبلُ وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وقد ظن بعض
من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تاويل هذه الآية ان الله سبحانه استخرج
من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته وهم فى خلق الذر فقررهم بمعرفته
واشهدهم على انفسهم وهذا التاويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد
ظاهر القرآن بخلافه لان الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بنى آدم ولم يقل
من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته
ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيمة انهم كانوا عن ذلك
غافلين او يعتذروا بشرك اباءهم وانهم نشوا على دينهم وسنتهم وهذا
يقتضى ان الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه وانها انما تناولت
من كان له اباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية آدم فهذه
شهادة الظاهر ببطلان تاويلهم فاما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه
الذرية التى استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخوطبت وقررت من ان
تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كذلك فان
كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكر هولاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال
عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان العاقل
لا ينسى ما جرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان
يتصرف احدنا فى بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد
جميع تصرفه المتقدم وسائر احواله وليس ايضا لتخلل الموت بين الحالين تاثير
لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والاغماء
بين احوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من احوالهم لان سائر ما عددناه مما

ولد

ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز
في العاقل الكامل ان ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك
انا انما اوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم
وهم كاملوا العقول ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم
ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك ان
الله تعالى اخبر بانه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك
وسقوط الحجة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة عنهم
وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم وشرايط التكليف
قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا يتعالى الله عنه
فان قيل قد ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها الصحيح عندكم قلنا في الآية
وجهان احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم
وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب
من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا
عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم وانما اتى من اشتبه عليه تاويل
الآية من حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا وليس
الامر كما ظن لانا نسمي جميع البشر بانهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء
الكاملون وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن
صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان
كاملا عاقلا فان استبعد واتاويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين
فهذا جوابهم **والجواب الثاني** انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على
معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والآيات والدلائل
في غيرهم وفي انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة
ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله تعالى وتعذر امتناعهم
منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد
ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى الى السماء

وهي

وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين
وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى
شاهدين على انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم
وانما لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل
هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك وما روي عن
بعض الحكماء سل الارض عن شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك
فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وهذا باب كثير له نظاير كثيرة في النظم
والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها **تاويل خبر** قال
ابو عبيد القسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا
من لم يتغن بالقرآن قال اراد يستغني به واحتج بقولهم تغنيت تغنيا وتغانيت
تغانيا وانشد بيت الاعشى ، وكنت امرأ زمنا بالعراق ،
، عفيف المناخ طويل التغن ، وقول الآخر ، كلانا غني عن اخيه حياته
، ونحن اذا متنا اشد تغانيا ، واحتج بقول ابن مسعود من قرا سورة
آل عمران فهو غني اي مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة
آل عمران يقوم بها في آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه قال لا ينبغي لحامل القرآن ان
يظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القرآن
افضل مما ملكه واحتج ايضا بخبر يرفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على
سعد في بيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال ابو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال
الرث يدل على ان التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال
الفراش قال الشاعر ، لكل طوال الساعدين كانما ، يرى بسرى الليل المثال الممهدا
يعني الفراش قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا
بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن فليس منه عليه السلام وذكر عن غير
ابي عبيد جواب آخر وهو انه عليه السلام اراد من لم يحسن صوته بالقرآن

يرويه

ويرجع فيه واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب
قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته فقال
مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وقوله عليه السلام فابكوا
او فتباكوا دليل على ان التغني التحسين والترجيع وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا ياذن الله لشيء من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين
والصوت الحسن بالقرآن معنى قوله ياذن يستمع يقال اذنت للشيء آذن اذنا
اذا سمعت له قال الشاعر ، صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ،
، وان ذكرت بشر عندهم اذنوا ، وقال عدي بن زيد العبادي ،
، ايها القلب تعلل بددن ، ان همي في سماع واذن ، وانما حسن تكرير
المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله ،
، وهند اتى من دونها النأي والبعد ، فاما الددن فهو اللهو واللعب
وفيه ثلاث لغات دد على مثال دم وددا على مثال فتى وددن على مثال
حزن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني فان
قيل كيف يحمل قوله لا ياذن الله لشيء كاذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع
وهو تعالى سامع لكل مسموع فاي معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسماع
ههنا مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكانه عليه السلام قال ان الله
لا يتقبل او يثيب على شيء من اهل الارض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن
هذا قولهم هذا كلام لا اسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريد
نفي القبول لا الادراك والبيت الذي انشدناه يشهد بذلك لانه قال
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ونحن نعلم انهم يستمعون الذكر بالخير والشر
معا من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر ابو بكر محمد
ابن القسم الانباري وجها ثانيا لتاني الخبر قال اراد عليه السلام من لم
يتلذذ بالقرآن ولم يستحله ولم يستعذب كاستحلاء اصحاب الطرب للغناء

بسوء

والتلذذ هم

والتلذذ هم به وسمي ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني
بالغناء وذكر ان ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والحبى حيطان
العرب والشمس حمامات العرب وانشد بيت النابغة ، بكاء حمامة تدعو هديلا
، مفجعة على فنن تغني ، فشبه صوتها لما اطرب اطراب الغناء بالغناء وجعلوا
العمائم لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول في الحبى والشمس
وجواب ابي عبيد احسن الاجوبة واسلمها وجواب ابي بكر ابعدها لان التلذذ
لا يكون الا في المشتهيات وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم
معانيه من الافعال الشاقة فكيف يكون متلذذا مشتهى فان عاد الى ان يقول
قد تستحلى التلاوة من الصوت الحسن قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني
الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن ان يكون في الخبر
وجه رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله عليه السلام يتغنى من غني بالمكان
اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كان لم يغنوا فيها
اي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر ، ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ،
، في ظل ملك ثابت الاوتاد ، وقول الاعشى الذي انشده ابو عبيد وهو
، وكنت امرءا زمنا بالعراق ، عفيف المناخ طويل التغن ، بطول
المقام اشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف
الاستغناء بذلك فكان الاعشى اراد انني كنت ملازما لوطني مقيما بين
اهلي لا اسافر للانتجاع والطلب ويجري قوله هذا مجرى قول حسان بن
ثابت الانصاري ، اولاد جفنة حول قبر ابيهم ، قبر ابن مارية الكريم المفضل
اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم
واوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزه
الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزل مقام فليس منا فان
قيل اليس قد يتعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر ادلة الشرع فكيف
يحظر علينا تعديه قلنا ليس في ذلك تعد للقرآن لان القرآن دال على
وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء من

الحبى جمع حبوة والاصل فيه الاحتباء بالسيف

الاحكام لا يكون متجاوزا للقرآن ولا متعديا له فاما قوله عليه السلام
ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغة
، اذا حاولت في اسد فجورا ، فاني لست منك ولست مني ، وقيل انه
اراد ليس على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا الذي اخترناه وهو
بعد بجواب ابي عبيد اليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي صلى الله عليه
وسلم وملته من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه او من لم يتلد
بتلاوته ويستحلها مسئلة واعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا في ابطال ما ظن
اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه
معروفة لانهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته
ودلوا على ان النظر ينقسم الى اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال
المرئي طلبا لرؤيته ومنها النظر الذي هو التعطف الانتظار ومنها النظر
الذي هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذي هو الفكر والتامل وقالوا
اذا لم يكن في اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها التعلق واحتجنا
جميعا الى طلب تاويل الآية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار
للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على
عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم ان النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل
الآية على رؤية اهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة
وهذا الكلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يورد عليه وما يجاب به عن
الشبه المعترضة فيه في مواضع كثيرة وههنا وجه غريب في الآية حكى ان
بعض المتاخرين لا يفتقر معه الى العدول عن الظاهر او الى تقدير
محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم في النظر يحتمل الرؤية او لا يحتملها بل يصح
الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب
او الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها على انه اراد به نعمة ربها
لان الآلاء النعم وفي واحدها اربع لغات يقال ألًى مثل قفا وإلًى مثل معى
وإلْي مثل نحى وإلْى مثل حسى قال الاعشى بكر بن وائل ،

ابيض

نظ
في جهة المرئي
هو الصاحب بن عباد

١٣

، ابيض لا يرهب الهزال ولا ، يقطع رحما ولا يخون إلًى ، اراد به لا
يخون نعمة فاراد بالى ربها نعم ربها واسقط التنوين للاضافة فان قيل
اي فرق بين هذا الوجه وبين تاويل من حمل الآية على انه اريد بها الى ثواب
ربها ناظرة يعني رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه
اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي
الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان الى فيه اسم تتعلق
به الرؤية فلا يحتاج الى تقدير محذوف غيره مجلس آخر رابع تاويل
آية ان قال قائل ما تاويل قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن
الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فظاهر الكلام يدل على ان الايمان
انما كان لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم فان حمل الاذن ههنا على
الارادة اقتضى ان من لم يقع منه الايمان لم يرده الله تعالى منه وهذا ايضا
بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن
كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب وهذا بالضد من
الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثر اهل الجنة البله الجواب
يقال له في قوله الا باذن الله وجوه منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى
الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بعد ان ياذن الله فيه ويامر به ولا
يكون معناه ما ظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري
هذا المجرى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى
قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وان كان لا اشبه في الآية التي فيها
ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن العلم ومنها ان يكون الاذن هو التوفيق
والتيسير والتسهيل ولا شبهة في ان الله تعالى يوفق لفعل الايمان ويلطف
فيه ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا
وكذا اذا استمعته وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته فتكون فائدة
الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وانه لا يخفى عليه الخفيات وقد
انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة

عن العلم وزعم ان الذى هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر
ان هى فى سماع واذْنْ ، وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان
الاذْن هو المصدر فالاذن هو اسم الفعل ويجرى مجرى الحذر فى انه
مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك
لجاز التسكين مثل مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه ونظائر ذلك كثيرة ومنها
ان يكون الاذن العلم ومعناه اعلام الله تعالى المكلفين بفضل الايمان
وما يدعوا الى فعله فيكون معنى الآية وما كان لنفس ان تموت الا باعلام
الله تعالى لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها الى فعله فاما ظن السائل
دخول الارادة فى محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة فى
اللغة ولو احتملها ايضا لم يجب ما توهمه لانه اذا قال ان الايمان لم يقع
الا وانا مريد له فلم ينف ان يكون مريدا لما لم يقع وليس فى صريح الكلام
ولا فى دليله شئ من ذلك فاما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا
يعقلون فلم يعن به الناقصى العقول وانما اراد تعالى الذين لم يعقلوا
ويعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة
رسله عليهم السلام والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها
كما قال الله تعالى صم بكم عمى وكما يصف احدنا من لم يفطن لبعض الامور
او لم يعلم ما هو مامور بعلمه بالجنون وفقد العقل فاما الحديث الذى اورده
السائل شاهدا له فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالبُلْه ذوى
الغفلة والنقص والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم
بُلْهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقدوا العلم
به ووجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر فان الابله عن الشئ
هو الذى لا يعرض له ولا يقصد اليه واذا كان المتنزه عن الشر معرضا
عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبُلْه للفائدة التى ذكرناها ويشهد
بصحة هذا التاويل قول الشاعر ، ولقد لهوت بطفلة ميّالة ،
، بُلْهاءُ تطلعنى على اسرارها ، اراد انها بلهاءُ عن الشر والريبة وان

لا خ

ميّاذة خ

كانت

كانت فطنة بغيرهما وقال ابو النجم العجلى ، من كل عجزاء سقوط البرقع
، بلهاء لم تحفظ ولم تضيع ، اراد بالبلهاء ما ذكرناه فاما قوله سقوط البرقع
فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنها واد لا لا بجمالها وقوله لم تحفظ
اراد استقامة طرائقها تغنى عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة
الى مسدد وموقف وقوله لم تضيع اراد به انها لم تهمل فى اغذيتها وتنعيمها
وترفيهها فتشقى ومثل سقوط البرقع قول الشاعر ، ،
، فلما توافقنا وسلمت اقبلت ، وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا ،
، ومثله ايضا ، بها شرق من زعفران وعنبر ،
، اطارت من الحسن الرداء المحبرا ، اى رمت به عنها ثقة بالجمال
والكمال ومثله وهو مليح ، لهونا بمجدول البراقع حقبة ،
، فما بال دهر لزّنا بالوصاوص ، اراد بمجدول البراقع اللواتى يوسعن
عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء ، ثم قال فما بال دهر
احوجنا واضطرنا الى القباح اللواتى يضيقن عيون براقعهن لقبحهن
والوصاوص هى النقب الصغار فى البراقع ومما يشهد للمعنى الاول الذى
هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة ، ،
، باهلى وما لى من اذا اعرضوا له ، ببعض الاذى لم يدر كيف يجيبُ ،
، ولم يعتذر عذر البرئ ولم تزل ، به سكتة حتى يقال مريبُ ،
، ومثله ايضا ، احب اللواتى فى صباهن غرة ،
، وفيهن عن ازواجهن طماح ، مُسرّات حُبّ مظهرات عداوة ،
، تراهن كالمرضى وهُنّ صحاح ، ومثله ، يكتبين الينجوج فى كبد المشتى
، وبُلْهُ احلامهن وسام ، اما قوله يكتبين فماخوذ من لفظ الكباء
وهو العود اراد يتبخرن به والينجوج هو العود ايضا وفيه ست لغات
يَنْجُوج وانجوج ويَلَنْجُوج والنجوج ويلنجج والنجج فاما كبد المشتى فهو
ضيقته وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد وقد روى
فى كبة المشتى والمعنى متقارب لان الكبة هى الصدمة والحملة ماخوذ من

تنبرقعا خ

الشرق اشباع الصبغ شرقت
الشمس اصفرت للغروب ومنه
احمر شرق شديد الحمرة وشرق
الثوب بالصبغ وكم
شرق لا دسم فيه
والشرق اثر
الطيب
تعال
بك مين الطيب
شرقه

كبة للخيل فاما الوسام فهن الحسان من الوسامة وهى الحسن ويمكن ان
يكون فى البله جواب آخر وهو ان نحمله على معنى البله الذى هو الغفلة
والنقصان فى الحقيقة ويكون معنى الخبر ان اكثر اهل الجنة الذين كانوا بلها
فى الدنيا فعندنا ان الله تعالى ينعم الاطفال فى الجنة والمجانين والبهائم
وانما لم يجعلهم بلها فى الجنة وان كان ما يصل اليهم من النعيم على سبيل العوض
(بجعلهم)
والتفضل لا يفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بان الاطفال والبهائم
اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على افضل الحالات واكملها فلهذا صرفنا
عنهم البله فى الجنة ورددناه الى احوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من
ذلك كمنعه اياه فى باب الثواب والعقاب **تاويل آية اخرى** قال الله
سبحانه مخبرا عن يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه وقال فى موضع
آخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفى موضع آخر واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الآيات ظاهر اختلاف لان بعضها
ينبئ عن ان النطق لا يقع منهم فى ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها
ينبئ عن خلافه وقال قوم من المفسرين فى تاويل هذه الآيات ان يوم
القيمة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنعوا النطق فى بعضه ويؤذن لهم
فى بعض آخر وهذا الجواب يضعف لان الاشارة الى يوم القيمة بطوله
فكيف يجوز ان يجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التاويل يجب ان
يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون فى بعضه والظاهر بخلاف ذلك
والجواب السديد عن هذا ان يقال انما اراد الله تعالى نفى النطق المسموع
المقبول الذى ينتفعون به ويكون لهم فى مثله عذر وحجة ولم ينف
النطق الذى ليست هذه حاله ويجرى هذا مجرى قولهم خرس فلان عن
حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئا وان كان الذى وصف بالخرس
عن الحجة والذى نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير عزير الا انه من حيث
لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق القول الذى حكيناه عليه ومثل

هذا

هذا قول الشاعر ، اعمى اذا ما جارتى خرجت ، حتى يوارى جارتى الخدر
، ويصم عما كان بينهما ، سمعى وما بى غيره وقر ، وقول الآخر
، لقد طال كتمانيك حتى كاننى ، برد جواب السائلى عنك اعجم
وعلى هذا التاويل قد زال الاختلاف لان التساول والتلاوم لا حجة
فيه فاما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل فيه انهم غير
مامورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحمل الاذن على الامر وانما
لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجؤون عند
مشاهدة اهوالها الى الاعتراف والاقرار واحسن من هذا التاويل
ان يحمل يؤذن لهم على معنى انه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة فى
امتناع قبول عذرهم هى التى ذكرناها **تاويل خبر** روى عن النبى
(نسخه: فان الدهر هو الله)
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقد
ذكر قوم فى تاويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له
وان الله مصرفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال
هو الدهر وفى هذا الخبر وجه هو احسن من الذى حكيناه وهو ان
الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من
افعال الله تعالى كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء
الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه
فى كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهم هذه الافعال
فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم
هذه الافعال ممن تعتقدون انه هو الدهر فان الله تعالى هو الفاعل
لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من تنسبوا الى الدهر افعال الله
(حيث ص)
تعالى وقد حكى الله عنهم قولهم ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا الا الدهر وقال لبيد ، فى قروم سادة من قومه ،
(قروم جمع قرم وهو السيد الشريف)
، نظر الدهر اليهم فابتهل ، اى دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة ،
(قميئة)
، كانى وقد جاوزت تسعين حجة ، خلعت بها عنى عذار لجامى ،

على الراحتين مرة وعلى العصا ، انوء ثلاثا بعدهن قيامى

رمتنى بنات الدهر من حيث لا ارى ، فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو انها نبل اذا لاتقيتها ، ولكننى ارمى بغير سهام

اذا ما راني الناس قالوا الم تكن ، حديثا حديد الطرف غير كهام

وافنى وما افنى من الدهر ليلة ، ولم يغن ما افنيت سلك نظامى

واهلكنى تاميل يوم وليلة ، وتاميل عام بعد ذاك وعام

وقال الاصمعى ذم اعرابى رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وانشد (الفرا)

حنتنى حانيات الدهر حتى ، كانى خاتل ادنو لصيد (حائل)

قصير الخطو يحسب من رآنى ، ولست مقيدا انى بقيد

وقال كثير

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ، واخرى رمى فيها الزمان فشلت

وقال آخر ، فاستاثر الدهر الغداة بهم

والدهر يرمينى وما ارمى ، يا دهر قد اكثرت فجعتنا

بسراتنا ووقرت فى العظم ، وسلبتنا ما لست تعقبنا

يا دهر ما انصفت فى الحكم ، اما قوله ووقرت فى العظم فانما اراد

به اتخذت فيه وقرا ووقيرة والوقر هو الحفرة العظيمة تكون فى الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب ايضا كذلك والوقيرة هى ايضا الحفرة الا انها دون الاولتين فى الكبر وكل هولاء الذين روينا اشعارهم نسبوا افعال الله تعالى التى لا يشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التاويل الذى ذكرناه **مسئلة** اعلم ان المنافع التى عرض الله سبحانه الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب فاما المنفعة على سبيل التفضل فهى الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها ان يفعلها وله ان لا يفعلها واما منفعة العوض فهى المنفعة غير مقارنة شىء من التعظيم والتبجيل لها واما منفعة الثواب فهى المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين

له فكان التفضل اصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتاخر ما عداه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشىء دون ان يكون حيا له شهوة (خ ذا شهوة) والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم التفضل فاما المنفعة بالثواب فهى الاصل للمنفعة بالعوض لان الالام او ما جرى مجرى الالام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضى الى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله سبحانه لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتدئ بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث ومنهم من عرض لاثنين ومنهم من عرض لواحد فالمكلف المعرض للثواب لا بد ان يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذى قلنا لانه اذا خلق حيا وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله ان يكون منفوعا بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلو المكلف منا من الم يحدثه الله به (خ يبتدؤه) فلا يكون معرضا للعوض فمتى عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لاثنين من المنافع ومجوزا تكامل الثلاث له فاما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احدى المنافع وهى التفضل من حيث خلق حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك فى تعريضه العوض من الوجه الذى بيناه وكما قطعنا على احدى المنافع فيه فنحن قاطعون ايضا على نفى التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولا بد فى كل حى محدث ان يكون معرضا لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما وجب ذلك من جهة (اوجبنا) حكمة القديم تعالى لا من جهة انه يستحيل فى نفسه وانما قلنا انه ليس يستحيل (خ يستحيل) فى نفسه لان كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر ولا لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة

واوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى لانه اذا جعل الحي بهذه الصفات
فلا يخلو من ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد شيئا فان كان الاول
فهو الذي اوجبناه وان كان الثاني او الثالث فالقديم تعالى منزه
عنهما لان الاول يجري مجرى الظلم والثاني هو العبث بعينه وقد
يشارك القديم في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون
ولا يصح ان يشاركه في النفع بالثواب لان الصفة التي يستحق المكلف
لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا لا يكون الا من قبله تعالى وليس
لاحد ان يظن فيمن يهدي الى الدين ويرشد الى الايمان وما يستحق
به الثواب انه معرض للثواب وذلك ان المكلف قد يكون معرضا للثواب
ويصح ان يستحقه من دون كل هداية وارشاد يقع منا ولولا الصفة التي
جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفضل بين الامرين على ان احدنا
وان نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله
ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعما
الا ترى انه لو لم يخلق الله الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل اليهما مما ذكرناه
منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذ لم يكن لنا سبيل الى النفع والانعام
فبان بهذه الجملة ما قصدناه مجلس آخر خامس ان سال سائل فقال
ما تاويل قوله تعالى مخبرا عن مهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم كذلك
واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين
وكيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما الجواب
يقال له في هذه الآية وجوه اربعة من التاويل اولها ان الله تعالى
اراد اهل السماء والارض فحذف كما حذف في قوله واسئل القرية وفي
قوله حتى تضع الحرب اوزارها واراد اهل القرية واصحاب الحرب وجرى
مجرى ذلك قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة
، وشر المنايا ميت وسط اهله ، كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره ،
اراد شر المنايا منية ميت وقال آخر ، قليل عيبه والعيب جم ،

وكن

، ولكن الغنى رب غفور ، اراد غنى رب غفور وقال ذو الرمة ،
، لهم مجلس صهب السبال اذلة ، سواسية احرارها وعبيدها ،
اراد اهل المجلس فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب
تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الاسبلة وقوله سواسية يريد
انهم مستوون متشابهون ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى اراد
المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب
اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم
القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في
عظم الامر وشمول ضرره قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز ،
، الشمس طالعة ليست بكاسفة ، تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ،
وقال يزيد بن مفرغ الحميري ، الريح تبكي شجوها ، والبرق يضحك في الغمام
وهذا صنيعهم في كل امر جل خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار
بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس وضوئها قال النابغة
، تبدو كواكبه والشمس طالعة ، لا النور نور ولا الاظلام اظلام ،
، وقال طرفة ، ان تنوله فقد تمنعه ،
، وتريه النجم يجري بالظهر ، ومن هذا قولهم لاريتك الكواكب بالنهار
معناه اني اورد عليك ما يظلم له في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب
فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر وجوه ثلاثة احدها
انه اراد ان الشمس طالعة ليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمرا
لان عظم الرزية قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه
الثاني ان يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر
وطول المسند وما جرى مجرى ذلك فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما
طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر ونجوم الليل
باكين الشمس على هذا المرثي المفقود فبكيتهن اي غلبتهن بالبكاء كما تقول
باكاني عبد الله فبكيته اي غلبته وفضلت عليه وثالثها ان يكون معنى

عظم الشئ معظمه وعظمه كبره

المسند الزمان يقال لا اكلمك يد المسند

الآية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم ولا انتصر لهم لان العرب
كانت لا تبكي على قتيل حتى تاخذ بثاره وتقتل من كان بواءً به من
عشيرة القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ
بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن ويجوز ايضا ان
يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى
السماء ويطابق هذا التاويل ما روي عن ابن عباس رحمه الله تعالى
في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قيل له او تبكيان على احد
فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى انس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان
يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى
البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده
قال ابن مقبل ، لعمر ابيك لقد شاقني ، مكان حزنت له او حزن ،
وقال مزاحم العقيلي ، بكت دارهم من اجلهم فتهللت ،
، دموعي فاي الجازعين الوم ، امستعبرا يبكي من الهون والبلى ،
، ام آخر يبكي شجوه ويهيم ، فاذا لم يكن لهولاء القوم الذين
اخبر الله سبحانه عن بوارهم مقام صالح في الارض ولا عمل كريم يرفع
الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الآية
وجه خامس هو ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لان
العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية ان السماء لم تسق قبورهم
ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف في ذلك لانهم
كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون
لمواقع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة ،
، فلا زال قبر بين تبنى وجاسم ، عليه من الوسمي طل ووابل ،
، فينبت حوذانا وعوفا منورا ، سأتبعه من خير ما قال قائل ،
وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله تعالى لهم

عن ابن الاعرابي انما يستسقى للقبور لانها اذا سقيت وجم القطرات المكان فحضره القوم للرعي وترحموا على الموتى م

واخر غ

الرضوان والفعل الذي اضيف الى السماء وان كان لا يجوز اضافته
الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان يقدر فعل يصح
نسبه اليها والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر ،
، يا ليت زوجك في الوغى ، متقلدا سيفا ورمحا ، فعطف الرمح
على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه اراد وحاملا رمحا
ومثل هذا يقدر في الآية فيقال انه تعالى اراد ان السماء لم تسق قبورهم
وان الارض لم تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى
ورضوانه **تاويل خبر** روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادومها وان قل فعليكم
من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه عليه
السلام الله تعالى بالملل وجوه اربعة اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه
لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر ،
، فانك سوف تحكم او تناهى ، اذا ما شبت او شاب الغراب ،
اراد انك لا تحكم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما علقه به لا يقع حتى
حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التابيد قلنا معلوم ان الملل لا يعتري
البشر في جميع اوقاتهم واوطارهم وانهم لا يعرون من حرص ورغبة
وامل وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى انه لا يكون بمللهم والوجه
الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل
له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين
مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسميتها الشيء
باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدي بن زيد العبادي
، ثم اضحوا لعب الدهر بهم ، وكذاك الدهر يودي بالرجال ،
وقال عبيد بن الابرص الاسدي ، سائل بنا حجر بن ام قطام اذ ،
، ظلت به السمر الذوابل تلعب ، فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيها

خ قد غدا

تحكم

في خ

وقال ذو الرمة ، وابيض موشئ القميص نصبته ،
، على خصر مقلاة سفيه جديلها ، فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه
سفها لان السفه فى الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما
وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما قوله وابيض موشى القميص فانما
عنى به سيفه وقميصه جفنه والمقلاة الناقة التى لا يعيش لها ولد
والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله ولحيا[خ]
حتى تملوا من سوآله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله تعالى ملالا
وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين فى الصورة

[خ] اللفظتين

وان اختلفا فى المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزآء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر
وهو عمرو بن كلثوم التغلبى ، الا لا يجهلن احد علينا ،
، فنجهل فوق جهل الجاهلينا ، وانما اراد المجازاة على الجهل لان
العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به والوجه الرابع ان يكون الراوى
وهم وان يكون غلط من الضم الى الفتح وان يكون قوله لا يمل بالضم
لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه لا يعاقبكم بالنار
حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان الملة هى مشتوى
الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها فى الملة وقيل
ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد والمعنى الثانى ان يكون
اراد انه لا يسرع الى عقابكم بل يحلم عنكم رفقا بكم ويتانى بكم حتى
تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم فى المآثم

[خ] الى
التتابع التمادى فى الشر

وروى انه قيل للفرزدق هل حسدت احدا على شئ من الشعر فقال
لا لم احسد على شئ منه الا ليلى الاخيلية فى قولها ،
، ومخرق عنه القميص تخاله ، بين البيوت من الحياء سقيما ،

الخيام

، حتى اذا برز اللواء رايته ، تحت اللواء على الخميس زعيما ،
، لا تقربن الدهر آل مطرف ، لا ظالما ابدا ولا مظلوما ،

قال

قال على انى قلت ، وركب كان الريح تطلب عندهم ،
، لها ترة من جذبها بالعصائب ، سروا يخبطون الليل وهى تلفهم ،
، الى شعب الاكوار من كل جانب ، اذا ابصروا نارا يقولون ليتها ،

[خ] آنسوا
شعب جمع شعبة اى جوانب الاكوار والاكوار جمع كور وهو الرحل

، وقد خصرت ايديهم نار غالب ، وليست ابيات الفرزدق بدون
ابيات ليلى بل هى اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات ليلى اطبع
وانصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار
لقليله والافراط فى استحسان مستحسنه وقد روى ان الكميت بن زيد
الاسدى لما عرض على الفرزدق ابياتا من قصيدته التى اولها ،
، اطربا وانت قنسرى والدهر بالانسان دوارى ، ...
اتصرم الحبل حبل البيض ام تصل ، وكيف والشيب فى فوديك مشتعل ،
، والابيات ، لما عبات لقوس المجد اسهمها ،
، حيث الجدود على الاحساب تنتضل ، احرزت من عشرها تسعا وواحدة ،
، فلا العمى لك من رام ولا الشلل ، الشمس ادتك الا انها امراة ،
، والبدر اداك الا انه رجل ، حسده الفرزدق فقال له انت

[خ] الجدود جمع جد وهو البخت
وتنتضل تتفاخر
يقال للرامى المصيب لا عمى ولا شلل

خطيب وانا سلم الخطابة ليخرجه عن اسلوب الشعر ولما بهره حسن

[خ] ولما بهره من حسن

الابيات وافرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل فى وصفها
الى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه بجيده من ادل
دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه وانه كان يطرب لجيده
فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل ايضا على انصافه فيه وانه
مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيرا من الناس قد يبلغ بهم الهوى
فى الاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر او فضل الى ان يعموا عن
محاسن غيرهم فيستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير ولابيات الفرزدق
التى ذكرناها خبر مشهور متداول اخبرنا ابو عبد الله المرزبانى قال
اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة عن يونس
قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر
فقال له سليمان انشدنى فانشده الابيات التى تقدم ذكرها فاسود وجه

الوشل الماء القليل

سليمان وغاظه فعله وكان ظن انه ينشده مديحا له فلما راى نصيب
ذلك قال الا انشدك فانشده ، اقول لركب قافلين لقيتهم ،
، قفوا ذات اوشال ومولاك قارب ، قفوا اخبروني عن سليمان انني ،
، لمعروفه من اهل ودان طالب ، فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ،
، ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب ، فقال له سليمان انت اشعر اهل
جلدتك وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما ساله
عنه سليمان وروي ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال له سليمان
احسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول ،
، وخير الشعر اكرمه رجالا ، وشر الشعر ما قال العبيد ،
ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على
ابيات نصيب وان كان نصيب قد اغرب وابدع في قوله ولو سكتوا
اثنت عليك الحقائب الا ان ابيات نصيب وقعت موقعها ووردت في
حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها
فلهذا قدمت ابيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه
فيه الى الذروة العليا والغاية القصوى شريف الاباء كريم البيت له
ولابائه مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب لقب به وليس
باسمه وانما لقب بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدقة هي
القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي تتخذ منها
النساء الفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان
يكنى في شبابه بابي مكية وهي اغرب كنيتيه وكان شيعيا مائلا الى
بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع
طريقة الدين على انه في خلال فسقه لم يكن منسلخا من الدين جملة ولا
مهملا لامره اصلا ومما يشهد بذلك ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب
عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي حفص الغلاس عن عبد الله
ابن سوار عن معاوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق

فجعلت

فجعلت احادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو
مقيد الرجل فسالته عن السبب في ذلك فقال اني آليت على نفسي ان لا
انزع القيد من رجلي حتى احفظ القرآن واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال اخبرنا ابو ذر القراطيسي قال حدثنا ابن ابي الدنيا قال حدثني
الرياشي عن الاصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف
المحصنات فقال والله الله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني
بعدها وروي انه تعلق باستار الكعبة وعاهد الله تعالى على ترك الهجاء
والقذف اللذين كان ارتكبهما وقال ، الم ترني عاهدت ربي وانني ،
، لبين رتاج قائم ومقام ، على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ،
، ولا خارجا مني زور كلام ، اطعتك يا ابليس سبعين حجة ،
، فلما انقضى عمري وتم تمامي ، فررت الى ربي وايقنت انني ،
، ملاق لايام الحتوف حمامي ، وروى الصولي عن الحسين بن
الفياض عن ادريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله
وسعتها فكان اوثقنا بالله فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب
وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال اتروني لو اذنبت الى
ابوي اكانا يقذفانني في تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك
قال فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد الوراق
قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطغاوي قال حدثني ابي عن جدي
قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امراة الفرزدق وكان
الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر يا ابا فراس ما اعددت
لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن
هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت
ثم قال الفرزدق في الحال ، ،
، اخاف وراء القبر ان لم يعافني ، اشد من القبر التهابا واضيقا ،

خ فزعت

خ سعيد

اذا جائني يوم القيمة قائد ، عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى ، الى النار مشدود القلادة ازرقا
يقاد الى نار الجحيم مسربلا ، سرابيل قطران لباسا محرقا

قال فرايت الحسن يدخل بعضه فى بعض ثم قال حسبك ويقال ان رجلا راى الفرزدق بعد موته فى منامه فقال له ما فعل بك ربك قال عفا عنى بتلك الابيات فاما ما يدل على تشيعه وميله الى بنى هاشم فما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى عمر بن داود العمانى قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابى قال حدثنا مهدى بن سابق قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال له يا عم انى قد قلت قصيدة اريد ان اعرضها عليك فقال له قل فانشد

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ، فقال له الفرزدق الى من طربت ثكلتك امك فقال ، ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب
ولم تلهنى دار ولا رسم منزل ، ولم يتطربنى بنان مخضب
فقال له الى من طربت فقال ، ولا انا ممن يزجر الطير همه
اصاح غراب ام تعرض ثعلب ، ولا السانحات البارحات عشية
امر سليم القرن ام مر اعضب ، فقال الى من طربت لا ام لك فقال الكميت
ولكن الى اهل الفضائل والنهى ، وخير بنى حواء والخير يطلب
فقال الفرزدق هولاء بنو دارم فقال الكميت
الى النفر البيض الذين بحبهم ، الى الله فيما نابنى اتقرب
فقال الفرزدق هولاء بنو هاشم فقال الكميت
بنى هاشم رهط النبى فاننى ، بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

فقال له الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا ومما يشهد لذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنى جدى يحيى بن الحسن العلوى قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثنى غير واحد من اهل الادب ان على بن الحسين

رضى الله عنهما حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هذا ابن خير عباد الله كلهم ، هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ، والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا راته قريش قال قائلها ، الى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ، ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ، فما يكلم الا حين يبتسم
اى القبائل ليست فى رقابهم ، لاولية هذا او له نعم
من يشكر الله يشكر اولية ذا ، فالدين من بيت هذا ناله الامم

وفى رواية الغلابى ان هشام بن عبد الملك حج فى خلافة عبد الملك او الوليد وهو حديث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل على بن الحسين رضى الله عنهما وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان لذلك حاضرا لكنى اعرفه وذكر الابيات وهى اكثر مما رويناه تركناها لانها معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك على بن الحسين رضى الله عنهما فبعث الى الفرزدق باثنى عشر الف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا فى هذا الوقت اكثر منها لوصلناك به فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذى قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزاء عليه شيئا وردها عليه واقسم بالله عليه فى قبولها وقال له قد راى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن اهل بيت

يقال جهرت الرجل واجتهرته اذا رايته عظيم المرأى واستجهر الناس جماله اى وجدوه جهيرا

رجال

يقال ما رزاته شيئا اى ما اخذت منه شيئا

اذا انفذ ناشيا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو
في الحبس فمما هجاه به قوله ، تحبسني بين المدينة والتي ،
، اليها رقاب المسلمين منيبها ، يقلّب راسا لم يكن راس سيّد ،
، وعينا له حولاء بادٍ عيوبها مجلس آخر سادس ان سال سائل
فقال ما عندكم في تاويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر
هذه الآية يقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا
على الايمان والهدى وهذا بخلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك
خلقهم فلا يخلو من ان يكون عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة فلا يجوز
ان يعني الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة ذلك ولو ارادها
لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه الى الاختلاف
اولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا فيها
لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله الا من رحم دالًّا على
الرحمة فكذلك قوله مختلفين دالٌّ على الاختلاف على ان الرحمة هي رقة
القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعدّى بها ما ذكرناه
لم يعنَ بها الا العفو واسقاط الضرر وما جرى مجراهما عن مستحقه وهذا
مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسُن
منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين الجواب يقال له اما قوله تعالى
ولو شاء ربك فانما عنى بها المشيئة التي ينضمّ اليها الالجاء ولم يعنِ
المشيئة على سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته انه
ممن لا يغالب ولا يُعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد
واكراههم على ما اراده منهم فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة
اولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل
العقل فمن حيث علمنا انه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين
ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق

الاجراء يستعمل في المنكر
المذموم يقال الاجرى اليه
فعله ولا يقال الا
في الشر
ه

العباد واما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من
الاختلاف وحمل اللفظة على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان العرب
فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة
لا تكون الا مونثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا كُني عنها
بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام
كما قالوا سرّني كلمتك يريدون سرّني كلامك وقال الله تعالى هذا رحمة
من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من ربي وقالت الخنساء ،
، فذلك يا هندُ الرزيّة فاعلمي ، ونيران حرب حين شُبّ وقودُها ،
ارادت الرزء وقال امرؤ القيس ، برهرهةٍ رُودةٍ رُخْصةٍ ،
، كخرعوبة البانة المنفطر ، فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه
ذهب الى الغصن وقال آخر ، هنيئا لسعدٍ ما اقتضى بعدُ وقعتي ،
، بناقة سعد والعشيّة باردُ ، فذكّر الوصف لانه ذهب الى العشي
وقال الآخر ، قامت تبكّيه على قبره ، من لي من بعدك يا عامر ،
، تركتني في الدار ذا غربة ، قد ذلّ من ليس له ناصرُ ، فقال
ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم
، ان الشجاعة والمروة ضُمّنا ، قبرا بمرو على الطريق الواضح ،
ويروى ان السماحة والشجاعة وهكذا كان في الاملاء فقال ضُمّنا ولم
يقل ضُمّنتا قال الفراء لانه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران
والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تانيث المصادر يرجع الى
الفعل وهو مذكر قال الفرزدق ، تجوب بنا الفلاة الى سعيد ،
، اذا ما الشاة في الارطاة قالا ، فذكّر الوصف لانه اراد التيس
فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهي شجر ينبت في الرمل تستظل
بظلاله الظباء من الحر وتاوي اليه قال الشماخ ،
، اذا الارطى توسّد ابرديه ، خدود جوازئٍ بالرمل عِين ،
وقوله فالا من القيلوله لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم

الابردان الغداة والعشي وعنى
بالابردين ههنا ما يقيه الارطى
من الظل والفيء على الارض
في هذين الوقتين
والجوازئ جمع
جازئة
ه

ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية
بلفظة ذلك على ان يرحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر عنى
ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على
الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة انه لهذا خلقهم ويطابق هذه
الآية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال قوم في
قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة معناه انه لو شاء ان
يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة
واجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في
انه اراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل ايضا يمكن ان ترجع
لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير
اليها والوصول الى نعيمها فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف
في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم محمد
ابن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف هؤلاء
الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا
وقولك اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم
لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء كل واحد منهما بعد
الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنها فعل النعم
والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف
بانه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من قلبه
لا يعهدون منه رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك
لان مشفقة النعمة والفضل والاحسان على من لا رقة عنده اكثر منها على
الرقيق القلب وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان
لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك فوجب ان يكون معناها ما
ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرتم ثم انتقل ذكرتم
بالتعارف الى ما ذكرناه كنظائره وقد وصف الله تعالى القرآن بانه هدى

ورحمة

ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتاتى في القرآن ما ظنوه وانما وصفت
رقة القلب بانها رحمة لانها مما يجاوره الرحمة التي هي النعمة في الاكثر
وتوجد عنده محل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت توجد عندها
المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب
النعم وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه
بالرحمة وان لم يسقط عنه ضررا ولا تجاوز له عن زلة وانما سمي
العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة
باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة
معنى الآية وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله فان قيل اذا كانت الرحمة
هي النعمة وعندكم ان نعم الله شاملة للخلق اجمعين فاي معنى لاستثنا
من رحم من جملة المختلفين ان كانت الرحمة هي النعمة وكيف يصح
اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة
في ان نعم الله سبحانه شاملة للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما يختص
بها بعض العباد اما لاستحقاق او لسبب يقتضي الاختصاص فاذا
حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص
ظاهر لان النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب باعماله
وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة
في الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل
الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على سائر
المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه ان لهم توفيقا وان في الافعال
ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد
لا يمنع من شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص
هذه تاويل خبر روى ابو مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم
تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه من التاويل ثلاثة احدها

ان يكون معناه اذا عملت العمل لله عز وجل وانت لا تستحيي من
الناظرين اليك ولا تخوفهم ان ينسبوك فيه الى الريا فاصنع ما
شئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفا شروط
عملك ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه واذا اطرحت الفكر
توفرت على استيفا عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعاير
والمخازي والفضائح صنع ما شا والظاهر ظاهر امر والمعنى معنى
تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله فمن شا فليومن
ومن شا فليكفر وهذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب
في اطراح الحيا ويجري مجرى قولهم بعد ان فعل فلان كذا وكذا فليفعل
ما شا وبعد ان اقدم على كذا فليقدم على ما شا والمعنى المبالغة
في عظم ما ارتكبه وقبح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى
الخبر اذا لم تفعل ما يستحيى منه فافعل ما شئت فكان معنى الخبر اذا
لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لانه لا قبيح من ضروب القبائح الا والحيا
يصاحبه ومن شان فاعله اذا قرع به ان يستحيي منه فمتى جانب
الانسان ما يستحيي منه من افعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا
القبائح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر يروى فيما اظن
عن نبينا عليه السلام ان رجلا جاءه فاسترشده الى خصلة يكون
بها جماع الخير فقال عليه السلام اشترط عليك الا تكذبني وان
اسالك ما ورا ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة
على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف
جعل كلما هم بقبيح يفكر ويقول ارايت لو سالني عنه النبي صلى الله
عليه وسلم ما كنت قائلا له لانني ان صدقته افتضحت وان كذبته
نقضت العهد بيني وبينه وكان ذلك سببا لاجتنابه سائر القبائح
وهكذا معنى الخبر الذي تاولناه لان في اجتناب ما يستحيى منه
اجتنابا لسائر القبائح تاويل خبر روى محمد بن الحنفية عن ابيه

رضي

رضي الله عنه قال كان قد كثر على مارية القبطية ام ابراهيم في ابن
عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه السلام
خذ هذا السيف وانطلق فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول
الله اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحاماة امضي لما امرتني (لعله المحماة)
ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم
بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته
عندها فاخترطت السيف فلما اقبلت نحوه عرف اني اريده فاتى نخلة
فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا انه اجب امسح
ما له مما للرجال قليل ولا كثير قال فغمدت السيف ورجعت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت
قال رضي الله عنه في هذا الخبر احكام وغريب ونحن نبدا باحكامه ثم
نتلوه بغريبه فاول ما فيه ان لقائل ان يقول كيف يجوز ان يامر الرسول
عليه السلام بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا ما يجري مجراها الجواب
عن ذلك ان القبطي جائز ان يكون من اهل العهد الذين اخذ عليهم (خ عليهم)
ان يجري فيهم احكام المسلمين وان يكون الرسول عليه السلام تقدم
اليه بالانتها عن الدخول الى مارية فخالف واقام على ذلك وهذا
نقض للعهد وناقض العهد من اهل الكفر موذن بالمحاربة والموذن
بها مستحق للقتل فاما قوله عليه السلام بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب
فانما عنى به روية العلم لا روية البصر لانه لا معنى في هذا الموضع لروية
البصر فكانه عليه السلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الراى
والتدبير ما لا يصح للغائب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل
حال وانما جاز منه عليه السلام ان يخير بين قتله والكف عنه ويفوض
الامر في ذلك الى امير المومنين رضي الله عنه من حيث لم يكن قتله
من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لان
ناقض العهد ممن الى الامام القائم بامور المسلمين اذا قدر عليه قبل

التوبة ان يقتله او ان يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاؤه
ان مجرد امر الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى
ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه وفي حسنها ووقوعها دلالة
على انه لا يقتضي ذلك ومما فيه من الاحكام دلالته على انه لا باس بالنظر
الى عورة الرجل عند الامر ينزل فلا يوجد من النظر اليها بد اما الحد
يقام او العقوبة تسقط لان العلم بانه امسح اجب لم يكن الا عن تامل
ونظر وانما جاز التامل والنظر ليتبين هل هو ممن يكون منه ما قرف
به اولا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه مجبوب
ان يامر بالنظر اليه ويتبين امره وبمثله امر النبي صلى الله عليه وسلم
في قتل مقاتلة بني قريظة لانه امر ان ينظروا الى موتزر كل من اشكل
رجل خ
عليهم امره فمن وجدوه قد انبت قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة
عند الضرورة لما قامت شهادة بالزنا لان من راى رجلا مع امراة واقعا
الزنا خ
عليها متى لم يتامل امرهما حق التامل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى
الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وقد ساله عمن وجد مع امراته رجلا
ايقتله فقال صلى الله عليه وسلم لا حتى ياتي باربعة شهداء فلو لم يكن للشهداء
اذا حضروا تعمد النظر الى عورتيهما لاقامة الشهادة كان حضورهم
كغيبتهم ولم تتم شهادة الزنا لان من شرطها شهادة العضو في العضو
كالميل في المكحلة فان قيل كيف جاز لامير المومنين رضي الله تعالى عنه
الكف عن القتل ومن اي جهة آثره لما وجده اجب واي تاثير لكونه
اجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد قلنا انه لما فوض اليه الامر
في القتل والكف كان له ان يقتله على كل حال وان وجده اجب لان
كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد وانما آثر الكف الذي كان
اليه ومفوضا الى رايه لازالة التهمة والشك الواقعين في امر مارية
التهمة بالتحريك وهو الصحيح
ولانه اشفق من ان يقتله فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار فراى
رضي الله تعالى عنه الكف اولى لما ذكرناه فاما غريب الحديث فقوله

شغر

شغر برجليه يريد رفعهما واصله في وصف الكلب اذا رفع رجله للبول
فاما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو ان يزوج الرجل
من هو ولي لها من بنت او اخت غيره على ان يزوجه بنته او اخته بغير
مهر وكان احد العرب في الجاهلية يقول للآخر شاغرني اي زوجني حتى
ازوجك واظنه انه ماخوذ من الشغر الذي هو رفع الرجل لان النكاح
فيه معنى الشغر فسمي هذا العقد شغارا ومشاغرة لافضائه في كل واحد
من الزوجين الى معنى الشغر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا
الزنى والزنا كلاهما صحيح
سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء اي يسكبانه والماء هو النطفة ويمكن
ان يكون ايضا الماء الذي يغتسلان به فكني بذلك عن الزنا ثم صار
اسما له وعلما عليه ومن الشغر الذي هو رفع الرجل قول زياد لابنة
معاوية وكانت عند ابنه فافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها الى
ابيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها اشغرا وفخرا فاما قول
الفرزدق ، شغارة تقذ الفصيل برجلها ، فطارة لقوادم الابكار ،
الموقوذة الناقة التي يرميها الراعي بالعصا فتموت
فانه من غريب شعره وفسره وقال معنى شغارة انها ترفع رجلها للبول
وقوله تقذ الفصيل برجلها اي تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع
ليتوفر اللبن على الحلب واراد بتقذ اي تبالغ في ايلامه وضربه ومنه
الموقوذة واما قوله فطارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلاث
اصابع والقوادم هي الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر
اخلافها يمنع من حلبها ضفا والضف هو الحلب بالاصابع الاربع فكانه
لا يمكن فيها لقصر اخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعييره نساء جرير
بانهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء الا ترى الى قوله قبل هذا
البيت ، كم عمة لك يا جرير وخالة ، فدعاء قد حلبت على عشاري ،
الفدع اعوجاج الزند
، كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا ، ولها اذا سمعت دعاء يسار ،
اللقاح جمع لقحة وهي الناقة الحديثة العهد بالنتاج صح
ثم تلا ذلك بقوله ، شغارة تقذ الفصيل برجلها ،
، فطارة لقوادم الابكار ، قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وعندي

ان قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو اشبه بان يكون
مراده في هذا الموضع الا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ
اللقاح عند سماع اداعاء يسار ويسار اسم راع وكانه وصفها بالوله
الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح فالاشبه
ان يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما
اشرنا اليه فاما قولهم ذهبوا شَغَرَ بَغَرَ فليس من هذا في شيء وانما يُراد
به انهم ذهبوا متفرقين منتشتين ومثله ذهبوا اباديد وعباديد
وشعاليل وشعارير وايادي سبا كل ذلك بمعنى واحد فاما قوله
فاذا انه اجب فيعني به المقطوع الذكر لان الجب هو القطع ومنه بعير
اجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تاول هذا الخبر ان
الامسح هنا هو القليل لحم الالية كالارصع والارسح والازل وهذا غلط
لان الوصف بذلك لا معنى له في الخبر وانما اراد تاكيد الوصف له بانه
اجب والمبالغة فيه لان قوله امسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على
معنى اجب زيادة ظاهرة اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا القسم
ابن الحسين الوراق قال حدثني سليمان بن داود الطوسي قال حدثني
سوار بن عبد الله القاضي عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل
فتذاكرنا احوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما انت
ابن ليلة قال رضاعُ سُخيلة حلَّ اهلُها برُميلة قيل له ما انت ابن ليلتين
قال حديثُ أُمَّتين بكذب ومين قيل له ما انت ابن ثلاث قال قليل
اللباث وقيل ايضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات قيل له ما انت
ابن اربع قال عتمة ام رُبَع وقيل عَتَمَةُ ام الرُبَع غير جائع ولا مرضع
قيل ما انت ابن خمس قال عشا خَلِفات قُعس ويقال حديث وانس
ويقال سمر ومس قيل ما انت ابن ست قال سر وبت وقيل حدث وبت
قيل ما انت ابن سبع قال دَلْجَة ضَبُع وقيل هدى لانس ذي الجمع وقيل
حدث جمع وقيل يصغر في النسع وقيل يلتقط في الجزع قيل ما انت ابن

الارصع والارسح والازل القليل لحم الورك

اى استفهمك عن نفسك في حال كونك ابن ليلة

تحدث الضبع

ومس اى يكن سر كرسا ...

ثمان

ثمان قال قمر اضحيان قيل ما انت ابن التسع قال منقطع الشسع وقيل
يلتقط في الجزع وقيل الودع وقيل عشيته اهل جمع قيل ما انت ابن
عشر قال ثلث الشهر وقيل مُحْنِقُ الفجر وقيل اودى الى الفجر وقيل بادر
الفجر قيل ما انت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وارى بكرة وقيل
اغيب بسحرة قيل ما انت ابن اثنتي عشرة قال مؤنق للبشر بالبدو والحضر
قيل ما انت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر قيل ما انت
ابن اربع عشرة قال مقتبل الشباب اضيء مُدجنات السحاب وقيل مضيء
السحاب قيل ما انت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب
قيل ما انت ابن ست عشرة قال امكنت المقتفر بالقفرة قيل ما انت ابن ثمان
عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل ما انت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع
بين الخشوع قيل ما انت ابن عشرين قال اطلع بسحرة واضيء بالبهرة وقيل
اُهجن بالبهرة قيل ما انت ابن احدى وعشرين قال اطلع كالقبس يرى
بالغلس قيل له ما انت ابن اثنتين وعشرين قال لا اطلع الا ريثما ارى
قيل له ما انت ابن ثلاث وعشرين قال اطلع في قتمة ولا اجلو الظلمة
قيل له ما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال قيل ما انت
ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل ما انت ابن ست
وعشرين قال دنا ما دنا فلا يرى مني الا سَنا قيل ما انت ابن سبع وعشرين
قال اطلع بكرا ولا ارى ظُهرا قيل ما انت ابن ثمان وعشرين قال اسبق
شعاع الشمس قيل ما انت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يراني
الا البصير قيل ما انت ابن ثلاثين قال هلال مستسر قال الاصمعي ثم
قلت للرشيد يقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا العاقل فقال
خذ علي قلت هات فاعاده حتى بلغ قيل له ما انت ابن ثمان قال قمر
اضحيان اما قوله رضاع سُخيله اراد تصغير سَخله والمعنى ان القمر يبقى
بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في
الافق بمقدار هذا الزمان فقوله حل اهلها برميله اظن ان المعنى فيه

قمر اضحيان وليلة اضحيانة بالكسر وهو المعروف الصحيح

مؤنق البشر خ

مضيء السحاب خ

المقفرة خ

[illegible]

اضيء بالبهرة اي اضيء الافق قبيل الطلوع وهو في حال منتصف الليل

مستسر من السرار وهو اخر الليل من الشهر

الاخبار عن قلة اللبات وسرعة الانتقال لان الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لانهم كانوا يختارون فى منازلهم جلد الارض وهضبها والاماكن التى لا تستولى السيول عليها فخص الرميلة لهذا المعنى وقوله حديث أمنين بكذب ومين يريد ان بقاءه قليل بمقدار ما تلتقى الامة الامة فتكذب لهاصبها ثم تفترقان وقوله حديث فتيات غير جدة مونلفات اراد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مونلفات وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت ابله اذا تاخرت عن العشاء ومن هذا سميت صلاة العتمة لانها آخر الوقت فى العشاء قوله ام رُبع يعنى الناقة وهو ناخير حلبها يريد ان بقاءه بمقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدته فى اول الربيع وهو اول النتاج والولد فى هذا الوقت يسمى رُبعا اذا كان ذكرا فان كان أنثى قيل رُبعة فان كان فى آخر النتاج قيل هُبَع للذكر وللانثى هُبعة وقوله عشاء خَلِفات قُعس فالخلفات اللواتى قد استبان حملهن واحدتها خَلِفة وهى واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظه وانما قال عشاء خلفات لانها لا تعشى الى ان يغيب القمر فى هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن وقوله سروبت يريد انه لا يبقى الا بقدر ما يسير الانسان ثم يبيت قوله قمر اضحيان اى ضاح بارز ويقال قمر اضحيان بالتنوين فيهما جميعا وقمر اضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة إضحيانة اذا كانت نقية البياض وقوله منقطع الشسع اراد انه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد يمشى به حتى ينقطع وقوله يلتقط فى الجزع اى انه مضى ابلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها جذور مفصلة بجزع ما ضاع منها شئ لضيائه ونقائه وقوله اضئ بالبهرة يعنى به وسط الليل لان بُهرة الشئ وسطه وقوله امكنت المقتفر القفرةَ فالمقتفر الذى يتبع الآثار ومقتفراته مواضعه التى يقصدها **مجلس آخر سابع** ان سال سائل عن قوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا

حلبُ ناقة

فى الآخرة عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه السلام بان الخلق يحشرون كما بُدؤا سالمين من الآفات والعاهات وقال الله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقال تعالى كما بداكم تعودون وقال عز وجل فبصرك اليوم حديد الجواب يقال له فى هذه الآية اربعة اجوبة احدها ان يكون العمى الاول انما هو عن تامل الآيات والنظر فى الدلالات والعبر التى اراها الله تعالى المكلفين فى انفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثانى هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب وعقاب وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ثم قال تعالى بعد ذلك ومن كان فى هذه اعمى يعنى فى هذه النعم وعن هذه العبر فهو فى الآخرة اعمى اى هو عما غيب عنه من امر الآخرة اعمى ويكون قوله فى هذه كناية عن النعم لا عن الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمة الله عليه ساله سائل عن هذه الآية فقال له اتل ما قبلها ونبهه على التاويل الذى ذكرناه والجواب الثانى من كان فى هذه يعنى الدنيا اعمى عن الايمان والمعرفة بما اوجب عليه المعرفة به فهو فى الآخرة اعمى عن الجنة بمعنى انه لا يهتدى الى طريقها ولا يوصل اليها ويفقد الحجة اذا سُئل ووقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون فى القيمة منقطع الحجة مفقود المعاذير والجواب الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثانى بمعنى المبالغة فى الاخبار عن عظم ما ينال هولاء الكفار من الخوف والغم والحزن الذى ازاله الله عن المومنين العارفين بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وحزنه انه اعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من

عن صح خ

قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون والجواب الرابع ان العمى الاول عن
الايمان والثانى هو الآفة فى العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى
ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال
كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومن يجيب بهذا الجواب
يتاول قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده على ان المعنى فيه الاخبار عن
الاقتدار وعدم المشقة فى الاعادة كما انها معدومة فى الابتداء ويجعل ذلك
نظيرا لقوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ويتاول
قوله تعالى فبصرك اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة
وان الجاهل بالله تعالى فى الدنيا يكون عارفا به فى الآخرة والعرب تقول
فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين
بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التاويل قوله تعالى لقد كنت فى غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اى كنت غافلا عما انت الآن
عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان اعلمناك وفعلنا فى قلبك المعرفة
عرفت وعلمت فاما الخبر الذى تدعى روايته فهو خبر واحد ولا حجة فى مثله
واذا عرف لفظه ربما امكن تاويله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب
الى الاجوبة الاول يجعل العمى الاول والثانى معا غير الآفة فى العين فان
عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى تاوله على العمى عن الثواب
او عن الحجة وقال فى قوله لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا ان معناه كنت
بصيرا فى اعتقادى وظنى من حيث كنت ارجو الهداية الى الثواب وطريق
الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الاول والثانى جميعا
الآفة فى العين لانه يؤدى الى ان كل من كان مؤوف البصر فى الدنيا من
مومن وكافر وطايع وعاص يكون كذلك فى الآخرة وهذا باطل وبمثله
نبطل ان يراد بلفظة اعمى الثانية المبالغة بمعنى افضل من فلان ويبطله
ايضا ان العمى الذى هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال ما
اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثانى العمى عن

الاهون ههنا بمعنى الهين وان حمل على المبالغة فهو على مجاز كلام العرب

يذهب

الثواب

الثواب والجنة او الحجة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه فى الدنيا من يستحق
الثواب ويوصل اليه ولا يجوز ان يراد بالاول ولا الثانى العمى عن المعرفة
والايمان لا على طريقة المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم ان
الجهال بالله تعالى المعرضين فى الدنيا عن معرفته لا يجوز ان يكونوا فى
الآخرة كذلك فضلا عن ان يكونوا على ابلغ من هذه الحال لان المعارف
فى الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق بعد الذى ابطلناه
الا ما دخل فى الاجوبة وعلى الاجوبة الثلثة الاول اذا اريد بالعمى الثانية
المبالغة والتعجب كان فى موضعه لان عمى القلب وضلاله يتعجب منه
بلفظة افعل وان لم يجز ذلك فى عمى الجارحة ولمن اجاب بالجواب الرابع
ان لا يجعل قوله تعالى فهو فى الآخرة اعمى لفظ تعجب بل يجعله اخبارا
عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله تعالى واضل سبيلا ويكون
تقدير الكلام ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى وهو اضل سبيلا
فان قيل ولم انكرتم من الخلق بلفظة افعل قلنا قد قال النحويون فى
ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما يعدل فيها
الى اشد واظهر وما جرى مجراهما قالوا لان العيوب والالوان قد صارت
الاسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما اسوده
واعوره كما لا يقال ما ايداه وارجله ويقال ما اشد سواده كما يقال ما
اشد يده ورجله واعتلوا بعلة اخرى قالوا ان الفعل من الالوان والعيوب
على افعل وافعال مثل احمر واعور واحول واحوال والتعجب لا يدخل
فيما زاد على ثلثة احرف من الافعال الا ترى انه لا يدخل فى انطلق
واستخرج ودحرج لزيادته على ثلثة احرف فان قيل لهم فقد قالوا
عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعل وهو فى الحكم زايد على
ثلثة احرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت فى اسود وابيض ولولا
انه منقول لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب وحكى
عن الفراء فى ذلك جوابان احدهما ان افعل فى التعجب فيه زيادة على

ممتن

طريق

وصف قبله اذا قال القائل افضل واجمل فهو ازيد فى الوصف من جميل
وفاضل فلم يقولوا ما ابيض زيدا لئلا يسقط التزيد ولا يكون فى قبل ابيض
وصف يزيد ابيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف ابيض واجمل فاضلا
وجميلا فلما فاتهم فى ابيض واحمر علم التزيد ادخلوا عليه ما تبين الزيادة (خ التزايد)
فيه فقالوا ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو لان اظهر يزيد على
ظاهر واشد يزيد على شديد وللجواب الآخر ان التعجب مبنى على زيادة
تصلح ان يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهى فقالوا ما اعلم زيدا
ليدلوا على زيادة علمه لانهم فى قولهم عالم وعليم لم يبلغوا الى التناهى مبلغ
اعلم ولم يقولوا ما ابيض زيدا لان البياض لا تاتى منه زيادة بعد نقص
فعدلوا الى التعجب باشد وانقص وما جرى مجراهما وهذا الجواب ليس
بسديد لان الالوان قد ياتى فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل فيه التفاضل (المفاضلة خ بيتانى)
الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض يكون انقص مما لا فى البياض مما
حله الكثير من الاجزاء والجواب الاول الذى حكيناه عن الفراء اصوب
وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم معترضا
على ما ذكرناه قول الشاعر يا ليتنى مثلك فى البياض ، ابيض من اخت بنى اباض (عن)
وانشد وايضا قول الشاعر ، اما الملوك فانت اليوم الامهم ،
، لوما وابيضهم سربال طباخ ، واما البيت الاول فان ابا العباس المبرد
حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ والنادر لا يطعن به فى المعمول عليه
والمتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا فى البيت الثانى مثل ذلك وقد
قيل فى البيت الثانى ان ابيض فيه ليس هو الذى للمفاضلة وانما افعل
الذى مؤنثه فعلاء كقولك ابيض وبيضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن
القوم وجها وشريفهم خلقا فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما اضافه
انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه
وجه آخر وهو ان ابيض فى البيت وان كان فى الظاهر عبارة عن اللون
فهو فى المعنى كناية عن اللوم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون

اللفظ

اللفظ ولولا انه اراد بابيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز
ان يتعجب بلفظ افعل فالذى جوز تعجبه بهذه اللفظة فاما قول المتنبى
، ابعد بعدت بياضا لا بياض له ، لانت اسود فى عينى من الظلم ،
فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود فى عينى كلام تام ثم قال من الظلم اى
من جملة الظلم كما يقال حر من الاحرار ولئيم من اللئام اى من جملتهم
وقال الشاعر ، وابيض من ماء الحديد كانه ، شهاب بدا والليل داج عساكره
كانه قال وابيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف
لابيض وليس يتصل به كاتصال من بافضل فى قولك هو افضل من زيد
ولفظة من فى بيت المتنبى مرفوعة الموضع لانها وصف لاسود واذا اريد
المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما تقول زيد خير منك
فمنك فى موضع نصب بخير كانه قال قد خارك بخيره اى يفضلك فى الخير
وهذا التاويل المذكور فى بيت المتنبى يمكن ان يقال فى قول الشاعر
ابيض من اخت بنى اباض ، ويحمل على انه اراد من جملتها ومن قومها ولم
يرد التعجب وتاوله على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ فاما قول
المتنبى ابعد بعدت بياضا لا بياض له فالمعنى الظاهر للناس انه اراد
لا ضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقضى
الاجل وهذا لعمرى معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد
انك بياض لا لون بعده لان البياض آخر الوان الشعر فجعل قوله لا بياض
بمنزلة قوله لا لون بعده وانما سوغ ذلك له ان البياض هو الآتى بعد السواد
فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون بعده لون وقد اختلف
القراء فى فتح الميم وكسرها من قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة
اعمى فقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرا عاصم فى رواية (جميعا)
ابى بكر وحمزة والكسائى بكسر الميم منهما معا وفى رواية حفص عن عاصم
لا يكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخيرة ولكل وجه اما من ترك
امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة

ومن امال الجميع فوجه قوله ان ينحو بالالف نحو اليا ، ليعلم انها تنقلب [انه]
عن اليا ، واما قرآة ابى عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه
جعل الثانية افعل من كذا مثل افضل من فلان واذا جعلها كذلك لم تقع
الالف فى آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة فى
الاواخر وقد تحذف من افعل الذى هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا
وهما مرادان فى المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى فانه يعلم السر
واخفى والمعنى اخفى من السر فكذلك قوله تعالى فهو فى الاخرة اعمى اى
اعمى منه فى الدنيا او اعمى من غيره ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه
من قوله تعالى واضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك
المعطوف عليه **تاويل خبر** روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال تقئ الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان من الذهب والفضة
فيجئ القاتل فيقول فى مثل هذا قتلت ويجئ القاطع للرحم فيقول فى مثل [الرحم]
هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى مثل هذا قطعت يدى ثم
يتركونه لا ياخذون منه شيأ معنى تقئ ان تخرج ما فيها من الذهب
والفضة وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقئ تشبيه واستعارة
من حيث كان اخراجا واظهارا وكذلك تسميته ما فى الارض من الكنوز [تسمية]
كبدا تشبيه بالكبد التى فى بطن البعير وغيره وللعرب فى هذا مذهب
معروف قال مرة بن محكان السعدى يصف قدرا نصبها للاضياف [محكان بفتح الميم وكسرها]

لها ازيز يزيل اللحم ازمله ، عن العظام اذا ما استحمشت غضبا
ترمى الصلاة بنبل غير طائشة ، وفقا اذا آنست من تحتها لهبا

فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة فاما الازيز فهو الغليان والعرب تقول
لجوفه ازيز مثل ازيز المرجل والازمل الصوت واستحمشت اى غضبت
يقال احمشته اى اغضبته قال النابغة الجعدى فى معنى الاستعارة

سألتنى باناس هلكوا ، شرب الدهر عليهم واكل

فوصف الدهر بالشرب والاكل تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب اهل الدهر

[بعدهم]

بعدهم واكلوا واختلف اهل اللغة فى الافلاذ فقال يعقوب بن السكيت
الفلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا
فلذ البقرة ويقال اعطنى فلذا من الكبد وفلذة من الكبد قال اعشى باهلة

تكفيه حزة فلذ ان الم بها ، من الشواء ويروى شربه الغمر

والغمر القدح الصغير وقال يعقوب ولا يقال اعطنى حزة من سنام ولا
من لحم وانما الحزة فى الكبد خاصة فاذا ارادوا ذلك من السنام واللحم [ومعا جذبة]
قالوا اعطنى حذية من لحم وهى الصغيرة وفلقة من سنام وقال الطوسى
عن ابن عبيد عن الاصمعى قال يقال اعطنى حذية من لحم وحزة من لحم
اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قلت اعطنى بضعة من لحم وهبرة
من لحم ووذرة ومثل هذا الحديث قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
معناه اخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم عنى به الموتى وانها اخرجت
موتاها فسمى الله تعالى الموتى اثقالا تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن لان
الحمل يسمى ثقلا قال الله تعالى فلما اثقلت دعوا الله ربهما والعرب تقول ان
للسيد الشجاع ثقلا على الارض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء

ترثى اخاها صخرا ، ابعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الارض اثقالها

معناه انه لما مات حل عنها بموته ثقل لسودده وشرفه وقال قوم معنى حلت
زينت موتاها وهو ماخوذ من الحلية وقال الشمردل اليربوعى يرثى اخاه

وحلت به اثقالها الارض وانتهى ، لمثواه منها وهو عف شمائله [شمائلها اخلاقه والواحدة شمال بالكسر]

وروى هشام بن المنذر قال قال زهير بن ابى سلمى المزنى بيتا ثم اكدى
فمر به النابغة الذبيانى فقال له يا ابا امامة اجز قال ماذا قال

تراك الارض اما مت خفا ، وتحيى ما حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقر العز منها ، فماذا قال فاكدى والله النابغة واقبل كعب
ابن زهير وهو غلام فقال له ابوه اجز يا بنى فقال ماذا فانشده البيت
الاول ومن الثانى نزلت بمستقر العز منها فقال كعب ، تمنع جانبيها ان يزولا
فقال زهير انت والله ابنى وانما خص الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن

لانه من اطائب الجزور والعرب تقول اطائب الجزور السنام والمحا والكبد قال قدس الله روحه وانى لاستحسن قول الخنسا وقد قيل لها ما مدحت اخاك حتى هجوت اباك فقالت

جارى اباه فاقبلا وهما ، يتعاوران ملاءة الحضر
حتى اذا نزت القلوب وقد ، لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس ايهما ، قال المجيب هناك لا ادرى
برزت صحيفة وجه والده ، ومضى على غلوائه يجرى
اولى فادلى ان يساويه ، لولا جلال السن والكبر
وهما كانهما وقد برزا ، صقران قد حطا الى وكر

ويقال انه قيل لابى عبيدة ليس هذه الابيات فى مجموع شعر الخنسا فقال ابو عبيدة العامة اسقط من ان يجاد عليها بمثل ذلك ولعمرى انها قد بلغت فى مدح اخيها من غير ازرا على ابيها النهاية جعلت تقدم ابيه له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وانه افرج له عن السبق معرفة له بحقه وتسليما لكبر سنه وكان الخنسا نظرت فى هذا المعنى الى قول زهير

فتنج بها الاماعز وهى تهوى ، هوى الدلو اسلمها الرشاء
فليس لحاقه كلحاق الف ، ولا كنجائها منه نجاء
يقدمه اذا اختلفت عليه ، تمام السن منه والذكاء

ويشبه ان يكون الكميت اخذ من الخنسا قوله فى مخلد بن يزيد بن المهلب

ما ان ارى كابيك ادرك شاوه ، احد ومثلك طالبا لم يلحق
تتجاريان له فضيلة سنه ، وتلوت بعد مصليا لم تسبق
ان تنزعا وله فضيلة سبقه ، فبمثل شاو ابيك لم تتعلق
ولئن لحقت به على ما قد مضى ، من بعد غايته فاحج واخلق

ويشبه هذا المعنى قول المومل بن اميل الكوفى المحاربى يمدح المهدى فى حياة المنصور

لئن فت الملوك وقد توافوا ، اليك من السهولة والوعور
لقد فات الملوك ابوك حتى ، بقوا من بين كاب او حسير

وجنت

وجئت وراءه تجرى حثيثا ، وما بك حين تجرى من فتور
فقال الناس ما هذين الا ، بمنزلة الخليق من الجدير
فان سبق الكبير فاهل سبق ، له فضل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدى كبير ، فقد خلق الصغير من الكبير

ومن هذا قول الشاعر ، جياد جرت فى حلبة فتفاضلت
على قدر الاسنان والعرق واحد ، ومما له بهذا المعنى بعض الشبه
وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول زهير

هو الجواد فان يلحق بشاوهما ، على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل ، فمثل ما قدما من صالح سبقا

ويروى انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولى على معنى بيتى زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بلغت او كدت يحيى ولحقته ، فلم تما خالدا فى شاو مستبق
لكن مضى وتلا يحيى فانت له ، تال تعللت دون الركض بالعنق

ومن حسن ما قيل فى المساواة والمقاربة وهو داخل فى هذا المعنى مناسب له قول عباد بن شبل

اذا اخترت من قوم خيار خيارهم ، فكل بنى عبد المدان خيار
جروا بعنان واحد فضل بينهم ، بان قيل قد فات العذار عذار

وقول الكميت ، مصل ابوه له سابق ، بان قيل فات العذار العذارا
ومثله قول العتابى وهو مليح جدا ، كما تقاذف جردى فى اعنتها
سبقا اذا انهمرتا وبالعذر ، واول من سبق الى هذا المعنى زهير فى قوله يصف مطايرة البازى القطاة ومقاربته لها دون السما وفوق الارض قدرها ، عند الذنابى فلا فوت ولا درك ، وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى فى قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه فى الفضل والسودد ، ثم جرى الفضل فانثنى قدما
دون مداه من غير ترهيق ، فقيل راشا سهما يراد به

الغاية والنصل سابق الفوق ، ويشاكل ذلك قول البحترى فى ابن
ابى سعيد الثغرى ، جد كجد ابى سعيد انه ، ترك السماك كانه لم يشرف ،
، قاسمته اخلاقه وهى الردى ، للمعتدى وهى الندى للمعتفى ،
، فاذا جرى من غاية وجريت من ، اخرى التقاشاواً الا فى المنصف ،
، ويشبهه ايضا قوله ، واذا رايت شمائل ابنى صاعد ،
، ادت اليك شمائل ابن مخلد ، كالفرقدين اذا تامل ناظر ،
، لم يعل موضع فرقد عن فرقد ، فاما قول الخنساء يتعاوران ملاءة
الحضر وهى تعنى بالملاءة الغبار فان عدى بن الرقاع كانه نظر اليها
فى قوله يصف حمارا واتانا ، يتعاوران من الغبار ملاءة ،
، بيضاء محدثة هما نسجاها ، تطوى اذا وطئا مكانا جاشيا ،
، واذا السنابك اسهلت نشراها ، وهذا المعنى وان كان هو معنى الخنساء
بعينه فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من اجلها بالمعنى احق
منها وقد ابتدا بهذا المعنى رجل من بنى عقيل فقال من قصيدة ،
، يثيران من نسج الغبار عليهما ، قميصين اسمالا ويرتديان ،
قال الشريف المرتضى قدس سره ان سال سائل عن قوله تعالى وجاوا
على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب
من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام واى معنى لوصفه الصبر
بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه لا يكون
الا جميلا ولم ارتفع الصبر وما المقتضى لرفعه الجواب يقال له اما كذب
فمعناه انه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا ماء سكبٌ وشراب صبٌّ
يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله ماء غورٌ ورجل صومٌ وامراة نوحٌ قال
الشاعر ، تظل جيادهم نوحا عليهم ، مقلدة اعنتها صفونا ،
اراد نائحة عليهم ومثله ما لفلان معقول يريدون ما له عقل وما له
على هذا الامر مجلود يريدون جلدا قال الشاعر ،

، حتى اذا لم يتركوا لعظامه ، لحما ولا لفواده معقولا ، وانشد
ابو العباس ثعلب ، قد والذى سمك السماء بقدرة ،
، بلغ العزاء وادرك المجلود ، وقال الفراء وغيره يجوز فى النحو
بدم كذبا بالنصب على المصدر لان جاوا فيه معنى كذبوا كذبا كما قال
الله تعالى والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على المصدر لان العاديات بمعنى
الضابحات وانما دم مكذوب فيه لان اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا
سخلة ولطخوا قميص يوسف عليه السلام بدمها وجاوا اباهم بالقميص
وادعوا اكل الذئب له فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بنىّ لقد كان
هذا الذئب رفيقا حين اكل ابنى ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص
فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه احوج منهم الى قتله
وقد قيل انه كان فى قميص يوسف ثلاث آيات حين قُدّ قميصه من دبر
وحين القى على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاوا عليه بدم كذب
فتنبه ابوه على ان الذئب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر بانه
جميل فلان الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد
به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذى وجب فلما كان فى هذا الموضع
واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه اراد صبرا لا شكوى
فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى له والجزع له
فاما ارتفاع قوله تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشانى صبر جميل
والذى اعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه فصبرى صبر جميل وانشدوا
، شكا الىّ جملى طول السرى ، يا جملى ليس الىّ المشتكا ،
، صبر جميل فكلانا مبتلى ، معناه فليكن منك صبر جميل وقد
روى ان فى قراءة ابىّ فصبرا جميلا بالنصب وذلك يكون على الاغراء
او المعنى فاصبرى يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة ،
، الا انما مىّ فصبرا بلية ، وقد يبتلى المرء الكريم فيصبر ، وقال الآخر
، ابى الله ان يبقى لحىّ بشاشة ، فصبرا على ما شاء الله لى صبرا ،

تاويل خبر في الحديث ان قيس بن عاصم قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذى
ليست على فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه السلام نعم المال اربعون
والاكثر ستون وويل لاصحاب المئين الا من اعطى الكريمة ومنح الغزيرة
ونحر السمينة فاكل واطعم القانع والمعتر وفى رواية الا من اعطى من رسلها
واطرق فحلها وافقر ظهرها ومنح غزيرتها واطعم القانع والمعتر فقلت يا
رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها الا انه لا يحل بالوادى الذى فيه
ابلى من كثرتها فقال فكيف تصنع فى العطية قلت اعطى البكر واعطى الناب
قال فكيف تصنع فى المنحة قلت انى لامنح المائة قال فكيف تعطى الطروقة
قلت يغدو الناس بابلهم فلا يوزع رجل عن جمل يختطه فيمسكه ما بدا له
حتى يكون هو الذى يرده وفى الرواية الاخرى قال فكيف تصنع فى
الاطراق قلت يغدو الناس فمن شاء ان ياخذ براس بعير ذهب به قال
فكيف تصنع فى الافقار قلت انى لافقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة
قال فكيف تصنع فى المنحة قلت انى لامنح فى السنة المائة قال مالك احب
اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالى قال فان مالك ما اكلت فافنيت
واعطيت فامضيت وفى الرواية الاخرى ولبست فابليت وسائره لمواليك
قلت لا جرم والله لئن رجعت اليها لاقلن عددها فلما حضره الموت جمع
بنيه فقال يا بنى خذوا عنى فانكم لن تاخذوا عن احد هو انصح لكم منى
لا تنوحوا على فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه وقد سمعته
ينهى عن النياحة وكفنونى فى ثيابى التى كنت اصلى فيها وسودوا اكابركم
فانكم اذا سودتم اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم
هان اكابركم على الناس وزهدوا فيكم واصلحوا من عيشكم فان فيه غنى
عن طلب الى الناس واياكم والمسألة فانها اخس كسب المرء واذا دفنتمونى
فاخفوا قبرى عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات فى الجاهلية
فلا آمن سفيها منهم ان ياتى امرا يدخل عليكم عيبا اما قوله عليه السلام

ناقة غزيرة اى كثيرة اللبن

العظيمة كيف قال

يختطه

المنحة

امر غنيكم

غنيا

الكثر

الكثر ستون فمعناه الكثير تقول العرب نسال الله الكثر ونعوذ بالله من
القل اى نسأله الكثير ونعوذ به من القليل قال الشاعر
فان الكثر اعيانى قديما ، ولم افتر لدن انى غلام ، وقال الآخر
وقد يقصر القل الفتى دون همه ، وقد كان لولا القل طلاع انجد ،
والكريمة يعنى بها كرائم ماله وامنح الغزيرة اى اعطيها من يحلبها ويردها
ومن ذلك الحديث العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى
والزعيم غارم فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع
بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا القبيل والصبير والحميل
ومنه قوله تعالى وانا به زعيم وقال الشاعر ، فلست بآمر فيها بسلم
ولكنى على نفسى زعيم ، وقال الآخر ، قلت كفى لك رهن بالرضى ،
فازعمى يا هند قالت قد وجب ، معناه اكفلى ويروى فاقبلى من القبيل
الذى هو الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذى ياتيك فيسألك فان
اعطيته قبل والمعتر الذى يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال كانه يعرض
بالمسألة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضى وقنع قنوعا اذا
سال فاما قوله لا جرم فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا فى معنى قوله
تعالى لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدا فقال جرم ان لهم
النار بمعنى كسب قولهم ان لهم النار وقال الشاعر ، فصبنا راسه فى راس جذع
بما جرمت يداه وما اعتدينا ، اى بما كسبت وقال آخر ومن معنى جرم
حق وتاول الآية بمعنى حق قولهم ان لهم النار وانشدوا ،
ولقد طعنت ابا عيينة طعنة ، جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ،
اراد حقت فزارة وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى كسبت الطعنة
فزارة الغضب وقال الفراء لا جرم فى الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته
العرب فى معنى حقا وجاءت فيه بجواب الايمان فقالوا لا جرم ولا يجرم
لاقومن كما قالوا والله لاقومن ومنها لغات يقال لا جرم ولا جرم بضم الجيم
وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر ،

يسألك

فيها

ان كلابا والذي لا اذا جرمُ ، لاهدرنّ اليوم هدرًا في النعمْ

هدر المعنّى ذي الشقاشق اللهمْ ، والناب الناقة الهرمة وجمعها انيب

ومثلها الشارف قال الشاعر ، لا افتؤ الدهر ابكيهم باربعة

ما اجترت النيب او حنت الى بلد ، ويقال للبعير اذا كبر ايضا عوذ

وللانثى عودة قال الشاعر ، عوذ على عود من القدم الاوّل

يموت بالترك ويحيى بالعمل ، وهذا من ابيات المعاني ومعناه بعير

عود على طريق متقادم وسمى الطريق بانه عوذ لتقادمه تشبيها بالبعير

وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه اذا اسلك وطرق ظهرت

اعلامه ووضحت طرقه فاهتدى سالكه لسلوكه ثم يضل عن قصده فكان

هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه

راكب لقصده وكان ذلك كالموت له فامّا الخماشات فهي الجنايات والجراحات

قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن ، رباع لها مذا ورق العود عنده

خماشات ذحل ما يراد امتثالها ، يريد بقوله ما يراد امتثالها اى ما

يراد اقتصاصها يقال امثلني من هذا الرجل واقصني واقدني بمعنى واحد

فاما قوله لا يورع رجل اى لا يحبس ولا يمنع يقال ورعت الرجل توريعا

اذا منعته وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه مما تدعوا اليه يقال

ورع ورعًا ورعة قال لبيد ، اكلّ يوم هامتي مقرّعة

لا تمنع الفتيان من حسن الرعة ، ويقال ما ورع ان افعل كذا وكذا

اى ما كذب فاما الورع بالفتح فهو الجبان واما الطروقة فهي التي قد حان

لها ان تطرق وهي الحقه وقوله في الرواية الاخرى الا من اعطى رسلها

فالرسل اللبن والافقار هو ان يركبها الناس ويحملهم على ظهورها ماخوذ

من فقر الظهر والاطراق للفحول هو ان يبذلها لمن ينزيها على اناث ابله

وذكر الاطراق في هذه الرواية احب الى من الطروقة لانه قد تقدم من

قوله انه يعطي الناب والبكر والضرع والمائة فلا معنى لاعادة ذكر الطروقة

وقوله في الجواب يغدوا الناس فلا يورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه

قوله لاهدرن اى لاصوتن من الهدير والشقاشق جمع شقشقة وهي الرئة تخرج من فم البعير اذا هاج فاعتلم واللهم الذي يلتهم كل شيء

العود البعير الهرم ويقال معنى قدما اى لم يعرج ولم ينثن

يخطمه

ما بدا له ثم يرده لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة قال وكان

قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما ويكنى ابا علي وكان الاحنف بن

قيس يقول تعلمت الحلم من قيس بن عاصم أُتي بقاتل ابيه فقال رعبتم الفتى

واقبل عليه فقال يا بني لقد نقصت عددك واوهنت ركنك وفتّ في

عضدك واشمتّ عدوك واسأت بقومك خلوا سبيله وما حلّ حبوته ولا

ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بما سدت قومك قال بثلاث

ببذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وذكر المدائني قال كان قيس بن

عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فانه ما بغى قوم قط الا قلّوا وذلوا وكان

الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته ان ينصروه وقيس بن

عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود

فسمى الحارث الحوفزان وقال سوار بن حيان المنقري ،

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ، سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا

وحمران قسرا انزلته رماحنا ، فعالج غلا في ذراعيه مثقلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم ، جزى الله يربوعا باسوء سعيها

اذا ذكرت في النائبات امورها ، ويوم جدود قد فضحتم ذماركم

وسالمتم والخيل تدمى نحورها ، ستخطم سعد والرباب انوفكم

كما حزّ في انف القضيب جريرها ، القضيب الناقة المقتضبة الصعبة

وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب يرثيه ، عليك سلام الله قيس بن عاصم

ورحمته ما شاء ان يترحّما ، سلام امرء جللته منك نعمة

اذا زار عن شحط بلادك سلّما ، فما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدّما ، قال سيدنا الشريف المرتضى قدس

الله روحه ذاكرني بعض الاصدقاء بقول ابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته

وابرزتها من بطن مكة بعدما ، اصات المنادي بالصلاة فاعتما

وسالني اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه واجعل الكناية فيه كانها

كناية عن امراة لا عن ناقة فقلت في الحال ،

فابغي

حفزه اى طعنه من خلفه

الشكلة حمرة يخالطها بياض ويسمى الدم اشكل للحمرة والبياض المختلطين فيه

اصات اى صوت

فطيب مسراها المقام وصوات ، باشراقها بين الحطيم وزمزما
فيارب ان لقيت وجها تحية ، فحيّ وجوها بالمدينة سهما
تجافين عن مس الدهان وطالما ، عصمن عن الحناء كفا ومعصما
وكم من جليد لا يخامره الهوى ، شنن عليه الوجد حتى تتيما
اهان لهن النفس وهي كريمة ، والقى اليهن الحديث المكتما
تسفهت لما ان مررت بدارها ، وعوجلت دون الحلم ان اتحلما
فعجت تقرّى دارسا متنكرا ، وتسئل مصروفا عن النطق اعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلنا ، يعد مطيع الشوق من كان احزما
نصرت بقلب لا يعنف في الهوى ، وعين متى استمطرتها امطرت دما

وكان ابو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن زمعة بن اسيد بن احيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب وكان اسم جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمح ووقف عليها زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما فاما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا امشى مشيا ثقيلا اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله ابن شبيب قال قيل لابي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر ابن دهبل الجمحي قال قوله

يا عمر حم فراقكم عمرا ، وعزمت منا النأي والهجرا
يا عمر شيخك وهو ذو شرف ، يرعى الذمار ويكرم الصهرا
والله ما احببت حبكم ، لا ثيبا خلقت ولا بكرا
ان كان هذا السحر منك فلا ، ترعي على وجدي سحرا
احدى بني اود كلفت بها ، حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلا اذا نطقت ، تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجني من الـ ، اقناء لا نثرا ولا نزرا

ومقالة

ومقالة فيكم عركت لها ، جنبي اريد بها لك العذرا
ومريد سركم عدلت به ، عما يحاول معدلا وعرا
قالت تقيم لنا لنخبره ، يوما فخيم عندنا شهرا
ما ان اقيم لحاجة عرضت ، الا لابلي فيكم عذرا
واذا هممت برحلة جزعت ، واذا اقمنا لم تفد نقرا
اني لارضى ما رضيت به ، واري لحسن حديثكم شكرا

وروى ابو عمرو والشيباني لابي دهبل

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه ، حتى يذوق رجال غب ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم ، قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا

ويروى ضيقا كضيق ووسعا كالذي وسعوا

وليت للناس خطا في وجوههم ، تبين اخلاقهم اذا اجتمعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا ، ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا

ولابي دهبل في قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

تبيت النشاوى من امية نوما ، وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيع الاسلام الا عصابة ، تأمر نوكاها ودام نعيمها
وصارت قناة الدين في كف ظالم ، اذا مال منها جانب لا يقيمها

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد ابن يحيى قال روى ابو عمرو والشيباني لابي دهبل وقال يقال انها للمجنون

الا ترك ليلى ليس بيني وبينها ، سوى ليلة اني اذا لصبور
هبوني امرأ منكم اضل بعيره ، له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المتروك اعظم حرمة ، على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها ، اذا وليت حكما علي تجور

وروى ابو عمرو والشيباني لابي دهبل وقد رواه ابو تمام في الحماسة له

اقول والركب قد مالت عمائمهم ، وقد سقى القوم كأس النعسة السهر
يا ليت اني باثوابي وراحلتي ، عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر

ان كان ذا اقدر يعطيك نافلة ، منا ويحرمنا ما انصف القدر ،
واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى قال مثل قول ابي دهبل ،
، ولو تركونا لاهدى اهدامهم ، فلم يلجوا قولا من الشر ينسج ،
، لا وشك صرف الدهر تفريق بيننا ، وهل يستقيم الدهر والدهر اعوج ،
قول العجاج لروبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته ،
، لما رآني ارعشت اطرافي ، استعجل الدهر وفيه كافي ،
، يخترم الالف عن الالاف ، قال ومثله ،
، عدمت ابن عم لا يزل كانه ، وان لم اتره منطو لي على وتر ،
وكم
، يعين على الدهر والدهر يكتف ، وان استعنه لا يعنى على الدهر ،
قال قدس الله روحه ومثل الجيع قول ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
، الى كم يكون العتب في كل ساعة ، ولم لا تملين القطيعة والهجرا ،
، رويدك ان الدهر فيه كفاية ، لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا ،
مجلس آخر تاسع ان سال سائل فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين
وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين ما
يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يكفي وما وجه التكرار ايضا في سورة الرحمن
يعني
لقوله فباي آلاء ربكما تكذبان الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى
التكرار في سورة الكافرين وجها وهو ان قال القرآن لم ينزل دفعة
واحدة وانما كان نزوله شيا بعد شي والامر في ذلك ظاهر وكان المشركون
نحو كان المشركين
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له استلم بعض اصنامنا حتى نومن
بك ونصدق بنبوتك فامره الله سبحانه بان يقول لا اعبد ما تعبدون
وصدقوك
ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبروا مدة من الزمان وجاوه فقالوا له
اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصحابنا يوما او شهرا او حولا لنفعل مثل
ذلك بآلهتك فامره الله تعالى بان يقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم
عابدون ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه
ابدا وقد طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي شرطا وحذفا

لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد
قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادتهم ما يعبدون مطلقا غير مشروط
فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط
بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق
بحسب قيام الدلالة وعن هذا السوال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح
مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكي عن ابن العباس ثعلب انه قال انما حسن
التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص الكلام
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا
انتم عابدون ما اعبد في هذه الحال ايضا فاختص الفعلان منه ومنهم
بالحال وقد قال من بعد ولا انا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا انتم
فاختلفت
عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلف المعاني وحسن التكرار لاختلا[فها]
ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يومن وقد ذكر
مقاتل وغيره انها نزلت في ابي جهل والمستهزئين ولم يومن من الذين
نزلت فيهم احد والمستهزؤن هم العاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود
ابن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس والجواب الثاني
وهو جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب موكدا بلى بلى
والممتنع موكدا لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
وانشد الفراء ، وكائن وكم عندي لهم من صنيعة ،
، ايادي ثنوها علي واوجبوا ، وانشد ايضا ،
، كم نعمة كانت لكم كم كم وكم ، وقال آخر ، نعق الغراب ببين لبنى غدوة
، كم كم وكم بفراق لبنى تنعق ، وقال الآخر ، اردت لنفسي بعض الامور
اني
، فاولى لنفسي اولى لها ، والجواب الثالث وهو اغربها اني لا اعبد
الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم غير عابدين
الله تعالى الذي انا عابده اذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة
من دونه او معه وانما يكون عابدا له من اخلص له العبادة دون غيره

واوردہ بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اى لست اعبد عبادتكم وما
فى قوله ما عبدتم فى موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحاها
ونفس وما سواها اى وطحيه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما
كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريد بفرحكم ومرحكم
قال الشاعر ، باربع سلامة بالمخنى ، بخيف سلع جادك الوبل ،
، ان تمس وحشا فبما قد ترى ، وانت معمور بها اهل ، اراد
فبرويتك معمورًا اهلا ومعنى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اى
لستم عابدين عبادتى على نحو ما ذكرناه ولم يتكرر الكلام الا لاختلاف
المعنى وتلخيص ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا اعبد
آلهتكم وما تدعونه من دون الله ولا انتم عابدون الهى فان زعمتم انكم
عابدون الهى فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التى امركم بها ان
تعبدونه فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون
مثل عبادتى فان قيل اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه فى
اختلاف العبادة قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له
العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عباداتهما ولانه ايضا
كان يتقرب الى معبوده بالافعال الشرعية التى تقع على وجه العبادة
وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون جهلا
انها عبادة وقربة فان قيل فما معنى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين
وظاهر هذا الكلام يقتضى اباحتهم المقام على اديانهم قلنا فى هذه الآية
ثلاثة اجوبة اولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة
فى النهى والزجر كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها انه اراد لكم جزاء
دينكم ولى جزاء دينى فحذف الجزاء بدلالة الكلام عليه وثالثها انه اراد
لكم جزاؤكم ولى جزائى لان نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر ، ،
، اذا ما لقونا لقيناهم ، ودناهم مثل ما يقرضونا ، فاما التكرار فى
سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة

المخنى حيث ينخنى السيل اى يميل واصل الخيف ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل وبه سمى خيف منى غ المعانى

فى هذا ثلاثة

المعدودة

انعم

انعم بها قرربها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن
اليك بان خولتك الاموال الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم
احسن اليك بان فعلت بك كذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به
وهذا كثير فى كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثى اخاه كليبا ،

، على ان ليس عدلا من كليب ، اذا طرد اليتيم من الجزور ،
، على ان ليس عدلا من كليب ، اذا ما ضيم جيران المجير ،
، على ان ليس عدلا من كليب ، اذا رجف العضاة من الدبور ،
، على ان ليس عدلا من كليب ، اذا خرجت مخبأة الخدور ،
، على ان ليس عدلا من كليب ، اذا ما اعلنت نجوى الامور ،
، على ان ليس عدلا من كليب ، اذا خيف المخوف من الثغور ،
، على ان ليس عدلا من كليب ، غداة تلاتل الامر الكبير ،
، على ان ليس عدلا من كليب ، اذا ما خار جار المستجير ،

وقالت ليلى الاخيلية ترثى توبة بن الحمير ، ،

، لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت ، صدور العوالى واستشال الاسافل ،
، ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن ، لتسبق يوما كنت فيه تحاول ،
، ونعم الفتى يا توب كنت لخائف ، اتاك لكى يحمى ونعم المجامل ،
، ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ، ونعم الفتى يا توب حين تناضل ،
، لعمرى لانت المرء ابكى لفقده ، بجد ولو لامت عليه العواذل ،
، لعمرى لانت المرء ابكى لفقده ، ولو لام فيه ناقص الراى جاهل ،
، لعمرى لانت المرء ابكى لفقده ، اذا كثرت بالملحين التلاتل ،
، ابى لك ذم الناس يا توب كلما ، ذكرت امور محكمات كوامل ،
، ابى لك ذم الناس يا توب كلما ، ذكرت سماح حين تاوى الارامل ،
، فلا يبعدنك الله يا توب انما ، لقيت حمام الموت والموت عاجل ،
، ولا يبعدنك الله يا توب انها ، كذاك المنايا عاجلات وآجل ،
، ولا يبعدنك الله يا توب والتقت ، عليك الغوادى المدجنات الهوامل ،

اللئيم

بلا بل

خار اى ضعف

التلاتل الامور العظام

فيجب فى هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعانى التى
عددها على نحو ما ذكرناه وقال الحارث بن عباد
قربا مربط النعامة منى ، لقحت حرب وائل عن حيال ، ثم كرر
قوله قربا مربط النعامة منى فى ابيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى
ذكرناه وقالت ابنة عم النعمان بن بشير ترثى زوجها — عمرة بنت النعمان

وحدثنى اصحابه ان مالكا ، اقام ونادى صحبه برحيل
وحدثنى اصحابه ان مالكا ، ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثنى اصحابه ان مالكا ، جواد بما فى الرحل غير بخيل
وحدثنى اصحابه ان مالكا ، خفيف على الحدثان غير ثقيل
وحدثنى اصحابه ان مالكا ، صروم كماضى الشفرتين صقيل

وهذا المعنى اكثر من ان نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة
المرسلات بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين فان قيل اذا كان الذى حسن
التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من آلائه ونعمه فقد عدد فى جملة ذلك
ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران
وقوله هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن — الحميم الماء الحار والآنى الذى نهايته
فكيف يحسن ان يقول بعقب هذا فباى آلاء ربكما تكذبان وليس هذا من
الآلاء والنعم قلنا الوجه فى ذلك ان فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره
ووصفه والانذار به من اكبر النعم لان فى ذلك زجرا عما يستحق به العقاب
وبعثا على ما يستحق به الثواب وانما اشار بقوله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان
بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمه بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا — نعمه وذكر وصفها ثمّ
شبهة فى كونه نعمة **فصل** قال سيدنا الشريف المرتضى قدس الله روحه
وكما انه كان فى الجاهلية وقبل الاسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر
وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غيره خالقهم ويستنزلون
الرزق من غير رازقهم اخبر الله تعالى عنهم فى كتابه وضرب لهم الامثال
وكرر عليهم البينات والاعلام فقد نشأ بعد هولاء جماعة ممن يستتر

باظهار

باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول فى جملة اهله دمه
وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عز الاسلام من المظاهرة
والجاهم خوف القتل الى المساترة وبلية هولاء على الاسلام واهله اعظم
واغلظ لانهم يدغلون فى الدين ويموهون على المستضعفين بجاش — بماش خ
رابط ورأى جامع فعل من قد امن الوحشة ووثق بالانسة فيما يظهره من
لباس الدين الذى هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار كما يحكى
ان عبد الكريم بن ابى العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو
والى الكوفة من قبل المنصور واحضره للقتل وايقن بمفارقة الحياة لئن
قتلتمونى لقد وضعت فى احاديثكم اربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة
والمشهورون من هولاء هم الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحماد تون حماد
الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم
ابن ابى العوجا وبشار بن برد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثى
وصالح بن عبد القدوس الازدى وعلى بن خليل الشيبانى وغير هولاء ممن
لم نذكره وهم وان كان عددهم كثيرا فقد اقلهم الله واذلهم بما نصبت به
دلالة الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف
ونحن نذكر من اخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته فى دينه نبذا ونومى
فيها الى جملة كافية والذى دعانا الى التشاغل بذلك وان كانت عنايتنا
بغيره اقوى مسئلة من نرى اجابته ونوثر موافقته فتكلفناه له ومن اجله
مع انه غير خال من فائدة ينتفع علمها ويتأدب بروايتها وحفظها اما الوليد
فكان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم فى اطراح الدين احدا
ولا مراقب فيه بشرا وفى الحديث انه ولد لاخى ام سلمة زوج النبى صلى الله
عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبى صلى الله عليه وسلم سميتموه باسماء
فراعنتكم ليكونن فى هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر على هذه الامة
من فرعون على قومه قال الاوزاعى فسألت الزهرى عنه فقال ان
استخلف الوليد بن يزيد والا فهو الوليد بن عبد الملك اخبرنا ابو عبيد الله

المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي
قال كان الوليد بن عبد الملك قد عزم ان يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب
عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض المجبة لقد رايت المجوسية
البناء فوق الكعبة وهو يقدر مواضع اركان القبة فلم يمض تلك الليلة حتى
حتى واتى الخبر بقتل الوليد واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني
عبد الله بن يحيى العسكري عن ابي اسحاق الطلحي قال اخبرنا احمد بن
ابراهيم بن اسمعيل عن ابي العالية عن بعض اهل العلم قال قال يزيد بن
الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولي نشدت الله رجلا سمع شيا من الوليد
الا اخبر به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لسمعته يقول

، اسقيانا وابن حرب ، واسترانا بازار ، واتركا من طلب الجنة ،
، يسعى في خسار ، سأسوس الناس حتى ، يركبوا دين الحمار ،

واخبرنا المرزباني قال اخبرني احمد بن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن
مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كانه اصابع وجعل
يرميه بالسهام وهو يقول

، تذكرني الحساب ولست ادري ،
، احقا ما تقول من الحساب ، فقل لله يمنعني طعامي ،
، وقل لله يمنعني شرابي ،

قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه
ويله من هذه الجراة على الله وياله طويلا وما اقدر الله ان يمنعه طعامه
وشرابه وحياته وما اولى اللعين باليم العقاب وشديد العذاب لولا ما
نتم به المحنة وينتظم به التكليف من تاخير المستحق من الثواب والعقاب
وتبعيدهما من احوال الطاعات والمعاصي اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني احمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقا وانه فتح المصحف
يوما فراى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضا
ورماه بالنبل حتى مزقه وهو يقول

، اتوعد كل جبار عنيد ،
، فها انا ذاك جبار عنيد ، فان لاقيت ربك يوم حشر ،
، فقل يا رب مزقني الوليد ،

واما حماد الراوية فكان منسلخا

غض
الطلحي
لعل شمعته
اسقياني
اي يبرز بعضهم على بعض كالنشارى الحمر

من

من الدين زاريا على اهله مدمنا لشرب الخمور وارتكاب الفجور وقال عمرو
ابن بحر الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن
زياد وحفص بن ابي وردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن
ابي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى وحماد بن الزبرقان
ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل
ابن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على
الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضا وكلهم كان متهما في دينه وعمل
يونس بن ابي فروة كتابا في مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به
الى ملك الروم واخذ به مالا وقال احمد بن يحيى النحوي قال رجل يهجو حماد الراوية

، نعم الفتى لو كان يعرف ربه ، ويقيم وقت صلاته حماد ،
، بسطت مشافره الشمول فانفه ، مثل القدوم يسنها الحداد ،
، وابيض من شرب المدامة وجهه ، فبياضه يوم الحساب سواد ،
، لا يعجبنك بزه ولسانه ، ان المجوس يرى لها اسباد ،

وكان حماد الراوية مشهورا بالكذب في الرواية وعمل الشعر واضافته الى
الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم حتى ان كثيرا من الرواة قالوا
قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل
منهم ما يشاكل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه
وان لم يكن دالا على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية فاما
حماد بن الزبرقان فهذه طريقته في التخوم والتهتك اخبرنا ابو الحسن علي
ابن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا الاشنانداني قال دعا
حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان فاشهره
ابو الغول فلم يزل المفضل به حتى اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل
قال ما صنعت انت وحماد قال اصطلحنا على ان لا آمره بالصلاة ولا يدعوني
الى شرب الخمر وانشد المفضل قوله نعم الفتى لو كان يعرف ربه وذكر
الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى هجاء حماد الراوية

الشمول السيد يكني به عن المال الوفر وهو في الاصل الشعر

التخوم التدين بدين الخرمية وهم اهل التناسخ
يتقارضان اي يقرض بعضهم بعضا الهجاء ويتجاريان يتغالب ذلك في الخير والشر
ه

فاما حماد عجرد فشهرته في الضلالة كشهرة الحمادين وكان يرمى مع ذلك
بالثنوية اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي
قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن
سعد قال حدثني السري بن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة
فقال لي يا ابا علي اني قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد
فقلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولي فيه ، يا ابن نهيا راس علي ثقيل ،
، واحتمال الراسين خطب جليل ، فادع غيري الى عبادة ربين ،
، فانني بواحد مشغول ، فقلت لم ادعه في عماه فقلت
قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت
فادع غيري الى عبادة ربين فانني عن واحد مشغول ، قال فلما سمعه
اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني فلا احسبنك فلا تنشد
احدا هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي واخبرنا
المرزباني قال حدثني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن
شبة قال حدثني خلاد الارقط قال قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرا
القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارى فقال حماد علام
يجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول فعنته الناس على هذا وروى لما
ابن شبة عن ابي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشارا بالقبح لانه كان
عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظا العينين قد تغشاهما لحم احمر فلما قال
حماد فيه ، والله ما الخنزير في نتنه ، بربعه في اللؤم او خمسه ،
، بل ريحه اطيب من ريحه ، ومسه الين من مسه ،
، ووجهه احسن من وجهه ، ونفسه افضل من نفسه ،
، وعوده اكرم من عوده ، وجنسه اكرم من جنسه ،
قال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف ذلك
قال ما اراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم فاخرج الجحود مخرج هجائي وهذا اخبث من بشار وتغلغل شديد

لطيف

لطيف واول من جعل نفي الالحاد تاكيدا للوصف به واخرج ذلك مخرج
المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد فقال ،
، لو ان ماني وديصانا وعصبتهم ، جاءوا اليك لما قلناك زنديق ،
، انت العبادة والتوحيد مذ خلقا ، وذا التزندق نيرنج مخاريق ،
فاما ابن المقفع فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت
زندقة كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثني
من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل
، يا بيت عاتكة الذي اتغزل ، حذر العدى وبه الفواد موكل ،
، اني لامنحك الصدود وانني ، قسما اليك مع الصدود لاميل ،
وروى احمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد
وقال الاخفش الصحيح انه يرثي بها ابن ابي العوجاء ،
، رزينا ابا عمرو ولا حي مثله ، فلله ريب الحادثات بمن وقع ،
، فان تك قد فارقتنا وتركتنا ، ذوي خلة ما في انسداد لها طمع ،
لعد ، فقد جر نفعا فقدنا لك اننا ، امنا على كل الرزايا من الجزع ،
قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر
ممزوج بالخير واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي
قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش
قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى ابن المقفع وكان ابن المقفع يحب
ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن فقيل
للخليل كيف رايت عبد الله قال ما رايت مثله وعلمه اكثر من عقله وقيل
لابن المقفع كيف رايت الخليل قال ما رايت مثله وعقله اكثر من علمه
فصدقا فان عقل الخليل اداه قال المغيرة فصدقا ادى عقل الخليل الخليل الى ان مات ازهد الناس
وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب امانا لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى
حبيس غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده
احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة

امر ابيعة وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما روى ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفا فاخر جوابه فكتب اليه كتابا آخر يستريثه فكتب اليه عبد الله ان الاخاء رق فكرهت ان املكك رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك وكان يقول اذا نزل بك امر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ودعاه عيسى بن علي الى الغداء فقال اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم منك وعلمه من انت اعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر وقال لآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعد بما لا تقدر على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا اعلم انهم قد ينسبون الى قلة الوفاء فلا تشعرن قلبك استبطاءه فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا وعلى وجهه ان كان حليما وكان يقول ان مما سخى بنفس العالم عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر الاخطار فاما ابن ابي العوجاء فقد ذكرنا ما روى من اعترافه بدسه في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم احاديث مكذوبة وروى انه راى عدلا وقد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال

يستريثه يستبطوه

يسخي العالم عن

كم رأينا مصحفا سرق وبشار دينه

قل لعبد الكريم يا ابن ابي العو … جاء بعث الاسلام بالكفر موقا

لا تصلي ولا تصوم فان صمت … فبعض النهار صوما رفيقا

لا تبالي اذا اصبت من الخمر … عتيقا ان لا يكون عتيقا

ليت شعري غداة حليت في الجند … حنيفا حليت ام زنديقا

فاما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين للديانة يذهب الى انه ثنوي فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر الظلمة قال المبرد ويروى ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس في الامتناع من السجود وروى له

النار مشرقة والارض مظلمة … والنار معبودة مذ كانت النار

وروى بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حوالي ثوبه ترابا لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلاة اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه عن احمد بن خلاد قال حدثني ابي قال كنت اكلم بشارا واورد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد وكان يقول ما اعرف الا ما عاينت او عاينه معاين وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما اظن الامر يا ابا خالد الا كما يقال انه خذلان فلذلك اقول

طبعت على ما فيّ غير مخير … هواي ولو خيرت كنت المهذبا

اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد … وغيبت عني ان انال المغيبا

واصرف عن قصدي وعلمي مقصر … فامسي وما اعقبت الا التعجبا

قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال … تكلف القول والاقوام قد حفلوا

وحبروا خطبا ناهيك من خطب … فقام مرتجلا تغلي بداهته

كمرجل القين لما حف باللهب … وجانب الراء لم يشعر به احد

المحتي عارض الجيش اي ان العارض اذ كتب اسمه كتبه مسلما او زنديقا

فقال

قبل التصنع والاغراق فى الطلب ، ومثل ذلك قول بعضهم فى واصل
ابن عطا ، ويجعل البُرّ قمحا فى تكلّمه ، وجانب الرا، حتى احتال للشعر
ولم يقل مطرا والقول يعجبه ، فعاد بالغيث اشفاقا من المطر
فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به واصل وقام بذكره وتكفيره فقال بشار فيه
مالى اشايع غزالا له عنق ، كنقنق الدو ان ولّى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم ، تكفرون رجالا كفروا رجلا
فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد
اما لهذا المشنف المكنى بابى معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة
سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه فى جوف منزله على
مضجعه او فى يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك الا عقيلى او سدوسى
فعدل واصل بن عطا من الضرير الى الاعمى ومن الكافر الى الملحد ومن
المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابى معاذ ومن الفراش الى المضجع
وزاد قوم فقالوا ومن ارسلت الى دسست ومن يبقر الى يبعج ومن
داره الى منزله ومن المغيرية الى الغالية والاول اشبه بان يكون مقصودا
وما ذكرت ثانيا فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الرا
فاما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلى او سدوسى لان بشارا كان مولى لهم
وذكره بنى سدوس لان بشارا كان ينزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعث فقد
قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه لقب لبيت بذلك قاله وهو
قال ريم مرعث ، ساحر الطرف والنظر ، لست والله نائلى
قلت او يغلب القدر ، والقول الثانى انه كان لبشار ثوب له جيبان
احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فكان اذا اراد لبسه ضمه عليه ضمّا
من غير ان يدخل راسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرعاث
وهى القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمى المرعث لانه كان يلبس
فى صباه رعاثا وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما فى الشعر
جدا حتى ان كثيرا من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجودين

هتف به اى فضحه بالالحاد والهتاف فى الاصل صوت الديك

المكنى

ذكرنا

اخبرنا

الخشنى

اخبرنا المرزبانى عن محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن الحسين
اليشكرى قال قيل لابى حاتم من اشعر الناس قال الذى يقول
ولها مبسم كثغر الاقاحى ، وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلب ، ونالت زيادة المستزيد
عندها الصبر عن لقاى وعندى ، زفرات ياكلن صبر الجليد
يعنى بشارا قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار
بنى امية هبوا طال نومكم ، ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ، خليفة الله بين الناى والعود
فبلغ ذلك المهدى فوجد عليه وكان سببا لقتله مجلس آخر فاما مطيع
ابن اياس الكنانى فاخبرنا عبيد الله المرزبانى عن على بن هارون عن عمه
يحيى بن على عن ابى ايوب المدنى عن احمد بن ابراهيم الكاتب قال
اخبرنى ابى قال رايت بنتا لمطيع قد اتى بها فى اول ايام الرشيد فاقرت
بالزندقة وقراتها وتابت وقالت هذا شى علمنيه ابى فقبل الرشيد توبتها
وردها الى اهلها وقال محمد بن داود بن الجراح فى اخبار مطيع انه كان
يرمى بالزندقة وروى انه لما حضرته الوفاة احاط به اهل بيته فاقبلوا
يقولون قل يا مطيع لا اله الا الله فلا يقول حتى اذا صار نفسه فى نغراته
تنفس ثم اهوى الى الكلام فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم كلاما ضعيفا
فتسمعوا له فاذا هو يقول ، لهف نفسى على الزمان وفى
اى زمان دهتنى الازمان ، حين جا الربيع واستقبل الصيف
وطاب الطلا والريحان ، قال المرزبانى وهذا الحديث يرويه
الهيثم بن عدى ليحيى بن زياد فاما يحيى بن زياد الحارثى الكوفى فهو
يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثى
الكوفى وزياد بن عبيد الله هو خال ابى العباس السفاح ويكنى ابا الفضل
وكان يعرف بالزنديق وكانوا اذا وصفوا انسانا بالظرف قالوا هو اظرف
من الزنديق يعنون يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصد ابو نواس بقوله

نغراته كربتنفس

تيه مغن وظرف زنديق ، قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق
لايرع عن شئ ولا يمتنع مما يدعى اليه فنسبه الى الظرف لمساعدته على كل
شئ وقلة خلافه وروى انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله
الا الله فقال ، لا ابق الا الغبط والخلاخل ، ثم اغمى عليه فلما افاق اعيد
عليه القول فقال ، وبا زل تغلى به المراجل ، وروى محمد بن يزيد
قال قال مطيع بن اياس يرثى يحيى بن زياد وكانا جميعا مرتبين بالخروج
عن الملة ، يا اهل بكوا لقلبى القرح ، وللدموع السواكب السفح ، الهوامل

راحوا بيحيى الى مغيبه ، فى القبر بين التراب والصفح ،

راحوا بيحيى ولو تساعدنى ، الاقدار لم نبتكر ولم نرح ، نطار غنى

يا خير من يحسن البكاء له ، اليوم ومن كان امس للمدح ،

قد ظفر الحزن بالسرور وقد ، اديل مكروهنا من الفرح ،

ولمطيع يرثيه ، انظر الى الموت كيف باده ،

والموت مقدامة على البهم ، لو قد تدبرت ما صنعت به ،

قرعت سنا عليه من ندم ، فاذهب بما شئت اذ ذهبت به ،

ما بعد يحيى للرزء من الم ، فاما صالح بن عبد القدوس فكان

متظاهرا بمذاهب الثنوية ويقال ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه
ثم قال له على اى شئ تعزم يا صالح قال استخير الله واقول بالاثنين
قال ابو الهذيل فايهما استخرت لا ام لك وروى ان ابا الهذيل ناظره فى
مسئلة مشهورة فى الامتزاج الذى ادعوه بين النور والظلمة فاقام عليه
الحجة وانقطع فانشأ يقول ، ابا الهذيل هداك الله يا رجل ،
فانت حقا لعمرى معضل جدل ، وروى انه روى يصلى صلاة تامة
الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد
وعادة الجسد وسلامة الاهل والولد ويقال انه لما اراد المهدى قتله
على الزندقة دعى اليه بكتاب وقال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب
الزندقة قال صالح اوتعرفه انت امير المومنين اذا قرأته قال لا قال

افتقلني

افتقلنى على ما لا تعرف قال فانى اعرفه قال صالح فقد عرفته ولست
بزنديق وكذلك اقرأه ولست بزنديق وذكر محمد بن يزيد المبرد قال
ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قرف به من الزندقة بحضرة المهدى
قال له المهدى الست القائل فى حفظك ما انت عليه ،

رب سر كتمته فكانى ، اخرس او ثنى لسانى خبل ،

ولو انى ابديت للناس علمى ، لم يكن لى فى غير حبسى اكل ،

فقال صالح فانى اتوب وارجع فقال هيهات الست القائل ،

والشيخ لا يترك اخلاقه ، حتى يوارى فى ثرى رمسه ،

اذا ارعوى عاد الى جهله ، كذى الضنا عاد الى نكسه ، عاوده جهله

ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو فى الحبس

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ، فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى ،

اذا دخل السجان يوما لحاجة ، عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ،

ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا ، اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا ،

فان حسنت لم تات عجلى وابطات ، وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى ،

طوى دوننا الاخبار سجن ممنع ، له حارس تهدا العيون ولا يهدى ، فتخنى

قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل ، من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى ،

الا احد ياوى لاهل محلة ، مقيمين فى الدنيا وقد فارقوا الدنيا ،

قال سيدنا الشريف المرتضى رضى الله عنه واظن ان ابن الجهم لحظ قول
صالح فنغشى ولا نغشى فى قوله يصف الحبس ،

بيت يجدد للكريم كرامة ، ويزار فيه ولا يزور فيحمد ،

فاما على بن الخليل فذكر محمد بن داود قال كان على بن الخليل وهو مولى
يزيد بن مزيد الشيبانى ويكنى ابا الحسن وهو كوفى متهما بالزندقة فطلبه
الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد
فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروى انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة
حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه قصيدة فاشار بها فامر الرشيد

باخذها منه فقال يا امير المومنين انا احسن قراة لها من غيري فاذن لي في قراتها ففعل فقال اني شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا قمت فان رايت ان تاذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم انشا يقول

يا خير من وخدت بارحله	نجب الركاب ببهمه جلس
نطوي السباسب في ازمتها	طي التجار عمائم البرس
لما رانك الشمس طالعة	سجدت لوجهك طلعة الشمس
خير الخلائف انت كلهم	في يومك الماضي وفي امس
وكذاك لا تنفك خيرهم	تمسي وتصبح فوق ما تمسي
من عصبة طابت ارومتها	اهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع نبعتهم	ومع الحضيض منابت الغرس
اني رحلت اليك من فزع	كان التوكل عندك ترسي
ماذاك الا انني رجل	اسمو الى بقر من الانس
بقرا وانس لا قرون لها	يقتلن بالتطويل والحبس
اجاوب الفتيان بينهم	صهبا مثل مجاجة الورس
للما في حافاتها حبب	نظم كعلق صحائف الفرس
والله يعلم في بنيته	ما ان اضعت اقامة الخمس

فقال له هارون من انت قال علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق قال انت آمن وكتب الى حمدويه ان لا يعرض له ومن تركنا ذكره من هولا اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان بهذه البلية اشهر وامره فيها اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل واذ قد ذكرنا جملة من اخبار اهل الضلالة والمتقادين للجهالة حسب ما سئلنا فنحن نتبعها بشي من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن الفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته ومن خسرت صفقته فقد سئلنا ايضا ذلك اعلم ان اصول التوحيد والعدل ماخوذة من كلام امير المومنين رضي الله عنه وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية

الحلس الغليظ من الارض

البرس القطن

بنيته يعني الكعبة

وراه ومن تامل الماثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروي عن الايمة من اولاده من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه من مكانه اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفا للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيا مما روي عنهم في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن امير المومنين رضي الله عنه وهو يصف الله بمضادته بين الاشيا علم انه لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم انه لا قرين له ضادا النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور موالف بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها وروي عنه رضي الله عنه انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفني به قيل وكيف عرفك فقال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس وقيل له رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلق فقال كما يرزقهم فقيل له كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه وساله رجل فقال اين كان ربك قبل ان يخلق السما والارض فقال اين سوال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابي عبد الله الصادق رضي الله عنه انه ساله محمد الحلبي فقال هل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه ابصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين وروي صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا رضي الله عنه فساله عن اشيا من الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سواله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله قسم الكلام والروية فقسم لموسى الكلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم الروية فقال الرضا فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شي اليس محمد صلى الله عليه وسلم نبيا صادقا قال بلى قال كيف يجي رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جا من عند الله تعالى يدعوهم اليه بامره ويقول لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله

الصرد البرد

حذق

احداق

شئ ثم يقول سارآه بعيني واحيط به علما اما تستحيون ما قدرت ان
ترميه بهذا ان يكون يانى عن الله بشئ ثم يانى بخلافه من وجه آخر قال
ابو قرة فانه يقول ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال رضى الله عنه
ما بعد هذه الآية يدل على ما راى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما راى يقول
ما كذب فؤاد محمد ما رات عيناه ثم اخبر بما رآى فقال لقد راى من آيات
ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فاذا
راته الابصار فقد احاط به العلم فقال ابو قرة افا كذب بالرؤية فقال لو صنا
اذا القرآن كذبها وما اجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار
وليس كمثله شئ واتى اعرابى ابا جعفر محمد بن على رضى الله عنهما فقال له
هل رايت ربك حتى عبدته فقال لم اكن اعبد شيا لم اره فقال كيف رايته
فقال رضى الله عنه لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل راته القلوب بحقائق
الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات
لا يجور فى قضية وهو الله لا اله الا هو فقال الاعرابى الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وروى ان شيخا حضر صفين مع امير المومنين رضى الله عنه فقال
له اخبرنا يا امير المومنين عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء من الله وقدر
قال له نعم يا اخا اهل الشام والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا
ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامى
احتسب عنائى يا امير المومنين وما اظن ان لى اجرا فى سعيى اذا كان الله
قضاه على وقدره فقال رضى الله عنه ان الله قد اعظم لكم الاجر على مسيركم
وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا فى شئ من حالاتكم
مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامى وكيف ذلك
والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له ويحك يا
اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك
لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهى
ولما كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسئ والمسئ اولى بعقوبة الذنب

حتى خ

من

من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن
وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله عز وجل امر عباده
تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها
ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتب
الى عباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار قال الشامى فما القضاء والقدر اللذان
كان مسيرنا بهما وعنهما قال الامر من الله تعالى بذلك والحكم ثم تلا وكان
امر الله قدرا مقدورا فقام الشامى فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال فقال
فرجت عنى يا امير المومنين فرج الله عنك وانشا يقول
، انت الامام الذى نرجو بطاعته ، يوم الحساب من الرحمن غفرانا ،
، اوضحت من امرنا ما كان ملتبسا ، جزاك ربك بالاحسان احسانا ،
وروى ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فاتيت ابا عبد الله
رضى الله عنه فسلمت عليه وخرجت من عنده فرايت ابنه موسى فى دهليزه
قاعدا فى مكتبه وهو صغير السن فقلت له اين يحدث الغريب اذا اراد
ذلك فنظر الى ثم قال يجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور
والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت
هذا القول نبل فى عينى وعظم فى قلبى فقلت له جعلت فداك فممن المعصية
فنظر الى ثم قال اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون
من العبد او من ربه او منهما جميعا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف
من ان يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله وان كانت منهما فهو شريكه والقوى
اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر
واليه توجه النهى وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار فلما
سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم هذا المعنى شعر
فقيل ، لم تخل افعالنا اللاتى نذم لها ، احدى ثلاث خلال حين ناتيها ،
، اما تفرد بارينا بصنعتها ، فيسقط اللوم عنا حين ننشيها ،

المنشور خ

دينتا خ جزاك ربك عنا فيه خ

ورايت خ

اوكان يشركنا فيها فيلحقه ، ما سوف يلحقنا من لا ثم فيها ،
اولم يكن لآلهى فى جنايتها ، ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها ،

واحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن ابى الحسن البصرى واسم ابيه يسار من اهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويقال ان ام سلمة كانت تاخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها فكان يدر عليه فيقال ان الحكمة التى اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ما رواه على بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصى من الله عز وجل جاء يوم القيمة مسودا وجهه ثم قرا ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال داود بن ابى هند سمعت الحسن يقول كل شئ بقضاء وقدر الا المعاصى وكان الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه فى الوعظ وذم الدنيا واجله ماخوذ لفظا ومعنى او معنى دون لفظ من كلام امير المومنين على بن ابى طالب رضى الله عنه فهو القدوة والغاية فمن ذلك قوله رضى الله عنه شيئان احدهما ماخوذ من الآخر احدهما اكثر شئ فى الدنيا والآخر اقل شئ فى الدنيا العبر والاعتبار وقوله رضى الله عنه مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من احدهما قربا ازددت من الآخر بعدا وقوله رضى الله عنه شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره وقوله فى وصف الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن وقوله فى كلام له فيها ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استذمت اليك بل متى غرتك ابمصاجع اباءك من البلى ام بمنازل امهاتك من الثرى كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك قال المرتضى رضى الله عنه وهذا باب ان ولجناه

قوله من صح فيها امن يعنى ان الانسان اذا صح جسمه من الاهوال الدنيوية والاخروية واذا مرض ندم على التقصير ه

اغترفنا

اغترفنا من ثبج بحر زاخر او شؤبوب غمام ماطر وكل قول فى هذا الباب لقائل اذا اضيف اليه او قويس به كان كاضافة القطرة الى الغمرة والحصاة الى الحرة وانما اشرنا اليه اشارة واومانا اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه روى ان اعرابيا ثم نعود الى ما كنا فيه روى ان اعرابيا سمع كلام الحسن البصرى فقال المومن فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ وروى ان الحسن تلا يوما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم قال ان قوما غدوا فى المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم فى عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة اهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم الم ترهم قد جددوا الثياب واخلقوا الدين يتكئ احدهم على شماله فياكل من غير ماله طعامه غصب وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة تجشا من البشم ثم قال يا جارية هاتى حاطوما يعنى هاضوما يهضم الطعام يا احيمق لا والله ان تهضم الا دينك اين جارك اين يتيمك اين مسكينك اين ما اوصاك الله تعالى به وذكر يوما الحجاج فقال اتانا اعيمش اخيفش له جميمة يرجلها واخرج الينا بنانا قصارا والله ما عرق فيها عنان فى سبيل الله فقال بايعونى فبايعناه ثم رقى هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحادثت بذلك ابا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته وكان يقول فى بعض كلامه ما انسانا ان ترى احدهم ابيض بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويقول ها انا ذا فاعرفونى قال فالبض هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم لانه قد يكون الرخاصة مع الادمة فاما قوله يملخ فان الملخ هو التثنى والتكسر يقال ملخ الفرس

الثبج ما بين الكاهل الى الظهر ويقال ثبج كل شئ وسطه وثبج الرمل معظمه الغمرة الماء الكثير
الحرة ارض ذات حجارة سود نخرة كانها احرقت بالنار

المطرف والمطرف واحد المطارف وهى اردية من خز مربعة لها اعلام

نخ

الجميمة تصغير الجمة وهى الشعر الذى يجاذى الاذن

امراة طلعة اى تطلع مرة وتختبى اخرى

قوله يملخ فى الباطل ملخا اى يمر فيه مرا ويكرة ملوخ اى سريعة المر

معتلم

اذا العب قال دوبه يصف الحمار، معتزم التجليح ملاخ الملق،
والمذروان قرعا الاليتين قال عنترة، اخوى تنفض استك مذرويها،
لتقتلني فها انا ذا عمارا، هذا قول ابي عبيد الله وقال ابن قتيبة رادا
عليه ليس المذروان فرعي الاليتين حسب بل هما الجانبان من كل شئ
تقول العرب جا، فلان يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه
وهما منكباه وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنع الشيب
مذرويه يريد جانبي راسه وهما فوداه وانما سميا بذلك لانهما يذريان
اي يشيبان والذرى الشيب قال وهذا اصل الحرف ثم استعير للمنكبين
والاليتين والطرفين من كل شئ قال امية بن عائذ الهذلي يذكر قوسا،
على عجس هتافة المذروين، زورا، مضجعة في الشمال،
اراد قوسا ينبض طرفاها قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكره
الحسن بانه يحرك اليتيه ولا من شان من يبذخ ويتيه على نفسه ويقول
ها انا ذا فاعرفوني ان يحرك اليتيه وانما اراد انه يضرب عطفيه وهذا
مما يوصف به المرح المختال الذي يزهي بنفسه وربما قالوا جانا ينفض مذرويه
اذا كان يتهدد ويتوعد لانه اذا تكلم وحرك راسه نفض قرون فوديه
وهما مذرواه قال قدس الله روحه وليس الذي ذكره ابو عبيد ببعيد
لان من شان المختال الذي يزهي بنفسه ان يهتز ويتثنى فتتحرك اعطافه
واعضاؤه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لانهما بارزان من جسمه
فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروان بالذكر مع ان غيرهما يتحرك
ايضا على طريق التقبيح على هذا المختال والتعجب لفعله وقول ابن قتيبة
ليس من شان من يبذخ ان يحرك اليتيه ليس بشئ لان الاغلب من شان
البذاخ المختال الاهتزاز وتحرك الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله
لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك راسه وينفض مذرويه فاذا قال
ان في الاكثر قيل له مثله وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعا جمعا شرطا
شرطا جمعا في وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل

مات

الاعتزام لزوم القصد في المشي والتجليح الاقدام الشديد والملخ السير الشديد وملخ القوم ملخة صالحة اذا العدوا في الارض والملق ما استوى من الارض

البذخ الكبر

خص المذروين

مات فافضى والله الى الآخرة فطال حسابه وكان يقول مسكين ابن آدم
مكتوم الاجل مكنون العلل اسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة
وتقتله الشرقة لبادي الضعف قريب الحتف وكان يقول ما اطال احد الامل
الا اساء العمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء الى فناء
فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان يقول
اذا رايت رجلا ينافس في الدنيا فنافسه في الآخرة وساله رجل ما حالك
فقال باشد حال ما حال من اصبح وامسى ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل
الله به وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان
يكتبان عملك فاملل ما شئت واكثر واقلل وفي خبر آخر ووكل بك ملكان
كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما وروى ابو بكر الهذلي قال لما قدم
عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا فبعث الى الشعبي والى الحسن
البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه وانتخبه لخلافته
وقد اخذ بنواصينا واعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب
علينا السمع والطاعة له وانه بعثني الى العراق فكم غير سائل اياه الا وانه لا
يزال يبعث الينا في القوم نقتلهم او في الضياع نقبضها او في الدور نهدمها
فتوليه من ذلك ما ولاه الله فما تريان فاما الشعبي فقال قولا فيه بعض
اللين واما الحسن فانه قال يا عمر اني انهاك عن الله ان تتعرض له فان
الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله انه يوشك ان ينزل عليك
ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق
قبرك ثم لا يوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصرا لدين
الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به فانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق عز وجل وذكر عن الشعبي انه قال كان والله
الحسن اكرمنا عليه وروى ابو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك
للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به قال عظني قال
أوليت قط قال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فاته الى من وليته

إلا أنه

وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آاخذ عطائي ام ادعه حتى آخذه
من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس
من الحسنات يوم القيمة وولد للحسن غلام فهنأه بعض اصحابه فقال الحسن
الحمد لله على هبته ونستزيدك من نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنيا اذهلني
وان كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحياة
كدا اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا في حال لا يصل الي من همه حزن
ولا من فرحه سرور وكان الحسن يقول لو لم يكن من شوم الشراب الا انه
جاء الى احب خلق الله فافسده لكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل وعزى
جارا له يهوديا فقال له جزاك الله على مصيبتك باعظم ما جازى به احدا من
اهل ملتك وهذا تخلص منه مليح لانه لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه
الكفار واراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب
وكان الحسن يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع
غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة وقال في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة
قال العلم وفي الآخرة حسنة قال الجنة وخرج الحسن في جنازة معها نوائح
فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن
ان كنت كلما رايت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك في دينك وذكرت عنده
الدنيا فقال ، احلام نوم او كظل زائل ، ان اللبيب بمثلها لا يخدع ،
وكان يتمثل ، اليوم عندك دلها وحديثها ، وغدا لغيرك كفها والمعصم ،
وعن ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من خضراء واسط نادى في الناس ان
يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس
فخاف اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا يا اخبث
الاخبثين وافسق الفاسقين فاما اهل السماء فمقتوك واما اهل الارض
فغروك ثم قال ابى الله تعالى الميثاق الذي اخذ على اهل العلم ليبيننه
للناس ولا يكتمونه ثم انصرف وبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم
حوله آلله ليقوم عبيد من عبيد اهل البصرة فيتكلم في بما تكلم به ثم لا

يكون عند احد منكم تغيير ولا نكير فقالوا ومن ذاك اصلحك الله اسقنا
دمه فقال علي به وامر بالنطع والسيف فاحضر ووجه اليه فلما دنا
الحسن الى الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له
الحجاج ههنا واجلسه قريبا من فرشه وقال له ما تقول في علي وعثمان
قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى عليه السلام
لفرعون اذ قال له ما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى علم علي وعثمان عند الله تعالى فقال له الحجاج
انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا له بغالية فخلل بها لحيته فلما خرج
الحسن اتبعه الحاجب فقال يا ابا سعيد والله لقد دعاك لغير ما
فعل ولقد احضر النطع والسيف فلما اقبلت رايتك قد حركت شفتيك
بشيء فما قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي
ويا ولي نعمتي ويا الهي واله ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب ارزقني
مودته واصرف عني اذاه ومعرته ففعل ربي بي ذلك وكان الحسن
يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامته وقلد سيفا يعني الحجاج
وروى ابو بكر الهذلي ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ان الشيعة تزعم
انك تبغض عليا رضي الله عنه فاكب يبكي طويلا ثم رفع راسه فقال
لقد فارقكم بالامس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه
رباني هذه الامة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلى الله عليه
وسلم قريبة لم يكن بالنؤومة عن امر الله تعالى ولا بالغافل عن حق الله
تعالى ولا السروقة من مال الله اعطى القرآن عزائمه في ماله وعليه
فاشرف منها على رياض مونقة واعلام بينة ذاك ابن ابي طالب يا لكع
وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن علي رضي الله عنه
قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرا هذا آخره لينبغي
ان يزهد فيه وان امرا هذا اوله لينبغي ان يحذر منه وعن حميد الطويل
قال خطب رجل الى الحسن ابنته فكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان

ذلك
من
فرشته
في
وليّ في نعمتي

بزوجه فاثنيت عليه ذات يوم وقلت وازيدك يا ابا سعيد ان له
خمسين الفا قال اقلت له خمسون الفا ما اجتمعت من حلال قلت
يا ابا سعيد انه والله ما علمت لورع مسلم فقال ان كان جمعها من الحلال
لقد ضن بها عن حق لا يجري والله بيني وبينه صهر ابدا وقيل لعلي بن
الحسين بن علي رضي الله عنهم قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك
كيف هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا فقال رضي الله عنه انا اقول
ليس العجب ممن نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة
رحمة الله واتى رضي الله عنه يوما الحسن البصري وهو يقص عند الحجر
فقال اترضى يا حسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال
دار للعمل غير هذه قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا
قال فلم تشغل الناس عن الطواف مجلس آخر وممن تظاهر بالقول الطواف
بالعدل واشتهر به واصل بن عطا الغزال ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى
بني ضبة وقيل انه مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم وروي انه لم يكن
غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين وقيل انه كان
يجلس في الغزالين عند صديق له يعرف بابي عبد الله الغزال وذكر المبرد
ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيصرف
صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمان بالخلال وهو
وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب
الخلالين فكان يجلس عندهم فسمي خلالا ومثله ابو علي الحرمازي هو مولى
لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الحرماز وابراهيم بن يزيد
الخوزي وليس بخوزي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وابو سعيد
المقبري لانه ينزل بالمقابر وكان واصل الثغ في الراء قبيح اللثغة وكان نزل المقابر
يخلص كلامه من الراء ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفا من
ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر ابو الحسن البرذعي المتكلم ان انسانا
سال عمرو بن عبيد وغيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطا فتكلم

السائل

السائل بشيء اغضب عمرا فاجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال له
واصل اياك واجوبة الغضب فانها مندمة والشيطان يكون معها في ولد
تضاعيفها همزة وقد اوجب الله تعالى على نبيه عليه السلام ان يستعيذ همزة الشيطان وسوسته وغلبته على العقل
من همزات الشياطين وان يكونوا معه بقوله اعوذ بك من همزات الشياطين
الى خاتمة الآية وقلما شاهدت احدا اجاب فتثبت في جوابه وما ينطلق به شاهدت من اجاب
لسانه فلحقه لوم قال البرذعي انظر الى واصل كيف علم عمرا فاخرج الراء
من كلامه فقال موضع والشيطان يحضرها يكون معها وقد اوجب الله
على نبيه ولم يقل امر وقال وان يكونوا معه بدلا من قوله وان يحضرون ثم
قال الى خاتمة الآية ولم يقل الى آخر الآية قال المرتضى رضي الله عنه ومما
لم يذكره البرذعي انه عدل عن افتتاح الآية من اجل الراء ايضا لان اولها
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان
ذكرها واجبا من ابتدائها لاستيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه
والاستعاذة به وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج الفرس فقال البد
الجواد وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه فقال استوى على
جواده وسحب عامله وذكر ابو الحسين الخياط ان واصلا كان من اهل
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى
وثلاثين ومائة وكان واصل ممن لقي ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي اباه محمدا رضي الله عنه وذلك غلط
لان محمدا توفي سنة ثمانين او احدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين
وواصل هو اول من اظهر المنزلة بين المنزلتين لان الناس كانوا في اسماء
اهل الكبائر من اهل الصلاة على اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك
والمرجئة تسميهم بالايمان وكان الحسن البصري واصحابه يسمونهم بالنفاق
فاظهر واصل القول بانهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين وكان
عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلامذته فجمع بينه وبين واصل ليناظره
فيما اظهره من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا على الاجتماع ذكر

ان واصلا اقبل ومعه جماعة من اصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن
عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان فى عنقه طول واعوجاج قال ارى
عنقا لا يفلح صاحبه وسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يا ابن اخى ان
من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذى بين الصانع والمصنوع فقال له عمرو بن
عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت فاحسنت ولن اعود الى مثل الذى كان منى
وجلس فى الحلقة وسئل ان يكلم عمرا فقال واصل لعمرو لم قلت ان من اتى
كبيرة من اهل الصلاة يستحق اسم النفاق فقال عمرو لقوله تعالى والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا
لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ثم قال فى موضع آخر ان المنافقين هم
الفاسقون فكان كل فاسق منافقا اذا كانت الف ولام المعرفة موجودين
فى الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الظالمون كما قال فى القاذف واولئك هم الفاسقون
فسميته منافقا لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم
قال له واصل يا ابا عثمان ايما اولى ان يستعمل فى اسماء المحدثين فى امتنا
ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل القبلة او ما اختلف فيه فقال عمرو بل
ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل ألست تجد اهل الفرق على اختلافهم
يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه لان
الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا قال السيد
رضى الله عنه يعنى بالشيعة الزيدية والحسن يسميه منافقا فاسقا والمرجئة
تسميه مؤمنا فاسقا فاجمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك
من اسمائه فالواجب ان يسمى بالاسم الذى اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق
المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التى اختلف فيها فيكون
صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا
كافر فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو بن عبيد ما بينى وبين الحق
عداوة والقول قولك فليشهد على من حضر انى تارك للمذهب الذى

(هامش: الصنعة والصانع — كافر نعمة)

اذهب

اذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلاة قائل بقول ابى
حذيفة فى ذلك وانى قد اعتزلت مذهب الحسن فى هذا الباب فاستحسن
الناس هذا من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما اختصت به هذه الفرقة
لاعتزالهم مذهب الحسن بن ابى الحسن فى تسميته مرتكب الكبيرة من اهل
الصلاة بالنفاق وحكى غير ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصرى
كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد جميعا رئيسين مقدمين فى
اصحاب الحسن فجرت بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة فاجتمع اليه
جماعة من اصحاب الحسن وكان قتادة اذا جلس مجلسه سال عن عمرو
واصحابه فيقول ما فعلت المعتزلة فسموا بذلك قال قدس الله روحه اما ما
الزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد او لا فسديد لازم واما ما كلمه به ثانيا
فغير واجب ولا لازم لان الاجماع وان يوجد فى تسمية صاحب الكبيرة
بالنفاق او غيره من الاسماء كما وجد فى تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمى
بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع فى الشىء وان كان دليلا على
صحته فليس فقده دليلا على فساده وواصل انما الزم عمرا ان يعدل عن
التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه
وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه ان يقال قد اتفق اهل الصلاة على استحقاق
صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على استحقاقه
التخليد فى العقاب او يقول انهم اجمعوا على استحقاقه للعقاب ولم يجمعوا
على فعل المستحق به فيجب ان اقول بما اتفقوا عليه وانفى ما اختلفوا فيه فاذا
قيل له استحقاقه الخلود او فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه
فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له مثل ذلك فيما عول عليه وبطل على كل
حال ان يكون الاختلاف فى القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا
ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول على ان المقدمة التى قدمها لا تشبه ما
الزمه عليها لان الاجماع اولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل ولا اجماع
والاختلاف فى الموضع الذى كلم عليه واصل عمرا فى مكانين لان لا اجماع

(هامش: اختص — متقدمين — استحقاق الخلود)

هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو فى تسميته بما عداه من الاسماء فلا
تعارض بينهما وله ان ياخذ بالاجماع فى موضعه ويعول فيما الاختلاف
فيه على دلالة غير الاجماع لان فقد الاجماع من القول يوجب بطلانه
وحكى ان واصلا كان يقول اراد الله تعالى من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا
ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى انى انا الله فعرفه نفسه ثم قال له فاخلع
نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى
والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا يعنى صدقوا وعملوا الصلحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وعلموا وروى المبرد قال حدثت
ان واصل بن عطاء اقبل فى رفقة له فاحسوا بالخوارج وكانوا قد اشرفوا
على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم فاعتزلوا ودعونى
واياهم فقالوا شانك فقال الخوارج له من انت ومن اصحابك قال مشركون
مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويقيموا احدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا
احكامه فجعلوا يعلمونه احكامهم وجعل يقول قد قبلت انا ومن معى قالوا
فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه
فابلغونا مامننا فساروا جميعا حتى بلغوهم الامن وحكى ان محمدا وابراهيم باجمعهم
ابنى عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهم واصل الى القول بالعدل فاستجابا
له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القاسم البلخى
ان عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك يا بنى محمودة الا قولك بالقدر فقال
له يا ابة افتنى اقدر على تركه ام لا اقدر على تركه فورد الكلام على رجل
عاقل فقال لا عاتبتك عليه ابدا قال قدس الله سره يقول ان كنت اقدر دوجه
على تركه فهو قولى وان كنت لا اقدر فلم تعاتبنى على شئ لا اقدر على تركه
فاما عمرو بن عبيد فيكنى ابا عثمان مولى لبنى العدوية من بنى تميم قال
الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبى كابل من سبى
عبد الرحمن بن سمرة وكان مولى لبنى العدوية قال ابوه عبيد شرطيا وكان

عمرو

عمرو ومنزهدا فكانا اذا اجتازا معا على الناس قالوا هذا شر الناس
ابو خير الناس فيقول عبيد صدقتم وانا نارح قال على بن الجعد هو
عبيد بن باب وكان بوابا للحكم بن ايوب قال وكان باب مكاريا له دكان
معروف يقال له دكان باب وكان فارسيا وللفرزدق معه خبر مشهور
تركنا ذكره لشهرته ولفحش فيه وذكر ابو الحسين الخياط انه ولد عمرو بن
عبيد وواصل بن عطاء جميعا فى سنة ثمانين قال ومات عمرو فى سنة
اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع وستين سنة وروى ان عمرا استاذن
على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال انى عمرو بن عبيد
وكانت على المنصور جبة يمانية محققة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب
قال نعم قال هات لى قميصا ابيض فاتاه به فالقاه عليه ثم قال رد من
خلفى فغطى الجبة وازر على قال الربيع ولم اكن ارى ان احدا يوقره
المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد قال فدخل عليه رجل آدم مربوع الكثة اى القامة
بين عينيه اثر السجود حسن الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك
فى توقيره للخليفة واعظامه اياه قال فسلم فاجتذبه المنصور ليجلس معه ليجلسه
فابى وطرح نفسه بين يديه فسالة واحفى به فلما اراد عمرو القيام قال له واحتفى وتحفى
عظنى يا ابا عثمان واوجز قال له ان ما فى يديك لست بوارثه عن احد
وانما هو شئ صار اليك وكان فى يد غيرك قبلك ولو دام لك لبقى فى يد
الاول والسلام وعن الاصمعى قال قال مطر لو راف لعمرو بن عبيد انى
لارحك مما يقول الناس فيك قال عمرو اتسمعنى اقول فيهم شيا قال لا افتسمعنى
قال فارحم فارحم وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تاخذ منى
فتقضى دينا ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما دين فليس
على واما صلة رحمى فلا تجب على وليس عندى قال فما يمنعك ان تاخذ
منى قال يمنعنى انه لم ياخذ احد من احد شيئا الا ذل له وانا والله اكره
ان اذل لك ويقال ان ابن لهيعة اتى عمرو بن عبيد فى المسجد الحرام فسلم
عليه وجلس اليه وقال له يا ابا عثمان ما تقول فى قوله تعالى ولن تستطيعوا

ان تعدلوا بين النسا، ولو حرصتم فقال له ذلك في محبة القلوب التي
لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فاما العدل بينهن في القسمة من النفس
والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى فلا تميلوا كل
الميل فيما تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما ولا ذات زوج
فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ويقال ان عمرو بن عبيد اتى يونس بن
عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك
وان امرأ ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه وقيل ان عبد الله بن
عبد الاعلى اخذ هذا المعنى فقال ، صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة ،
، تصان فما يبدو لعين مصونها ، ارى المرء دينا للمنايا وما لها ،
، مطال اذا احلت بنفس ديونها ، فما ذا ابقاء الفرع من بعد اصله ،
، ستلقى الذي لاقى الاصول غصونها ، واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس
في قوله ، فبعض اللوم عاذلتي فاني ، ستكفيني التجارب وانتسابي ،
، الى عرق الثرى وشجت عروقي ، وهذا الموت يسلبني شبابي ،
واخذ ذلك لبيد في قوله ، فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب ،
، لعلك تهديك القرون الاوائل ، فان لم تجد من دون عدنان والدا ،
، ودون معد فلتزعك العواذل ، واخذ ايضا في قوله ،
، تود ابنتاي ان يعيش ابوهما ، وهل انا الا من ربيعة او مضر ،
ونظر اليه محمود الوراق وابراهيم بن العباس فاما محمود ففي قوله
، اذا ما انتسبت الى آدم ، فلم يك بينكما من اب ،
، وجازت سنوك بك الاربعين ، وصرت الى جانب الاجنب ،
، ودب البياض خلال السواد ، فاصبحت في شبه الاشهب ،
، فكيف تؤمل طول الحياة ، ان كان حلمك لم يعزب ،
، واما ابراهيم ففي قوله ، نعى نفسي الى ابي ، وخبر ابن منقلبي ،
، بموعظة رآها في ، ابيه كما رايت ابي ، وكان ابا نواس لحظ هذا
المعنى في قوله ، وما الناس الا هالك وابن هالك ،

ولاً

وماله

فلتزعك

علك

وذو

، وذو نسب في الهالكين عريق ، اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ،
، له عن عدو في ثياب صديق ، مجلس آخر روي ان عمرو بن عبيد
دخل على معوية بن عمرو العلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعالى
تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك في هذه
الحال عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له
عليك وروي ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخا، فاكثروا
في وصفه وعمرو ساكت فسالوه عما عنده فقال ما اصبتم صفته ان السخي
من جاد بما له تبرعا وكف عن اموال الناس تورعا وذكر اسحاق بن الفضل
الهاشمي قال اني لعلى باب المنصور يوما والى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع
عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم رفع البساط برجله وجلس
دونه فالتفت الى عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها باحمق فما فصل
كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمان عمرو بن عبيد قال
فوالله ما دل على نفسه حتى ارشد اليه فاتكاه يده ثم قال اجب امير
المومنين جعلت فداك قال فمر متكئا عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان
الرجل الذي استحمقته قد ادخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال
اللبث ثم خرج الربيع وهو متواكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار
ابي عثمان فما برح حتى اتي بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه
واستودعه الله فاقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل
ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل
اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع
ما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا
ثم انتقل اليه والمهدي معه عليه سواده وسيفه ثم اذن له فلما دخل
سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه وتحفى به
ثم ساله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال
له يا ابا عثمان عظنا فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

منسوب الى امراة يقال لها غلاب

دفع

عف

اتكاه يده كانه جعله متكأ عليها
واصل التا، في هذه الكلمة الواو ويقال وكات فلانا اذا جعلت له متكأ

متوكيا

والفجر وليال عشر ومر فيها الى آخرها وقال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد
فبكى بكاء شديدا كانه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة فقال زدني
ثم قال
فقال ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم
ان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى
اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك واني احذرك ليلة تمخض
تمحّص
صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكى اشد من بكائه الاول حتى رجف جنباه
وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى آخر السورة قال يا امير المومنين ان
ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل به مثل ما انزل بهم فاتق
الله فان من وراء بابك نيرانا تاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا
سنة رسول الله فقال يا ابا عثمان انا لنكتب اليهم في الطوامير نامرهم
بالعمل بالكتاب والسنة فان لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال له مثل
اذن الفارة يجزيك من الطوامير الله تكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها
يكفيك
وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذ ونها انك والله لو لم ترض من عمالك الا
بالعدل اذا التقرب اليك به من لا نية له فيه قال المرتضى رضي الله عنه
رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان بن مجالد رفقا يا امير المومنين
فقد اتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الامر وانتشر لا ابا لك وماذا
خفت على امير المومنين ان يبكي من خشية الله وفي رواية اخرى ان
سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو راسه فقال له من انت فقال
ابو جعفر او لا تعرفه يا ابا عثمان فقال لا ولا ابالي ان لا اعرفه فقال هذا
اخوك سليمان بن مجالد فقال هذا اخو الشيطان ويلك يا ابن ام مجالد خزنت
نصيحتك عن امير المومنين ثم اردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته
يا امير المومنين ان هولاء اتخذوك سلما لشهواتهم فانت كالآخذ بالقرنين
وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث
وحدك ولن يغني عنك هولاء من ربك شيئا فقال له المنصور يا ابا عثمان
اعني باصحابك استعن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك اهله قال بلغني ان

محمد

محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك كتابا قال قد جاني كتاب يشبه ان
يكون كتابه قال فبما ذا اجبته قال او ليس قد عرفت رايي في السيف
ايام كنت تختلف الينا واني لا اراه قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي
قال لئن كذبتك تقية لاحلفن لك تقية قال له انت الصادق البار وقد
امرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك قال لا حاجة لي
فيها قال والله لتاخذنها فقال والله لا اخذنها فقال له المهدي يحلف
امير المومنين وتحلف فترك المهدي واقبل على المنصور وقال من هذا
الفتى قال هذا ابني محمد وهو المهدي وهو ولي العهد فقال والله لقد
سميته اسما ما استحقه بعمل والبسته لبوسا ما هو من لبوس الابرار ولقد
مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل ما تكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال
نعم يا ابن اخي اذا حلف ابوك حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من
عمك قال المنصور يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا
تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا تلقني قال عن حاجتي سالتني ثم ودعه
ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشا يقول ، كلكم طالب صيد ،
، كلكم ماشي رويد ، غير عمرو بن عبيد ، وروي ان هشام بن الحكم
قدم البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو
اليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لانظر بهما في ملكوت
السموات والارض فاعتبر قال وجعل لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق
الطعوم واجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك
قلبا قال نعم قال ولم قال لتودي اليه الحواس ما ادركته فتميز بينها قال
فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها
امامًا ترضى لهذا الخلق الذي حشا بهم العالم الا يجعل لهم اماما يرجعون
خ
كيف ترضى
اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسالتك وعرفه ثم دار هشام
في حلق البصرة فما امسى حتى اختلفوا وروى ابو عبيدة قال دخل عمرو
ابن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له

سليمان اخبرنى عن صاحبك يعنى الحسن حين يزعم ان عليًا قال وددت
انى كنت آكل الحشف بالمدينة ولم اشهد مشهدى هذا يعنى يوم صفين
فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان امير المومنين رضى الله عنه
شك ولكنه يقول ودّ انه كان ياكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة
فقال له فقوله فى عبد الله بن العباس يفتينا فى القملة والقبلة وطار
باموالنا فى ليلة فقال له وكيف يقول هذا وابن عباس رحمة الله عليه
لم يفارق عليًا رضى الله عنه حتى قتل وشهد صلح الحسن رضى الله عنه
واى مال يجتمع فى بيت مال البصرة مع حاجة على رضى الله عنه الى
الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة فى كل خمس ويرشه وقالوا انه كان
يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ نازع
رجل عمرو بن عبيد فى القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال فى كتابه
مايزيل الشك عن قلوب المومنين فى القضاء والقدر قال الله تعالى فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسألنهم عما قضيته عليهم او قدرته
فيهم او اردته منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل
او السكوت عن الجور الذى لا يجوز على الله تعالى قال خلاد الارقط
حدثنى زميل عمرو بن عبيد فى الليلة التى مات فيها يقول اللهم ان كنت
تعلم انه لم يعرض لى امران قط احدهما لك فيه رضى والآخر لى فيه هوى
الا قدمت رضاك على هواى فاغفر لى ومر ابو جعفر المنصور على قبره
بمران وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة فانشا يقول

صلى الاله عليك من متوسد ، قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مومنا متخشعا ، عبد الاله ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا فى شبهة ، فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلوان هذا الدهر ابقى صالحا ، ابقى لنا عمرا ابا عثمان

فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول
العبدى وقال ابو القسم البلخى هو من موالى عبد القيس وولد سنة

اربع

[Margin notes: ووددت ان آكل — سجنته — زميل عمرو: الزميل الذى يزاملك فى المحمل — اسيال — بالقرآن]

اربع وثلاثين ومائة وقال ابو الحسين الخياط ولد سنة احدى وثلاثين
ومائة وقيل انه توفى فى اول ايام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين
فكانت سنه مائة سنة قال البردعى لحق ابا الهذيل فى آخر عمره خرف
الا انه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وقيل كف
بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب
واصل بن عطاء وقيل ان ابا الهذيل فى حداثته بلغه ان رجلا يهوديا
قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه ياعم امض بى الى هذا
اليهودى اكلمه فقال له عمه يابنى كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع
مشائخ المتكلمين فقال لابد من ان تمضى بى اليه فمضى به قال فوجدته
يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له بها قال نحن
على ما اتفقنا عليه الى ان تجمع على ما تدعونه فتقدمت اليه فقلت اسالك
ام تسالنى فقال بل اسالك فقلت ذاك اليك فقال لى اتعترف بان
موسى عليه السلام نبى صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له
ان كان موسى الذى تسالنى عنه هو الذى بشر بنبيى عليه السلام وشهد
بنبوته وصدقه فهو نبى صادق وان كان غير من وصفت فذلك
شيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه مالم يكن فى حسابه ثم قال لى اتقول
ان التوراة حق فقلت هذه المسئلة تجرى مجرى الاولى ان كانت هذه
التوراة التى تسالنى عنها هى التى تتضمن البشارة بنبيى عليه السلام
فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم ولم
يدر ما يقول ثم قال لى احتاج ان اقول لك شيئا بينى وبينك فظننت
انه يقول شيئا من الخير فتقدمت اليه فسارّنى وقال لى امك كذا وكذا
وام من علمك لا يكنى وقدر انى اثب به فيقول وثبوا بى وشغبوا علىّ
فاقبلت على من كان فى المجلس وقلت اعزكم الله الستم قد وقفتم على
مسالته اياى وعلى جوابه اياه فقالوا بلى قلت افليس عليه ان يرد جوابى
ايضا قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارّنى شتمنى بالشتم الذى يوجب الحد

[Margin notes: قيل وكف — حتى اكلمه — الشيخ]

وشتم من علمني وانما قدرا ني ابث عليه فيدعي اننا واتباعه وشغبنا
عليه وقد عرفتكم شانه بعد الانقطاع فانصروني فاخذته الايدي من
كل جهة وخرج هاربا من البصرة وعن ابي العينا قال قال لي ابو الهذيل
ما معنى الخسف فقلت ان تنقلب الارض اعلاها اسفلها فقال لا يكن ان لم يكن
هذا اليوم بالارض فانه لبالناس وقال ابو الهذيل قال لي المعذل
ابن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع اليه اهل
النظر يا ابا الهذيل ان في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة
فبين لي ما يذهب بالريب عني فقال له فقلت خبرني عن قول الله تعالى
وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم
لكاذبون هل يخلو من ان يكون اكذبهم لانهم مستطيعون للخروج وهم
تاركون له فاستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون فقال انهم لكاذبون
اي هم يستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا
لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا الوجه او يكون على وجه آخر يقول انهم
لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة
على الخروج ولا يخرجون فعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج
ولا يكون الخروج ولا يعقل للآية معنى ثالث غير الوجهين اللذين
ذكرنا وحكى سليمان الرقي ان ابا الهذيل لما ورد سُرَّ من راى نزل
في غرفة الى ان تطلب له دار تصلح له قال فمررت به فقلت يا ابا الهذيل
اتنزل في مثل هذا المنزل فانشدني يقول

يقولون زين المرء يا مي رحله ، الا ان زين الرحل يا مي راكبه

وعن ابي مجالد قال رايت رجلا وقد سال ابا الهذيل وهو في الوراقين
بقصر وضاح فقال له من جمع بين الزانيين يا ابا الهذيل قال له يا
ابن اخي اما بالبصرة فانهم يقولون القوادون ولا احسب اهل بغداد
يخالفونهم في هذا القول فما تقول انت فخجل الرجل وسكت وقال
ابو الهذيل لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الاصم خبرني

عن

عن قوله الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
وذكر القاذف فقال اجلدوه ثمانين جلدة فايهما اكثر قال حد الزاني
فقلت بكم قال بعشرين قلت فخبرني عن الجلد اهو يد الجلاد قال لا تحدثني
قلت افهو السوط قال لا قلت افهو ظهر المجلود قال لا قلت فهو الانفراج
الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت افثم شيء غير هذا الجلد قال
لا قلت فانما تقول ان لا شيء اكثر من لا شيء بعشرين فانقطع وقال
ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر
قال ملائكة الله قص اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها فقلت فما
الماء قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته
قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك فقلت ما في شر من المجوس
اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله
ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس بهمن اعز ملائكة
الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه ودخل ابو الهذيل يوما على الحسن
ابن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من
هذا الفتى الذي قد رفعه الامير لنوفيه بمعرفته حقه قال رجل من
اهل النجوم قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام قال الاحكام قال
ذلك علم يبطل افاساله قال سل فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه على
فقال آكل هذه ام لا فقال فتاكلها فوضعها ابو الهذيل فقال لست آكلها
قال فتعيدها الى يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها فقال له
الحسن لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تاكلها فاكلها خلافا عليه
فيقول لي قد اصبت في المسالة الاولى وقال نعمان المنائي يوما لابي الهذيل
دل على حدث العالم بغير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك
مثل رجل قال لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينتك وذكر محمد
ابن الجهم صاحب الفراء قال رايت ابا الهذيل وقد جاء الى الديوان في
ايام المامون فسال سهل بن هارون بن راهيون ان يكتب له كتابا في

حاجة له الى حفصويه صاحب الجيش ونهض ابو الهذيل فاملى على سهل بن هارون

ان الضمير اذا سالتك حاجة ، لابی الهذيل خلاف ما ابدی

فاذا اتاك بحاجة فامدد له ، حبل الرجاء بمخلف الوعد

وألِنْ له كنفا ليحسن ظنه ، فی غير منفعة ولا رفد

حتى اذا طالت شقاوة جده ، ورجا الغنى فاجبهه بالرد

واذا استطعت له المضرة فاجتهد ، فيما يضر بابلغ الجهد

وانظر كلامی فيه فادم به ، خلف الثريا منك فی البعد

وكذاك فافعل غير محتشم ، ان جئت اسال فی ابی الهند

قال قدس الله روحه يشبه هذا المعنی ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزبانی قال حدثنی محمد بن ابی الازهر قال حدثنا ابو العيناء قال كان لی صديق فجانی يوما فقال اريد الخروج الى فلان العامل واحببت ان يكون معی الیه وسيلة وقد سالت من صديقه فقيل ابو عثمان الجاحظ وهو صديقك فاحب ان تاخذ لی كتابه اليه بالعناية قال فحضرت الى الجاحظ فقال لی فی ای شیء جاء ابو عبد الله فقلت مسلما وقاضيا الحق وفی حاجة لبعض اصدقائی وهی كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فانی فی غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الی بالكتاب مختوما فقلت لابنی وجه بهذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لی ان ابا عثمان بعيد الغور فينبغی ان نفضه وننظر ما فيه ففعل فاذا فی الكتاب كتابی اليك مع من لا اعرفه وقد كلمنی فيه من لا اوجب حقه فان قضيت حاجته لم احمدك وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب مضيت الى الجاحظ من فوری فقال يا ابا عبد الله قد علمت انك انكرت ما فی الكتاب فقلت اوليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بينی وبين الرجل فيمن اعتنی به فقلت لا والله ما رايت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل يعنی صاحب الحاجة علمت انه لما قرا الكتاب قال أُمّ الجاحظ عشرة الاف وامّ من يساله فقلت له يا هذا

انتم

انتم صديقنا فقال هذه علامتی فيمن اشكره وفی رواية اخرى ان ابا العيناء سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال له ابو العيناء طينة اهون من ظنة قال السيد قدس الله روحه واظن ان ابا العيناء تنبه على فض الكتاب وقرآته بخبر طرفة ابن العبد والمتلمس الضبعی المشهور وذاك انهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه واختصا به ثم افضى الامر الى ان هجاه كل واحد منهما وعرض به فی الشعر المشهور فی الرواية فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابين الى البحرين وقال لهما انی قد كتبت لكما بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان فی ايديهما فرآ بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشف يتبرز ومعه كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال احدهما لصاحبه هل رايت اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجبی أُدخل طيبا وأُخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب منی لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدری فاوجس المتلمس فی نفسه خيفة وارتاب بكتابه ولقيه غلام من اهل الحيرة فقال له اتقرا يا غلام قال نعم ففض خاتم الكتاب ودفعه الى الغلام فقراه فاذا فيه اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فاقبل على طرفة فقال له تعلمن والله لقد كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقروه عليك فقال كلا والله ما كان ليجسر على قومی بمثل هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس فالقى المتلمس كتابه فی نهر الحيرة وقال

قذفت بها بالثنی من جنب كافر ، كذلك اقنو كل قط مضلل

رضيت لها بالماء لما رايتها ، يجول بها التيار فی كل جدول

كافر نهر بالحيرة واقنو اقتنی والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته وقال المتلمس ايضا

من مبلغ الشعراء عن اخويهم ، نبأ فتصدقهم بذاك الانفس

اودى الذی علق الصحيفة منهما ،

وتجاحدا رحبانة المتلمس ، القى صحيفته ونجت كوره
وحنا ، محزم المناسم عرمس ، عيرانة طبخ الهواجر لحمها
فكان نقبتها اديم املس ، المرتبقة بن العبد انك جانى
ابساحة الملك الهمام تمرس ، الق الصحيفة لا اباك انه
يخشى عليك من الحباء النقرس ، النقرس ههنا الداهية ومضى طرفة
بكتابه الى البحرين فامر به المعلى بن حنش العبدى فقتل فقال المتلمس
عصانا فما لاقى الرشاد وانما ، يبين من امر الغوى عواقبه
فاصبح محمولا على ظهر آلة ، تمج نجيع الجوف منه ترائبه
فالا تحللها بعالوك فوقها ، وكيف توقى ظهر ما انت راكبه
ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمرا وبلغه ان عمرا يقول لين وجده
بالعراق ليقتلنه فقال ، آليت حب العراق الدهر اطعمه
والحب ياكله فى القرية السوس ، وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال
فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين اورثوه اشعارهم ،
وهب القصائد لى النوابغ اذ مضوا ، وابو يزيد وذو القروح وجرول ،
واخو بنى قيس وهن قتلنه ، ومهلهل الشعراء ذاك الاول ،
يعنى بالنوابغ النابغة الذبيانى والجعدى ونابغة بنى شيبان ويعنى
بابى يزيد المخبل السعدى وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرء القيس
واخو بنى قيس هو طرفة ومعنى قوله وهن قتلنه يعنى القصائد التى
هجا بها عمرو بن هند ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة فى هذه القصة
هو النعمان بن المنذر وذلك اشبه بقول طرفة ،
ابا منذر كانت غرورا صحيفتى ، فلم اعطكم فى الطوع مالى ولا عرضى ،
ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا ، حنانيك بعض الشر اهون من بعض ،
وابو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد
مدح طرفة النعمان فلا يجوز ان يكون عمرو قتله ويشبه ان تكون القصة
مع النعمان مجلس آخر وكان ابو سهل بشر بن المعتمر من وجوه اهل

الكلام

الكلام ويقال ان جميع معتزلة اهل بغداد كانوا من مستجيبيه وقال
ابو القسم البلخى انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ
انه كان ابرص وحكى انه كان يوما فى مجلسه وعنده اصحابه ومعهم مجبر
يسالهم ويقول اانتم تحمدون الله على ايمانكم وهم يقولون نعم فيقول
لهم فكانه يحب ان يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك فى كتابه فيقولون له
انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعله مما لم يعن عليه ولم يدع اليه
وهو يشغب اذ اقبل ثمامة بن اشرس فقال بشر للمجبر قد سالت القوم
واجابوك وهذا ابو معن فاساله فساله عن المسئلة وقال له هل
يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمدنى عليه لانه امرنى
به ففعلته وانا احمده على الامر به والتقوية عليه والدعاء اليه فانقطع
المجبر وقال بشر شنعت فسهلت قال الجاحظ وكان بشر يقع فى ابى
الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه ابو الهذيل لان يكون
لا يعلم وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس
لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه
من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولان يكون نبيل
المنظر سخيف المخبر احب اليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو
بالنفاق اشد عجبا منه بالاخلاص ولباطل مقبول احب اليه من حق
مدفوع ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها على اصحاب المقالات وذكر الجاحظ
انه لم ير احدا اقوى على المخمس والمزدوج مما قوى عليه بشر وانه كان
اكثر فى ذلك واقدر من ابان اللاحقى وهو القائل ،
ان كنت تعلم ما اقول ، وما تقول فانت عالم ،
او كنت تجهل ذا وذاك ، فكن لاهل العلم لازم ،
اهل الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم ،
سهرت عيونهم وانت ، عن الذى قاسوه حالم ،
لا تطلبن رياسة ، بالجهل انت لها مخاصم ،

قوى من المخمس والمزدوج على ما قوى

لولا مقامهم رايت ، الدين مضطرب الدعائم

فاما ابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام فانه كان مقدمًا في العلم
بالكلام حسن الخاطر فيه شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما
اداه الى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله
وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان الرق جرى على احد آبائه
وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فساد وقال لرجل
اتعرف فلانا المجوسي فقال نعم ذاك الذي حلق وسط راسه كما يفعل
اليهودي فقال النظام لا المجوسي عرفت ولا اليهودي وصفت قال
الجاحظ وذكر النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو احلى من أمْن
بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر وطاعة
المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم وللنظام
شعر كثير صالح فمنه ، يا تاركي جسدا بغير فؤاد
اسرفت في الهجران والابعاد ، ان كان يمنعك الزيارة اعين
فادخل الي بعلة العواد ، كيما اراك وتلك اعظم منة
ملكت يداك بها مَنيع قيادي ، ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الاجساد ، وله ايضا
تامله طرفي فالم خده ، فصار مكان الوهم من نظري اثر
وصافحه كفي فالم كفه ، فمن صفح قلبي في انامله عقر
ومر بقلبي خاطرا فجرحته ، ولم ار خلقا قط يجرحه الفكر
يمر فمن لين وحسن تعطف ، يقال به سكر وليس به سكر
ويقال ان ابا العتاهية قال انشدت النظام ،
اذا هتم النديم له بلحظ ، تمشت في محاسنه الكلوم
فقال ينبغي ان ينادم هذا الاعمى قال السيد رضي الله عنه وابيات
النظام تتضمن معنى بيت ابي العتاهية ولسنا ندري ايهما اخذ من صاحبه
والنظام يكرر هذا المعنى كثيرا في شعره فمن ذلك قوله ،

استبشعت

وكان

لا مجوسيا ولا يهوديا

باعني

توهمه

نعمة

رق فلو برزت سراويله ، علقه الجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره ، ويشتكي الايماء بالطرف
وحكي ان ابا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه فقال له
الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة
فقال ابمدح ام ذم قال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل الاذى
ولا تستر ما ورا قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها قال فصف
هذه النخلة واوما الى نخلة في داره فقال ابمدح ام ذم قال بمدح قال
هي حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر اعلاها قال فذمها قال هي صعبة
المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم
منك احوج قال السيد قدس الله روحه هذه بلاغة من النظام حسنة
لان البلاغة هي وصف الشيء ذما او مدحا باقصى ما يقال فيه وشبيه
بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه للبقلة التي امتحن بهجائها واختبر
بذمها فقال فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا
والربيع بني زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه
العامريون بنو ام البنين وعليهم ابو البراء عامر بن جعفر بن كلاب
وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلاثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة
ابن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذوابة وكان الربيع
ابن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه
وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على ابي
براء واجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان
لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين
وكان الربيع اذا خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مرارا
لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا اسروه فصد النعمان عنهم حتى نزع
القبة عن ابي براء وقطع النزل فدخلوا عليه يوما فراوا منه جفاء وقد
كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا

قول

الشطاط استواء القامة وحسنها والشطط الخلاف والجدل

بالانصراف ولبيد فى رحالهم يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها
فاذا امسى انصرف بها فاتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون امر الربيع فقال
لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا اليك عنا فقال اخبرونى فلعل
لكم عندى فرجا فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا ولا اسرح لكم
بعيرا او تخبرونى وكانت ام لبيد عبسية فى حجر الربيع فقالوا له خالك
قد غلبنا على الملك واصد عنا وجهه فقال هل تقدرون على ان تجمعوا
بينى وبينه غدا حين يقعد الملك فارجز به رجزا ممضا مولما لا يلتفت
اليه النعمان بعده ابدا قالوا وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فانا
نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق
لاصقة فروعها فى الارض تدعى التربة فاقتلعها من الارض فاخذها
بيده فقال هذه البقلة التربة المقلة الرذلة التى لا تذكى نارا و لا
تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل
بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع اقصروا لبقول
فرعا واخبثها مرعى واشدها قلعا فحزبا لجارها وجدعا فالقوا بى اخا عبس
ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه من امره فى لبس فقالوا نصبح ونرى
فيك رايا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رايتموه نائما فليس امره
بشئ انما تكلم بما جرى على لسانه وان رايتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه
بابصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى اصبح فلما اصبحوا
قالوا انت والله صاحبه فحلقوا راسه وتركوا له ذوابتين والبسوه حلة
وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغذى ومعه الربيع ليس معه
غيره والدار والمجالس مملوة بالوفد فلما فرغ من الغذاء اذن للجعفريين
فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع
فى كلامهم فقام لبيد وقد دهن احد شقى راسه وارخى ازاره وانتعل
نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل فى الجاهلية اذا ارادت الهجاء
فمثل بين يديه ثم قال ، يا رب هيجا هى خير من دعه ،

كتمتم خ

ابلا خ

وصد خ

اذ

اذ لا نزال هامتى مقزعه ، نحن بنى ام البنين الاربعه ،
ونحن خير عامر بن صعصعه ، المطعمون الجفنة المدعدعه ،
والضاربون الهام تحت الخيضعه ، مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه ،
ان استه من برص ملمعه ، وانه يدخل فيها اصبعه ،
يدخلها حتى يوارى اشجعه ، كانما يطلب شيئا ضيعه ،
فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذلك انت
قال كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد
خبث على طعامى فقال الربيع ابيت اللعن اما انى قد فعلت بامه ولا
يكنى وكانت فى حجره فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة
غير فعل وانت المرء قال هذا فى ربيبته قال السيد قدس الله روحه
ووجدت فى رواية اخرى اما انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها
كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح وصدقه عليه تهجينا له ولقومه
فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد على ابى براء القبة وانصرف الربيع
الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف
الى اهله فكتب اليه انى قد تخوفت ان يكون قد وقع فى صدرك ما قال
لبيد ولست برائم حتى تبعث الى من يجردنى ليعلم من حضرك من الناس
انى لست كما قال فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا
ولا قادرا على رد ما زلت به الالسن فالحق باهلك ثم كتب اليه النعمان
فى جملة ابيات جوابا عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة ،
، قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا ، فما اعتذارك من شئ اذا قيلا ،
واخبرنا بهذا الخبر ابو عبد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن الحسن بن
دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابى عبيدة واخبرنا به المرزبانى ايضا قال
حدثنى محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح النحوى
قال اخبرنا محمد بن زياد بن زبان عن الكلبى عن عبد الله بن مسلم البكاى
وقد كان ادرك الجاهلية وفى حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم

المدعذعه خ
المدعدعة بالدالين الملآى
والذعذعة التفريق

بنيمته خ

القبح خ

ابرح خ

نات بجميع الخبر على وجهه بل اسقطنا منه ما لم نحتج اليه واوردنا ما
اوردناه منه بالفاظه قال السيد قدس الله روحه اما قوله نحن بني ام
البنين الاربعه فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم
جميعا وام البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعه بن صعصعه وكانت
تحت مالك بن جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة
وطفيل بن مالك فارس قُرزُل وهو ابو عامر بن الطفيل وقرزل فرس
كانت له وربيعة بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوذ بن مالك
معوذ الحكام وانما سمي معوذ الحكام بقوله ‹ اعود مثلها الحكام بعدى
اذا ما الحق في الاشياع نابا › وولدت عبيدة الوضاح فهولاء خمسة — نابا
وقال لبيد اربعه لان الشعر لم يمكنه من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعة
فهي المملوة واما الخيضعه فان الاصمعي يذكر ان لبيدا قال تحت الخضعه
يعني الجلبة فسرته الرواة وقيل ان الخيضعه اصوات وقع السيوف
والخيضعة ايضا البيضة التي تلبس على الراس والخيضعة الغبار والقول
يحتمل كل ذلك فاما ابيت اللعن فان اباحاتم قال سالت الاصمعي عنه
فقال معناه ابيت ان تاتي من الامور ما تلعن عليه فاما الاشاجع فهي
العروق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روي اكل يوم هامتي مقزعه
والقزع تساقط بعض الشعر او الصوف وبقاء بعضه يقال كبش اقزع — نيش
ونعجة قزعا، فاما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى
لابي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما راى
احرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق
القاضي فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قراه من اوله الى
آخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفه
فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او الصلاة اخرج الكتاب فنظر
فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه
حتى ياخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحاق فاني ما دخلت عليه قط الا

وفي

ينظر بان المعرفة طباع

وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه قال البلخي
وتفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة تحصل من الطباع وهي مع ذلك فعل
للعباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الافعال انها انما تنسب الى العباد
على انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ
احد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه
حبه لمذهبه وشغفه والفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من
المعرفة بخلافه وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان
منحرفا عن احمد بن ابي دُواد للعداوة التي كانت بين احمد ومحمد فلما
قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت ان
اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من
ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به
حتى مات وروي انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه
سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن دُواد قال والله ما علمتك
الا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة معددا للمساوي وما فتئني باستصلاحي
لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء
اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله
لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولان اسيء وتحسن
في الاحدوثة عنك خير من ان احسن فتسيء ولان تعفو عني في حال
قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال له ابن ابي دُواد قبحك الله
فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم
اصطنعت فيه النفاق والكفر يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى
فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب
وطويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال
هات الآن حديثك يا اباعثمان وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر
من تامن فانك على حذر ممن تخاف قال الجاحظ قلت لابي يعقوب

ورداءة داخلتك

الحزيمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله
قلت فلم قال لا ادري والله وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون
رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى
غرض المعنى وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة
وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني اكتب خطا رديا في
ورق ردي متقارب السطور فقال لي اما احسبك تحب ورثتك فقلت
وكيف ذاك قال لاني اراك تسيء بهم فيما تخلفه وذكر ابو العباس المبرد
قال سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه انت والله احوج الى هوان من رجل
كريم الى اكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر وقال
المبرد قال لي الجاحظ يوما اتعرف مثل قول اسمعيل بن القسم

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ، على نائبات الدهر حين تنوب — حادثات

فقلت نعم قول كثير ومنه اخذ ، فقلت لها يا عز كل مصيبة

اذا وطنت يوما لها النفس ذلت ، وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو
ابن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه ، نسب الجماز مقصور اليه منتهاه
تنتهي الاحساب بالناس ولا تعدو قفاه ، يتحاجى من ابو الجماز فيه كاتباه
ليس يدري من ابو الجماز الا من يراه ، اخبرنا المرزباني قال اخبرني علي
ابن هارون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العينا قال انشدني
الجاحظ لنفسه في الخضاب ، زرت فتاة من بني هلال

فاستعجلت الي بالسؤال ، مالي اراك قاني السبال

كانما كرعت في جريال ، ما ينبغي مثلك من امثالي

تنح قدامي ومن خيالي ، قال المرتضى رضي الله عنه كانما
كرعت في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه
وذكر ابو العينا قال حدثني ابراهيم بن رباح قال انشدني الجاحظ يمدح — دباح

بها حين اثرى باخوانه ، فقلل عنهم شباة العدم

وذكره الحزم ريب الزما ، ن فبادر بالعرف قبل الندم

قال

قال ابراهيم فذاكرت بها احمد بن ابي دواد فقال قد انشدنيها يمدحني بها
ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد انشدنيها يمدحني بها وقال يموت بن المزرع
سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل قول ابي نواس وانشد

ودار ندامى عطلوها وادلجوا ، بها اثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى ، واضغاث ريحان جني ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم ، واني على امثال تلك لحابس

ولم ادر منهم غير ما شهدت به ، بشرقي ساباط الديار البسابس

اقمنا بها يوما ويوما وثالثا ، ويوما له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح في عسجدية ، حبتها بانواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها ، مها تدريها بالقسي الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوبها ، وللماء ما دارت عليه القلانس

قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان لو نقر هذا
الشعر لطن قلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت قال السيد
قدس الله روحه اخذ ابو نواس قوله ولم ادر من هم غير ما شهدت به
بشرقي ساباط الديار البسابس ، من ابي خراش الهذلي في قوله

ولم ادر من القى عليه رداءه ، سوى انه قد سل عن ماجد محض — على من

ويقال ان ابا خراش اول من مدح من لا يعرفه وذاك ان خراش بن ابي
خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش
حين شغل القوم بقتل عروة ونجاه فلما تفرغوا له قال افلت مني — تسرعوا اليه
ويقال بل رآه في الاسر رجل من بني عمه فالقى عليه رداءه ليجيره به وقال
له النجاء ويلك فقال ابو خراش في ذلك

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا ، خراش وبعض الشر اهون من بعض

فاقسمت لا انسى قتيلا رزيته ، بجانب قوسى ما مشيت على الارض

على انها تعفو الكلوم وانما ، نوكل بالادنى وان جل ما يمضي

ولم ادر من القى عليه رداءه ، سوى انه قد سل عن ماجد محض

واخبرنا المرزباني قال حدثني ابراهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا
ابو الحسن احمد بن عمرو البردعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في
اول ما قدمت من بلدي وقد اعتلّ علته التي فلج فيها فاستاذنت عليه فخرج
الى خارج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل
فانصرفت عنه وذكر يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي
قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة وساله الفتح ذلك فوجد لا
فضل فيه فقال لمن اراد حمله وما يصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق مائل
عنك
ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل وقال المبرد سمعت
الجاحظ يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت
ومن جانب الايمن منقرس فلو مرّ به الذباب لالمت وبي حصاة لا ينسرح
لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون وقال يوما لمتطبب يشكو اليه
واشدّ ما أمر علي
علته اصطلحت الاضداد على جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان
اكلت حارا اخذ براسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين مجلس
آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك
الذين صدقوا واولئك هم المتقون فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه الى
الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبّر
عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن اي شيء كنّى بالهاء
في قوله تعالى وآتى المال على حبه واما المخصوص بانها كناية عنه وقد تقدمت
اشياء كثيرة وعلى اي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم
معطوفون على الموفين وكيف وحّد الكناية في مواضع وجمعها في اخر
فقال من آمن وآتى المال واقام الصلاة ثم قال والموفون والصابرين

يقال له فيما ذكرناه اولا جوابان احدهما انه تعالى اراد ليس الصلاة
هي البر كله ولكنه ما عدد في الآية من ضروب الطاعات وصنوف
الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد احرزتم
البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره
والجواب الثاني ان النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت
المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلاة اليهما
انها بر وطاعة خلافا على الرسول صلى الله عليه وسلم كذبهم الله تعالى
في ذلك وبين ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا بشريعة النبي صلى
بذلك
الله عليه وسلم التي تلزم الاسود والابيض والعربي والعجمي وان البر
هو ما تضمنته الآية فاما اخباره عن البر بمن ففيه وجوه ثلاثة اولها
ثلاثة وجوه
ان يكون معنى البر ههنا البار وذا البر وجعل احدهما في مكان الآخر
والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قول الله تعالى
ان اصبح ماؤكم غورا يريد غائرا ومثل قول الشاعر
الخنسا
ترتع ما رتعت حتى اذا ادّكرت ، فانما هي اقبال وادبار
اراد انها مقبلة ومدبرة ومثله ، تظل جيادهم نوحا عليهم
مقلدة اعنتها صفونا ، اراد نائحة عليهم ومثله
هريقي من دموعهما سجاما ، ضباع وجاوبي نوحا قياما
والوجه الثاني ان العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر
بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى ولكن البر من آمن
بالله وقول العرب انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا واما اخبارهم
عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر
لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ، ولكنما الفتيان كل فتى ندي
فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه الثالث ان يكون
المعنى ولكن البر بر من آمن بالله فحذف البر الثاني واقيم من مقامه
كقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اراد حب العجل قال الشاعر

، وكيف تواصل من اصبحت ، خلالته كابي مرحب ، اراد كخلالة
ابي مرحب وقال النابغة ، وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ،
على وعل في ذي المطارة عاقل ، اراد على مخافة وعل وتقول العرب
بنو فلان يطاهم الطريق اي اهل الطريق وحكي عن بعضهم اطيب الناس
الزبد اي اطيب ما ياكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صباحي زيدا
اي صباح زيد وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ليس على الاعمى
حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج وفي قوله تعالى ورابعهم كلبهم
قال صاحب كلبهم وذكروا انه كان راعيا تبعهم فاما ما كني عنه بالهاء ،
في قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى ففيه وجوه اربعة اولها
ان تكون الهاء راجعة الى المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى
المال على حب المال واضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول
القائل اشتريت طعامي كاشتراء طعامك والمعنى كاشترائك طعامك
والوجه الثاني ان تكون الهاء راجعة على من آمن بالله فيكون المصدر
مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه والوجه
الثالث ان ترجع الهاء على الايتاء الذي دل عليه آتى والمعنى واعطى
الى
المال على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي ،
، هم الملوك وابناء الملوك لهم ، والآخذون به والساسة الاول ،
فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ومثله قول الشاعر ،
، اذا نهي السفيه جرى اليه ، وخالف والسفيه الى خلاف ،
الخلاف
اراد جرى الى السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع ان
تكون الهاء ترجع الى الله تعالى لان ذكره قد تقدم فيكون المعنى وآتى
المال على حب الله تعالى ذوي القربى واليتامى فان قيل اي فائدة في ذلك
وقد علمنا الفائدة في ايتاء المال مع محبته والضن به وان العطية تكون
اشرف وامدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة
عندكم هي الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد قلنا اما المحبة عندنا

فهي

فهي الارادة الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا او توسعا
فيقولون فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه ولا يقولون زيد يريد عمرا
بمعنى انه يريد منافعه لان التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار
في المحبة دون الارادة وان المعنى واحدا وقد ذكر ان لقولهم زيد يحب
عمرا مزية على قولهم يريد منافعه لان اللفظ الاول ينبئ عن انه لا يريد
الا منافعه وانه لا يريد شيئا من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فحصلت
له مزية وعلى هذا نصف الله سبحانه بانه يحب اولياءه والمومنين من
عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال
والنعم فاما وصف احدنا بانه يحب الله تعالى فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه
وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد
بعضهم بعضا لاستحالة المنافع عليه ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا
يصح فيه ان يكون محبا له على هذا المعنى لانه باعتقاده ذلك فيه قد
خرج من ان يكون عارفا به فمحبته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه
اليه كما نقول في اصحاب التشبيه انهم اذا عبدوا من اعتقدوه الها
فقد عبدوا غير الله تعالى فاما الفائدة في اعطاء المال مع محبة الله
تعالى فهي ظاهرة لان الاعطاء متى قارنته ارادة وجه الله تعالى وعبادته
وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل
ثوابا وكان ضائعا وتاثير ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن
به لان المحب للمال الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به الطاعة
والعبادة والقربة لم يستحق به شيئا من الثواب وانما يوثر حبه للمال
في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو
تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لا يستحق الثواب
وهذا الوجه لم يسبق اليه في هذه الآية وهو احسن مما قيل فيها وقد
تُسبق له في الآية
ذكر فيها وجه آخر وهو ان تكون الهاء راجعة الى من آمن ايضا وينتصب
ذوي القربى بالحب ولا يجعل لآتى منصوب لوضوح المعنى ويكون

في حال على حبه

تقدير الكلام واعطى المال على حال حبه ذوى القربى واليتامى على حال
محبته اياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التى وقع
عنها السوال وانما يبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوى القربى بالحب
وذلك غير ما وقع السوال عنه والاجوبة الاول اقوى واولى فاما قوله
تعالى والموفون ففى رفعه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح
لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون
المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا اجود الوجهين والوجه
الآخر ان يكون معطوفا على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوى
البر المومنون والموفون بعهدهم فاما نصب الصابرين ففيه وجهان احدهما
المدح لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها (فيها)
بالمدح او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم ويفردوه فيكون غير متبع
لاول الكلام من ذلك قول الخرنق ابنة بدر بن هفان

لا يبعدن قومى الذين هم ، سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ، والطيبين معاقد الازر

فنصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على ان يتبع آخر الكلام اوله
ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين
وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك
قول الشاعر انشده الفرا ، الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الراى حين تعم الامور ، بذات الصليل وذات اللجم
فنصب ليث الكتيبة وذا الراى على المدح وانشد الفرا ايضا
فليت التى فيها النجوم تواضعت ، على كل غث منهم وسمين
غيوث الحيا في كل محل ولزبة ، اسود الشرى يحمين كل عرين
ومما نصب على الذم قوله ، سقونى الخمر ثم تكنفونى
عداة الله من كذب وزور ، والوجه الآخر في نصب الصابرين
ان يكون معطوفا على ذوى القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه

ذوى

ذوى القربى والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون
والموفون رفع على المدح للمضمرين لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد (رفعا)
العطف على الموصول وكان يقوى الوجه الاول فاما توحيد الذكر في
موضع وجمعه في آخر فلان من امن لفظه لفظ الوحد وان كان في المعنى
للجمع فالذكر الذى الى بعد موحدا لانه اجرى على اللفظ وما جاء من (في)
الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين
فعلى المعنى وقد اختلفت قراءة القراء السبعة ورفع الراء ونصبها من
قوله تعالى ليس البر فقرا عاصم وحمزة في رواية حفص ليس البر بنصب
الراء وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرا بالنصب والرفع
وقرا الباقون البر بالرفع والوجهان جميعا حسنان لان كل واحد من
الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافا في جواز
كون احدهما اسما والآخر خبرا كما تكافا النكرات وحجة من رفع البر
انه لان يكون البر الفاعل اولى لان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد
الفعل اولى من كون المفعول بعده الا ترى انك اذا قلت قام زيد فان
الاسم يلى الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام
التاخير فلولا ان الفاعل خص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في
الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز في الفاعل تقدير التاخير كما
جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب
البر ان يقول كون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف
كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان
يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر
حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال
اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمى الكاتب قراءة عليه قال املى
علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوى ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابى
قال قال ابن الكلبى لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير

النمر بن قاسط فقال لهم انى قد جاورتكم واخترتكم فزوجونى امرأة قد اذبها الغنى واذلها الفقر فى حسب وجمال فزوجوه ظبية ابنة الكيس النمرى وقال لهم ان فى خلالا ثلاثا انى غيور وانى فخور وانى أنِف ولستُ افخر حتى أبدا ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل عنهم قال انى موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصه وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المساله ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى وخلط الضيف بالعيال وانهاكم عن الرهان فانى به ثكلت مالكا اخى والبغى فانه قتل زهيرا ابى وعن الاعطاء فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف فى الدماء فان يوم الهباءة الزمنى العار وعليكم بمنع الحرم الا من الاكفاء فان لم تصيبوا لهن الاكفاء فان خير مناكحها القبور او خير منازلها واعلموا انى كنت ظالما مظلوما ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا اخى وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له قال المرتضى قدس الله روحه اما قوله انهاكم عن الرهان فاراد المراهنة فى سباق الخيل وذلك ان قيس بن زهير راهن حذيفة ابن بدر الفزارى على فرسه داحس والغبراء وفرسى حذيفة الخطار والحنفاء وقال بعض بنى فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها لذلك وانما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من بنى عبس والخبر فى شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من واردات الى ذات الإصاد وجعلوا القصبة فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعيد يقال له حصين ويد رجل من بنى العُشراء من بنى فزارة وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى الذى ارسلت الخيل منه ينظران اليها والى خروجها فلما ارسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك

فانه

الاياى

يا قيس

يا قيس فقال قيس ترك الخداع من اجرى من مائة يعنى من مائة غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعل خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس فقال قيس جرى المُذكيات غلاب فارسلها مثلا والمُذكيات المسان من الخيل وذوى غلاء اى كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال قيس رُويد يعلون الجَدَد فارسلها مثلا ويروى يعدون الجدد اى يصعدن الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة اكمنوا بالثنية كمينا لينظروا فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهى خلفه مُصلية حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر فى آثارها فجعل يبددها فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسهم وجرى من الخلاف فى آخر السبق ما قد شرحته الرواة وقد قيل فى بعض الروايات ان الرهان والسباق كان بين حَمَل بن بدر وبين قيس وفى ذلك يقول قيس ، كما لاقيتُ من حَمَل بن بدر ،
، واخوته على ذات الإصاد ، هُمُ فخروا على بغير فخر ،
، وردوا دون غايته جوادى ، وقد دلفوا الى بفعل سوء ،
، فالفونى لهم صعب القياد ، وكنت اذا مُنيت بخصم سوء ،
، دلفت له بداهية نآد ، ثم ان قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بنى فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسى دية عوف بن بدر مائة عُشراء مُتلية ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال له مُلك وان حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد حمل دية مائة عُشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقاطه

اى ان المسان لا تدارى كما تدارى الصغار ولا تعطى المشى الا على المغالبه والمعاسره

المغالات الرمى فى الطول

الجدد الارض الصلبة والوعث المكان السهل

تمطر اسرع

بنو عبس فرسيها

والسَبق السبق المال المخاطر عليه

الدلوف اصله تقارب الخطو مثل مشى الشيوخ ولا يستعمل الا فى الذم

العُشراء الناقة التى يا تى على حملها عشرة اشهر فيكون اقوى لولدها وجمعها عشار ومتلية اى تتلوها اولادها

اللقاطه

قريبا من الحاجر ونكح امراة يقال لها مُليكة بنت حارثة من بني غراب بن فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع ابن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقفت على الخبر قالت

نام الخلي وما اغمض حار ❊ من سيّئ النبا الجليل السارى

من مثله تمشي النساء حواسراً ❊ وتقوم معولة مع الاسحار

من كان مسروراً بمقتل مالك ❊ فليات نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ❊ يضربن اوجههن بالاحجار

قد كن يخبان الوجوه تسترا ❊ فاليوم حين برزن للنظار

افبعد مقتل مالك بن زهير ❊ ترجوا النساء عواقب الاطهار

ما ان ارى في قتله لذوي الحجى ❊ الا المطي تشد بالاكوار

ومجنبات ما يذقن عُذوفة ❊ يقذفن بالمهرات والامهار

ومساعر اصدا الحديد عليهم ❊ فكانما طُلي الوجوه بقار

فاما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي ابي قيس فاختلفت الرواية في سببه فيقال ان هوازن بن منصور كانت تؤتي الاتاوة زهير بن جذيمة ولم يكثر عامر بن صعصعة بعدُ فهم اذل من يدٍ في رحم فاتت عجوز من هوازن الى زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت اليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعّها اى دفعها بقوس في يده عُطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته الى ما كان في صدرها وكانت يومئذ قد امرت بنو عامر بن صعصعة اى كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعي هذه وراء عنقه حتى أُقتل او يُقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر

اريغوني اراغتكم فاني ❊ وحذفة كالشجا تحت الوريد

مقربة اواسيها بنفسي ❊ والحفها ردائي في الجليد

لعل الله يمكنني عليها ❊ جهاراً من زهير او اسيد

فاما

منى

ولم

تمشي الاسفار

بالاحجار

بدون

عطل بلا وتر

صدورها

من وراء

بذى

فاما تثقفوني فاقتلوني ❊ فمن اثقف فليس الى خلود

ويقال بل كان السبب في ذلك ان زهير بن جذيمة لما قتل في غنى من قتل بابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يا زهير اما آن لك ان تشتفي وتكف بعض ما قتلت بشاس فاغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم امكن يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم اعتنى عليه فقال زهير اللهم امكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلّ بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير قال انتم والله الذين لا علم لهم ثم اجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله واتفق نزول زهير بالقرب من ارض بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امراة زهير بن جذيمة وام ولده فمر بها اخوها الحرث ابن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه ان هذا الحمار لطليعة عليكم فاوثقوه فقالت اخته لبنيها ايزوركم خالكم فتوثقونه وقالت تماضر لاخيها الحرث انه ليريبني اكيناتك وقرونك الاكينان الغنم والقروت السكوت فلا ياخذن فيك ما قال زهير فانه رجل بيذارة غيذارة شنوءة قال الاثرم البيذارة الكثير الكلام والغيذارة السيئ الخلق ثم حلبوا له وطباً واخذوا منه يمينا ان لا يخبر عليهم ولا ينذر بهم احدا فخرج الحرث حتى اتى بني عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر والقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال ايتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال القوم هذا رجل ماخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن فاذا هو حلو لم يقرص بعدُ فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكبا فرسه حذفة فلقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير ببنيه فاقبل اليه ورقاء يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم يغن شيئا وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جُندُج راس زهير فقتله وفي

من لبن

عنهم

به

فشد

ذلك يقول ورقاء بن زهير ، رايت زهيرا تحت كلكل خالد ،
فاقبلت اسعى كالعجول ابادر ، فشلت يميني يوم اضرب خالدا ،
ويستره عني الحديد المظاهر ، فياليت اني قبل ضربة خالد ، ويمنعه
ويوم زهير لم تلدني تماضر ، فاما خبر الهباءة فان بني عبس وبني
فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا وللخبر هم
شرح يطول معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبردوا فيه
فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فاين العقول واين الاحلام
فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق ماثور القول بعد اليوم
فارسلها مثلا وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحارث بن
زهير حملا واخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير اخيه وكان حمل
ابن بدر اخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك ،
، تعلم ان خير الناس ميت ، على جفر الهباءة لا يريم ،
، ولولا ظلمه مازلت ابكي ، عليه الدهر ما طلع النجوم ،
، ولكن الفتى حمل بن بدر ، بغى والبغي مرتعه وخيم ، مصرعه
، اظن الحلم دل على قومي ، وقد يستجهل الرجل الحليم ،
، ومارست الرجال ومارسوني ، فمعوج علي ومستقيم ،
، وقال قيس ايضا ، شفيت النفس من حمل بن بدر ،
، وسيفي من حذيفة قد شفاني ، فان اك قد بردت بهم غليلي ،
، فلم اقطع بهم الا بناني ، مجلس آخر تاويل آية ان سال
سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال اي وجه لتشبيه الذين
كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة
وقلة التامل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا متاملا محصلا
يقال له في هذه الآية خمسة اجوبة اولها ان يكون المعنى مثل واعظ اجوبة خمسة
الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق

بالغنم

بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين
كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وسلم ودعاءه
وانذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تامله فيكونون بمنزلة
من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وجائز ان يقوم قوله
الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان يخاف
كخوف الاسد والمعنى كخوفه الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في
المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر ، فلست مسلما مادمت حيا ،
، على زيد بتسليم الامير ، اذ كراذ لحافك جلد شاة ،
، واذ نعلاك من جلد البعير ، فسبحان الذي اعطاك ملكا ،
، وعلمك الجلوس على السرير ، اراد بتسليمي على الامير ونظائر ذلك
كثيرة والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم
التي لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق
وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت
الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى وانتصب الحرباء على العود
فجاز التقديم والتاخير لوضوح المعنى وانشد الفراء ،
، ان سراجا لكريم مفخره ، تحلى به العين اذا ما تجهره ، معناه
يحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفراء ايضا ، كانت فريضة ما تقول كما
، كان الزناء فريضة الرجم ، المعنى كما كان الرجم فريضة الزناء وانشد
ايضا ، وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ، على وعل في ذي المطارة عاقل ،
اراد تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله ، كان لون ارضه سماؤه ،
اراد كان لون سمائه ارضه ومثله ، ترى الثور فيها مدخل الظل راسه
، وسائره باد الى الشمس اجمع ، اراد مدخل راسه الظل وقال الراعي
، فصبحته كلاب الغوث يوسدها ، مستوضحون يرون العين كالاثر ، استوضح الرجل اذا وضع يده على جبينه للنظر الى الشيء
يريد انهم يرون الاثر كالعين وقال ابو النجم ،
، قبل دنو الافق من جوزائه ، فعلب وقال العباس بن مرداس

فديت بنفسه نفسي ومالي ، ولا آلوك الا ما اطيق ، اراد فديت
بنفسي نفسه وقال ابن مقبل ، ولا تهيبني الموماة اركبها ،
، اذا تجاوبت الاصداء بالسحر ، اراد ولا اتهيب الموماة وهذا كثير
جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا او مثلهم
ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق اي مثلهم في الاعراض ومثلنا في الدعاء
والتنبيه والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول
ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى
بذكر الحر من البرد كما قال ابو ذويب ، عصيت اليها القلب اني لامره ،
، مطيع فما ادري ارشد طلابها ، اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر
الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان يكون المراد ومثل الذين
كفروا في دعائهم الاصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى وهي لا تعقل
ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع
صوته جملة والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان بينعق و الا توكيد
للكلام ومعناها الالغاء قال الفرزدق ،
، هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم ، وضحوا بلحم من محل ومحرم ،
والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى
ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم اياها
كمثل الراعي الذي ينعق بغنمه ويناديها فهي تسمع دعاءه ونداءه ولا تفهم
معنى كلامه فشبه ما يدعوه الكفار من المعبودات دون الله تعالى بالغنم
من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهم ولا نفع عندها فيه ولا مضرة وهذا
الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لان الاول
يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة ويجب ان يكون
مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب
يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمها والاصنام من
حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها ومناديها اسوء حالا

من

من منادي الغنم ويصح ان ينصرف الى الغنم وما اشبهها مما يسمع ولك في
السماع ويخالف في الفهم والتمييز وقد اختلف الناس في ينعق فقال
اكثرهم لا يقال نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم
نعق ينعق بالغنم والابل والبقر والاول اظهر في كلام العرب قال الاخطل
، فانعق بضانك يا جرير فانما ، منتك نفسك في الخلاء ضلالا ،
وقال ايضا نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة اذا صاح من غير ان
يمد عنقه ويحركها فاذا امدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال ايضا
نعب الفرس ينعب نعبا ونعيبا ونعبانا وهو صوته ويقال فرس منعب
اي جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة تاويل خبر روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه خرج مع اصحابه الى طعام دعوا له فاذا ابا الحسين
وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يضاحكه ثم اخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى
تحت قاس راسه واقنعه فقبله وقال انا من حسين وحسين مني احب
الله من احب حسينا حسين من الاسباط قال السيد قدس الله روحه
استنتل تقدم يقال استنتل الرجل استنتالا وابرنتا ابرنتاء وابرنذع
ابرنذاعا اذا تقدم هكذا ذكره ابو بكر بن الانباري ووجدت بعض
المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال تقول استنتلت الامر استنتالا
اذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل اشرف
والمعاني تتقارب والخبر يليق بكل واحد منها وحكى هذا الرجل في كتابه
الذي ذكرناه ابرنتا وابرنذع ايضا انه من الاستعداد فاما السكة فهي
المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى طفق ما زال قال الشاعر ،
، طفقت تبكي واسعدها ، فكلانا ظاهر الكمد ، وقاس الراس طرف
القمحدوة المشرف على القفا ومعنى اقنعه رفعه هكذا ذكر ابن الانباري
وقال غيره اقنع ظهره اذا اطاه ثم رفعه برفق فاما الاسباط فاصلها

ولد

في ولد اسمعيل عليه السلام كالقبائل في بني اسمعيل عليه السلام وقال
ابن الانباري هم الصِبية والصبوة بالياء والواو معًا حدثنا ابو القسم
عبيد الله بن عثمان قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه
قال املا علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلبٌ وقال اخبرنا ابن الاعرابي
انه قيل لابنة الخُسّ ما مائة من المعز قالت مويل يشفُّ الفقر من
ورائه مالُ الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضان قالت
قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومُنى الرجال
قيل لها فما مائة من الخيل قالت طغى عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة
من الحمر قالت عازبة الليل وخزي المجلس لا لبن فيُحلب ولا صوف فيجتز
ان ربط عيرها دلّى وان ارسلته ولّى وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي
قال قيل لابنة الخُسّ والخُسف والخُصّ قال كل ذلك يقال ما احسن شئ
قالت غادية في اثر سارية في نَجخاءَ قاوية قال نجخا ارض مرتفعة لان النبات
في موضع مشرف احسن وقالوا ايضا نخا اي رابية ليس بها رمل ولا حجارة
قال والجمع النفاخي ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان السيل
يصرع الشجر فيقذفه في الاودية ثم يلقي عليه الدمن قال السيد قدس
الله روحه ومما يدل على ان نبت الرابية احسن قول الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة ، خضراء جاد عليها مسبل هطل

وقول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ، يمج الندى جثجاثها وعرارها

فخصّا الحزن للمعنى الذي ذكرناه
وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جانا بطعام لا يُنادى
وليدُه اي جا بطعام كثير لا تُراد فيه زيادة ووقع في امر لا ينادى وليدُه
يقول لا يدعى له الصبيان ولا يستعان الا بكبار الرجال فيه قال السيد
قدس الله روحه وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله
من الشدة تصيب القوم حتى تذهل الامّ عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه
ثم صار مثلا لكل شدة ولكل امر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال

ادلى

نَجْخاً، فَنَجاً

فيدقه

اصله

اصله من الكثرة والسعة فاذا اهوى الوليد الى شئ لم يزجر عنه حذر
الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلا لكل كثرة قال الفراء وهذا القول
يستعار في كل موضع يراد به الغاية وانشد

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد ، شرائع جود لا يُنادى وليدُها

وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل وَدْقة الاسدي على
معن بن زائدة الشيباني فقال ان رايت اكرمك الله ان تضعني من نفسك
بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو اعفاني الله منها
بكرمك من تنصُّف الرجال بعدك لم يكن كثيرا واني قد قدمت الرجاء
واحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم انشا يقول

يا معن انك لم تنعم على احد ، فشاب نعماك تنغيص ولا كدر
فانظر الي بطرف غير ذي مرض ، فربما صح لي من طرفك النظر
ايام وجهك لي طلق يخبر لي ، اذا سكت بما تخفي وتضطمر
ومن هواك شفيع ليس يغفلني ، وان نايت وان قلت بي الذِكر
قد كنت اثرت عندي مرة اثرا ، فقد تقارب يعفو ذلك الاثر
فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره ، واجمع بفعلك ما قد كاد ينتشر
ما نازع العسر في اليسر مذ علقت ، كفي بحبلك الاظفر اليسر
وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير ، بان يدال لطول الجفوة العسر
وايما كان من عسر وميسرة ، فان حظك فيه الحمد والشكر

فقال معن وما كنا اعطيناك شيئا قال لا قال اما الذهب والفضة فليسا
عندنا ولكن هات تختا من ثيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان تحمل اليه
بابن عياش وحبيب بن بُديل فاعطاهما معه تختين وقال لعوضتني يا
ودقة تختي ثياب قال السيد قدس الله روحه وكان معن بن زائدة
جوادا شجاعا شاعرا ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله
ابن زائدة بن مطر بن شريك ابي عمرو ومطر هو اخو الحوفزان بن شريك
وكان معن من اصحاب ابن هُبيرة فلما قتل رثاه فقال

النصف الخدمة لا تنصفه اذا خدمه والنصيف الخادم

الذكر والذى والذكرة بمعنى واحد والذكر جمع الذكرة

الا ان عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بايدي ماتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما ... اقام به بعد الوفود وفود
فانك لم تبعد على متعهد ... بلى كل من تحت التراب بعيد

اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال اخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القسم بن مهرويه قال حدثني ابو يزيد الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زائدة من اصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستتراً حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فاخذ لجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له وتفرقوا عنه قال له من انت ويحك قال انا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على ان قال لك

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان
ان عد ايام الفعال فانما ... يوماه يوم ندى ويوم طعان

قال كلا يا امير ولكني اعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلما ... بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

قال احسنت يا معن وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويلك ما الظن ما يقال فيك من ظلمك لاهل اليمن واعتسافك اياهم الاحقا قال وكيف ذاك يا امير المومنين قال بلغني انك اعطيت شاعرا كان يلزمك الف دينار وهذا من السرف الذي لا شي مثله فقال يا امير المومنين انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه علي وقصده الي وملازمته لي قال فجعل ابو جعفر ينكت بقضيب في الارض ولم يعاوده القول واخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي سعيد الوراق عن خالد بن

وفضالات

يزيد

يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمنقار من اهل خراسان وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم قال فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل عليه فقال لست باشرفهم فتكون في اولهم ولا باخسهم نسبا فتكون في آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة قد اسدلتها من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال الي فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا امير المومنين تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فاعدت عليه القول فما زال يستعيدني حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعا واسفر لونه وقال يا معن ان باليمن هنات قلت يا امير المومنين ليس لمكتوم راي وهو اول من ارسلها مثلا فقال انت صاحبي فاجلس قال فجلست فامر الربيع باخراج كل من كان في الدار وخرج الربيع فقال ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية واني اريد ان آخذه اسيرا ولا يفوتني شي من ماله قلت ولني اليمن واظهر انك قد ضممتني اليه ومر الربيع ان يزيح علتي في كل ما احتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه باسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن فازح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمس الا وهو راحل ثم قال ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال يا معن اعزز علي ان تضم الى ابن اخيك قال فقلت له انه لا غضاضة على الرجل ان يضمه سلطانه الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا وقرات عليه العهد وقعدت

اسمي

والكراع في البقر والغنم بمنزلة الوظيف في الفرس وهو مستدق الساق يذكر ويونث
٥

فى مجلسه وروى عمرو بن شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة ابن
ابى عاصية وابن ابى حفصة والضمرى فقال لينشد كل واحد منكم اميح
بيت قاله فىّ فانشد ابن ابى حفصة ، مسحت ربيعة وجه معن سابقا ،
، لما جرى وجرى ذوو الاحساب ، فقال له معن الجواد يعثر فيمسح
وجهه من الغبار وقيل من العثار وغيرهما وانشد الضمرى ، ،
، انت امرؤ همك المعالى ، ودلو معروفك الربيع ،
، وشانك الحمد تشتريه ، يشيعه عنك من يشيع ،
فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمّنى ولم تذكرنى فمن شاء انتحله
وانشد ابن ابى عاصية ، ان زال معن بنى زياد لم يزل ،
، لذى الى بلد بغير مسافر ، ففضله عليهم وروى انه اُتى معن
ابن زائدة بثلثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا
شيبان نناشدك الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم فلما شربوا قال يا
اخا شيبان نناشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم وذكر احمد
ابن كامل ان الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان فى سنة احدى
وخمسين ومائة وروى ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المامون فقال
له يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم قال امير المؤمنين من اشعر الناس
اعرف بهذا منى قال على حال قال عبد الله اشعرهم الذى يقول فى معن بن زائدة
، ايا قبر معن كنت اول حفرة ، من الارض خطّت للسماحة مضجعا ،
، ايا قبر معن كيف واريت جوده ، وقد كان منه البر والبحر مترعا ،
، بلى قد وسعت الجود والجود ميّت ، ولو كان حيًّا ضقت حتى تصدّعا ،
والابيات للحسين بن مطير الاسدى وهى تزيد على هذا المقدار واولها
، أَلِمّا على معن فقولا لقبره ، سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا ، ومنها ألمّا على معن ثم قولا
، فتى عيش فى معروفه بعد موته ، كما كان بعد السيل مجراه مرتعا ،
، ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ، واصبح عرنين المكارم اجدعا ،
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل فقال ما الوجه فى قوله تعالى ان

الذين

الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفى موضع آخر
وقتلهم الانبياء بغير حق وظاهر هذا القول يقتضى ان قتلهم قد يكون
بحق وقوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى الله
الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر
به وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وقوله لا يسئلون الناس الحافا
والسوال عن كل هذه الآيات من وجه واحد وهو الذى تقدم الجواب
ان للعرف فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا
مشهورا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم بذلك المبالغة فى
النفى وتاكيده فمن ذلك قولهم فلان لا يُرجى خيره ليس يريدون ان فليس
فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه لم يُرَ
ومثله فلان قل ما رايت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لا يُرى
قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس ، على لاحب لا يُهتدى بمناره ،
، اذا ساقه العَوْدُ الديافى جرجرا ، يصف طريقا واراد بقوله
لا يهتدى بمناره انه لا منار له فيهتدى بها والعَوْد المسن من الابل
منسوب الى دياف قرية بالشام معروفة وساقه شمّه والجرجرة مثل
الهدير وانما اراد ان العود اذا شمّه عرفه فاستبعد وذكر ما يلحقه
فيه من المشقة فجرجر لذلك قال ابن احمر ، لا يُفزع الارنبَ اهوالها لا تفزع الارنبَ اهوالها
، ولا ترى الضب بها ينجحر ، اراد ليس بها اهوال فتفزع الارنب
وقال النابغة ، يحفّه جانبا نيق وتتبعه ، مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
اراد ليس بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس ، ،
، وصمّ حوامٍ ما يقين من الوجى ، كان مكان الردف منه على رال ،
يصف حوافر فرسه وقوله ما يقين من الوجى فالوجى هو الحفا وقين
اى يتوقين يقال وقى الفرس اذا هاب المشى فاراد انه لا وجى بحوافره
فيتهيبن الارض من اجله والرال فرخ النعام وشبه اشراف عجزه
بعجز الرال وقال الآخر ، لا يغمز الساق من اين ولا وصب ، ومن وصب

« ولا بعض على شر سوفه الصفر » اراد ليس بساقه اين ولا وصب
ينغزها من اجلها وقال سويد بن ابي كاهل » من اناس ليس في اخلاقهم
« عاجل الفحش ولا سوء الجزع » ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا
ولا جزعا غير سيئ وانما اراد نفي الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثل
ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنا لا نفي
الاسراع حسب وقال الفرزدق وهو يهجو بني جعفر بن كلاب ويعيرهم
بقتلى منهم اصيبوا في بعض حروبهم فحملت النساء هولاء القتلى حتى اتين
بهم الحي » ولم تات عير اهلها بالذي اتت » به جعفرا يوم الهضيبات عيرها
« اتتهم بعير لم تكن هجرية » ولا حنطة الشام المزيت خميرها »
يعني ان العير انما تحمل التمر والطعام الى الحي فحملت عير هولاء القوم القتلى
وقوله لم تكن هجرية اي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا
حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خميرها
زيت لكنه اراد انها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة وما يجعل
في خميرها من الزيت وعلى هذا تاويل الآيات التي وقع السوال عنها لانه
تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على ان قتلهم لا يكون الا
بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه من الصفة وهي وقوعه
على خلاف الحق وكذلك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به انما
هو وصف لهذا الدعا وانه لا يكون الا عن برهان وقوله تعالى الله الذي
رفع السموات بغير عمد ترونها وجهه ايضا انه لو كان هناك عمد لرايتموه
فاذا نفى روية العمد نفى وجود العمد كما قال لا يهتدى بمناره اي لا منار
له من حيث علم انه لو كان له منار لاهتدي به فصار نفي الاهتدا بالمنار
نفيا لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به تغليظ وتاكيد
في تحذيرهم من الكفر وهو ابلغ من ان يقول ولا تكفروا به ويجري مجرى
قولهم فلان لا يسرع الى الخنا وقل ما رايت مثله اذا اراد وابه تاكيد نفي
الخنا ونفي روية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى لا يسالون الناس الحافا

معناه

معناه لا مسالة تقع منهم ومثل الاول ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا والقاتق
ان كل ثمن لها لا يكون الا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن
وهذا واضح بحمد الله ومنه باب في ذكر شيء من اخبار المعمرين واشعارهم
ومستحسن كلامهم احد المعمرين الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد
ابن مالك بن أُدد المذحجي ومذحج هي ام مالك بن أدد نسب ولده
مالك اليها وانما سميت مذحجا لانها ولدت على اكمة تسمى مذحجا واسمها
مدلة بنت ذي منهجشان قال ابو حاتم السجستاني اجمع الحرث بن كعب
بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد اتى علي ستون وماية سنة ما صافحت
بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا
كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر واني لعلى
دين شعيب النبي عليه السلام وما عليه احد من العرب غيري وغير اسد
ابن خزيمة وتميم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه
يكفكم المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار
ويوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وان
موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن وكل جمع الى
تباين الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة
ويوم عبرة والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء
وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا
انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم وآفة
العدد اختلاف الكلمة التفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة
الدخول فيها العمل السوء يزيل النعما وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك
الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب
البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد لزوم الخطيئة يعقب البلية سوء
الرعة يقطع اسباب المنفعة الضغائن تدعو الى التباين ثم انشا يقول »
« اكلت شبابي فافنيته » وافنيت بعد دهور دهورا »

همجنشان مجنشان
صرفان فصرف ثك
يمنع

ثلاثة اهلين صاحبتهم ، فبادوا واصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسيرا لقيا ، م قد ترك الدهر خطوي قصيرا
ابيت اراعي نجوم السما ، اقلب امري بطونا ظهورا

قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة هي رقة الحب والكنة هي امراة الاخ الرجل وامراة ابن اخيه فاما المومسة فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تطرح عنك قناعها اي لم تتبذل وتتبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله فيوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون الا من امر محزن مولم فاما الافن فهو الحمق يقال رجل افين اذا كان احمق ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي على افن الافين اي وجدان المال يغطي على حمق الاحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة فاما قوله النصيحة نجر الفضيحة فيشبه ان يكون معناه ان النصيح اذا نصح من لا يقبل نصيحته ولا يصغي الى موعظته فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون صدره فاما سوء الرعة فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع اذا كان حسن الطريقة ومن المعمرين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاله وهو

ينش الماء في الربلات منها ، نشيش الرضف في اللبن الوغير

الربلات واحدتها ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كانه على الرضف واللبن الوغير لبن تلقى عليه حجارة محماة ثم يشرب اخذ من وغرة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر ومنه وغر صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب او حقد وقال اصحاب الانساب عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين سنة وادرك الاسلام او كاد يدرك اوله وقال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال ، ولقد سئمت من الحياة وطولها

وعمرت من عدد السنين مئينا ، مائة اتت من بعدها مائتان لي

وازددت

وازددت من عدد الشهور سنينا ، هل ما بقا الا كما قد فاتنا
يوم يكر وليلة تحدونا ، وهو القائل
اذا ما المرء صم فلم يكلم ، واودى سمعه الا ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه ، كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه ، من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا ، ولا يشفى من المرض الشفايا

اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز ان يريد انه لم يكلم للناس من استماعه فاعرض عن خطابه لذلك وقوله اودى سمعه الا ندايا اراد ان سمعه هلك الا انه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه قد تناهى الى ملاعبة الصبيان وانسهم به ويشبه ان يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا اي يصيدها والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب افعى فيخرج اليه فياخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب وقال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا ابت هذا الحرش فقال هذا اجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيفان السم والعظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة ومن المعمرين دريد بن زيد بن نهد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن مرة بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دريد بن زيد اربعمائة سنة وستا وخمسين سنة قال ابن دريد لما حضرت دريد ابن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا تعد العرب معمرا الا من عاش مائة سنة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه اوصيكم بالناس شرا

لا ترحموا لهم عبرةً ولا تقيلوهم عثرة قصّروا الاعنة وطوّلوا
الاسنة اطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل
المناجزة والمرء يعجز لا المحالة بالجدّ لا بالكدّ التجلّد ولا التبلّد والمنيّة
ولا الدنية لا تأسوا على فات وان عز فقده ولا تحنوا الى ظاعن
وان أُلف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكوننّ لكم
المثل السوء ان الموصّين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا
على برحب الارض وما ذلك بمؤد الى روحها ولكن راحة نفس خامرها
الاشفاق ثم مات قال ابو بكر بن دريد في حديث آخر انه قال
اليوم يُبنى لدريد بيته ، يا رب نهب صالح حويته ، ورب قرن بطل اردينه
ورب غيل حسن لويته ، ومعصم مخضب ثنيته ، لو كان للدهر بلىً ابليته
او كان قرني واحدا كفيته ، ومن قوله ، القى على الدهر رجلا ويدا
والدهر ما اصلح يوما افسدا ، يفسد ما اصلحه اليوم غدا
قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا معنى الشزر ان يطعنه من احدى
ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر
بمؤخر العين وقال الاصمعي يقال نظر الى شزرا اذا نظر اليه من عن
يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك وقوله هبرا قال ابن دريد يقال
هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم الهَبرة والهُبرة
وسيف هبّار وهابر واللحم هبير ومهبور والمحالة الحيلة وقوله بالجد
لا بالكد اى يدرك الرجل حاجته وطلبته وهو الحظ والبخت ومنه رجل
مجدود فاذا كسرت الجيم فهو الانكماش في الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد
ولا التبلد اى تجلدوا ولا تتبلدوا وقوله فتطبعوا اى تدنسوا والطبع الدنس
يقال طبع السيف يطبع اذا ركبه الصدا وقال ثابت قطنة العتكي
لا خير في طمع يدني الى طبع ، وغُفّة من قوام العيش تكفيني
وقوله ولا تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه
سميت الشجرة الخروع للينها وقوله ان الموصين بنو سهوان فالموصون جمع

والطيلوا

اى ضرب بر صد رمن عمر لفظه المحاجزة الصلح والمناجزة الحرب

النصب على تقدير الطلبوا التجلد والرفع على تقدير من شغلكم التجلد لا التبلد

حاجة

يكون

بمعنى الربع للطعن وهو السّاير للطعن

موخر العين شق مؤمن وكذلك مقدمه فالموخر ما يلى الصدغ والمقدم ما يلى الانف

قيل ان المحالة يعنى بها الآلة التى تستقى عليها وهى مثل البكرة

قطنة

شجرة الخروع

موصى وبنو سهوان ضرب مثلا اى لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا واعرضوا
عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه ان الذين
يحتاجون الى ان يوصّوا بحوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم
وانت غير غافل ولا ساه عن حاجتي وقوله فارحبوا اى وسعوا والرحب
والروح الراحة وقوله في الشعر غيل فالغيل الساعد الممتلئ والمعصم موضع
السوار من اليد ومن المعمرين زهير بن جناب بن هُبل بن عبد الله
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن
كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك
ابن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب
مائتي سنة وعشرين سنة واوقع مائتي وقعة وكان سيدا مطاعا شريفا
في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه
كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك
وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان
وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم فاوصى الى بنيه فقال
يا بنيّ انى قد كبرت سنّي وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب
والامور تجربة واختبار فاحفظوا عني ما اقول وعوه اياكم والخور عند
المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو
وسوء ظن بالرب واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين ومنها
ساخرين فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فان الانسان في
الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن
يمينه وشماله ثم لا بدّ ان يصيبه قوله حرسا من دهري يريد دهرا والحرس
الدهر قال الراجز ، في سنبة عشنا بذاك حرسا ، والسنبة المدة
من الدهر والتواكل ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكل اذا
كان لا يكفي نفسه ويكل امره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة والغرض
كل ما نصبته للرمي وتعاوره اى تداوله قال السيد قدس الله روحه

تغلب

الدهر واختبار

فانما

وقد ضمن ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدنيا
عرض تعاوره الرماة فقصر دونه ومجاوزه لموضعه وواقع عن يمينه
وعن شماله ثم لا بد ان يصيبه ابياتا فاحسن كل الاحسان والابيات

كفى بسراج الشيب في الراس هاديا ، لمن قد اضلته المنايا لياليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلي ، لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ، لشخصي اخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى ، فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

اما البيت الاخير فانه ابدع فيه واغرب وما علمت انه سبق الى معناه
لانه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان الحاجز بينه وبين من اراد
رميه والشيب مبديا لمقاتله هاديا الى اصابته لضوئه وبياضه وهذا في
نهاية حسن المعنى واراد بقوله رماني اصابني ومثله قول الشاعر

فلما رمى شخصي رميت سواده ، ولا بد ان يرمى سواد الذي يرمي

وكان زهير بن جناب على عهد كليب بن وائل ولم يكن في العرب انطق
من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لسداد رايه يسمى كاهنا ولم تجتمع
قضاعة الا عليه وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما
لا ينبغي لامراة ان تتكلم عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت عني والا ضربتك
بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك

الا يا لقوم لا ارى النجم طالعا ، ولا الشمس الا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها ، يكون نكيري ان اقول ذريني
امينا على سر النساء وربما ، اكون على الاسرار غير امين
فللموت خير من حداج موطا ، مع الظعن لا ياتي المحل لحين

وهو القائل ، ابني ان اهلك فقد ، اورثتكم مجدا بنيه
وتركتكم ابناء سا ، دات زنادكم وريه ، من كل ما نال الفتى
قد نلته الا التحيه ، ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه
وخطبت خطبة حازم ، غير الضعيف ولا العييه ، فالموت خير للفتى

معزبتي عند القفا

فليهلكن

فليهلكن وبه بقيه ، من ان يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشيه

وهو القائل ، ليت شعري والدهر ذو حدثان ،

اي حين منيتي تلقاني ، اسبات على الفراش خفات
ام بكفي منجع حران ، وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره
لقد عمرت حتى ما ابالي ، احتفي في صباحي ام مسائي
وحق لمن اتت مائتان عاما ، عليه ان يمل من الثواء

قوله معزبتي يعني امراته يقال معزبة الرجل امراته وطلته وحنته كل
كل ذلك امراته وقوله امينا على سر النساء فالسر خلاف العلانيه والسر
النكاح ايضا قال الحطيئة ، ويحرم سر جارتهم عليهم ،
وياكل جارهم انف القصاع ، وقال امرؤ القيس ،
الا زعمت بسباسة اليوم انني ، كبرت وان لا يحسن السر امثالي ،

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لانه اذ اكبر وهرم لم تتهيبه النساء ان
يتحدثن بحضرته باسرارهن تهاونا به وتعويلا على ثقل سمعه وكذلك هرمه
وكبره يوجبان كونه امينا على نكاح النساء لعجزه عنه وقوله حداج موطا
الحداج مركب من مراكب النساء والجمع احداج وحدوج والظعن والاظعان
الهوادج والظعينة المراة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في الهودج
والجمع ظعائن وانما خبر عن هرمه وان موته خير من كونه مع الظعن في جملة
النساء وقوله زنادكم وريه الزناد جمع زند وزندة وهما عودان تقدح
بها النار في احدهما فروض وهي ثقب فالتي فيها الفروض هي الانثى والذي
تقدح بطرفه هو الذكر فيسمى الزند الاب والزندة الام وكنى بزنادكم
وريه عن بلوغهم ماربهم تقول العرب وريت بك زنادي اي نلت بك ما
احب من النجح والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزناد فاما التحية فهي
الملك فكانه قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا الملك وقيل التحية ههنا الخلود
والبقاء والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين وهي اشد ما تكون ولفظ
البازل في الناقة والجمل سواء والكوماء العظيمة السنام والولية برذعة

تطرح على ظهر البعير تلي جلده والبجال الذي يبجله قومه ويعظمونه
ومعنى يُهادى اي يماشيه الرجال فيسندونه لضعفه والتهادي المشي
الضعيف وقوله اسبات فالسبات سكون الحركة ورجل مسبوت والخفات
الضعف يقال خَفَتَ الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع والفجع الذي
قد فجع بولد او قرابة والحران العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على
فلاه ومما يروى لزهير بن جناب ، اذا ما شئت ان تسلى حبيبا ،
، فاكثر دونه عدد الليالي ، فما سلى حبيبك مثل ناى ،
، ولا بلى جديدك كابتذال ، **مجلس آخر** ذو الاصبع العدواني
واسمه حرثان بن محرث بن الحرث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب
ابن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن
غيلان بن مضر وانما سمي الحرث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل
بل فقاعينه وقيل ان اسم ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن
حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى ابا عدوان وسبب لقبه بذي الاصبع
ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين
سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلاثمائة سنة وهو احد حكام العرب في
الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم وروى عنه ،
، لا يبعدن عهد الشباب ولا ، لذاته ونباته النضر ،
، لولا اولئك ما حفلت متى ، عوليت في حرج الى قبري ،
، هزئت اثيلة ان رات هرمي ، وان انحنى لتقادم ظهري ،
وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فابين وقلن
خدمتك وقربك احب الينا ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن
لتقل كل واحدة ما في نفسها فقالت الكبرى ، الا هل اراها ليلة وضجيعها ،
، اغر كنصل السيف غير مهند ، عليهم باد واء النساء واصله ، عِيّ
، اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدي ، ويروى من اهل سري ومن
اصل سري فقلن لها انت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

، الا ليت زوجي من اناس اولي هدى ، حديث الشباب طيب الثوب والعطر ،
، لصوق باكباد النساء كانه ، خليفة جان لا ينام على وتر ،
ويروى لا ينام على هجر فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة
، الا ليته يكسى الجمال نديه ، له جفنة تشقى بها المعز والجزر ،
، له حكمات الدهر من غير كبرة ، تشين فلا فان ولا ضرع غمر ،
فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا وقلن للرابعة قولي فقالت لا اقول
فقلن يا عدوة الله علمت ما في انفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت زوج
من عود خير من قعود ثم مضت مثلا فزوجهن اربعهن فمكثن حولا ثم اتى
الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير يكرم الحليلة ويعطي
الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب البانها جرعا ويروى اي الحاجه
جزعا بالراء وناكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعيفنا معا فقال يا بنية زوج كريم
ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير زوج يكرم
اهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تالف الفناء وتملا الاناء
وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم اتى الثالثة فقال
يا بنية كيف زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت
المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها ادما ويروى ادما
بالفتح لم نبغ بها نعما فقال لها جدوة مغنية ويروى جدوى محنية ثم اتى
الصغرى فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين
عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضان جوف لا يشبعن
وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وامر مغويتهن يتبعن فقال ابوها اشبه
امرا بعض بزه فمضت مثلا قال السيد قدس الله روحه اما قول احدى
بناته في الشعر اشم فالشمم هو ارتفاع ارنبة الانف وورودها يقال
رجل اشم وامراة شماء وقوم شم قال حسان بن ثابت ،
، بيض الوجوه كريمة احسابهم ، شم الانوف من الطراز الاول ،
والشمم الارتفاع في كل شيء فيحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما

ذكرناه من ورود الادنية لان ذلك عندهم دليل العتق والنجابة
ويجوزان يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الامور
وردائها وخص الانوف بذلك لان الحمية والغضب والانفة فيها ولم يرد وكالأنفة
طول انفهم وهذا اشبه ان يكون مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد
بياض اللون في الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم
وافعالهم كما يقول القائل جائني فلان بوجه ابيض وقد بيض فلان وجهه
بكذا وكذا وانما يعنى ماذكرناه وقول المراة اشم كنصل السيف يحتمل
الوجهين ايضا وقول حسان من الطراز الاول اى افعالهم افعال آبائهم
وسلفهم وانهم لم يجدوا اخلاقا مذمومة لاتشبه نجارهم واصولهم وقولها
عين مهند اى هو المهند بعينه كما يقال هذا هو بعينه وعين الشئ نفسه
وعلى الرواية الاخرى غير مهند اى ليس هو السيف المنسوب الى الهند
في الحقيقة وانما هو مشبه به في مضائه وقولها من سراهلى اى من اكرمهم
واخلصهم يقال فلان في سر قومه اى في صميمهم وشرفهم وسر الوادى
الطيبة ترابا والمحتد الاصل وقول الثانية اولى عدى فانما معناه ان
يكون له اعداء لان من لاعدو له هو الفسل الرذل الذى لاخير عنده
والكريم الفاضل من الناس هو المحسد المعادى وقولها لصوق باكباد
باكباد النساء تعنى في المضاجعة ويحتمل ان تكون ارادت في المحبة
والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن وميلهن اليه وهو اشبه وقولها
وقولها كانه خليفة جان اى كانه حية للصوقه والجان جنس من الحيات
خففت لضرورة الشعر وقول الثالثة تكسى الجمال ندية فالندى هو
المجلس وقولها له حكمات الدهر تقول قد احكمته التجارب وجعلته حكيما
فاما الضرع فهو الضعيف والغمر الذى لم يجرب الامور وقول الكبرى
يكرم الحليلة ويعطى الوسيلة فالحليلة هى امراة الرجل والوسيلة الحاجة
وقولها نشرب البانها جزعا فالجزع جمع جزعة وهو الماء القليل يبقى في
الاناء وقولها مزعا المزعة البقية من دسم ويقال ماله جزعة ولا مزعة

هكذا

هكذا ذكر ابن دريد بالضم في جزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة
فاذا كسرت فينبغى ان يكون نشرب البانها جزعا وتكسر المزعة ايضا ليزدوج
الكلام فيقول وناكل لحمانها مزعا قال المزعة بالكسر هى القطعة من الشحم
والمزعة ايضا بالكسر من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق
والتمزيع التقطيع والتشقيق يقال يكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبى
في عدوه يمزع مزعا اذا اسرع وقوله مال عميم اى كثير وقول الثانية
تودك السقاء من الودك الذى هو الدسم وقول الثالثة تولدها فطما
الفطم جمع فطيم وهو المفطوم من الرضاع وقولها نسلخها ادما فالادم
جمع ادام وهو الذى يوكل تقول لوانا فطمناها عند الولادة وسلخناها
للادم من الحاجة لم تبغ بها نعما وعلى الرواية الاخرى ادما من الاديم
وقوله جذوة مغنية فالجذوة القطعة وقول الصغرى جوف لايشبعن
الجوف جمع جوفاء وهى العظيمة الجوف والهيم العطاش ولاينقعن اى لا
يروين ومعنى قولها وامر مغوتهن يتبعن اى القطيع من الضان يمر
على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن اتباعا لها والضان
توصف بالبلادة اخبرنا ابو الحسن محمد بن على الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابى عبيدة عن يونس قال ابن دريد
واخبرنا تابة العكلى عن ابى خالد عن ابى الهيثم بن عدى عن مسعر بن
كدام قال حدثنى سعيد بن خالد الجدلى قال لما قدم عبد الملك بن مروان
الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس الى فرائضهم فاتيناه فقال من القوم
فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك
عذير الحى من عدوا ، ن كانوا حية الارض ، بغى بعضهم بعضا
فلم يرعوا على بعض ، ومنهم كانت السادا ، ت والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضى ، فلا ينقض ما يقضى ، ومنهم من يجير الناس
بالسنة والفرض ، ثم اقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم
فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه يقوله

ذو الاصبع فتركني واقبل على ذلك الجسيم فقال وما كان اسم ذى الاصبع
فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه جونان فاقبل عليه وتركنى فقال
لم سمى ذا الاصبع فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه نهشته حية
على اصبعه فاقبل عليه وتركنى فقال من ايكم كان قال لا ادرى
فقلت انا من خلفه من بنى تاج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك
قال سبعمائة ثم اقبل علىّ فقال كم عطاؤك قلت اربعمائة فقال يا بنى
الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وردها فى عطاء هذا فرحت
وعطاى سبعمائة وعطاوه اربعمائة وفى رواية اخرى انه لما قال له
من ايكم كان قال لا ادرى فقلت انا من خلفه من بنى تاج الذين يقول
فيهم الشاعر ، فاما بنوا تاج فلا تذكرونهم ، ولا تتبعن عينيك من كان هالكا
، اذا قلت معروفا لتصلح بينهم ، يقول وهيب لا اسالم ذلكا ،
ويروى لا احاول ، فاضحى كظهر العود جب سنامه ،
، يدب الى الاعداء احدب باركا ، ويروى ، فاضحى كظهر العود جب سنامه
، تحوم عليه الطير احدب باركا ، وقد رويت هذه الابيات لذى الاصبع
ايضا ومن ابيات ذى الاصبع قوله ، اكاشر ذا الضغن المبين منهم ،
، واضحك حتى يبدوا الناب اجمع ، واهدنه بالقول هدنا ولو يرى
، سريرة ما اخفى لبات يفزع ، معنى اهدنه اسكنه ومن قوله ايضا
، اذا ما الدهر جر على اناس ، شراشره اناخ باخرينا ،
، فقل للشامتين بنا افيقوا ، سيلقى الشامتون كما لقينا ،
ومعنى الشراشر هنا الثقل يقال القى عليه شراشره وجراميزه اى ثقله
ومن قوله ، ذهب الذين اذا راونى مقبلا ، هشوا الىّ ورحبوا بالمقبل ،
، وهم الذين اذا حملت حمالة ، ولقيتهم فكاننى لم احمل ،
ومن قوله وهى مشهورة ، لى ابن عم على ما كان من خلق ،
، مختلفان فاقليه ويقليني ، ازرى بنا اننا شالت نعامتنا ،
، فخالنى دونه بل خلته دونى ، لاه ابن عمك لا افضلت فى حسب

عنى

، عنى ولا انت ديانى فتخزونى ، انى لعمرك ما بابى بذى غلق ،
، عن الضيوف ولا خبزى بممنون ، ولا لسانى على الادنى بمنطلق ،
، بالفاحشات ولا اغضى على الهون ، ماذا علىّ وان كنتم ذوى رحمى ،
، ان لا احبكم ان لم تحبونى ، يا عمرو ان لم تدع شتمى ومنقصتى ،
، اضربك حتى تقول الهامة اسقونى ، كل امرئ صائر يوما لشيمته ،
، وان تخلق اخلاقا الى حين ، وانتم معشر زيد على مائة ،
، فاجمعوا امركم طرا فكيدونى ، لا يخرج القسر منى غير مابية ،
، ولا الين لمن لا يبتغى لينى ، قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا
فضرب النعام مثلا اى لا اطمئن اليه ولا يطمئن الىّ يقال شالت نعامة
القوم اذا جلوا عن الموضع وقوله لاه ابن عمك قال قوم اراد لله ابن عمك
وقال ابن دريد اقسم واراد والله ابن عمك وقوله عنى اى علىّ والديان
الذى يلى امره ومعنى فتخزونى اى تسوسنى والهون الهوان وقوله
اضربك حتى تقول الهامة اسقونى قال الاصمعى العطش فى الهامة
فاراد اضربك فى ذلك الموضع اى على الهامة بحيث تعطش وقال اخرون
العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من راسه هامة تدور حول
قبره وتقول اسقونى اسقونى فلا تزال كذلك حتى يوخذ بثاره وهذا
باطل ويجوز ان يعنيه ذو الاصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج
القسر منى غير مابية فالقسر القهر اى ان اخذت قسرا لم ازدد الا اباء
ومن المعمرين معديكرب الحميرى من آل ذى رعين قال ابن سلام
وقال معديكرب وقد طال عمره ، اراني كلما افنيت عمرا ، يوما
، اتانى بعده يوم جديد ، يعود بياضه فى كل فجر ،
، ويابى لى شبابى ما يعود ، ومن المعمرين الربيع بن
ضبع الفزارى ويقال انه بقى الى ايام بنى امية روى انه دخل على
عبد الملك بن مروان فقال يا ربيع اخبرنى عما ادركت من العمر والمدى
ورايت من الخطوب الماضية قال انا الذى اقول ،

، ها انا ذا آمل الخلود وقد ، ادرك مولدى حجرا ،
فقال قد رويت هذا الشعر من شعرك وانا صبى قال وانا القائل
، اذا عاش الفتى مائتين عاما ، فقد ذهب اللذاذة والفتاء ،
قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لى عمرك قال عشت مائتى سنة فى فترة عيسى عليه السلام وعشرين ومائة فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال اخبرنى عن فتية فى قريش متواطى الاسماء قال سل عن ايهم شئت قال اخبرنى عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء حذم ومقرى ضخم قال فاخبرنى عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد عن الظلم قال فاخبرنى عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها قال فاخبرنى عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر عنه الصخر قال لله درك يا ربيع ما اعرفك بهم قال قرب جوارى وكثرة استخبارى قال السيد قدس الله روحه ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سؤال عبد الملك له انما كان فى ايام معاوية لا فى ولايته لان الربيع يقول فى الخبر عشت فى الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولى فى سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه فقد روى ان الربيع ادرك ايام معاوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتى سنة
قال ، الا ابلغ بنى بنى ربيع ، فاشرار البنين لكم فداء ،
، بانى قد كبرت ودق عظمى ، فلا تشغلكم عنى النساء ،
، وان كنائنى لنساء صدق ، وما آلى بنى ولا اساؤا ،
، اذا كان الشتاء فادفئونى ، فان الشيخ يهدمه الشتاء ،
، واما حين يذهب كل قر ، فسربال خفيف او رداء ،
، اذا عاش الفتى مائتين عاما ، فقد ذهب اللذاذة والفتاء ،
وقال حين بلغ مائتين واربعين سنة ، اصبح منى الشباب قد حسرا ،
، ان كان ولى فقد نوى عصرا ، ودعنا قبل ان نودعه ،

من
اى سريع

لما

، لما قضى من جماعنا وطرا ، ها انا ذا آمل الخلود وقد ،
، ادرك عقلى ومولدى حجرا ، ابا امرئ القيس هل سمعت به ،
، هيهات هيهات طال ذا عمرا ، اصبحت لا احمل السلاح ولا ،
، املك راس البعير ان نفرا ، والذئب اخشاه ان مررت به ،
، وحدى واخشى الرياح والمطرا ، من بعد ما قوة اسر بها ،
، اصبحت شيخا اعالج الكبرا ، قوله عطاء حذم اى سريع وكل شئ اسرعت فيه فقد حذمته وفى الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاحذم اى اسرع الاداء الذى تقرى فيه وقوله ما آلى بنى ولا اساؤا اى لم يقصروا والالى المقصر

مجلس آخر

ومن المعمرين ابو الطمحان القينى واسمه حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين قال ابو حاتم عاش مائتى سنة فقال فى ذلك
، حنتنى حانيات الدهر حتى ، كانى خاتل ادنو لصيد ،
، قريب الخطو يحسب من رآنى ، ولست مقيدا انى بقيد ،
قال ابو حاتم السجستانى حدثنى عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد ايضا ، تقارب خطو رجلك يا سويد
، وقيدك الزمان بشر قيد ، وهو القائل ، وانى من القوم الذين هم هم ،
، اذا مات منهم سيد قام صاحبه ، نجوم سماء كلما غاب كوكب ،
، بدا كوكب تاوى اليه كواكبه ، اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ،
، دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه ، وما زال منهم حيث كان مسود ،
، تسير المنايا حيث سارت كتائبه ، ومعنى البيتين الاولين يشبه قول اوس بن حجر ، اذا مقرم منا ذرا حد نابه ، تخمط فينا ناب آخر مقرم ،
وللطفيل الغنوى مثل هذا المعنى وهو قوله ، كواكب دجن كلما انقض كوكب ،
، بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب ، وقد اخذ هذا المعنى الخزيمى فقال ،
، اذا قمر منا تغور او خبا ، بدا قمر فى جانب الافق يلمع ، وزاد
، خلافة اهل الارض فينا وراثة ، اذا مات منا سيد قام صاحبه ، ومثله
، اذا سيد منا مضى لسبيله ، اقام عمود الملك آخر سيد ، ،

وكان مزاحا العقيلي نظر الى قول ابى الطمحان اضاءت لهم احسابهم ووجوههم
فقال واحسن ، وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها ،
، صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلى ، ويقارب ذلك قول جحية بن
مضرب السعدى ، اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت ، الكندى
، لنورهم الشمس المضيئة والبدر ، وانشد محمد بن يحيى الصولى فى
معنى بيت ابى الطمحان ، من البيض الوجوه بنى سنان ،
، لو انك تستضئ بهم اضاؤا ، هم حلوا من الشرف المعلى ،
، ومن كرم العشيرة حيث شاؤا ، فلو ان السماء دنت لمجد ،
، ومكرمة دنت لهم السماء ، وابو الطمحان القائل ،
، اذا كان فى صدر ابن عمك احنة ، فلا تستثرها سوف يبدو دفينها ،
وهو القائل ، اذا شاء راعيها استقى من وقيعة ،
، كعين الغراب صفوها لم يكدر ، الوقيعة المستنقع فى الصخرة للماء ،
ويقال للماء اذا زل عن صخرة فوقع فى بطن اخرى هوماء الوقائع وانشدوا
لذى الرمة ، ونلنا سقاطا من حديث كانه ، جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع
ويقال للماء الذى يجرى على الصخر ماء الحشرج والماء الذى يجرى بين
الحصى والرمل ماء المفاصل وانشدوا لابى ذؤيب ،
، مطافيل ابكار حديث نتاجها ، يشاب بماء مثل ماء المفاصل ،
وانشد ابو محلم السعدى لابى الطمحان ، بنى اذا ما سامك الذل قاهر ، نجم
، عزيز فبعض الذل اتقى واحرز ، ولا تحم من بعض الامور تعززا ،
، فقد يورث الذل الطويل التعزز ، وهذان البيتان يرويان لعبد الله
ابن معاوية الجعفرى وروى لابى الطمحان ايضا فى مثل هذا المعنى ،
، يا رب مظلمة يوما لطئت لها ، تمضى على اذا ما غاب نصارى ،
، حتى اذا ما انجلت عنى غيابتها ، وثبت فيها وثوب المخدر الضارى ،
ومن المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغسانى وهو عبد المسيح بن عمرو بن
قيس بن حيان بن بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمى

بقيلة

بقيلة لانه خرج فى بردين اخضرين على قومه فقالوا والله ما انت الا بقيلة
فسمى بذلك وذكر الكلبى وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة وخمسين
سنة وادرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانيا وروى ان خالد بن الوليد
لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا الى رجلا من
عقلائكم وذوى اسنانكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بقيلة فاقبل يمشى
حتى دنا من خالد فقال انعم صباحا ايها الملك قال قد اغنانا الله عن
تحيتك هذه فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابى قال فمن اين
خرجت قال من بطن امى قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت
قال فى ثيابى قال اتعقل لا عقلت قال اى والله واقيد قال ابن كم انت
قال ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط انى اساله عن الشئ
وينحو فى غيره قال ما اجبتك الا عما سالت فسل عما بدا لك قال اعرب
انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب انتم ام عليك ثم
سلم قال لا بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذره منه ترقع
حتى يجئ الحليم ينهاه قال كم اتى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما
ادركت قال ادركت سفن البحر ترفأ الينا فى هذا الجرف ورايت المراة
من اهل الحيرة تضع مكتلها على راسها لا تزود الا رغيفا واحدا حتى
تاتى الشام ثم قد اصبحت اليوم خرابا يبابا وذلك داب الله تعالى فى
العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه فى كفه قال له خالد ما هذا
فى كفك قال السم قال ما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومى
واهل بلدى حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق
اليهم ذلا وبلاء اشربه فاستريح من الدنيا فانما بقى من عمرى اليسير قال
خالد هاته فاخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذى لا
يضر مع اسمه شئ ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه صدره طويلا
ثم عرق فافاق كانما انشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال
جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم

عنكم فان هذا الامر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم وانشأ ابن
بقيلة يقول ، ابعد المنذرين ارى سواما ،
، تروح بالخورنق والسدير ، تحاماه فوارس كل قوم ،
، مخافة ضيغم عالى الزئير ، وصرنا بعد هلك ابى قبيس
، كمثل الشاء فى اليوم المطير ، يريد ابا قابوس فصغره ويروى كمثل المعز
، تقسمنا القبائل من معد ، علانية كايسار الجزور ،
، نؤدى الخرج بعد خراج كسرى ، وخرج من قريظة والنضير ،
، كذاك الدهر دولته سجال ، فيوم من مساءة او سرور ،
ويقال ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بنى
بنى بقيلة قال ، لقد بنيت للحدثان حصنا ، لو ان المرء ينفعه الحصون
، طويل الراس اقعس مشمخرا ، لانواع الرياح به حنين ،
ومما يروى لعبد المسيح بن بقيله ، والناس ابناء علات فمن علموا ،
، ان قد اقل فمجفو ومحقور ، وهم بنون لام ان راوا نشبا ،
، فذاك بالغيب محفوظ ومخفور ، وهذا يشبه قول اوس بن حجر
، بنى ام ذى مال كثير يرونه ، وان كان عبدا سيد الامر جحفلا ،
، وهم لمقل المال اولاد علة ، وان كان محضا فى العمومة مخولا ،
وذكر ان بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديرا فلما احتفر
موضع الاساس وامعن فى الاحتفار اصاب كهيئة الكهف فدخله فاذا
رجل على سرير من رخام وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيله ،
، حلبت الدهر اشطره حياتى ، ونلت من المنى بلغ المزيد ،
، وكافحت الامور وكافحتنى ، ولم احفل بمعضلة كؤود ،
، وكدت انال فى الشرف الثريا ، ولكن لا سبيل الى الخلود ،
ومن المعمرين النابغة الجعدى واسمه قيس بن كعب بن عبد الله بن
عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
ويكنى ابا ليلى وروى ابو حاتم السجستانى قال كان النابغة الجعدى

اى نهر الفرات

شرح محفوظ حال اى غائبا

لا خوال

دارا

اسن من النابغة الذبيانى والدليل على ذلك قوله ،
، تذكرت والذكرى تهيج على الهوى ، ومن حاجة المحزون ان يتذكرا ،
، نداماى عند المنذر بن محرق ، ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا ،
، كهول وفتيان كان وجوههم ، دنانير مما شيف فى ارض قيصرا ،
فهذا يدل على انه كان مع النعمان بن المنذر بن محرق قوله شيف يعنى
جلى والمشوف المجلو ويقال ان النابغة عبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم
بالشعر ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة باصبهان وكان ديوانه بها وهو
الذى يقول ، فمن يك سائلا عنى فانى ، من الفتيان ايام الخنان ،
وايام الخنان ايام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم مرض فى انوفهم وحلوقهم
، مضت مائة لعام ولدت فيه ، وعشر بعد ذاك وحجتان ،
، فابقى الدهر والايام منى ، كما ابقى من السيف اليمانى ،
، تفلل وهو ماثور جراز ، اذا جمعت بقائمه اليدان ،
وقال ايضا فى طول عمره ، لبست اناسا فافنيتهم ،
، وافنيت بعد اناس اناسا ، ثلاثة اهلين افنيتهم ،
، وكان الاله هو المستآسا ، معنى المستآس المستعاض وروى
هشام بن محمد الكلبى انه عاش مائة وثمانين حجة وروى ابن دريد عن
ابى حاتم فى موضع آخر ان النابغة عاش مائتى سنة وادرك الاسلام وروى له
قالت امامة كم عمرت زمانة ، وذبحت من عتر على الاوثان ،
العتيرة شاة تذبح لاصنامهم فى رجب فى الجاهلية ، ،
، ولقد شهدت عكاظ قبل محلها ، فيها وكنت اعد من فتيان ،
، والمنذر بن محرق فى ملكه ، وشهدت يوم هجاين النعمان ،
، وعمرت حتى جاء احمد بالهدى ، وقوارع تتلى من القرآن ،
، ولبست من اسلام ثوبا واسعا ، من سيب لا حرم ولا منان ،
وله ايضا فى طول عمره ، المرء يهوى ان يعيش وطول عيش ما يضره ،
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره ، وتتابع الايام حتى ،

، مايرى شيا يسرّه ، كم شامت لى ان هلكتُ ، وقائل لله درّه ،

وروى ان النابغة الجعدى كان يفتخر ويقول اتيت النبى صلى الله عليه

وآله وانشدته ، بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ،

، وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا ، فقال صلى الله عليه وآله اين المظهر

يا ابا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال اجل ان شاء الله ثم انشدته ،

، فلا خير فى حلم اذا لم تكن له ، بوادر تحمى صفوه ان يكدّرا ،

، ولا خير فى جهل اذا لم يكن له ، حليم اذا ما اورد الامر اصدرا ،

فقال صلى الله عليه وآله لا يفضض الله فاك وفى رواية اخرى لا يفضض

فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا

ضرس وفى رواية اخرى قال فرايته قد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان

كلما سقطت له ثنية نبتت له اخرى مكانها وهو احسن الناس ثغرا معنى

ترف تبرق وكان الماء يقطر منها قال السيد قدس الله روحه ومما

يشاكل قوله الجنة فى جواب قول النبى صلى الله عليه وآله اين المظهر يا

ابا ليلى وان كان يتضمن العكس من معناه ما روى من دخول الاخطل

على عبد الملك بن مروان مستغيثا من فعل الجحاف السلمى وانه انشد ،

، لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة ، الى الله منها المشتكى والمعوّل ،

، فان لم تغيّرها قريش بحلمها ، يكن من قريش مستماز ومزحل ،

فقال عبد الملك الى اين يا ابن اللخنا فقال الى النار قال لو قلت غيرها

قطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدى

بقوله الى الجنة واول قصيدة الجعدى التى ذكرنا منها الابيات ،

، خليلى عوجا ساعة وتهجرا ، ولوما على ما احدث الدهر اوذرا ،

، ولا تسألا ان الحياة قصيرة ، فطيرا الروعات الحوادث اوقرا ،

، وان جاء امر لا تطيقان دفعه ، فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا ،

، يهيج الاسى عند الندامة ثم ما ، يقرّب شئ غير ما كان قدّرا ،

، الم تعلما ان الملامة نفعها ، قليل اذا ما الشئ ولّى فادبرا ،

منبعد

تنبيز

، لوى الله علم الغيب عمن سواه ، ويعلم منه ما مضى وتأخرا ،

، وجاهدت حتى ما احسّ ومن معى ، سهيلا اذا ما لاح ثم تغوّرا ،

يريد انى كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معنى وفيها يقول

، ونحن اناس لا نعود خيلنا ، اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا ،

، وننكر يوم الروع لو ان خيلنا ، من الطعن حتى تحسب الجون اشقرا ،

، وليس بمعروف لنا ان نردّها ، صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا ،

اخبرنا المرزبانى قال انشدنا على بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد

ابن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدى ،

، تلوم على هلك البعير ظعينتى ، وكنت على لوم العواذل زاريا ،

، الم تعلمى انى رزيت محاربا ، فما لك منه اليوم شئ ولا ليا ،

، ومن قبله ما قد رزيت بوحوح ، وكان ابن امى والخليل المصافيا ،

، فتى كملت اخلاقه غير انه ، جواد فما يبقى من المال باقيا ،

، فتى كان فيه ما يسرّ صديقه ، على ان فيه ما يسوء الاعاديا ،

، اشمّ طوال الساعدين سميدع ، اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا ،

السميدع السيد ومما يروى للنابغة الجعدى ،

، عقيلية او من هلال بن عامر ، بذى الرمث من وادى المنار خيامها ،

، اذا ابتسمت فى البيت والليل دونها ، اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها ،

وذكر الاصمعى عن ابى عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق عن النابغة الجعدى

فقال صاحب خلقان يكون عنده خمار مطرف بالف وخمار بواف قال

الاصمعى وصدق الفرزدق بينا النابغة فى كلام اسهل من الزلال واشد

من الصخر اذ لان فذهب ثم انشد له ، سما لك هم ولم تطرب ،

، وبت ببث ولم تنصب ، وقالت سليمى ارى راسه ،

، كناصية الفرس الاشهب ، وذلك من وقعات المنون ،

، ففيئى اليك ولا تعجبى ، اتين على اخوتى سبعة ،

، وعدن على ربعى الاقرب ، ثم يقول بعدها ،

طويل

ثوب فى طرفيه طراز

فادخلك الله برد الجنان ... جذلان في مدخل طيب

فلذلك كلامه حتى لو ان ابا الشمقمق قال هذا البيت كان رديا ضعيفا قال الاصمعي وطريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان الا ترى ان حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرهما لان شعره

مجلس آخر

مسئلة تتعلق بما ذكرناه ان سال سائل فقال كيف يصح ما ورد نحوه من تطاول الاعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزا من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات فان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تنخرق الا على سبيل الآية والدلالة على صدق نبي من الانبياء علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة واخرجه عن باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون حيا وغير حي حيا وان شئت ان تقول هو استمرار كون الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان حالة واحدة حيا بان له عمرا بل لا بد ان يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا جواز ان يكون غير حي او يكون لكونه حيا ابتداء احترازا من ان يلزم عليه القديم تعالى لانه جلت قدرته عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية ومن المعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل الا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل تعالى الحياة وما تحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء

وكذلك

وكذلك ما تحتاج اليه فليست تنتفي الا بضد يطرؤ عليها او بضد ينفي ما تحتاج اليه والاقوى انه لا ضد لها في الحقيقة وانما تنتفي بانتفاء ما تحتاج اليه ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما اقتصصناه من هذا الباب فيما لم يفعل القديم تعالى ضدها او ضد ما تحتاج اليه ولا نقض ناقض بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من راى ذلك كان ما قصدناه صحيحا لانه تعالى قادر على ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وبين فعل ما تحتاج فيستمر كون الحي حيا فاما ما يعرض من الهرم باستمداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تاثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما اوتي من احال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا موجب عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهتا اليه انقطعتا واستحال ان يدوما ولو اضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الاستحالة فاما الكلام في دخول ذلك في العادة او خروجه عنها فلا شك في ان العادة قد جرت في الاعمار باقدار متقاربة يعد الزائد عليها خارقا للعادة الا انه قد ثبت ان العادات قد تختلف في الاوقات وفي الاماكن ايضا ويجب ان يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع ان يقل ما كانت العادة جارية على تدريج حتى يصير حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف ولا ان يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع ان تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الاعمار خارقا للعادة وهذه جملة فيما ذكرناه كافية

باب

في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يسميها

قوم المسكنة اعلم ان اجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتوثر اذا
جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب اتى بعد لأي وورد بعد تقاعس لم يكن له في النفوس وقع ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع بطئ
وان كان المتثاقل اعرق في نسب الاصابة واخذ باطراف الحجة ولهذا قيل
احسن الناس جوابا واحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي تاتي اجوبتها اي العبيد
بعد لأي وفكرة وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار
العبدي لمعاوية بن ابي سفيان وقد ساله عن البلاغة فقال ان تصيب
ولا تخطي وتسرع ولا تبطي ثم اختصر بعد ذلك فقال لا تخطي ولا تبطي
ولطول الفكرة والاغراق في الروية مذهب وا وان لا يحمد فيهما التسرع
والتعجل كما لا يحمد في اوان السرعة التثاقل والتايد وانما تحمد السرعة السكون
في اجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة
والامور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله في تاملها فسحة ولا عيب
عليه في اطالة التامل واعادة التصفح ولهذا قال الاحنف بصفين اغبوا
الراي فان ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي
لما اراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له لا خير في الراي الفطير والكلام
القضيب وشوورا ابن التوام الرقاشي فامسك عن الجواب وقال ما احب
الخبز الا بائتا فاما قولهم ثلاث يعرفن في الاحمق سرعة الجواب وكثرة
الالتفات والثقة بكل احد فمحمول على اسراعه بالجواب عند الراي والمشاورة
والاحوال التي يستحب فيها التايد والتثبت او على الاسراع من غير تحصيل
ولا ضبط وذلك مذموم لا اشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه روى
ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سالته متى يعرف الانسان
ربه فقال عليه السلام اذا عرف نفسه وقال له صلى الله عليه وآله رجل
اني اكره الموت فقال له عليه السلام الك مال قال نعم قال قدم مالك
فان قلب كل امرء عند ماله وقال يهودي لامير المؤمنين عليه السلام ما
دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم

ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم
قوم تجهلون وروى انه لما فرغ من دفن النبي عليه السلام سال عن خبر
السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام
فهلا ذكرت الانصار قول النبي صلى الله عليه وآله يقبل من محسنهم ويتجاوز
عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له عليه السلام ابن
الكواء يا امير المؤمنين كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة وقيل له
ما طعم الماء فقال طعم الحياة وقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسير يوم
للشمس واثنى عليه رجل وكان له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في
نفسك وكان عليه السلام اذا اطراه رجل فقال اللهم انك اعلم بي منه وانا
اعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني
عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي احمد بن اسمعيل قال
حدثني ايوب بن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الانصار
يقال له نفيع وكان عريضا فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن
عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار له فتلقاه
الحاجب بالبشر والاكرام واعظمه من كان هنالك وعجل له الاذن فقال
نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ قال او ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل
ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رايت اعجز من هؤلاء القوم يفعلون
هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما ان خرج لاسوءنه فقال له عبد العزيز لئن
لا تفعل فان هؤلاء اهل بيت قل ما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه
في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال وخرج موسى بن جعفر فقام
اليه نفيع الانصاري فاخذ بلجام حماره ثم قال له من انت فقال يا هذا ان
كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله ابن اسمعيل ذبيح الله ابن ابراهيم خليل
الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت
منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي مسلمي قومك
اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج لنا اكفاءنا من قريش خل عن الحمار فخلى

عنه وبك ترتدوا انصرف بخزى فقال له عبد العزيز الم اقل لك وبقال
ان معاوية استشار الاحنف بن قيس فى عقد البيعة لابنه يزيد فقال
له انت اعلم بليله ونهاره وقال احمد بن يوسف لابى يعقوب الخزيمى
مدحك لمحمد بن منصور اجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم
للوفاء وبينهما بون ودخل مطيع بن اياس على الهادى فى حياة المهدى
ند هش فقال السلام عليك يا امير المومنين فقيل له مه فقال بعد امير المومنين
وقال معاوية بن ابى سفيان لعقيل بن ابى طالب وكان جيد الجواب حاضره
انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان اخى آثر دينه على دنياه وانت آثرت
دنياك على دينك فاخى خير لنفسه منك وانت خير لى منه وقال له يوما
ان فيكم لشبقا يا بنى هاشم فقال هو منا فى الرجال ومنكم فى النساء وقال
له معاوية يوما وقد دخل عليه عقيل هذا عمه ابو لهب فقال عقيل رضى الله عنه
هذا معاوية عمته حالة الحطب وعمة معاوية ام جميل بنت حرب بن امية
وكانت امراة ابى لهب وقال له يوما يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب
فقال عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة
الحطب فانظر ايهما اسوء حالا الناكح ام المنكوح وقال له بصفين يا ابا
يزيد انت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم وقيل لسعيد بن المسيب
وقد كف الا تقدح عينك قال حتى افتحها على من ودخل معن بن زائدة
على المنصور فقال كبرت يا معن قال فى طاعتك قال وانك لتتجلد قال
على اعدائك قال وان فيك لبقية قال هى لك قال عبيد الله بن زياد لمسلم
ابن عقيل والله لاقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم اشهد انك
لا تدع سوء القتلة ولوم القدرة لاحد اولى بهما منك وقال رجل لعمرو
ابن العاص لا تفرغن لك قال اذا اوقعت فى الشغل وقال معاوية لعمرو (الآن)
ابن سعيد بن العاص الملقب بالاشدق الى من اوصى بك ابوك فقال
ان ابى اوصى الى ولم يوص بى وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد
حضرته الوفاة قد اوصيت بك فلانا فالقه بعدى فقال يا ابت اذا لم يكن

لحي

لحي الا وصية الميت فالحى هو الميت وقال الوليد بن يزيد لابى الرقاع انشدنى
بعض قولك فى الخمر فانشده ، كميت اذا شجت وفى الكاس وردة ،
، لها فى عظام الشاربين دبيب ، فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن
الرقاع لئن كان رابك نعتى لها فقد رابنى معرفتك بها ولما اتى معاوية نعى
الحسين بن على عليهما السلام بعث الى ابن عباس وهو لا يعلم الخبر فقال له هل
عندك خبر من المدينة قال لا قال اتانا نعى الحسن واظهر سرورا فقال ابن
عباس اذن لا ينسئ الله فى اجلك ولا يسد حفرتك قال احسبه قد ترك صبية
صغارا قال كلنا كان صغيرا فكبر قال واحسبه قد كان بلغ سنا قال مثلك لا
يجهل قال معاوية لو قال قائل انك اصبحت سيد قومك قال اما وابو عبد الله
الحسين بن على عليهما السلام حى فلا فلما كان من غد اتى يزيد بن معاوية ابن
عباس يعزى فجلس بين يديه جلسة المعزى واظهر حزنا وغما فلما انصرف
اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش وروى
ان وفدا دخلت على عمر بن عبد العزيز فاراد فتى منهم الكلام فقال عمر
ليتكلم اكبرهم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو اسن منك فقال له تكلم
يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحى قال انشد كثير عبد الملك بن مروان ،
، على ابن ابى العاصى دلاص حصينة ، اجاد المسدى نسجها فاذالها ، (جعل لها ذيلا)
فقال له هلا قلت كما قال الاعشى ، واذا تكون كتيبة ملمومة ،
، شهباء يخشى الذائدون نهالها ، كنت المقدم غير لابس جنة ، (اى ضرب نهلها)
، بالسيف تضرب معلما ابطالها ، فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك
بالحزم ويشبه ذلك ما روى عن ابى العمرو بن العلا انه لقى ذا الرمة
فقال له انشدنى قصيدتك ، ما بال عينيك منها الماء ينسكب ،
فانشدك اياها فلما انتهى الى قوله ، تصغى اذا شدها بالكور جانحة ،
، حتى اذا ما استوى فى غرزها تثب ، فقال ابو عمرو قول الراعى احسن
مما قلت ، تراها اذا قام فى غرزها ، كمثل السفينة او اوقر ،
، ولا تعجل المرء عند البروك ، وهى بركبته ابصر ،

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة سوقة
وحكى الصولي ان اعرابيا سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال
سقط والله الرجل فاما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع
مضفور وقوله تصغي يريد تميل راسها كانها تسمع لانها ليست بنفور ولا
موذية مقومة والكور الرحل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن نهاية
الاحسان فقال يصف الناقة في مدحه الخصيب بن عبد الحميد ،
، فكانها مصغ لتسمعه ، بعض الحديث باذنه وقر ، فلم يرض بان
وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن لان الثقيل
السمع يكون اصغاؤه وميله الى جهة الحديث اشد واكد قال السيد قدس
الله روحه واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها هذا البيت الذي
اوردناه لابي نواس لانها دون العشرين بيتا وقد نسب في اولها ثم وصف
الناقة باحسن وصف ثم مدح الرجل فقصد مدحه واقتضاه حاجته كل
ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقرق وسهولة مع جزالة والقصيدة هي

، يا منة امتنها السكر ، ما ينقضي مني لها الشكر ،
، اعطتك فوق مناك من قبل ، قد كن قبل مرامها وعر ،
، يثني اليك بها سوالفه ، رشا صناعة عينه السحر ،
، ظلت حميا الكاس تبسطنا ، حتى تهتك بيننا الستر ،
، في مجلس ضحك السرور به ، عن ناجذيه وحلت الخمر ،

اما قوله وحلت الخمر فيحتمل ان يريد به ان ما وصفه به من طيب الموضع
وتكامل السرور به وحصول المامول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر وملجئا وحضور
الى تناولها ورافعا للحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة ويكون فائدة
وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل
ان يكون عقد على نفسه وآلى ان لا يتناولها الا بعد الاجتماع مع محبوبه
وكان الاجتماع معه مخرجا له من يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر
على نفوسهم الى ان ياخذوا بثارهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى

، حلت الخمر وكانت حراما ، وبلاي ما المت تحل ، ويحتمل ان يريد
بحلت نزلت واقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال كانه وصف
بحضور
بلوغ جميع آرابه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التي فيها
جميع
جماع اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا
البيت فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا وقد قيل انه اراد انا استحللنا
الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع بها من الحرام والوجوه المتقدمة اشبه
واقرب الى الصواب ، ولقد تجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر ،
اراد بصام وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول والعفر الظباء اللواتي
كدورة
في الوانهن حمرة تخالطها كدرة وقالت من القائلة وهي وقت نصف النهار لا
القول ، شدنية رعت الحمى فاتت ، ملء الحبال كانها قصر ، شدنية
منسوبة الى شدن وهو موضع باليمن يقال لملكه ذو شدن ،
، تثني على الحاذين ذا خصل ، تعاله الشذران والخطر ، الحاذ موخر
الفخذ والشذران رفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط والخطر معروف من
خطر يخطر وتعاله اي عمله ، اما اذا رفعته شامذة ،
، فتقول رنق فوقها نسر ، يعني بشامذة اي مبالغة في رفع ذنبها ويقال
رنق الطائر اذا نشر جناحيه طائرا من غير تحريك ، اما اذا وضعته خافضة
، فتقول ارخي خلفها ستر ، وتسف احيانا فتحسبها ، مترسما يقتاده اثر ،
معنى تسف اي تدني راسها من الارض والمترسم الذي يتبع الرسم ويتامله
ومعنى يقتاده اثر اي هو معني بطلب الاثر ومو كل بتتبعه يقال اثر
واثر واثر ثلاث لغات وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لانه قال
ان ابا نواس جمع الاثر آثارا ثم جمع الآثار اثرا ثم خفف فقال اثر وليس
يحتاج الى ما ذكره مع ما اوردناه وانما ذهب عليه انه يقال في الاثر اثر
، فاذا قصرت لها الزمام سما ، فوق المقادم ملطم حر ،
، فكانها مصغ لتسمعه ، بعض الحديث باذنه وقر ،
، تبري لا نقاض اضر بها ، جذب البرى لخدودها صعر ،

معنى تبرى تنبرى اى تعرض لهذه الانقاض والانقاض جمع نقض وهو
البعير الذى قد اهزله السفر والكد والبرى جمع برة وهى الحلقة تكون
فى انف البعير يذلل بها ، يرمى اليك بها بنو امل ، عتبوا فاعتبهم بك الدهر
، انت الخصيب وهذه مصر ، فتدفقا فكلاكما بحر ، لا تقعدا بى عن مدا امل
، شنا فما لكما به عذر ، ويحق لى اذ صرت بينكما ، ان لا يحل بساحتى فقر ،

الفقر

مجلس آخر قال السيد قدس الله روحه ثم نعود الى ما كنا اخذين
فيه من ذكر مستحسن الجوابات روى ان رجلا نظر الى كثير الشاعر راكبا
وابو جعفر محمد بن على عليهما السلام يمشى فقيل له اتركب وابو جعفر يمشى
فقال هو امرنى بذلك وانا بطاعته فى الركوب افضل منى فى عصيانى اياه فى
المشى وروى ان دعاة خراسان صاروا الى ابى عبد الله الصادق عليه السلام
فقالوا له اردناو لد محمد بن على فقال اولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا
له لو اراد الله بنا خيرا لكنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لابى عبد الله
اردت الخروج علينا فقال نحن ندل عليكم فى دولة غيركم فكيف نخرج عليكم
فى دولتكم وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك فى الشراب فقال له نصيب
الشعر مغلغل واللون مرمد وانما قربنى اليك عقلى فهبه لى وقال مروان
ابن محمد الملقب بالحمار لصاحبه وقد ولى منهزما كر عليه بالسيف فقال
لا طاقة لى بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوءنك فقال وددت انك تقدر
على ذلك وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال
له شريك اذا علمتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون وقال المامون لمحمد بن
عمران بلغنى انك بخيل فقال ما اجمد فى حق ولا اذوب فى باطل وقيل
لابى دواد الايادى ونظر الى بنته تسوس فرسه اهنتها يا ابا دواد فقال
اهنتها بكرامتى كما اكرمتها بهوانى ومثل ذلك قول اعرابى لحقه ذل على باب السلطان
، اهين لهم نفسى لاكرمها بهم ، ولن تكرم النفس التى لا تهينها ،
ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذى كان يجلس فيه فقام
رجل الى المنصور فقال مظلوم يا امير المومنين قال من ظلمك قال عمارة

غصبنى ضيعتى فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما
هو لى بخصم قال له وكيف قال ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان
كانت لى فهى له ولا اقوم من مجلس شرفنى به امير المومنين لاقعد فى ادنى
منه بسبب ضيعة وقال هشام بن عبد الملك لرجل فى الكعبة سلنى حاجتك
فقال لا اسال فى بيت الله غير الله وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون
فقيل له ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
واذا لا تمتعون الا قليلا فقال ذلك القليل نطلب وقيل ان الجعد بن درهم
جعل فى قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهواما فقال لاصحابه انا خلقت
ذلك لانى كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام فقال ليقل كم
هو وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحد منهن وليامر
الذى يسعى الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المامون
للفضل بن سهل انى اخاف عليك اقواما يعادونك فلا تركب الا فى جيش فقال
الفضل ما اخاف غيرك فان آمنتنى من نفسك لم يضرنى انسان وقيل لابى ايوب
ما تقول فى حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال بينهما فى
العلم كفضل ما بين ابويهما فى الصرف واراد المامون تقبيل السواد وجلس
يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجل من الدهاقين فقال يا امير المومنين
ان الله عز وجل ولاك علينا بالامانة فلا تقبلنا فاضرب عن ذلك وقال رجل
لابن عباس زوجنى من فلانة وكانت يتيمة فى حجره فقال لا ارضاها لك لانها
تتشرف فقال الرجل قد رضيت انا فقال ابن عباس الآن لا ارضاك لها
ويشبه هذا الخبر من وجه بخبر رواه المداينى قال ارسل عمر بن عبد العزيز
رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معاوية المزنى وبين القاسم
ابن ربيعة الحوشنى من بنى عبد الله بن غطفان فيولى القضاء انفذهما فقدم
البصرة فجمع بينهما فقال اياس للشامى ايها الرجل سل عنى وعن القاسم فقيهى
المصر الحسن وابن سيرين فمن اشار عليك بتوليته فوله وكان القاسم ياتى
الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القاسم انه ان سالهما اشار به

فاجلس
ذاك
خلقة
فانصرف
زوجنى فلانة
ونشبه من وجه ما رواه
الحوشنى
انفذهما
الليث

فقال الشامي لا تسل عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان ابا ساسان افضل
مني وافقه واعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغي ان
تقبل مني وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني وانا كاذب فقال اياس
للشامي انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافدى نفسه من النار منها
ان تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها فيستغفر الله منها وينجو مما يخاف
فقال الشامي اما اذا فطنت لهذا فاني اوليك فاستعفاه ولما اخذ
معاوية بيعة يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لابيه ما ندري انخادع
الناس ام يخدعوننا فقال معاوية يا بني من تخادع لك ليخدعك فقد
خدعته وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع
صوت قصار يقول ليتني كنت غسالا لا اعيش بما اكسب يوما بيوم فبلغ ابا
حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى
في الحياة ما هم فيه وقال الواثق للجاحظ يوما يا ماني فقال لو كان الذي
اضفتني اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف اكون على دينه
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه للخوارج وقد ارسله امير المومنين
عليه السلام اليهم نشدتكم ايما اعلم بالتنزيل والتاويل علي ام انتم
قالوا علي فقال ليس تدرون لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما لا
تعلمون فرجع اكثرهم وقال عتبة بن ابي سفيان لعبد الله بن عباس ما منع
علي بن ابي طالب ان يجعلك احد الحكمين فقال اما والله لو بعثني لاعترضت
مدارج انفاسه اطير اذا اسف واسف اذا طار ولعقدت له عقدا لا اي طرق
تنقض مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر ومضى اجل والآخرة
خير لامير المومنين عليه السلام من الدنيا وقال ابو جعفر محمد بن علي عليهما
السلام لكثير امتدحت عبد الملك بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى
وانما قلت له يا شجاع والشجاع حية ويا اسد والاسد كلب ويا غيث والغيث
موات فتبسم ابو جعفر وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة
ما رايت الأم من اصحابك اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك فقال

هذا

هذا من كرمهم ياتونا في حال القوة منا عليهم ويفارقونا في حال الضعف
منا عنهم وقيل لابراهيم النخعي متى كنت فقال حين احتيج الى ورؤي
رجل يصلي صلاة خفيفة فقيل له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها وراى رجل رجلا
اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن الازهر قال حدثنا
محمد بن زيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند
افضى الى اثاث لم ير مثله والات لم يسمع بمثلها فاراد ان يري الناس عظيم
ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفي مقدار
صحنها قدور يرتقى اليها بسلاليم واذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن الحضين
وعلة الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما
رآه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا
ترده فانه خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان ياذن له وكان عبد الله يضعف
وكان قد تسور حائطا الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال أمن
الباب دخلت يا ابا ساسان فقال اجل أسن عمك عن تسور الحيطان
قال ارأيت هذه القدور قال هي اعظم من ان لا ترى قال ما احسب بكر
ابن وائل رأى مثلها قال اجل ولا عيلان ولو رآها سمي شبعان ولم يسم
عيلان من الذي يقول ، عزلنا وامرنا وبكر بن وائل ، اتعرف الذي يقول
، تجر خصاها تبتغي من تحالف ، قال اعرفه واعرف الذي يقول ،
، وخيبة من يخيب على غني ، وباهلة بن يعصر والرباب ،
قال فمن الذي يقول ، كان فقاح الازد حول ابن مسمع ،
، وقد عرقت افواه بكر بن وائل ، قال اعرفه واعرف الذي يقول ،
، قوم قتيبة امهم وابوهم ، لولا قتيبة اصبحوا في مجهل ،
قال اما الشعر فاراك ترويه ولكن هل تقرا شيئا من القرآن قال نعم اقرا
منه الاكثر الطيب هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فاغضبه
فقال والله لقد بلغني ان امراة الحضين حملت اليه وهي حبلى من غيره قال
فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي

فيقال ابن الحصنين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة على عبد الله فقال
فقال لا يبعد الله غيرك ولقى شريك النميرى رجلا من بنى تميم فقال له
التميمى يعجبنى من الجوارح البازى فقال له شريك وخاصة اذا اصاد القطا
اراد التميمى بقوله البازى قول جرير ، انا البازى المطل على نمير
واراد شريك بقوله اذا اصاد القطا قول الطرماح ،
، تميم بطرق اللوم اهدى من القطا ، ولو سلكت طرق المكارم ضلت ، شبل
وساير شريك النميرى عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجاوزت بغلته
برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال
له عمر ما اردت ذلك قال شريك ولا انا اردته ظن شريك ان عمر اراد
بقوله اغضض من لجامها قول جرير ، فغض الطرف انك من نمير ،
، فلا كعبا بلغت ولا كلابا ، وعنى شريك بقوله انها مكتوبة قوله ،
، لا تامنن فزاريا خلوت به ، على قلوصك واكتبها باسيار ، وانشد
ابو تمام الطائى احمد بن المعتصم قصيدته السينية التى يمدحه فيها فلما
بلغ الى قوله ، فى حلم احنف فى شجاعة عامر ، فى جود حاتم فى ذكاء اياس ،
قال له الكندى وكان حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف قال لانك شعراء
دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول ابى العكوك
فى ابى دلف ، رجل ابر على شجاعة عامر ، باسا وغبر فى محيا حاتم ،
فاطرق الطائى ثم رفع راسه وانشد ، لا تنكروا ضربى له من دونه ،
، مثلا شرودا فى الندى والباس ، فالله قد ضرب الاقل لنوره ،
، مثلا من المشكاة والنبراس ، وقال ابن هبيرة لابى دلامة وكان
مولى لبنى امية لما ظهرت المسودة لاتخذن لك منهم عبدا صالحا يخدمك
فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال ابو دلامة لبث الله فقيض لى منهم مولى
صالحا اخدمه وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمى ان خصالك
كاملة سوى حقد فيك فقال انا خزانة تحفظ الخير والشر وقد نظر ابن
الرومى الى هذا المعنى فى قوله ، وما الحقد الا توأم الشكر فى الفتى ،

وبعض

، وبعض السجايا ينتسبن الى بعض ، فحيث ترى حقدا على ذى اساءة ،
، فثم ترى شكرا على حسن القرض ، اذا الارض ادت ريع ما انت زارع ،
، من البذر فيها فهى ناهيك من ارض ، وقال الحجاج لحطيط الخارجى ما
تقول فى عبد الملك بن مروان قال ما اقول فى رجل انت خطيئة من خطاياه
قال فهل هممت بى قط قال نعم ولكن حال بيننا بين وقدر وقد اعطيت الله
عهدا ان سالتنى لاصدقنك وان خليت عنى لا طلبنك ولئن عذبتنى لاصبرن
لك فامر بقتله اما البين فهى الارض الواسعة قال ابن مقبل ،
، بسر وحميرا بوال البغال به ، انى تسديت وهنا ذلك البينا ، اسم موضع علوت
وقيل لابى العتاهية لما قال عتبة ما الخيال لخبرينى ومالى خرجت من العروض
فقال انا اكبر من العروض وقال عبد الملك بن مروان للهيثم بن الاسود
ما مالك قال قوام من العيش وغنى عن الناس فقيل له لم لم تخبره فقال
ان كان كثيرا حسدنى وان كان قليلا ازدرانى واغتاب الاعمش رجلا من
اصحابه فطلع الرجل على تفيئة ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلته اى عقيب ذلك
حتى لا تكون غيبة فقال قل له انت حتى تكون نميمة وقال معاوية لعمرو بن فقال له الاعمش بل قل
العاص هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى يوم اشرت على بمبارزة
على بن ابى طالب عليه السلام وانت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل
عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان قتلته
فقد قتلت قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك وخلوت بملكك واما
ان قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين فقال معاوية
لهذه اشد على من الاولى فقال عمرو فكنت من جهادك فى شك فتكون منه فتوب
الساعة قال دعنى منك الآن وقيل للاحنف وقد راى مسيلمة الكذاب كيف
هو قال ما هو بنبى صادق ولا بمتنبئ حاذق وروى المبرد قال قال زياد
لابى الاسود الدؤلى لولا انك قد كبرت لاستعنا بك فى بعض الامور فقال
ان كنت تريدنى للصراع فليس عندى وان كنت تريد عقلى ورايى فهما اقوى
واوفر ما كانا وكان ابو الاسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة

وروى عن الشعبى انه قال قاتل الله ابا الاسود ماكان اعف اطرافه
واحضر جوابه دخل على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية اكنت ذكرت
للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابنائهم
والفا من الانصار وابنائهم ثم اقول يا معشر من حضر ارجل من المهاجرين
احق ام رجل من الطلقا فلعنه معاوية وقال الحمد لله الذى كفانا ك
وقد روى ان ابا الاسود طلب ان يكون فى الحكومة وقال لامير المومنين
عليه السلام فى وقت الحكمين يا امير المومنين لا ترض بابى موسى فانى
قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر مع انه يمان
وما ادرى ما يبلغ نصحه فابعثنى فانه لا يحل عقدة الا عقدت له اشد منها (من نصحه)
وانهم قد رمولك بحجر الارض فان قيل انه لا صحبة لى فاجعلنى ثانى اثنين
فليس صاحبهم الا من تعرب وكان فى الخلاف عليهم كالنجم فابى عليه السلام
عليه وروى محمد بن يزيد النحوى ان ابا الاسود كان نازلا فى بنى قشير
وكانوا يخالفونه فى المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يرمونه
بالليل فاذا اصبح شكا ذلك فشكا مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله
يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرمينى ما اخطانى وقال لهم يا بنى قشير
ما فى العرب احد احب الى طول بقاء منكم قالوا ولم ذلك قال لانكم اذا ركبتم
امرا علمت انه غى فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته
فنازعوه الكلام فانشا يقول ، الا رذلون بنو قشير ، ، ،
طوال الدهر لا تنسى عليا ، احب محمدا حبا شديدا ، وعباسا وحمزة والوصيا
احبهم لحب الله حتى ، اجئ اذا بعثت على هويا ، فان يك حبهم رشدا اصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا ، فقالوا شككت يا ابا الاسود فقال الم تسمعوا
قول الله تعالى يقول وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين افترون
الله تعالى شك اما قوله هويا فانها لغة هذيل يقولون ذلك فى كل مقصور
مثل الهوى والعصا والقفا والفتى قال ابو ذويب ، ،
، سبقوا هوى واعنقوا لهواهم ، فتخرموا ولكل جنب مصرع ،

وروى ان ابا الاسود دخل على معاوية فقال له اصبحت جميلا يا ابا
الاسود فلو علقت تميمة تدفع عنك العين فقال ،
، افنى الشباب الذى ولى وبهجته ، كر الجديدين من آت ومنطلق ،
، لم يتركا لى فى طول اختلافهما ، شيئا اخاف عليه لذعة الحدق ،
وروى انه دخل يوما السوق يشترى ثوبا فقال له رجل هلم اقاربك فى
هذا الثوب فقال ان لم تقاربنى باعدتك ثم قال له بكم هو قال قد اعطيت
به كذا وكذا قال انما تخبر عما فاتك وروى انه كان ماشيا فى طريق
فقال له راكب الطريق الطريق فقال له عن الطريق تعدلنى ومرض
ابو الاسود الدؤلى فقيل له هذا امر الله قال ذاك اشد له وقيل ان (ضمير الامر)
امراة ابى الاسود خاصمته الى زياد فى ولدها فقالت ايها الامير ان هذا
يريد ان يغلبنى على ولدى وقد كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء
وحجرى له فناء فقال ابو الاسود ابهذا تريدين ان تغلبينى على ابنى (ابهذا تريدين)
فوالله لقد حملته من قبل ان تحمليه ووضعته قبل ان تضعيه فقالت ولا
سواء لانك حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال (مصدر اى لا يستويان سواء)
له زياد انها امراة عاقلة يا ابا الاسود فادفع ابنها اليها فاخلق ان تحسن
ادبه وقال رجل لابى الاسود انت والله ظريف لفظ وظرف علم ووعاء (ظرف)
غير انك بخيل قال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم عليه اعرابى يوما
فقال ابو الاسود كلمة مقولة قال اتاذن لى فى النزول قال وراءك اوسع
قبلك قال وهل عندك شئ قال نعم قال اطعمنى قال عيالى احق منك قال ما (لك)
رايت الام منك قال نسيت نفسك قال وساله رجل شيئا فمنعه فقال له اصبحت
حاتميا قال بلى والله قد اصبحت حاتميا من حيث لا تدرى اليس حاتم الذى يقول
، اماوى اما مانع فمبين ، واما عطاء لا ينهنهه الزجر مجلس آخر ،
اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن
عرفة النحوى قال لما ولى سليمان بن عبد الملك اتى بيزيد بن ابى مسلم مولى
الحجاج فى جامعة وكان رجلا دميما تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال (قيد يحفره)

امرءٍ

لعن الله من اجرأك وسنك وولى مثلك فقال يا امير المومنين رايتنى
والامر عنى مدبر ولو رايتنى وهو على مقبل لاستعظمت ما استصغرت
ولاستجللت ما استحقرت فقال له سليمان اترى الحجاج ابهوى فى النار
ام قد استقر فقال يا امير المومنين لا تقل كذا فان الحجاج لكم الاعداء
ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة فى قلوب الناس وبعد فانه ياتى يوم
القيمة عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه حيث شئت
وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بنى عبد الدار الذين يسكنون
اليمامة فقال له العبدرى من انت فقال انا خالد بن صفوان بن الاهتم فقال
له العبدرى انت خالد لكن هو خالد فى النار وانت ابن صفوان وقال
الله عز وجل كمثل صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم والصحيح خير من
الاهتم فقال له خالد يا اخا بنى عبد الدار اتتكلم وقد هشمتك هاشم وامتك
بنو امية وخزمتك بنو مخزوم وجحتك بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح اذا
دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدرى محموما وتقدم الاشعث بن
قيس الى شريح فقال له الاشعث اتعلمنى بك يا ابن ام شريح لقد عهدتك
وان شانك لشوين فقال له شريح انت امرؤ تعرف النعمة وتنساها فى نفسك
وروى ابو العيناء عن العتبى قال دخل الفرزدق الى سعيد بن العاص
وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال ، اليك فررت منك ومن زياد ،
، ولم احسب دمى لكما حلالا ، فان يكن الهجاء احل قتلى ،
، فقد قلنا لشاعركم وقالا ، ترى الغر الجحاجح من قريش ،
، اذا ما الامر فى الحدثان عالا ، قياما ينظرون الى سعيد ،
، كانهم يرون به الهلالا ، فقال له الحطيئة هذا والله ايها الامير
الشعر لا ما كنا نعلل به منذ اليوم يا غلام اقدمت امك من الحجاز قال لا ولكن
قدمه ابى اراد الحطيئة بقوله ان كانت امك قدمت الحجاز فقد وقعت عليها
وكنت منى واراد الفرزدق ولكن قدمه ابى اى وقع بامك فكنت انت
اخى ويشبه ذلك ما روى ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس

بنو هاشم

لكم

حوله اذ مر به الكميت بن زيد فقال له الفرزدق وكيف ترى شعرى
فقال له الكميت حسن تبين فقال له الفرزدق ايسرك انى ابوك قال اما
ابى فلا اريد به بدلا ولكن يسرنى ان لو كنت امى فقال له الفرزدق اكتم
هذه على عمك يا ابن اخى فما مر بى مثلها وقيل ان عبد الملك ظفر برجل من
بنى مخزوم مزبيرى الراى فقال له لما حضر مجلسه اليس قد ردك الله
على عقبيك فقال له الرجل اومن رد عليك يا امير المومنين فقد رد على
عقبيه فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى لشريك يا ابا عبد الله عزلوك
عن القضاء وما راينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون
ويخلعون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد وذكر ابو عبيدة معمر بن
المثنى ان المفضل الضبى الراوية وهب لبعض جيرانه ايام الاضحى اضحية
فلما لقيه قال كيف وجدت اضحيتك قال ما وجدت له دما يعرض بقول
الشاعر ، ولو ذبح الضبى بالسيف لم يجد ، من اللوم للضبى لحما ولا دما ،
وروى عن المامون انه قال ما اعيانى جواب احد قط مثل جواب ثلاثة
احدهم ام الفضل بن سهل فانى عزيتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على
الفضل لانه ولدك فها انا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا اجزع على من
جعل لى مثلك ولدا والثانى رجل حضرته يزعم انه نبى الله موسى عليه السلام
فقلت له ان الله تعالى اخبرنا عن موسى انه يدخل يده فى جيبه فيخرجها
بيضاء من غير سوء فقال لى متى فعل ذلك موسى اليس بعد ان لقى فرعون
فاعمل كما عمل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى والثالث ان جماعة من اهل
الكوفة اجتمعوا الى يشكون من عاملها فقلت ارضوا بواحد اسمع منه
فرضوا برجل منهم فقال فى العامل واكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف
الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا امير
المومنين فواس بين رعيتك فى العدل فصرفته عنهم ودخل عدى
ابن حاتم بن عبد الله الطائى على معاوية فقال له ما فعل الطرفات يعنى
طريفا وطرافا وطرفة قال قتلوا مع على بن ابى طالب عليه السلام

اليك

اى سكت على غضبه

طُريفا

فقال له ما انصفك ابن ابى طالب قدم بنيك واخر بنيه فقال عدى بل ما انصفته انا اذ قتل وبقيت وكتب رجل الى صديق له يقترض شيئا منه فاجابه يشكو ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا جعلك الله صادقا وان كنت صادقا جعلك الله كاذبا وان كنت معذورا جعلك الله ملوما وان كنت ملوما فجعلك الله معذورا وسمع الاحنف رجلا يقول ما احلم معاوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق ووصفه رجل عند الشعبى بالحلم فقال الشعبى ويلك وهل اغمد سيفه وفى قلبه على احد شىء وقال زياد لرجل نصرانى اين منزلك فقال وسط البصرة قال ما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل دارى بين اهل الدنيا والآخرة فهى وسط البصرة وكان لى عشرة بنين فقدمت تسعة فهم لى وبقى واحد لا ادرى اهو لى ام انا له وقال رجل لابن سيرين انى وقعت فيك فاجعلنى فى حل فقال ما احب ان احل لك ما حرم الله عليك وخطب الحجاج يوم جمعة فاطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر بحبسه فجاءه اهله فشهدوا انه مجنون فقال ان اقر عندى بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا انه ابتلانى وقد عافانى وحدث الحسن البصرى بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن قال وما تصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه يماكس فى درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذاك مالى جدت به وهذا عقلى بخلت به وروى ان ابا العينا محمد بن القاسم اليمامى حدث بعض الزبيريين بفضائل اهله فقال له الزبيرى اتجلب التمر الى هجر فقال ابو العينا نعم اذا اجدبت ارضها وعادم نخلها وكان ابو العينا من احضر الناس جوابا واجودهم بديهة واملحهم نادرة وروى الصولى عن ابى العينا قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابى فقال لى يا محمد ان فيك شرا فقلت يا امير المومنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسىء

احلّ

وعادم

باساءة

باساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال فى التزكية نعم العبد انه اواب وقال فى الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله تعالى حتى قذفه وقال الشاعر

اذا انا بالمعروف لم اثن دائبا ، ولم اذم الجبس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه ، وشق لى الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبى والذمى بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك من ذلك وروى انه قال له يوما الى كم تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤا وروى انه قال له المتوكل يوما الى لافرق من لسانك فقال له ان الشريف فرو قرة واحجام وان اللئيم ذو امنة واقدام وقال له يوما وقد دخل عليه اشتقتك والله يا ابا العينا فقال له يا سيدى انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه وروى انه قال له يوما ما بقى احد فى مجلسى الا وقد اغتابك وذمك عند ما جرى من ذكرك غيرى فقال ابو العينا

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى ، فلا زال غضبانا على لئامها

وذكر ابو العينا قال قال لى المتوكل كيف ترى دارى هذه فقلت رايت الناس بنوا دورهم فى الدنيا وامير المومنين جعل الدنيا فى داره وقال ابو العينا قال لى المتوكل من اسخى من رايت ومن ابخل من رايت فقلت يا امير المومنين ما رايت اسخى من احمد بن ابى دواد ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقلت رايته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال اجبت الى من اطرحته فسجيته والى من استكتبته فبخلته فقلت يا امير المومنين ان الصدق ما هو فى موضع من المواضع انفق فيه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسب الناس الى البرامكة فانما ذاك سخاء امير المومنين الرشيد واذا نسب الناس الحسن بن سهل والفضل بن سهل الى السخاء فانما ذاك سخاء المامون واذا نسبوا احمد بن ابى دواد الى السخاء فذاك

يعنى ان احسانه يكون سقطا فيحتاج الى العذر

امير المومنين

سخا، امير المومنين المعتصم واذا انسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن
يحيى الى السخا، فانما هو سخاوك والا فما بال هولاء القوم لم ينسبوا الى
السخا، قبل صحبتهم للخلفا، فقال لى صدقت وسرى عنه وقال له المتوكل الخلفاء
يوما ما اشد عليك فى ذهاب البصر فقال فقد رويتك مع اجماع الناس
على جمالك وقال له يوما اريدك لمجالستى فقال لا اطيق ذلك وما اقول
هذا على جهلى بمالى فى هذا المجلس من الشرف ولكن انا رجل محجوب والمحجوب هذا جهلا
تختلف اشاراته ويخفى عليه ايماوه ويجوز علىّ ان اتكلم بكلام غضبان
ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين هاتين
هلكت قال صدقت وروى انه قال له يوما لولا انك ضرير لنادمتك
فقال له ان اعفيتنى عن روية الهلال وقراة نقش الخواتيم فانى اصلح
وقال له المتوكل ما تقول فى ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هما الخمر
والميسر واثمهما اكبر من نفعهما فقال بلغنى انك تودهما فقال لقد ابتعت
الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما بلغنى ان سعيد بن عبد الملك
منك فقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وقال ابو العينا
قال لى المنتصر ما احسن الجواب قلت ما اسكت المبطل وحير المحق وقيل
لابى العينا ابراهيم بن نوح النصرانى عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ورآه زرقان وهو يضاحك
نصرانيا فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا، فقال
ابو العينا لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين واخبرنا ابو الحسن
على بن محمد الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال اخبرنا ابو العينا
قال كان سبب اتصالى باحمد بن ابى دواد ان قوما من اهل البصرة
عادونى وادعوا على دعاوى كثيرة منها انى رافضى فاحتجت الى ان
خرجت عن البصرة الى سر من راى فالقيت نفسى على ابن ابى دواد وكنت
نازلا فى داره اجالسه فى كل يوم وبلغ القوم خبرى فتخصوا نحوى الى
سر من راى فقلت له ان القوم قد قدموا من البصرة بلا على فقال يد الله

فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
فقلت هم كثيرون فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت لله
در القاضى هو والله كما قال الصموت الكلابى

لله درك اى جنة خائف ، ومتاع دنيا انت للحدثان
متخمط يطأ الرجال غلبة ، وطأ الفنيق دوارج الفردان
ويكبهم حتى كان رؤسهم ، مامومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه ، حتى يصير كانه بابان

ودنيا فعلى صلة دنيوى ولا تنون لصوق علته مصدر اى غلبة لا غير الفنيق الفحل ... الدوارج جمع دارج وهى التى تمشى ... اى مشجوجة بلغت ام راسهم

فقال لابنه ابى الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولى حفظى
عن ابى العينا الصموت الكلابى على انه رجل وقال لى وكيع حفظى انها الصموت
الكلابية على انها امراة ودخل ابو العينا على الحسن بن سهل فامر له
له بعشرة الاف درهم فقال والله ما استكثر كثيرك ايها الامير ولا استقل
قليلك قال وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك اكثر منه ولا استقل
قليلك لانه اكثر من كثير غيرك وقال لعبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما اعذرنى
فانى مشغول فقال اذا فرغت لم احتج اليك وقال له يوما قد تبينت فيك
الغضب يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك عن غضبى انما يغضب
الرجل على من هو دونه فاما على من هو فوقه فلا ولكن احزننى تقصيرك
فيمت حزنى غضبا ويقال ان صاعد بن مخلد كان من احسن من اسلم دينا
واكثرهم صلاة وصدقة فصار الى بابه ابو العينا مرات كثيرة بعقب اسلامه
فحجب وقيل انه مشغول بصلاته فقال ابو العينا لكل جديد لذة ودخل يوما
على ابى الصقر اسمعيل بن بلبل فى وزارته فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك
عنا فقال سرق حمارى قال وكيف سرق قال لم اكن مع الذى سرقه فاخبر بما
كان قال له هلا اكتريت او استعرت او اشتريت قال قعد بى على الشرا
نشبى وكرهت منة العوارى وذلة المكارى فوهب له حمارا ووصله وادناه
ابو الصقر يوما ورفعه فقال تدنينى حتى كانى وتبعدنى حتى كانى صندل
وقال يوما لعبيد الله بن سليمان ايضا وقد رفعه الى كم ترفعنى ولا ترفع بى

راشا وقال له يوماً وقد ساله انا بك مغبوط الظاهر مرحوم الباطن
ويقال ان ابا على البصير قال لابى العينا وكان بينهما ملاحاة معروفة
فى اى وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال ابو على لذلك خرجت
شحاذا سائلا لانه الوقت الذى ينتشر فيه السوال واخبرنا ابو عبيد الله
المرزبانى قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى ابو العينا قال ما
رايت قط احسن شاهدا عند حاجة من ابن عائشة قلت له كان ابو عمر
المخزومى يقصدك كثيرا ثم جفاك فقال ، ،
، فان تناءنا لا نضرنا وان تعد ، تجدنا على العهد الذى كنت تعلم ،
ثم قال ولا ادرى لمن هذا البيت فقلت انا ان ابن سلام روى عن يونس
ان الفرزدق لما قال ، تصرم منى ود بكر بن وائل ،
، وما خلت دهرى ودهم بتصرم ، قوارص تاتينى ويحتقرونها ،
، وقد يملأ القطر الاناء فيفعم ، وقد كان نزل عليهم حين هرب
من زياد فقال الجرير بن خرقاء العجلى يجيبه ،
، لقد بوانك الدار بكر بن وائل ، وضمت لك الاحشاء اذ انت مجرم ،
، ليال تمنى ان تكون حمامة ، بمكة يغشاها الستار المحرم ،
، فان تناءنا لا نضرنا وان تعد ، تجد نا على العهد الذى كنت تعلم ،
فقال ابن عائشة انت والله يا بنى ممن سيصدق فى العلم مخائله وقال
ابو العينا لابى الصقر بن بلبل وهو وزير انت والله تقرب منا اذا احتجنا
اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا قال السيد قدس الله روحه وهذا يشبه
قول ابراهيم بن عباس الصولى ، ولكن الجواد ابا هشام ،
، وفى العهد مامون المغيب ، بطئ عنك ما استغنيت عنه ،
، وطلاع عليك مع الخطوب ، ولعله ماخوذ منه فليس ينكر ذلك
لانهما وان اجتمعا فى زمان واحد فى بعض الاوقات فان ابا العينا بقى
بعد ابراهيم زمانا طويلا لان ابراهيم توفى فى سنة ثلاث واربعين ومائتين
وابو العينا توفى فى سنة اثنتين او ثلاث وثمانين ومائتين وما حكينا ه

وقت

يصلك

غنى

عنه من الكلام قاله لابى الصقر فى وزارته وكانت بعد وفاة ابراهيم
ابن العباس بزمان طويل ويشبه بيتان ابراهيم ان يكونا ماخوذين من قول
اوس بن حجر ، وليس اخوك الدائم العهد بالذى ، يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
، ولكنه النائى اذا كنت آمنا ، وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا ،
ولابراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى ايضا وهو ،
، اسد ضار اذا هيجته ، واب بر اذا ما قدرا ،
، يعلم الابعد ان اثرى ولا ، يعلم الادنى اذا ما افتقرا ،
ويشبه هذا ان يكون ماخوذا من قول المرار الفقعسى ،
، اذا افتقر المرار لم ير فقره ، وان ايسر المرار ايسر صاحبه ،
ومما يشبه قول المرار بعينه قول ابراهيم بن العباس ايضا ،
، فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ، ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت ،
، راى خلة من حيث يخفى مكانها ، فكانت قذى عينيه حتى تجلت ،
ومن قول المتنخل الهذلى ، ابو مالك قاصر فقره ، على نفسه ومشيع غناه
وهذا الذى رويناه للهذلى من جملة ابيات يرثى بها المتنخل اباه وقيل
يرثى اخاه اوليها ، لعمرك ما ان ابو مالك ، بوان ولا بضعيف قواه
ولا بالد له نازع ، يغارى اخاه اذا ما نهاه ، معنى له نازع اى خلق
سوء ينزعه ويغارى اى يلاحى ويشار ، ولكنه هين لين ،
، كعالية الرمح عرد نساه ، العرد الشديد يقال عَرَدَ وعَرَنْدَ شديد
والنساء عرق معروف ، اذا سدته سدت مطواعة ، ومهما وكلت اليه كفاه
معنى سدته من المساودة التى هى المسارة والسواد هو السرار كانه قال اذا
ساودته طاوعك وساعدك وقال قوم انه من السيادة وكانه اراد اذا
كنت فوقه وسيدا له اطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيئا كفاك وقوم
ينشدونه ، اذا سسته سست مطواعة ، ولم اجد ذلك فى رواية ،
الامن ينادى ابا مالك ، افى امرنا هو ام فى سواه ، ابو مالك قاصر فقره
على نفسه ومشيع غناه مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل

ابى العينا

عن قوله تعالى ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق
وان يروا كل آية لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين فقال ما تاويل هذه الاية على ما يطابق العدل فان ظاهره كانه
مخالف له **الجواب** قيل له ان فى هذه الاية وجوها منها ما ابتداناه
ومنها ما سبقنا اليه فحررناه واحترزنا فيه من المطاعن واجبنا عما لعله
يعترض فيه من الشبه اولها ان يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب
يعرض
النظر فى الايات وعن العز والكرامة الذين يستحقهما من ادى الواجب عليه
فى آيات الله تعالى وادلته وتمسك بها والايات على هذا التاويل تحتمل ان
تكون سائر الادلة وتحتمل ان تكون معجزات الانبياء عليهم السلام خاصة وهذا
التاويل يطابق الظاهر لانه تعالى قال ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين فبين ان صرفهم عن الايات يستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك الا
يستحق
بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التى يظهرها
على الانبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه
تعالى انما يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يومن عنده من لم
يومن بما تقدم من الايات فاذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين
علم من حالهم انهم لا يومنون بها عنها ويكون الصرف على احد وجهين اما
بان لا يظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع
بها غيرهم فاذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين
زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة العلة فى
التكليف ولانا به نعلم صدق الرسول المودى الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا
فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والالطاف لتنزاح العلة وكان
لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذى تكون عليه لطفا الا من قبل الرسول
وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولا الا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول
وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه

الامور

الامور بعضها ببعض ولا فرق فى هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث
اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويومنون بين ان لا يعلم ذلك فى وجوب
البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلى
الذى لا فرق فى حسنه بين ان يقع عنه الايمان او لا يقع وليس هذه سبيل
ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع
ويومن عندها من لم يومن لم يكن فى اظهارها فائدة وكانت عبثا فافترق
الامران فان قيل كيف يطابق هذا التاويل قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين ومن المعلوم ان صرفهم عن الايات لا يكون مستحقا بذلك
قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا لم يرد به تعليل قوله
تعالى ساصرف عن آياتى بل يكون كالتعليل لما هو اقرب اليه فى ترتيب الكلام
وهو قوله تعالى وان يروا كل آية لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا لان من كذب بايات الله وغفل
عن تاملها والاهتداء بنورها ركب الغى واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد
وضل ضلالا بعيدا ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من
رجوعها الى قوله ساصرف لان رجوع اللفظ الى اقرب المذكورين اليه اولى
ويمكن ايضا ان يكون قوله تعالى كذبوا باياتنا وان كان بلفظ الماضى المراد
به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوما منهم لو اظهرت
لهم الايات جعل كانه واقع وبنى الخطاب عليه ولهذا نظائر فى اللغة كثيرة
او يكون جوابا لمحذوف كانه قال ذلك بانه متى اظهرنا لهم آياتنا كذبوا بها
ويجرى ما ذكرناه اولا مجرى قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة وانه
بلفظ الماضى والمعنى الاستقبال وثالثها ان يكون معنى ساصرف عن آياتى
اى لا اوتيها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين
اى لا اوتيها
يفيد معنى واحدا وليس لاحد ان يقول هلا قال ساصرف آياتى عن الذين
يتكبرون والايات ههنا هى المعجزات التى يختص بها الانبياء عليهم السلام
فان قيل فاى فائدة فى قوله على سبيل التعليل ذلك بانهم كذبوا باياتنا واى

معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يوتى الآيات
والمعجزات الا الانبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر قلنا الخروج الكلام
مخرج التعليل على هذا التاويل وجه صحيح لان من كذب بآيات الله لا يوتى
معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمنع من ايتائه الآيات
علة اخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من ايتاء الآيات وان منع غيره
ويجري هذا مجرى قول القائل انا لا اودّ فلانا لغدره ولا يلزم اذا لم يكن
غادرا ان يوده لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة اخرى تمنع من
مودته ويجوز ان تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وان يكون
بعض الجهال في ذلك اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين
فاكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها ان يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها
الله تعالى في قلوب المومنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المومن والكافر
فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تاول اهل
الحق بالطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على ان المراد بهما العلامة المميزة
بين الكافر والمومن ويكون معنى ساصرفهم عنها اي اعدل بهم عنها واخص
بها المومنين المصدقين باياتي وانبيائي هذا التاويل يشهد له ايضا قوله
تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان صرفهم عن هذه
الآيات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم عن آيات الله تعالى وخامسها ان يريد
تعالى اني اصرف من رام المنع من اداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على
الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض
في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى والله يعصمك من الناس فتكون
الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحملها الرسل تحملها
والصرف وان كان متعلقا في الآية بنفس الآيات فقد يجوز ان يكون في المعنى
متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها واذا ساغ ان يعلقه بالثواب والكرامة
المستحقين على التمسك بالآيات ساغ ان يعلقه بما يمنع من تبليغها وادائها
واقامة الحجة بها وعلى هذا التاويل لا يجعل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا

بآياتنا

بآياتنا راجعا الى ساصرف بل نردّه الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا على ما بيناه في الوجه الثاني من
تاويل هذه الآية وسادسها ان يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة
ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز ان يقال صرفه عنه
كما يقال اكفره وكذبه وفسقه وكما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم
اي شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ
الله قلوبهم وهذا التاويل يطابقه قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين لان الحكم عليهم بما ذكرناه والتسمية به من موجب تكذيبهم وغفلتهم
عن آيات الله واعراضهم عنها وسابعها انه تعالى لما علم ان الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته والايمان بها اذا اظهرها
على ايدي رسله جاز ان يقول ساصرف عن آياتي فيريد ساظهر ما ينصرفون
بسوء اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قولهم سابخل فلانا وساخطئه اي
اسأله ما يبخل ببذله وامتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى سافعل فيه
البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جائز ان تكون المعجزات دون سائر
الادلة الدالة على الله تعالى وجائز ان تكون جميع الادلة ويجب على هذا الوجه
ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا غير راجع الى ساصرف بل الى
ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة وثامنها ان يكون الصرف ههنا معناه المنع من
ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن ان تكون ادلة وحججا فيكون
تقدير الكلام اني بما اويده من حججي واحكمه من آياتي وبيناتي صارف للمبطلين
والمكذبين عن القدح في الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا
الاحكام والتاييد يفتقصونه ويعتمونه من تمويه الحق ولبس الباطل ويجري
هذا مجرى قول احدنا قد منع فلان اعداءه بافعاله الكريمة وطرائقه المهذبة
وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذي
ذكرناه فان قيل اليس في المبطلين من طعن على آيات الله تعالى واورد
الشبه فيها مع ذلك قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يوثر

وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا

جائز لجائز

من التسمية موجب

الكريمة واخلاقه المهذبة وطرائقه الممدوحة من عيبه وصرفهم

ولا يشتبه على من احسن النظر وانما اراد ما قدمناه وقد يكون الشي في
نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريا من الطعن
وان طعن فيه بما لا يوثر الا ترى ان قولهم فلان قد اخرس اعداءه عن ذمه
ليس يراد به انه منعهم من التلفظ بالذم وانما المعنى فيه انه لم يجعل للذم
عليه طريقا ومجالا ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم
كذبوا يرجع الى ما قبله فلا فصل ولا يرجع الى قوله ساصرف وتاسعها ان
الله عز وجل لما وعد موسى عليه السلام وامته باهلاك عدوهم قال ساصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق فاراد جل وعز انه يهلكهم
ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما قد كان منهم من التكذيب
بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال
من المومنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا اهلك هولاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم
فقد صرفهم عن آياته من حيث اقطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع
التكليف عنهم وخروجهم عن صفات اهله وهذا الوجه يمكن ان يقال فيه
ان العقوبة لا تكون الا مضامة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد
ان يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل واماتة الله تعالى الامم وما يفعله بهم من
بوار واهلاك لا يقترن اليه ما لا بد ان يكون مقترنا الى العقاب من الاستخفاف
ولا يخالف ما يفعله تعالى باوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح
ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع ان يضم الله تعالى
الى ما يفعله بهولاء الكفار المتكبرين من الاهلاك والبوار اللعن والذم
والاستخفاف والاهانة ويامرنا بان نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الالم
على وجه العقوبة وبشروطها ولا يمتنع ايضا ان يكون الله يتعبد ويامر
باهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى ذلك
اليه من حيث وقع بامره وعن اذنه فان قيل ما معنى قوله تعالى يتكبرون
في الارض بغير الحق كان في التكبر ما يكون بالحق قلنا في هذا وجهان
احدهما ان يكون ذلك على سبيل التاكيد والتغليظ والبيان عن ان التكبر

التأويل ايضا

المكذبين المستحقين للبوار

والاهانة

لا يكون الا بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجرى
قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ولم يرد تعالى الا المعنى
الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لم يرد النهي عن
الثمن القليل دون الكثير بل اراد به تاكيد القول بان كل ثمن يوجد عليها
يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض به عنها مغبونا مبخوسا خاسر
الصفقة والوجه الآخر ان في التكبر ما يكون محمودا لان من تكبر وتنزه
عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها وتجنب اهلها يكون مستحقا
للمدح سالكا لطريق الحق وانما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة
والبغي والاستطالة على ذوي الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن
كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله تعالى اليه وارشد الى
الثواب المستحق عليه ومستحق بذلك الذم والمقت فلهذا اشترط تعالى ان يكون
التكبر بغير الحق وقوله تعالى في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يحتمل ايضا هذين الوجهين
اللذين ذكرناهما فان اريد به البغي المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه
كان قوله بغير الحق تاكيدا او اخبارا عن هذه صفته وان اريد بالبغي
الطلب وذلك اصله في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد
يكون بالحق وبغير الحق فان قيل ما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل
الروية هاهنا العلم او الادراك بالبصر وهب انها يمكن ان يكون قوله
تعالى وان يروا كل آية لا يومنوا بها محمولة على روية البصر لان الآيات
والادلة مما يشاهد كيف تحمل الروية الثانية على العلم وسبيل الرشد
انما هي طريقه ولا يصح ان يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التي لا تجوز
عليها روية البصر فلا بد اذا من ان يكون المراد به روية العلم ومن علم
طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء

عنها

لا يختار ونحن ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة اوجه احدها ان
يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكورة في الآية
هي الادلة والآيات لانها مما يدرك بالبصر وتسمى بانها سبيل الرشد من
حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هي
الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون في الدين ليوقعوا بها
الشبهة على اهل الايمان وتسمى بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب
حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر باهلها انه يصير الى
الغي والوجه الثاني ان يكون المراد بالرؤية العلم لا ان لا يتناول كونها سبيلا
للرشد وكونها سبيلا للغي بل يتناولها لا من هذا الوجه الا ترى ان كثيرا من
المبطلين يعلمون مذاهب اهل الحق واعتقاداتهم وحججهم الا انهم يجهلون
كونها صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين
واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة الا انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون
صحتها بالشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون الله تعالى
وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين
بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما غير انهم للميل الى اغراض الدنيا والذهاب
مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون
كما اخبر تعالى عن كثير من اهل الكتاب بانهم يجحدون الحق وهم يعلمون
ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا والتكذيب
لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في
الاخبار وغيرها الا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه
كما يقولون يصدق بكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب ههنا
الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على ايدي رسله عليهم السلام
جاز فتكون الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فان قيل
فما معنى ذمه تعالى لهم بانهم كانوا عن الآيات غافلين والغفلة على مذاهبكم
من فعله لانها السهو وما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف

على الساهي فكيف يذم بذلك قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة
ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا عن تامل آيات الله تعالى والانتفاع بها
اشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال
تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطئه ويصفه
بالاعراض عن التامل والتبين انت ميت وراقد ومالك لا تسمع ولا تبصر
وما اشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله تعالى **تاويل خبر** ان سال سائل
عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله
يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء
ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله عند ذلك اللهم مصرف القلوب
اصرف قلوبنا الى طاعتك وعما يرويه انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله ما من قلب آدمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى فاذا شاء ان
يثبته ثبته وان شاء ان يقلبه قلبه وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وآله ما كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله قالت
كان اكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله
اكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ما من آدمي
الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله عز وجل ما شاء اقام وما شاء ازاغ فقال
ما تاويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه اوليس من
مذهبكم ان الاخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا يجب
ردها والقطع على كذبها وبطلانها الا بعد ان يكون لها في اللغة مخرج ولا
تاويل وان كان لها ذلك فباستكراه وتعسف ولستم ممن يقول ذلك في هذه
الاخبار فما تاويلها **الجواب** ان الذي يعول عليه من تكلم في تاويل
هذه الاخبار هو ان يقول ان الاصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة
فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام واثر
حسن قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على ابله
ضعيف العصا بادي العروق ترى له ◦ عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

وقال الطفيل الغنوي يصف خيلا ، كُبْتُ كركن الباب احيا بناته ،
، مقالبتها واستحمشتهن اصبع ، وقال لبيد بن ربيعة ،
، من تبسط الله عليه اصبعا ، بالخير والشر باي اولعا ،
، يملا له منه ذنوبا مترعا ، وقال حميد بن ثور ،
، اغر كلون البدر في كل منكب ، من الناس نُعمى يجتديها واصبعُ ،
وقال آخر ، وأرْزَنات ليس فيهن أُبَن ، ذو اصبع في مشيها وذو فطن ،
وقال آخر ، اكرم نزارا واسقه المشعشعا ، فان فيه خصلات اربعا ،
، حذًّا وجودًا وندًى واصبعًا ، والاصبع في كلها اوردناه المراد بها الاثر
الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي الا وقلبه بين نعمتين جليلتين
حسنتين فان قيل هذا قد ذكرتما حكيتم الا انه لم يفصل ما النعمتان وما
وجه التنبيه هنهنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى قلنا يحتمل ان
يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين
اوكالنوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لان الله تعالى قد
انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه ما انعم به عليهم من نعم الدنيا
والآخرة وعرضهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب
الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن ان يكون الوجه في تسميتهم الاثر
الحسن بالاصبع وهو من حيث يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه
وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنه وبما له به تعلق وقد قال قوم في بيتي
طفيل والراعي انهما اراداان يقولا يدا في مكان الاصبع لان اليد النعمة
فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الاصبع لانها من اليد وفي الاصبع التي هي
الجارحة ثماني لغات أَصْبَع بفتح الالف والباء وأَصْبِع بفتح الالف وكسر
الباء وأُصْبُع بضم الالف والباء وأُصْبَع بضم الالف وفتح الباء وأُصْبُوع
بضم الالف والواو وإِصْبِع بكسر الالف والباء وإِصْبُع بكسر الالف وضم
الباء وإِصْبَع بكسر الالف وفتح الباء وفي هذه الاخبار وجه آخر وهو اوضح
مما ذكروا اشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كناياتها وهو ان

يكون

الحمش الجمع وقد حمش فيمكن ان يكون الحمش في البيت من هذا والحمش اي غضب غير متعد

اسم النعمة يجتديها اي ينفقها

يكون المعنى في ذكر الاصابع الاخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل
فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته الا ترى انهم يقولون هذا
الشيء في خنصري واصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك اذا ارادوا تسهله وتيسره
وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا المعنى يتناول المحققون قوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وكان صلى الله عليه
وآله لما اراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير
مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه قال انها بين
اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا للفظ الطويل وجريا على مذاهب العرب
في اخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب ان يكون
متقدما على الوجه الاول ومعتمدا لانه واضح جلي ويمكن ان يكون في الخبر وجه
آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون من ان الاصبعين هما المخلوقتان من اللحم
والدم استظهارا في الحجة واقامة لها على كل وجه وهو انه لا ينكر ان يكون القلب
يشتمل عليه جسمان على شكل الاصبعين يحركه الله بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون
وجه تسميتهما بالاصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله تعالى
وان كان جميع افعاله يضاف اليه بمعنى الملك والقدرة انه لا يقدر على الفعل
فيهما وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل انهما اصبعان له من حيث
اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره انما يقدر على تحريك القلب وما
هو مجاور للقلب من الاعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه
منفردا عما جاوره غيره تعالى فمن ابن للمبطلين المتاولين هذه الاخبار باهوائهم
وضعف آرائهم ان الاصابع هنهنا اذا كانت لحما ودما فهي جوارح لله تعالى وما هذا
الوجه الذي ذكرناه ببعيد وعلى المتاول ان يورد كل ما يحتمله الكلام مما لا يدفعه
الحجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما
لعله ان يشتبه من الابيات التي استشهدنا بها اما قوله حذًّا وجودًا وندًى واصبعا
فمعنى الحذ هنهنا المضاء والنفاذ وقول الآخر وأرْزَنات ليس فيهن أُبَن فالارزنات
العصي والأُبَن العُقد واما قول حميد بن ثور في كل منكب من الناس فالمنكب

يتناول قوله المحققون

متقدما

شكلهما

عما

للجماعة من الناس والمنكب الناحية واما معنى ابيات لبيد فانه اراد من يسق
الله اليه خيرا او يصرف عنه شرا اليها فعل ذلك به اسبغ له ذلك حتى ينتهى *اسبغه*
منتهاه واما بيت طفيل الغنوى فمعناه ان هذا الفحل الذى وصفه بانه كميت وانه
كركن الباب لتمامه وشدته لما ضرب فى الابل التى وصفها عاشت اولادها التى
هى بناته بعد ان كن مقاليت والمقلات التى لا يعيش لها ولد فكان هذا منه اثرا
جميلا عليها فاما بيت الراعى فمعنى قوله ضعيف العصا يريد انه قليل الضرب لها
اما لانهن لا يحوجنه سدادا او نادبا او لشفقته عليهن وهذه كناية فى نهاية الحسن
واختصار شديد لانه قد يجوز ان يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا
يحتاج الى استعمالها فى الضرب فيختارها قوية ويجوز ان يكون حذف واراد *اى ضرب العصا*
ضعيف فعل العصا وقوله بادى العروق يعنى عروق رجله لفسادها من *رجليه*
السعى فى اثر الابل واراد بالاصبع ان له عليها فى جدب الناس اثرا جميلا
لحسن قيامه وتعهده وقد قيل انما سمى الراعى لبيت قاله فى هذه القصيدة *وتعاهده*
بعد بيتين من البيت الذى انشدناه ، لها امرها حتى اذا ما تبوأت ،
، باخفافها ماوى تبوأ مضجعا ، هذا قول الاصمعى وقال السكونى
سمى بذلك لقوله فى هذه القصيدة ايضا ، هداك اخو وطب وصاحب علبة *العلبة محلب من جلد والجمع علب وعلاب*
، يرى المجد ان يلقى خلاء ومرتعا ، وروى عن بعض بنى نمير انه قال
انما سمى بذلك لقوله ، بجيث مرافقهن فوق مزلة ،
، لا يستطيع لها القراد مقيلا ، فقال بعض بنى نمير لما سمع هذا والله ما *بهذا البيت*
هو الا راعى ابل فبقيت عليه وقال محمد بن سلام انما سمى الراعى لكثرة وصفه
للابل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته ابو جندل
وقيل ابو نوح **مجلس آخر** تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى تعلم *آخر المجلد الاول من اصل الجعفري رحمه الله*
ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك بقال ما المراد بالنفس فى هذه الآية وهل
المعنى فيها كالمعنى فى قوله ويحذركم الله نفسه او يخالف او يطابق معنى *وهل يطابق*
الآيتين والمراد بالنفس فيهما ما رواه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه واله *والمراد بهما ما*
وسلم انه قال يقول الله عز وجل اذا احب العبد لقائى احببت لقاءه واذا

ذكرني

ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم
واذا تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الى ذراعا تقربت اليه
باعا اولا يطابقه **الجواب** قلنا النفس فى اللغة لها معان كثيرة مختلفة
ووجوه فى التصرف متباينة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهى
اذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس
ذات الشئ الذى يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله
والنفس الانفة من قولهم ليس لفلان نفس اى لا انفة له والنفس الارادة
من قولهم نفس فلان فى كذا اى ارادته قال الشاعر ، ،
، فنفساى نفس قالت ائت ابن بجدل ، تجد فرجا من كل غمى تهابها ، *عنها*
، ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن ، كخاضبة لم يغن شيئا خضابها ،
ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احج قط فنفس تقول لى حج ونفس
تقول لى تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول حج وهم
يقول تزوج وامره بالحج وقال الممزق العبدى ويروى لمعقر بن حمار البارقى
، الا من لعين قد نآها حميمها ، وارقها بعد المنام همومها ،
، فباتت له نفسان شتى همومها ، فنفس تعزيها ونفس تلومها ،
وقال النمر بن تولب العكلى ، اما خليلى فانى لست معجله ،
، حتى يؤامر نفسيه كما زعما ، نفس له من نفوس القوم صالحة ،
، تعطى الجزيل واخرى ترضع الغنما ، اراد انه بين نفسين نفس تامره
بالجود واخرى تامره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل *اللئيم*
يرضع الغنم عن الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدى
اليه منه وقيل للئيم راضع وقال كثير ، فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة ،
، من الياس ما ينفك همّ يعودها ، ونفس ترجى وصلها بعد صرمها ،
، تحمل كي يزداد غيظا حسودها ، والنفس العين التى تصيب الانسان
يقال اصابت فلانا نفس اى عين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من داء هو فيك من عين *بسم الله*

عائن ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابى النفوس الذى
يصيب الناس بالعين وذكر رجلا فقال كان والله حسودا نفوسا كذوبا
وقال عبيد الله بن قيس الرقيات ، يتقى اهلها النفوس عليها ،
، فعلى نحرها الرقى والتميم ، وقال مضرس بن ربعى الفقعسى
، واذا نموا صعدا فليس عليهم ، منا الخبال ولا نفوس الحسد ،
وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، ،
، فاسلم سلمت من المكاره والردى ، وعثارها ووقيت نفس الحسد ،
والنفس ايضا من الدباغ بمقدار الدبغة تقول اعطنى نفسا من دباغ اى
قدر ما ادبغ به مرة والنفس الغيب يقول القائل انى لا اعلم نفس فلان اى غيبه
وعلى هذا تاويل قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك اى تعلم
غيبى وما عندى ولا اعلم غيبك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم
احذرك نفسى اى عقوبتى وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله
نفسه على هذا المعنى كانه قال يحذركم عقوبته وروى ذلك عن ابن عباس
والحسن وآخرون قالوا معنى الآية ويحذركم الله اياه وقد روى عن الحسن
ومجاهد فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك ما ذكرناه من
التاويل بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون
الوجه فى ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد
فى ستره منزلتها وسمى باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة فى وصفه بالكتمان
والخفاء وانما حسن ان يقول تعالى مخبرا عن نبيه ولا اعلم ما فى نفسك من
حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء
ان يقول انا لا اعلم ما فى نفس الله تعالى وان حسن على الوجه الاول ولهذا
نظائر فى الاستعمال مشهورة مذكورة فاما الخبر الذى ذكره السائل فتاويله
ايضا ظاهر وهو خارج على مذهب العرب فى مثل هذا الباب معروف معناه
ان من ذكرنى فى نفسه جازيته على ذكره لى واذا تقرب الى شبرا جازيته على
تقربه الى وكذلك الخبر الى آخره فسمى المجازاة على الشىء باسمه اتساعا كما قال

بالنفس

النفاد
حال اى صاعدين وتمييز

الدباغ اسم لما يدبغ به

يحمل

تعالى

تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر ، الا لا يجهلن احد علينا ،
، فنجهل فوق جهل الجاهلينا ، ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب
ولما اراد الله تعالى المبالغة فى وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على
تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعا
وذراعا اشارة الى المعنى من ابلغ الوجوه واحسنها مجلس آخر تاويل
آية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء ومعلوم ان القلب
اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن اى شىء زاغت الابصار
وباى شىء تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب قيل له فى هذه الآية
وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف المشركون
عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شان الجبان عند العرب اذا
اشتد خوفه ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره اى رئته وليس
يمتنع ان تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة
وهذا التاويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبى عن ابى صالح عن ابن
عباس ومنها ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب فى احوال الجزع
والهلع قال الشاعر ، كان قلوب ادلائها ، معلقة بقرون الظبا ،
وقال امرؤ القيس ، ولا مثل يوم فى قذار ظللته ،
، كانى واصحابى على قرن اعفرا ، ويروى فى قدار ظللته اراد المبالغة فى
وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار
وانما خص الظبى لان قرنه اكثر تحركا واضطرابا بالنشاط والمرح والسرعة وقد
قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته فى هذا البيت فيليق
قوله على قرن اعفرا بالتاويل المذكور بل وصف اماكن كان فيها مسرورا متنعما
الا ترى قوله قبل هذا البيت بلا فصل ، الا رب يوم صالح قد شهدته ،

او

قذار اسم موضع
ويروى فى قذار ذى

، بتاذف ذات القل من فوق قطرا ، فيكون معنى قوله على قرن اعفرا
على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن
الظبي وهذا القول لابن الاعرابي والاول للاصمعي واما قول الآخر ،
، الا قل خيرُ الشان كيف تغيرا ، فاصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا ،
فلا يحتمل الا الشك والحال المذمومة ويجوز ان يريد ان الناس فيه غير
مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كانهم على قرن ظبي ويحتمل انهم يطعنهم
بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن
قرن اعفرا وهو يريد بقرن اعفرا وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معًا
فيكون معنى الآية على هذا التاويل ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها
بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها ان يكون المعنى كادت القلوب من شدة
الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فالقى ذكر كادت لوضوح
الامر فيها ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم ،
، اتعرف رسما كاطراد المذاهب ، لعمرة وحشا غير موقف راكب ،
، ديار التي كادت ونحن على منى ، تحل بنا لولا نجاء الركائب ،
معناه قاربت ان تحل بنا وان لم تحلل في الحقيقة وقوله غير موقف راكب
فيه وجهان احدهما انه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته
والآخر ان يكون اراد انه وحش الآن راكبا واقف به يعني نفسه وقال
، وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت ، هتون الضحى محزونة بالترنم ،
، اموت لمبكاها اسًا ان لوعتي ، ووجدي بسعدي شجوه غير منجم ،
معنى المنجم المقلع وقال ذو الرمة ، وقفت على ربع لمية ناقتي ،
، فما زلت ابكي عنده واخاطبه ، واسقيه حتى كاد مما ابثه ،
، تكلمني احجاره وملاعبه ، وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة
ومتى ادخلت العرب على كاد جحدًا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد
عبد الله يقوم كان فيه وجهان اجودهما قام عبد الله بعد ابطاء ولأي ومثله
قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي ذبحوها بعد ابطاء وتاخير لان

تاذف قرية بالشام معروفة وقطر قرية بالشام بمنبج وبها نهر يقال له نهر قطر

اى اثأن الشأم

جلود مذهبة

اى سرعة

على

وقف فيه

ذاهب

ابثه

بثثته السر وابثثت بمعنى واحد

وجدان

وجدان البقرة عسر عليهم ويروى انهم اصابوها ليتيم لا مال له غيرها
فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون اما
لانهم لم يقفوا عليها او لغلائها وكثرة ثمنها والوجه الآخر في قولهم ما يكاد
عبد الله يقوم اي ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة
لا حكم لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها
اي لم يرها اصلا لانه جل وعز لما قال او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات
يحول بين العين وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التاويل
زيدت للتاكيد والمعنى اذا اخرج يده لم يرها وقال قوم معنى الآية اذا اخرج
يده بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الروية فيكد على
هذا الجواب ليست بزائدة وقال آخرون معنى الآية اذا اخرج يده لم يرد
ان يراها لان ما شاهد من تكاثف الظلمات ايأسه من تامل يده وقدر في
نفسه انه لا يدركها ببصره وحكي عن العرب اولئك اصحابي الذين كاد انزل عليهم
اي اريد ان انزل عليهم وقال الشاعر ، كادت وكدت وتلك خير ارادة ،
، لو عاد من لهو الصبابة ما مضى ، اي ارادت واردت وقال الافوه الاودي
، فان تجمع اوتاد واعمدة ، وساكن بلغوا الامر الذي كادوا ،
اي ارادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اي اردنا
ليوسف وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف
ومما يشهد لمن جعل لفظة يكد زائدة في الآية قول الشاعر ،
، سريع الى الهيجاء شاك سلاحه ، فما ان يكاد قرنه يتنفس ،
اي فما ان يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد وقال حسان ،
، وتكاد تكسل ان تجيء فراشها ، في جسم خرعبة وحسن قوام ،
معناه وتكسل ان تجيء فراشها وقال الآخر ، والا الوم النفس فيما اصابني ،
، والا اكاد بالذي نلت انجح ، اي لا انجح بالذي نلت ولو لم يكن الامر على
هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان عن ابيه

الظلم

الوجه

عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فانشدنا بالكناسة وهو على
راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها ، اذا غير النأى المحبين لم يكد ،
، رسيس الهوى من حب مية يبرح ، فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح
يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال ، اذا غير النأى المحبين لم اجد ،
، رسيس الهوى من حب مية يبرح ، قال فاخبرت ابى بما كان من قول
ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال اخطأ ذو الرمة فى رجوعه عن
قوله الاول واخطأ ابن شبرمة فى اعتراضه عليه لقوله عز وجل اذا اخرج
يده لم يكد يراها اى لم يرها فاما قوله عز وجل ان الساعة آتية اكاد اخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى فيحتمل ان يكون المعنى اريد اخفيها لكى تجزى كل
نفس بسعيها ويجوز ان تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية اخفيها
لتجزى كل نفس وقد قيل فيه وجه آخر وهو ان يتم الكلام عند قوله تعالى
ان الساعة آتية اكاد ويكون المعنى اكاد آتى بها ويقع الابتداء بقوله تعالى
اخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابى البرجمى
، هممت ولم افعل وكدت وليتنى ، تركت على عثمان تبكى حلائله ،
اراد وكدت افعله فحذف الفعل لبيان معناه وروى عن سعيد بن جبير انه
كان يقرأ اكاد اخفيها فمعنى اخفيها على هذا اظهرها وقال علقمة بن الطبيب يصف
ثورا ، يخفى التراب باظلاف ثمانية ، فى اربع مسهن الارض تحليل ،
اراد انه يظهر التراب ويستخرجه باظلافه وقال امرؤ القيس ،
، فان تدفنوا الداء لا نخفه ، وان تبعثوا الحرب لا نقعد ، اراد
لا نظهره وقال النابغة ، تخفى باظلافها حتى اذا بلغت ،
، يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما ، وقد روى اهل العربية اخفيت الشئ
بمعنى سترته واخفيته بمعنى اظهرته وكانت القراءة بالضم تحتمل الامرين
الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار
كان الكلام فى اكاد واحتمالها للوجوه الثلاثة التى ذكرناها كالكلام فيها
اذا كانت بمعنى الستر والتغطية فان قيل اى معنى لقوله انى استرها لتجزى

ان اخفيها

قوله يخفى التراب يصف شدة عدو
الثور وانه قد يثير الغبار باظلاف
ثمانية فى اربع قوائم مقدار
مسهن الارض تحليل اى
قول الرجل فى يمينه
ان شاء الله
ه

كل

كل نفس بما تسعى واظهرها على الوجهين جميعا واى فائدة فى ذلك قلنا
الوجه فى هذا ظاهر لانه تعالى اذا استرعنا وقت الساعة كانت دواعينا الى
فعل الجميل والقبيح مترددة واذا عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين الى التوبة
بعد مفارقة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب
به فصار ما اريد من المجازاة للمكلفين بسعيهم وايصال ثواب اعمالهم يمنع من
اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فاذا كانت لفظة اخفيها بمعنى
الاظهار فوجه ايضا واضح لانه تعالى انما يقيم القيمة ويقطع التكليف ليجازى
كلا باستحقاقه ويوفى مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسئ باستحقاقه فوضح
وجه قوله تعالى اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على المعنيين جميعا قال
السيد قدس الله روحه وجدت ابا بكر محمد بن القاسم الانبارى يطعن
على جواب من اجاب فى قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر بان معناه
كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد ان يكون منطوقا بها ولو جاز
ضميرها لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيتأول قام عبد الله لم يقم
عبد الله لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم عبد الله وهذا الذى ذكره غير
صحيح ونظن ان الذى حمله على الطعن فى هذا الوجه حكايته له عن ابن
قتيبة لان من شأنه ان يرد كل ما يأتى به ابن قتيبة وان تعسف فى الطعن عليه
والذى استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر فى مواضع يقتضيها بعض
الكلام وان لم يكن فى صريحه الا ترى انهم يقولون اوردت على فلان من
العتاب والتوبيخ والتقريع ما مات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان
فلانا لم يبق فيه روح وما اشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا
بد من اضمار كاد فيه وقال جرير ، ان العيون التى فى طرفها مرض ،
، قتلننا ثم لم يحيين قتلانا ، وانما المعنى انهن كدن يقتلننا لهذا اكثر
فى الشعر والكلام من ان نذكره وليس ممتنع واما قوله يحيين قتلانا فالاظهر
فى معناه انهن لم يزلن ما قاربنا عند الموت والقتل من الصدود والهجر
وما اشبه ذلك وسمى هذه الامور حياة كما سمى اضدادها قتلا وقد قيل

فى

اضمارها

ان معنى يحيين انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتل عند العرب
كالحياة له وقد روى ثم لم يحيين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم
ولامحصل ومعناه ضعيف ركيك واذا كان الامر على ما ذكرنا لم يمتنع ان يقال
قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت
فاما قوله فيكون تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله فخطأ لانه ليس معنى كاد يقوم
انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله واراد
كاد يقوم فقد افاد ما لا يفيده قوله لم يقم فاما قوله تعالى زاغت الابصار فمعناه
زاغت عن النظر الى كل شئ فلم تلتفت الا لعدوها ويجوز ان يكون المراد بزاغت
الابصار اى حارت ومالت عن القصد فى النظر دهشا وتحيرا فاما قوله تعالى
وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون على
عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمحصون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضا ان يريد
الله تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله به
من النصر وشكوا فى خبره تعالى كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا وظن المومنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم فى قوله
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكل ما ذكرناه واضح فى تاويل
الآية وما تعلق بها **مجلس آخر** تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
وجعلنا نومكم سباتا فقال اذا كان السبات هو النوم فكانه قال وجعلنا نومكم
نوما وهذا مما لا فائدة فيه **الجواب** قلنا فى هذه الآية وجوه منها ان يكون
المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كان فى يوم الجمعة
والفراغ منه فى يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذى كان فيه ولان الله
تعالى امر بنى اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال قيل واصل السبات التمدد
يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته من العقص وارسلته قال الشاعر
وان سبتته مال جثلا كانه ، سدى واهلات من نواسج خثعما
اراد ان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت
ايضا الحلق يقال سبت شعره اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال

روى المبرد يحيين فتحيا

السبتية

السبتية التى لا شعر عليها قال عنترة ، بطل كان ثيابه فى سرحة
يحذى نعال السبت ليس بتوأم ، ويقال لكل ارض مرتفعة منقطعة مما
حولها سبتا وجمعها اسبات فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم قطعا
لاعمالكم وتصرفكم ومن اجاب بهذا الجواب يقول انما سمى يوم السبت بذلك لان
بدأ الخلق كان يوم الاحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية
الى معنى القطع وقد اختلف الناس فى ابتداء الخلق فقال اهل التوراة ان الله
تعالى ابتداه فى يوم الاحد فكان الخلق فى يوم الاحد والاثنين والثلاثا
والاربعا والخميس والجمعة ثم فرغ فى يوم السبت وهذا قول اهل التوراة وقال
آخرون ان الابتدا كان فى يوم الاثنين الى السبت وفرغ فى يوم الاحد وهذا
قول اهل الانجيل فاما قول اهل الاسلام فهو ان ابتدا الخلق كان فى يوم السبت
واتصل الى الخميس وجعلت الجمعة عيدا فعلى هذا القول الاخير يمكن ان يسمى
اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الارض فقد روى ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان الله تعالى خلق التربة يوم السبت وخلق
فيها الجبال يوم الاحد ومنها ان يكون المراد بذلك انا جعلنا نومكم سباتا ليس
بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده واحواله اشياء كثيرة يفقدها
الميت فاراد سبحانه ان يمتن علينا بان جعل نومنا الذى يضاهى فيه بعض
احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحياة والادراك
فجعل التاكيد بذكر المصدر قائما مقام نفى الموت وسادا مسده قوله وجعلنا
نومكم ليس بموت ويمكن فى الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو ان السبات ليس
هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات
هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه
مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك فى كل نائم واذا كان الامر على هذا لم يجر
قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا مجرى ان يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه
فى الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما فى ذلك لنا
من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة

بل يصحبهما في الاكثر القلق والانزعاج والهموم هي التي تقلل النوم وتنزره
وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح
قال السيد قدس الله روحه وجدت ابا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن
على الجواب الذي ذكرناه اولا ويقول ان ابن قتيبة اخطأ في اعتماده لان الراحة
لا يقال لها سبات ولا يقال سُبِّت الرجل بمعنى استراح واراح يعتمد على
الجواب الذي ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قوله سبتت المرأة
شعرها ان معناه ايضا القطع لان ذلك انما يكون بازالة الشداد الذي كان
مجموعا به وقطعه والمقدار الذي ذكره ابن قتيبة الانباري لا يقدح في جواب
ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا كانتا عن نوم
وان لم يوصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يخص الراحة اذا كانت
على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن في
امتناع قولهم سُبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على ان السبات لا
يكون اسما للراحة عند النوم والذي يبقى على ابن قتيبة ان يبين ان السبات هو
الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذي ذكره يمكن
ان يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال فان قيل فما الفرق بين
جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه اخيرا قلنا الفرق بينهما بين لان
ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعله عبارة عنها واخذ يستشهد على
ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة
واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل
بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عنده حقيقة والاستراحة تقع على
جوابنا عند السبات وليس السبات اياها بعينها على ان في الجواب الذي
اختاره ابن الانباري ضربا من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما
ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا
البناء الى سمع عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يورد من اي وجه اذا كان
السبت هو القطع جاز ان يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

تأويل

تأويل خبر ان قال قائل ما تأويل الخبر الذي رُوي عن النبي صلى الله
عليه وآله ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان الميت
يعذب في قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضا
فقال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح
عليه **الجواب** اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا
الاتساع والمجاز قُبح مؤاخذة احد بذنب غيره وعلمنا ايضا بادلة السمع
مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد ان نصرف ما ظاهره
بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى في الاخبار التي سألنا عنها ان صحت
روايتها انه اوصى موص بان يُناح عليه ففعل ذلك بامره وعن اذنه فانه
يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النياحة والبكا
بل المعنى انه يؤاخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال صلى الله عليه وآله
ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ويؤكدون
الوصية بفعله هذا مشهور عنهم قال طرفة بن العبد

فان مت فانعيني بما انا اهله ، وشقي علي الجيب يا ام معبد
وقال بشر بن ابي حازم لابنته عميرة ، فمن يك سائلا عن بيت بشر
فان له بجنب الردة بابا ، ثوى في ملحد لا بد منه
كفى بالموت نأيا واغترابا ، رهين بلى وكل فتى سيبلى
فاذري الدمع وانتحبي انتحابا ، وقد روي عن ابن عباس في هذا
الخبر انه قال وَهِلَ ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وآله على يهودي فقال
انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره وقد روي انكار هذا الخبر عليه ايضا
عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وآله وانها قالت لما اخبرت بروايته
وَهِلَ ابو عبد الرحمن كما وَهِلَ يوم قليب بدر انما قال ان اهل الميت ليبكون
عليه وانه ليعذب بجرمه قال السيد قدس الله روحه معنى وَهِلَ اي ذهب
وَهمُه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشيء فانا اهل وهلا اذا ذهب وهمك
اليه ووهلت عنه اَهِل وهَلا اذا نسيته وغلطت فيه ووَهِلَ الرجل يوهَل

وهلا اذا فزع والوهل الفزع فاما القليب فهي البئر والجمع القلب قال
حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين ، يناديهم رسول الله لمّا ،
، قذفناهم كباكب في قليب ، الم تجدوا حديثي كان حقا ،
، وامر الله ياخذ بالقلوب ، وقال آخر يبكي قتلى بدر من المشركين
، فماذا بالقليب قليب بدر ، من الفتيان والشرب الكرام ،
، وماذا بالقليب قليب بدر ، من الشيزى تكلل بالسنام ،
ومعنى وهله في ذكر القليب انه روى ان النبي صلى الله عليه وآله وقف على
قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم ليسمعون ما اقول
فانكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه السلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت
اقول لهم هو الحق واستشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى واهل القليب
جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي
عن عبد الله بن مسعود انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم
قائما يصلي بمكة واناس من قريش في حلقة فيهم ابو جهل بن هشام قال الا يمنع
احدكم ان ياتي الجزور التي نحرها آل فلان فياخذ سلاها ثم ياتي به حتى اذا
سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء
به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت
فاطمة عليها السلام وهي يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى
قامت على رؤوسهم فاوسعتهم شتما قال فوالله لقد رايت بعضهم يضحك
حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه وآله
اقبل الى القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا النبي صلى الله عليه وآله
قد دعا عليهم أسقط في ايديهم فوالله الذي لا اله الا هو ما سمى النبي صلى الله
عليه وآله احدا يومئذ الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجر الى القليب
مقتولا قوله فياخذ سلاها اي جلدتها التي فيها ولدها ما دام في بطنها
والجمع الاسلاء وقال ابن حبيب الله الاسلاء التي فيها الاولاد قال الاخطل
، يطرحن بالثغر السخال كانما ، يشققن بالاسلاء اردية العصب ،

اى جماعات

الشبرق شجر عظيم يتخذ منه الجفان

فقال

غيره

ويطرحن

وقال

وقال الشماخ ، والعيس دامية المناسم ضمّر ، يقذفن بالاسلاء تحت الاركب ،
وقال الفراء سُقط في ايديهم من الندامة واُسقط لغتان وهي بغير الف
اكثر واجود ويمكن ان يكون في قوله يعذب ببكاء اهله عليه وجه آخر وهو
ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا اعلمه ببكاء اهله واعزته عليه وما لحقهم
بعده من الحزن والهم تالم بذلك فكان عذابا له والعذاب ليس بجار مجرى
العقاب الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيرا بحيث يستعمل
الالم والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتداه بالضرر والالم قد
عذبني بكذا وكذا وآذيتني كما يقول ضربت بي وآلمتني وانما لم يستعمل
العقاب حقيقة في الآلام المبتداة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة
التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب تاويل خبر ان
سال سائل عن الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ما من احد يدخله عمله الجنة ويُنجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثا فقال اليس
في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم
بخلاف ذلك الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى
الله تعالى وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو احوج الى
نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا
نجا من النار فكانه عليه السلام اراد ان احدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم
يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا ارشده اليه وهذا هو الحق الذي لا
شبهة فيه فاما الثواب فما نابى القول بانه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل
بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء
وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كان اوجبه على نفسه
بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف وكل ما يحتاجه ويوجبه التكليف
ولولا ايجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب فان قيل فقد سمى الرسول
عليه السلام ما يفعله به تفضلا فقال الآن يتغمدني الله برحمة منه وفضل

بكاء

ليقول

تفضلا

قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل
وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه السلام برحمة منه وفضل
على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي ايضا فضل وتفضل لان سببها
غير واجب فاما قوله عليه السلام يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف
في غمده اذا سترته قال الشاعر ، نصبنا رماحًا فوقها جد عامر ،
، كظل السماء كل ارض تعمدا ، فالجد ههنا الحظ وشبه ما قسم لعامر من
الغلبة والظفر بظل السماء الذي يستر كل شي ويظهر عليه اخبرنا ابو القسم
عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد
الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوي
قال اخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله
والمبهور المكروب وانشدنا ، ابرزوها مثل المهاة تهادى ،
، بين خمس كواعب اتراب ، ثم قالوا تحبها قلت بهرًا ،
، عدد القطر والحصى والتراب ، قال السيد قدس الله روحه وقيل

الرُّبل النجم

في معنى قوله بهرا غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال اخبرنا
محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن اسمعيل قال حدثنا التوزي
عن ابي عمر الاسدي قال سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول عمر بن ابي ربيعة
حجة في العربية وما اخذ عليه شي الا قوله ، ثم قالوا تحبها قلت بهرا ،
وله عندي فيه عذر ان اراد الخبر لا الاستفهام كانهم قالوا انت تحبها على
جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فاكدهم اخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهرا
يجوز ان يكون اراد نعم احبها حبا بهرني بهرا يعني عقرا وتعسا دعا عليهم

تعسًا

اذ جهلوا من حبه لها ما لا يجهل منه وانشد ابو عمرو ،
، لحى الله قومي اذ يبيعون مهجتي ، بجارية بهرا لهم بعدها بهرا ،

البيت لابن ميادة واسمه الرماح بن ابرد

قال ابو عمرو ويكون بهرا بمعنى ظاهرا اي بيحبها ظاهرا من قولهم قمر باهر
وقد حكى بعض الرواة انه قال قيل لي هل تحبها قلت بهرا والرواية الاولى
هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان

البيتان

البيتان لعمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي من جملة ابيات منها ،
، من رسولي الى الثريا باني ، ضقت ذرعا بهجرها والكتاب ،
، وهي مكنونة تحير منها ، في اديم الخدين ماء الشباب ،
، سلبتني مجاجة المسك عقلي ، فسلوها بما تحل اغتصابي ،
، ازهقت ام نوفل اذ دعتها ، مهجتي ما لقاتلي من متاب ،

ازهقت

، حين قالت لها اجيبي فقالت ، من دعاني قالت ابو الخطاب ،
، ابرزوها مثل المهاة تهادى ، بين خمس كواعب اتراب ،
، ثم قالوا تحبها قلت بهرًا ، عدد القطر والحصى والتراب ،
والثريا هذه التي عناها عمر اموية وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا
بنت عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر بن عبد شمس وقيل انها الثريا بنت
علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وذكر الزبير ابن بكار ان الثريا
بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وانها اخت محمد
ابن عبد الله المعروف بابي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي واخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يحيى عن
الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن افلح قال اخبرني بلال مولى ابن
ابي عتيق في حديث طويل لعمر بن ابي ربيعة مع الثريا اختصرناه واوردنا
بعضه قال لما سمع ابن ابي عتيق قول عمر من رسولي الى الثريا قال ابأي اراد

اى رفع بذكرى

وبي نوّه لا جرم والله لا اذوق اكالا حتى اشخص اليه لاصلح بينهما فنهض
ونهضت معه فجاء قوما من بني الديل بن بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها

اى اخذنا بكرا غال

فاكترى منهم راحلتين واغلى لهم بها فقلت له استوصفهم شيا او دعني اماكسهم

تجاوزوا الحد

فقد اشتطوا فقال لي ويحك اما علمت ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب
احداهما وركبت الاخرى فسار سيرا شديدا فقلت له ارفق على نفسك فان ما
تريد لا يفوتك فقال ويحك ابادر حبل الود ان يتقضب وما ملح الدنيا ان يتم
الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه
فسلم عليه فما نزل ابن ابي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب اصلح بينك وبين

الثريا فانا رسولك الذي سالت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن
ابي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني سفر المدينة اليك فجئت به معترفا بذنب ظالم
يجنه معتذر امن اساءته اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين
يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكرّنا راجعين الى المدينة ولم
يقم ابن ابي عتيق بمكة ساعة واحدة وفي الثريا يقول عمر ايضا لما تزوجها سهيل
ابن عبد الرحمن بن عوف المكنى بابن ابي الابيض وقيل بل تزوجها سهيل بن
عبد العزيز بن مروان ؛ ايها المنكح الثريا سهيلا ؛ عمرك الله كيف يلتقيان ؛
؛ هي شامية اذا ما استقلت ؛ وسهيل اذا استقل يماني ؛ مجلس آخر
تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال اما الفائدة
في قوله ما غشيهم وقوله غشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيهم لا يكون
الا للذي غشيهم وما الوجه في ذلك قلنا قد ذكر في هذا اجوبة احدها ان يكون
المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم
بعضه فقال تعالى ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا
بجميعه وهذا الوجه حكي عن الفراء وذكره ابو بكر بن الانباري واعتمد وغيره
اوضح منه واليم هو البحر قال الشاعر ؛ وبنى تبع على اليم قصرا ؛
؛ عاليا مشرفا على البنيان ؛ وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما غشي
موسى واصحابه وذلك ان موسى عليه السلام واصحابه وفرعون واصحابه
سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى
عليه السلام وقومه جعل لهم في البحر طريق يبس فقال تعالى فغشي فرعون
وقومه من ماء البحر ما غشي موسى وقومه فنجا هولاء وهلك هولاء وعلى هذا
التاويل يكون الهاء في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كني عنه بقوله فغشيهم
لان الاولة كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها
انه غشيهم من عذاب اليم واهلاكهم ما غشي الامم السالفة من الهلاك
والعذاب عند تكذيبها انبياءهم واقامتهم على رد اقوالهم والعدول عن
ارشادهم والامم السالفة وان لم يغشهم العذاب والاهلاك من قبل البحر فقد

فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم انبياءهم فشبه
بينهم وبين هولاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب
ورابعها ان يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك
فيكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم
من قبل البحر ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكروها وهو واضح بليق بمذاهب
العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو ان تكون الفائدة في قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم تعظيم الامر وتفخيمه كما يقول القائل فعل فلان ما
فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال تعالى وفعلت فعلتك التي
فعلت ومما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا
وانت انت وفي القوم هم هم قال الهذلي ؛ رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع
؛ فقلت وانكرت الوجوه هم هم ؛ وقال ابو النجم ؛ انا ابو النجم وشعري شعري
كل ذلك اذا ارادوا تعظيم الامر وتكبيره تاويل آية ان سال
سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا
يشعرون فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد الا ما يفيد قوله فخر
عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الاول لا يذهب وهم احد الى ان
السقف يخر من تحتهم الجواب قيل له في ذلك اجوبة اولها ان يكون معنى
على بمعنى عن فيكون المعنى فخر عليهم السقف من فوقهم اي خر عن كفرهم وجحودهم
بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون على
وعن بمعنى من اجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية فخر من اجل كفرهم السقف
من فوقهم قال الشاعر ؛ ارمي عليها وهي فرع اجمع ؛ وهي ثلاث اذرع واصبع
اراد ارمي عنها لان كلام العرب رميت عن القوس فاقام على مقام عن ولو
انه قال تعالى على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز ان يتوهم
متوهم ان السقف خر وليس هم تحته وثانيها ان يكون على بمعنى اللام والمراد
فخر لهم السقف فان على قد يقام مقام اللام وحكي عن العرب ما اغيظك
علي وما اغمك علي يريدون ما اغيظك واغمك لي قال الطرماح يصف ناقة

اى خمس انوق

يعني كان تجافيف اعضائها المتجافية عند البروك معرس خمس انوق

، كان مخواها على ثفناتها ، معرس خمس وُقّعت للجناجن ،

اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدور فاقام اللام مقام على وقد يقول القائل ايضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد انه كان تحته فاخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة لولاها فُهمت ولجاز ان يتوهم متوهم في قوله فخر عليهم السقف ما يتوهم من قوله خرب عليه رَبْعُهُ ووقفت عليه دابته واشباه ذلك وللعرب في هذا مذهب ظريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك الا ترى انهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قوله خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قال علي وروى علي فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن ان يقال يتلون عليه ولو كان خيرا لقيل عنه ومثله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون وقال الشاعر ، عرضت نصيحة مني ليحيى ، فقال غششتني والنصح مرّ

، وما بي ان اكون اعيب يحيى ، ويحيى طاهر الاخلاق بَرّ ،

، ولكن قد اتاني ان يحيى ، يقال عليه في بقعاء شرّ ،

، فقلت له تجنب كل شيء ، يقال عليك ان الحرّ حُرّ ،

يعاب

ومثله قول الفرزدق عنبسة ابن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتتبع شعره ويخطئه ويلحنه ، لقد كان في معدان والفيل زاجر ، لعنبسة الراوي عليّ القصائدا ، فقال عليّ ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه في الآية ان يكون من فوقهم تأكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون الا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة تأويل خبر ان سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن اسحاق الهجري عن ابي الاحوص

عن

فعل مِن لبُثت

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان هذا القرآن مأدُبَة الله فتعلموا مأدُبته ما استطعتم وان اصفر البيوت لجوف اصفر من فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المأدُبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس اليه فشبّه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وفائدته عليه اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال أدَب الرجل يأدِب فهو آدِب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال المأدُبة المدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا مأدَبة بفتح الدال قال طرفة بن العبد

، نحن في المشتاة ندعو الجفلى ، لا ترى الآدب فينا ينتقر ،

ومعنى الجفلى انه عمّ بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم والنقرى اذا خص بها بعضا دون بعض معنى ينتقر من النَقَرى قال بعض هذيل

، وليلة يصطلي بالفرث جازرها ، يختص بالنقرى المثرين داعيها ،

ضيرتيه لشدة البرد

، لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ، عند الصباح ولا تسري افاعيها ،

معنى يصطلي بالفرث جازرها ان الجازر اذا شق الكرش ادخل يديه لشدة البرد في الفرث مستدفئا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها انه يخص بدعائه الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة وقال الآخر

، قالوا ثلاثاؤه خصب ومأدُبة ، وكل ايامه يوم الثلاثاء ،

وقال الهذلي يصف عقابا ، كأن قلوب الطير في جوف وكرها ،

، نوى القسب يلقى عند بعض المآدب ، اراد جمع مأدبة وقد روي هذا الحديث بفتح الدال المأدَبة وقال الاحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المأدَبة بفتح الدال مفعلة من الادب معناه ان الله تعالى انزل القرآن أدبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مأدُبة ومأدَبة والقرآن مذكر يعني المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة

، والكفر مخبثة لنفس المنعم ، وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة

اى ضعيف جاهل

التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس
ولطعام الختان العذيرة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر
العقيقة ولطعام القادم من سفره النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذي
تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر ، اذا النفساء لم تخرس ببكرها ،
، غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها ، الحتر الشئ القليل وقال آخر ،
، كل الطعام تشتهي ربيعه ، الخرس والاعذار والنقيعه ،
ويروى العرس وينشد ايضا في النقيعة قول الشاعر ، ،
، انا لنضرب بالسيوف رؤسهم ، ضرب القدار نقيعة القدام ،
والقدار الجزار والقدام جمع قادم وقال ابو زيد يقال لطعام الاملاك
النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة
وقال الفراء الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس وقال ابو زيد
يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها انقعت وقال ابن السكيت
يقال للطعام الذي يتعلل به قبل الغداء السلفة واللهنة يقال لهنوا ضيفهم
اي اطعموه اللهنة قال الشاعر ، عجبت عارضها منفل ، طعامها اللهنة او اقل ،
وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل فلان ياكل الودمة اذا كان ياكل اكلة
في اليوم وقال الاصمعي فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل اكلة في اليوم والليلة
قال بشار ، فاستغن بالوجبات عن ذهب ، لم يبق قبلك لامرئ ذهبه ،
وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اسرع في سيره كيف كان سيرك
فقال كنت آكل الوجبة وانجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل اذا
اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع فجئتكم لمسي سبع قوله انجو الوقعة
معناه اقضي حاجتي مرة في اليوم وهو من النجو وقوله اسير الوضع فالوضع
سير فيه بعض الاسراع والملع سير اشد منه فاراد انه يجتنب الشديد من
السير كراهة ان يقطع ظهره قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها ويقال شر
السير الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال
الشاعر ، اذا ما اردت الارض ثم تباعدت ، عليك فضع رحل المطية وانزل ،

اي استرح حتى تقوى على السير فان جهدت نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق
ظهرا وهذا من ابيات المعاني التي يسال عنها والذي قيل فيه ما ذكرناه ويمكن
ايضا ان يكون معنى البيت اذا بعدت عليك ارض فدعها واسال عنها كما يقال
دواء ما اعز مطلبه الصبر وما جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر
بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور وقال الاخر في معنى البيت الاول
، تقطع بالنزول الارض عنا ، وبعد الارض يقطعه النزول ،
وقوله جئتكم لمسي سبع معناه لمساء سبع ليال ويقال للذي يحضر طعام القوم
من غير ان يدعوه اليه الوارش والورُوش وقول العامة طفيلي مولد لا يوجد
في العتيق من كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة
لا يفقد من وليمة من غير ان يدعى اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل
هذا في وقته ويقال الذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى اليه واغل
قال امرؤ القيس ، فاليوم فاشرب غير مستحقب ، اثما من الله ولا واغل ،
ويقال الوغل لما يشرب به قال الشاعر ، ان اك مسكيرا فلا اشرب الوغل ولا يسلم
مني البعير ، وقوله صلى الله عليه وآله ان اصفر البيوت لبيت اصفر من
كتاب الله معناه ان اخلى البيوت والصفر عند العرب الخالي من الآنية
وغيرها ويمكن في قوله مادبة وجه آخر وهو ان يكون وجه التشبيه للقرآن
بالمادبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق اليه وامرهم بالاجتماع عليه فسماه
عليه السلام مادبة لهذا الوجه لان المادبة هي التي يدعى الناس اليها
ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الاول لان الاول تضمن ان وجه
التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو الى
المادبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع
لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد ان يريد
عليه السلام بالخبر المعنيين معا فلا تنافي بينهما اخبرنا ابو الحسن علي بن
محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا في مجلس
الاصمعي اذ اقبل اعرابي فقال ابن عميد كم فاشرنا الى الاصمعي فقال له ما

اي اصعب

يقال له طفيل العرائس وطفيل الاعراس

المستحقب الذي يحمل على ظهره كالحقيبة

الجوف

معنى قول الشاعر ، لامال الا العطاف توزره ، ام ثلاثين وابنة الجبل
، لا يرتقى النز فى ذلاذله ، ولا يعدى نعليه من بلل ، فقال الاصمعى
، عضرته نطفة تضمنها ، لصب تلقى مواضع السبل ، او وجبة من جناة اشكلة
، ان لم يرغها بالقوس لم تنل ، قال فادبر الاعرابى وهو يقول لم ار كاليوم
عضلة قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفا فى راس جبل يقول لا مال
له الا العطاف وهو السيف توزره ام ثلاثين يعنى كنانة فيها ثلاثون سهما
وابنة الجبل يعنى القوس لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره وقوله
لا يرتقى النز فى ذلاذله لانه فى راس جبل فلا نز هنالك يتعلق بما يفضل
من ثيابه ولا بلل يعدى نعليه عنه والعضرة الملجأ والنطفة الماء المجتمع
فى صخر او غيره من بقية ماء المطر واللصب الشق فى الجبل اضيق من
اللهب واوسع من الشقب والسبل المطر والوجبة ان ياكل كل يوم مرة
والاشكل السدر الجبلى واحدته اشكلة يقول فهذه النطفة والوجبة من
الاشكلة عضرتاه وقوله ان لم يرغها يعنى انها لا تنال باليد حتى تحرك
بالقوس قال السيد قدس الله روحه وانما جعل الاصمعى انشاد باقى
الابيات دلالة على معرفة معناها لانه يبعد ان يعرفها ولا يعرف معناها
والاعرابى انما سال عن المعنى فاقام انشاده لها مقام تفسيرها فاستغنى
الاعرابى بذلك وعلم بتمامه للابيات معرفته بمعناها وكان للاصمعى
كثيرا اذا انشد شيئا من الشعر يحشد فى معناه فى الحال فمن ذلك انشد
اسحاق بن ابراهيم الموصلى انشد يوما لنفسه ، اذا كانت الاحرار اصلى ومنصبى
، وقام بنصرى حازم وابن حازم ، عطست بانف شامخ وتناولت
، يداى الثريا قاعدا غير قائم ، قال فلما فرغت من انشادهما انشد
بعقب ذلك ، الا ايها السائلى جاهلا ، ليعرفنى انا انف الكرم
، نمت بين الكرام بنو عامر ، فروعى واصلى قريش العجم
قال فجاء والله بالشعر الذى نحوته وعملت بيتى عليه واخبرنا ابو عبيد الله
المرزبانى قال حدثنا محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا عون بن محمد قال

اصل العطاف الردا فجعل كناية عن السيف

ان لم يُرِغها يُرِغْها

من اعضل الامر اى اشكل

الشعْب

يقول اصلى قريش الذين يسكنون بلاد العجم وفرعى بنو عامر كان اباه قرشى وامه عامرية

حدثنا

حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ما انشدت الاصمعى شيئا قط الا انشدنى مثله
كانه اعده لى فانشدته يوما للاعشى ، علقتها عرضا وعلقت رجلا
، غيرى وعلق اخرى غيرها الرجل ، فانشدنى فى وقته
، قتلت اخت بنى لوى اذ رمت ، واصاب نبلك اذ رميت سواها
، واعارها الحدثان منك مودة ، واعار غيرك ودها وهواها ،
وذكر ابو العيناء قال كان الاصمعى اذا سمع انسانا ينشد شعرا فى معنى انشد
فى ذلك المعنى من غير ان يريه انه اراده فانشد رجل قول القطامى
، والناس من يلق خيرا قائلون له ، ما يشتهى ولام المخطئ الهبل ،
فانشد هو قول قعنب الفزارى ، فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ،
، ومن يغو لا يعدم على الغى لائما ، وروى ميمون بن هارون قال سمعت
اسحاق بن ابراهيم يقول انشدت الاصمعى قول الاعشى طلبا ان ينشد فى
مثله وكان مع بخله بالعلم لا يضن بمثل هذا ، ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
، او تنزلون فانا معشر نزل ، فانشدنى لربيعة بن مقروم الضبى
، ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ، بسليم اوظفة القوائم هيكل ،
، فدعوا نزال فكنت اول نازل ، وعلام اركبه اذا لم انزل ،
وروى عن اسحاق بن ابراهيم ايضا انه قال دخل الى الاصمعى يوما وعنده
اخ العمانى الراجز حافظ راويته فلما دخلت عبث به اخو العمانى فقال له من
هذا قال هو الباهلى الذى يقول ، فما صحفة مادومة باهالة ،
، باطيب من فيها ولا قطر رطب ، فقال له قبل ان يستتم الكلام هو على
على كل حال اصلح من قول اخيك العمانى ، يا رب جارية حوراء ناعمة ،
، كانها عومة فى جوف راقول ، قال اسحاق فقلت له اكنت اعددت هذا
الجواب قال لا ولكن ما مر بى شئ الا وانا اعرف منه طرفا **مجلس آخر**
تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال اى معنى لقولهم بافواههم
ومعلوم ان القول لا يكون الا بالافواه **الجواب** قلنا القول يحتمل

معنيين في كلام العرب احدهما القول باللسان والآخر بالقلب فالقول
الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب
بالقول مذهب الظن فقالوا انقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا
يريدون متى تظن قال الشاعر

اما الرحيل فدون بعد غد ، فمتى تقول الدار تجمعنا ،

اراد متى تظن الدار وقال الآخر

اجهالا تقول بنى لؤى ، لعمر ابيك ام متجاهلينا ،

اراد تظن بنى لؤى وقال توبة بن الحمير

الا يا صفى النفس كيف تقولها ، لو ان طريدا خائفا يستجيرها ،
تخبر ان شطت بنا غربة النوى ، ستنعم ليلى او يفك اسيرها ،

اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل
في الامرين معا افاد قوله تعالى بافواههم قصر المعنى على ما يكون باللسان دون
القلب ولو اطلق القول وطرابات بذكر الافواه لجاز ان يتوهم المعنى الآخر ومما
يشهد لذلك قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله
يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فلم يكذب تعالى قول السنتهم
لانهم لم يخبروا بافواههم الا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات
ووجه آخر وهو ان تكون الفائدة في قوله تعالى بافواههم ان القول لا برهان
عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه الى مجرد القول باللسان لان الانسان قد
يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقا اذا كان راجعا الى برهان فيكون الحجة
اضافة القول الى اللسان يقتضى ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل
لمن يشك في قوله او يكذبه هكذا تقول بلسانك وليس الشان فيما تقوله وتتفوه باللسان
به وتقلب به لسانك فكانهم ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاقاموا
قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بافواههم مقام ذلك المعنى انه قول
لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه الى اللسان ووجه آخر وهو ان تكون
الفائدة في ذلك التاكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من
الوجهين اولى لان حمل كلامه تعالى على الفائدة اولى من حمله على ما يسقطها
الفائدة تاويل آية اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين

من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فقال اى معنى لرد الايدى في الافواه واى
مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام الجواب قلنا في ذلك وجوه
اولها ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا ايديهم في افواههم عاضين عليها
غيظا وحنقا على الانبياء عليهم السلام كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ في معاندته
ومكايدته وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق انه يعض على اصابعه ويفرك
اناملة ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من الافعال وثانيها
ان يكون الهاء في الايدى للكفار المكذبين والهاء التي في الافواه للرسل عليهم السلام
فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل
ما نعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكت منا لصاحبه والراد لقوله وثالثها ان تكون
الهاء التي في الايدى والتي في الافواه معا للرسل والمعنى انهم كانوا ياخذون ايدى
الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ورابعها ان تكون الهاءان
جميعا ترجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم
وانذارهم وضعوا ايدى انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك الى الكف عن
الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا تسكيت غيره ومنعه من الكلام من
وضع اصبعه على في نفسه وخامسها ان يكون المعنى فردوا القول بايدى
انفسهم الى افواه الرسل اى انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم فالهاء الاولى
للقوم والثانية للرسل والايدى انما ذكرت مثلا وتاكيدا كما يقول القائل
اهلك فلان نفسه بيده اى وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره وسادسها
ان المراد بالايدى النعم وفي محوله على الباء والهاء الثانية للقوم المكذبين
والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اى ردوا وعظهم
وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان نعما عليهم ويجوز ايضا
ان تكون الهاء التي في الايدى للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز
اضافتها اليهم وحمل لفظة في على الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض
يقولون رضيت عنك ورضيت عليك وحكى في لغة طى ادخلك الله بالجنة

يريدون فى الجنة فيعبرون بالبناء عن معنى فى كذلك يصح ايضا ان
يعبر وابغى عن البناء قال الشاعر ، وارغب فيها عن لقيط ورهطه ،
ولكننى عن سنبس لست ارغب ، اراد وارغب بها نحلى فى على البناء
وسابعها وهو جواب ابى مسلم بن بحر وزعم انه اولى من غيره قال المضمرون
فى قوله ايديهم الرسل وكذلك المضمرون فى افواههم والمراد باليدهنا ما
نطق به الرسل من الحجج والبينات التى ذكر الله تعالى انهم جاوا بها قومهم
واليد فى كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان ايضا وعلى الملك وعلى
العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذى اتى به الانبياء قومهم هو
الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد ولما
كان ما يعظ به الانبياء قومهم وينذرونهم به انما يخرج من افواههم فردوه
وكذبوه قيل انهم ردوا ايديهم فى افواههم اى انهم ردوا القول من حيث جاء — وكذبوهم
قال ولا يجوز ان يكون الضمير فى ذلك للرسل اليهم كما تاوله بعض المفسرين
وذكر ان معناه انهم عضوا عليهم انا ملهم غيظا لان رافع يده الى فيه والعاض
عليها لا يسمى رادا ليده الى فيه الا اذا كانت يده فى فيه فيخرجها ثم يردها
قال السيد قدس الله روحه وليس ما استنكره ابو مسلم من رد الايدى
الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد
فلان يقول كذا او رجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ — يفعل
هذا القول تحقيقا لساغ تجوزا واتساعا وليس يجب ان توخذ العرب
بالتحقيق فى كلامها فان تجوزها واستعاراتها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد
بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شئ وتكرر منهم فلهذا جاز ان تقول
ردوا ايديهم فى افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر
جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا صرنا الى
مراده ، تاويل خبر روى ان مسلما الخزاعى ثم المصطلقى قال شهدت
رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقى
، لا تامنن وان امسيت فى حرم ، ان المنايا بجنبى كل انسان ،

واسل

، واسلك طريقك تمشى غير مختشع ، حتى تبين ما يمنى لك المانى ، — الاختشاع مثل الخشوع
، فكل ذى صاحب يوما يفارقه ، وكل زاد وان ابقيته فانى ، — مفارقه
، والخير والشر مقرونان فى قرن ، بكل ذلك ياتيك الجديدان ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو ادرك هذا الاسلم فبكا مسلم فقال له ابنه يا
ابه ما يبكيك من مشرك مات فى الجاهلية فقال يا بنى لا تفعل فما رايت مشركة
تلقفت من مشرك خيرا من سويد قوله ما يمنى لك المانى معناه ما يقدر لك
القادر قال الفراء يقال منى الله عليك الموت اى قدر عليك الموت وقال يعقوب
مناك الله بما يسرك اى قدر لك ما يسرك وانشد لابى عمرو ،
، لقد ساقه المنا الى جدث ، يوزى له بالاهاضيب ، قال ابن الاعرابى ساقه — يوزى اى يجعل بازائه الاهاضب المواضع المرتفعه
المنا اى ساقه القدر وانشد ابن الاعرابى ، منت لك ان تلاقينى المنايا ، — اى قدرت المنايا بملاقاتها اياى لا اجدك
، احاد احاد فى الشهر الحلال ، معناه قدرت لك وقال ابو عبيدة فى قوله
تعالى من نطفة اذا تمنى معناه اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة انما
سمى منى لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى اى يقدر فيه وقيل ايضا ما يمنى فيه
من الدم وقيل انما سمى بذلك لان ابراهيم عليه السلام لما انتهى اليه قال له
الملك تمن قال اتمنى الجنة فسمى منى لذلك ومنى يذكر ويونث والتذكير اجود
قال الشاعر فى التذكير ، سقى منى ثم رواه وساكنه ، ومن ثوى فيه واهى الودق منبعق ، — مصوت
وقال الآخر فى التانيث ، ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها ،
، اسر من يومنا بالعرج او ملل ، فاما قوله والخير والشر مقرونان فى قرن — مثل اسم موضع والعرج قرية من الطائف ينسب اليها العرجى وهو عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان وكان شاعرا
فالقرن الحبل واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان
فى الدنيا خيرا صرفا ولا شرا محضا فلهذا قال انهما مقرونان ويجوز ايضا ان يريد — مقرونان
ان لسرعة تقلب الدنيا وابدالها الخير بالشر كان الخير والشر مجموعان معا لتقارب
ما بينهما فاما الجديدان فهما الليل والنهار وهما الاجدان والملوان والفتيان والردفان — الملى الدهر
، والعصران قال الشاعر ، ان الجديدين فى طول اختلافهما ،
، لا يفسدان ولكن يفسد الناس ، وقال الآخر ، واماطله العصرين حتى يملنى ،
، ويرضى بنصف الدين والانف راغم ، وقال ابو عبيدة ويقال الليل والنهار

ابنا سبات وانشد ابن الاعرابى ، وكنا وهم كابنى سبات تفرقا ،
، سوى ثم كانا منجدا وتهاميا ، ويقال للغداة والعشى القرنان والبردان
والصرعان اخبرنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد الحكيمى قال املى علينا ابو العباس ثعلب النحوى قال انشدنا ابن الاعرابى
لرفيع الوالبى ، كذبتك ما وعدتك امس صلاح ، وعسى يكون لما وعدت نجاح
، برء من السقم الطويل ضمانه ، لا يستوى سقم بكم وصحاح ،
، اصلاح انك قد رميت نوافذا ، وجوائفا ليست لهن جراح ،
، ولقد رانك بالقوادم لمحة ، وعلى من سدف العشى رباح ،
معنى رباح ههنا اى على وقت من العشى ومثله دواح وقوم يروونه بالكسر
وليس بشئ ، ما كان ابصرنى بغرات الصبى ، فاليوم قد شفعت لى الاشباح ،
، ومشى بجنب الشخص شخص مثله ، والارض نائية الشخوص براح ،
، حلق الحوادث لمتى فتركن لى ، راسا يصل كانه جماح ،
، وذكا باصداغى وقرنى ذوابتى ، قبس المشيب كانه مصباح ،
قال كانه جماح من املاسه وجماح سهم او قصبة يجعل عليه طين ثم يرمى به
الطير وبهذا الاسناد لبعضهم ، ارى الناس للصعلوك حربا ولا ارى
، لذى نشب الا خليلا مصافيا ، ارى المال يغشى ذا الوصوم فلا ترى ،
، ويدعى من الاشراف ان كان غانيا ، الصعلوك الفقير وهو ايضا القرضوب
والسبروت والوصوم العيوب وبهذا الاسناد لعقيل بن علفة ، ،
، انى ليحمد فى الصديق اذا اجتدى ، مالى ويكرهنى ذوو الاضغان ،
، وابيت تخلجنى الهموم كاننى ، دلو السقاة تمد بالاشطان ،
، واعيش بالبلل القليل وقد ارى ، ان الرموس مصارع الفتيان ،
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا على بن ابى منصور قال اخبرنى محمد
ابن موسى عن دعبل بن على قال قال عقيل بن علفة وذكر الابيات الثلاثة
وزاد فيها ، ولقد علمت لئن هلكت ليذكرن ، ،
، قومى اذا علن البغى مكانى ، قال السيد قدس الله روحه وكان عقيل

ابن

اى كان احدهما نجديا والآخر تهاميا
اصل الفرع الذى يصاد به
هو اسم امرأة
سهاما نافذة
اى واسعة نائية
اى فيها معناه ذا غنى
اى تقلقنى

ابن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ وروى المداينى قال قال
عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المزنى ما اخش احوالكم فقال ما نال له
احد منا عن صاحبه تفضلا قال نعم ايها قال لجوار بيننا قال فايها اشرف قال كما
استنفدناه برفعه خولت نعما وافادت عزا قال فما مبلغ عزكم قال مالم يطمع
فينا ولم يؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به مننا وابقينا به ذكرا قال
فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه
قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه وروى انه قيل لعقيل بن علفة قد
عنست بناتك انما تخشى عليهن الفساد قال كلا انى خلفت عندهن الحافظين
قيل وما هما قال الجوع والعرى قال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا
يظهرن قال له عبد الملك يوما ما لك تهجو قومك قال لانهم اشباه الغنم اذا
صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت وقال انما نقول البيت والبيتين قال
حسبى من القلادة ما احاط بالعنق فاما معنى علفة اسم ابيه فان ابن الاعرابى
قال العلفة مثل الباقلاة الرطبة تكون تحت الزهر من البقل وغيره وقال
ابو سعيد السكرى العلفة ضرب من اوعية بذر بعض النبات مثل قشرة الباقلاة
واللوبيا وهو الغلاف الذى يجمع على حب وقيل ان عقيلا كان يكنى بابى الوليد
وكان عقيل غيورا موصوفا بشدة الغيرة وروى ابو عمرو بن العلاء انه حمل
يوما ابنة له وانشا يقول ، انى وان سيق الى المهر ، الف وعبدان وذود عشر ،
، احب اصهارى الى القبر ، وذكر الاصمعى ان عقيلا كان لغيرته اذا راى
الرجل يتحدث الى النساء اخذ ودهن ارفاغه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه
فى قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن وروى الاصمعى قال كان عقيل بن علفة
فى بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فانشا يقول ، ،
، قضت وطرا من دير سعد وربما ، على عجل ناطحنه بالجماجم ،
ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال ، واصبحن بالموماة يحملن فتية ،
، نشاوى من الادلاج ميل العمائم ، ثم اقبل على ابنته فقال اجيزى يا جرباء فقالت
، كان الكرى سقاهم صرخدية ، عقارا تمشت فى المطا والقوائم ،

عنت
الذود من الابل من الثلاثة الى العشرة
ارفاغه ومغابنه اراد باطن ركبتيه وآباطه
فرغ
يعنى الابل ونطاحها بالجماجم كظهورها ورؤوسها
سكارى
تمشى اى النظر

قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شتمتها
فوثب عليه اخوتها فقاتلوه دونها ثم رماه احدهم بسهم فانتظم فخذيه فقال
عقيل، ان بنىّ رملونى بالدم ، من يلق ابطال الرجال يكلم ،
ومن يكن ذا اود يقوّم ، شنشنة اعرفها من اخزم ،
الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل احتذيه عقيل وقد قيل
قبله ولعقيل، وللدهر اثواب فكن فى ثيابه ، كلبسته يوما اجد واخلقا ،
، وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم ، وان كنت فى الحمقى فكن انت احمقا ،

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى والى الله ترجع الامور
فقال كيف يصح القول بانها رجعت اليه وهى لم تخرج عن يده الجواب قلنا
قد ذكر فى ذلك وجوه احدها ان الناس فى دار المحنة والتكليف قد يختص
بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم انهم يملكون جرّ المنافع اليهم وصرف المضار
عنهم وقد تدخل عليهم الشبه لتقصيرهم فى النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه
فيعبد قوم الاصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التى لا تسمع ولا
تبصر ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله فى استحقاق العبادة ويضيف
كل هولاء افعال الله تعالى فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء
واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه فى الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل
وايقن كل انه لا خالق ولا رازق ولا ضارّ ولا نافع غير الله تعالى فرد والية
امورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذى كانوا عليه من عبادة غيره
وتاميله الضر والنفع غرور وزور فقال تعالى والى الله ترجع الامور لهذا
المعنى والوجه الثانى ان يكون معنى الآية ان الامور كلها لله تعالى وفى يده
وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقى وقد تقول العرب قد رجع علىّ من
فلان مكروه بمعنى صار الىّ منه ولم يكن سبق مكروه الىّ قبل هذا الوقت
وكذلك قد يقولون قد عاد علىّ من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل
الابتداء قال الشاعر ، فان تكن الايام احسنّ مرة ، الىّ فقد عادت لهن ذنوب ، اى صارت لها ذنوب لم تكن من قبل بلا

الترسيل الذميم

اى صار زاجديدو ذا خلق

كان

كان قبلها احسان فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة والوجه
الثالث انا قد علمنا ان الله قد ملك العباد فى دار التكليف امورا تنقطع بانقطاع
التكليف وافضاء الامر الى الدار الآخرة مثل ما ملك المولى من العبيد وما ملكه
الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز ان يريد تعالى برجوع الامر اليه انتهاء ما ذكرناه
من الامور التى يملكها غيره بتمليكه الى ان يكون هو وحده مالكها ومدبرها ويمكن
فى الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بها ان الامر ينتهى الى ان لا يكون موجود
قادر غيره ويفضى الامر فى الانتهاء الى ما كان عليه فى الابتداء لان قبل انشاء
الخلق هكذا كانت الصورة وبعد افنائهم هكذا تصير ويكون الكناية برجوع
الامور اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقى لانه عاد الى ما كان عليه متقدما
ويحتمل ايضا ان يكون المراد بذلك انه الى قدرته تعول المقدورات لان ما افناه
من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض الباقية ترجع الى قدرته ويصح
منه تعالى ايجاده لعوده الى ما كان عليه وان كان ذلك لا يصح فى مقدورات
البشر وان كانت باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدورات القدر
باستحالة العود اليها من حيث لم يجز عليها التقديم والتاخير وهذا ايضا حكم
هو الله تعالى المتفرد به دون سائر القادرين والله اعلم بما اراد

مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل عن قوله عز وجل وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها فقال اى معنى
لذكر البيوت وظهورها وابوابها وهل المراد بذكر البيوت المسكونة على الحقيقة
او كنى بهذه اللفظة عن غيرها فان كان الاول فما الفائدة فى اتيانها من
ابوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها الجواب قيل
له فى هذه الآية وجوه اولها ما ذكر من ان الرجل من العرب كان اذا قصد
حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من موخر البيت ولم يدخل من بابه
تطيرا فاعلمهم الله تعالى على ان هذا من فعلهم لا بر فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم
ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطير وقال لا عدوى
ولا طيرة ولا هامة ولا صفر اى لا يعدى شئ شيأ وقال عليه السلام لا يورد

يوردن

ذو عاهة على مُصِحّ ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة او مرض فلا
ينبغي ان يوردها على ابل غيره صحاح لانه متى لحق الصحاح مثل هذه العاهة
انفا قالا لاجل العدوى لم يومن من صاحب الصحاح ان يقول انما لحق ابلي
هذه الآفة من تلك الابل وهي اعلت ابلي فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا
ليزول المأثم بين الفريقين والظن القبيح وثانيها ان العرب الا قريشا ومن
ولدته قريش كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها
ولكن دخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا كانوا من اهل المدر
نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من ابواب
البيوت فنهاهم الله عز وجل عن ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر
وان البر غيره وثالثها وهو جواب ذكره ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى
البر بان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من
ابوابها معناه واطلبوا الخير من جهته ومن عند اهله ورابعها وهو جواب ابي علي
الجبائي ان يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل واراد ليس البر ان يأتي
الرجل الشيء من خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد
الصواب والبر الى الاثم والخطأ وبين ان البر التقوى وامر باتيان الامور من
وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر
البيوت وظهورها وابوابها مثلا لان العادل في الامر عن وجهه كالعادل في
البيت عن بابه وخامسها ان تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى
واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب تسمي المرأة بيتا قال الشاعر

، ما لي اذا انزعها صأيتُ ، أكِبَرٌ غيّرني ام بيتُ ،

اراد بالبيت المرأة ومما
يمكن ان يكون شاهدا للجواب الذي حكيناه عن ابي علي الجُبّائي وللجواب عن
ابي عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا
ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب
قال انشدنا ابن الاعرابي

، اني عجبت لام العمر اذ هزئت ، من شيب راسي وما بالشيب من عار ،
، ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ،

، ولا سعادته يوما باكثار ، ان الشقي الذي في النار منزله ،
، والفوز فوز الذي ينجو من النار ، لا ادخل البيت احبو من مؤخره ،
، ولا اكسر في ابن العم اظفاري ، اعوذ بالله من امر يزين لي ،
، شتم العشيرة او يدني من العار ، وخير دنيا ينسي امر آخرة ،
، وسوف يبدي لي الجبار اسراري ،

فقوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره
يحتمل ان يريد به انني لا آتي الامور من غير وجوهها على احد الاجوبة في
الآية ويحتمل ايضا انني لا اطلب الخير الا من اهله على جواب ابي عبيدة
ويحتمل ايضا وجها آخر وهو ان يريد انني لا اقصد البيت للريبة وللسفلة
لان من شان من يسعى الى افساد الحرم ويقصد البيوت للريبة ان يعدل
عن ابوابها طلبا لاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه هذا القول القبيح وتنزه
عنه كما تنزه بقوله ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انه لا يبدي
ابن العم مني السوء ولا ينالُه مني من جهتي فاكون كاني قد جرحته باظفاري
وكسرتها في لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب وتجري مجرى هذه الابيات
ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم

، واني لعف عن زيارة جارتي ، واني لمشنوء الي اغتيابها ،
، اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها ، زؤورا ولم تنبح علي كلابها ،
، وما انا بالداري احاديث بيتها ، ولا عالم من اي حوك ثيابها ،
، وان قراب البطن يكفيك ملؤه ، ويكفيك سوآت الامور اجتنابها ،

قال المرتضى قدس الله روحه وقد جمعت هذه الابيات فقرا عجيبة وكنايات
بليغة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة
لانها ادنى الى الريبة واخص بالتهمة فقال ولم تنبح على كلابها اراد اني لا اطرقها
ليلا ومستخفيا مستنكرا فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول
الشاعر المتقدم لا ادخل البيت احبو من مؤخره وقد روي ولم تانس الي
كلابها وهذا معنى آخر كانه اراد انه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها
فتانس به كلابها لان الانس لا يكون الا مع المواصلة والمواترة وقوله وما

عني

فساد

يؤدي

بالتباغي الداري العالم

بحنيز

وما انا بالدادي احاديث بيتها يحتمل ان يريد به ايضا تاكيد نفي زيارتها
وطروقها عن نفسه لانه اذا ادمن الزيارة عرف احاديث بيتها واذا لم
يزرها وصادمها لم يعرف ويحتمل ان يريد انني لا اسال عن احوال احاديثها
كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي حوك
ثيابها كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صنعة ثيابها
وبالاسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني اذا الهم امسى وهو داء فامضه

اي لم ينح غرامه

ولست بممضيه وانت تعادله ، ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ ،

اي تلزمه ولا تفارقه فيكون عدلا لك وتكون عدلا له

اذا هم امرا عوقته عواذله ، فما كل ما حاولته الموت دونه ،
ولا دونه اضداده وحبائله ، وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذي ،

شرفته

تحدث من لاقيت انك فاعله ، وما الفتك الا امر ذي حفيظة ،

اليه

اذا صال لم ترعد عليه خصائله ، ولا تجعلن سرا الى غير اهله ،
فتعدان افشى عليك تجادله ، ولا تسال المال البخيل ترى له ،
فتى بعد ضرا ودنته او انله ، ارى المال افياء الظلال فتارة ،
يؤوب واخرى يختل المال خاتله ، معنى آمرت شاورت والخصائل كل
لحم مجتمع وقد روينا في هذه الابيات زيادة على القدر الذي ذكرناه اخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثني المفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات السائرة
قول حارثة بن بدر الغداني ، لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ ،
حفي ولا ذي خلة لي او اصله ، ولا من خليل ليس فيه غوائل ،
فشر الاخلاء الكثير غوائله ، وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة ،

للفؤاد

من الروع افرخ اكثر الروع باطله ، معنى افرخ اي اسكن يقال افرخ
روعه اذا سكن وما كل ما حاولته دونه وذكر البيتين اللذين بعد وزاد
وكن انت ترعى سر نفسك واعلمن ، بان اقل الناس بالسر حامله ،
اذا اما قلت الشيء علما فقم به ، ولا تقل الشيء الذي انت جاهله ،
ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله ، للنابغة كانت تقينا فروعها ،

وقد

وقد بلغت الا قليلا عروقها ، وانا لتستحلي المنايا نفوسنا ،
وتترك اخرى مرة لا تذوقها ، وشيب راسي قبل حين مشيبه ،
رعود المنايا بيننا وبروقها ، قوله للنابعة كانت تقينا عروقها
مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل بيته وقد روى هذه الابيات علي بن
سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب زاد فيها ،
رايت المنايا باديات وعودا ، الى دارنا سهلا الينا طريقها ،

يعني الموت

وقد قسمت نفسي فريقين منهما ، فريق مع الموتى وعندي فريقها ،
وبينا نرجي الغنى ما هو نازح ، من الامر لاقت دونها ما يعوقها ،
وروى ابو العينا قال انشدني الشعبي عبد الله بن جعفر الطيار الابيات الثلاثة الاول
فقال عبد الله لمن هذا الشعر يا شعبي فقال لحارثة بن بدر ،
ولقد وليت امارة فرجعتها ، في المال سالمة ولم اتمول ،
ولقد منعت النصح من متقبل ، ولقد رددت النصح من لم يقبل ،
فباي لمة لامس لم التمس ، وباي حيلة حائل لم احتل ،

مثله حائل لم اختل

يا طالب الحاجات يرجو نجحها ، ليس النجاح مع الاخف الاعجل ،
فاصدق اذا حدثت تكتب صادقا ، واذا حلفت مماريا فتحلل ،
معنى تكتب صادقا اي تكون صادقا عند الله وقوله فتحلل اي استثن
واذا رايت الباهشين الى العلى ، غبرا اكفهم بريث فاعجل ،
معنى الباهشين الى العلى المادين ايديهم الى الشيء المشتهين له ،
واحذر مكان السوء لا تنزل به ، واذا نبا بك منزل فتحول ،
واذا ابن عمك لج بعض لجاجة ، فانظر به غدا ولا تستعجل ،
واذا افتقرت فلا تكن متخشعا ، ترجو الفضائل عند غير المفضل ،

الفواضل

استغن ما اغناك ربك بالغنى ، واذا تكون خصاصة فتجمل ،
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا
محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته وكان
قد غلب على زياد وكان قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو

مستهتر بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق
لم يصك ركابي ركابه ولا تقدم مني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت
اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سالته عن
علم الا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة
ايها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله
ان ابا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا حدث وانما انسب
الى من يغلب علي وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك وظهرت منك رايحة
الشراب لم آمن ان يظن بي فدع الشراب وكن اول داخل علي وآخر خارج
فقال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك قال
فاختر من عملي ما شئت قال توليني رامهرمز فانها ارض عذاة وسرق فان بها
شرابا وصف لي فولاه اياها فلما شيعه الناس قال انس بن انيس وقيل ابن
ابي اياس الدؤلي ، احار بن بدر قد وليت امارة ،

فكن جرذا فيها تخون وتسرق ، ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته ،
فحظك من ملك العراقين سرق ، وباه تميما بالغنى ان للغنى ،
لسانا به المرء الهيوبة ينطق ، فان جميع الناس اما مكذب ،
يقول بما يهوى واما مصدق ، يقولون اقوالا ولا يعلمونها ،
فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا ، وهذه الابيات تروى لابي الاسود
الدؤلي وانه كتب بها الى حارثة لما وردت اليه سرق ويزاد فيها ،
وكن حازما في اليوم ان الذي به ، يجيء غدا يوم على الناس مطبق ،
ولا تعجزن فالعجز اوطا مركب ، وما كل من يدعى الى الخير يرزق ،
اذا ما دعاك القوم عدوك آكلا ، فكل حار او جع لست ممن يحمق ،
ويقال ان حارثة بن بدر اجاب عن هذه الابيات بقوله ،
جزاك اله الناس خير جزائه ، فقد قلت معروفا واوصيت كافيا ،
امرت بامر لو امرت بغيره ، لالفيتني فيه لامرك عاصيا ،
ويقال ان حارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد فقال لحارثة

اى

حريص

في البجل برع الرجل اذا فاق اصحابه

يعني اسد تكي

الارض العذاة الطيبة التربة البعيدة من الانهار والبحور والسباخ

الديلي

الهاء في الهيوبة للمبالغة كالعلامة والراوية

منسوب الى دؤل

يقال غمام مطبق اي ذو طبق وقد اطبقت السماء

قال بهذا له لانه كان نهما اكولا

اى الشراب اطيب وكان ينهم فقال برة طاسادية واقطة غنوية وسمنة
عنبرية وسكرة سوسية ونطفة مسرقانية فقال للاحنف يا ابا بحر اى الشراب
اطيب فقال الخمر قال ما يدريك ولست من اهلها قال رايت فيها خصلتين
عرفت انها اطيب الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلت له لا يعدوها
الى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها فعرفت انها اطيب الشراب ولحارثة بن
بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بابيه ،

اهان واقصى ثم ينتصحونني ، واي امرئ يعطي نصيحته قسرا ،
رايت اكف المصلتين عليكم ، ملاء وكفي من عطائكم صفرا ،
واني مع الساعي عليكم بسيفه ، اذا احدث الايام في عظمكم كسرا ،
متى تسالوني ما علي وتمنعوا ، الذي لي لا استطع على ذلكم صبرا ،
وقال يعاتبه ، وكم من امير قد تجبر بعد ما ،
مريت له الدنيا بسيفي فدرت ، اذا زبنته عن فواق اتت به ،
دعاني ولا ادعى اذا ما اقرت ، اذا ما هي احلولت تحاحى تقسمي ،
ويقسم لي منها اذا ما امرت ، زبنته اي دفعته عن ان يحلبها والفواق
اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين ومعنى اقرت تركته يحلبها ويشبه ابيات
حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدي يعاتب معاوية ومروان واهل
بيته من جملة قصيدة وهي ابيات قوية جدا ،
عطاؤكم للضاربين ركابكم ، وندعى اذا ما كان حز الكراكر ،
انحن اخوكم في المضيق وسهمنا ، اذا ما قسمتم في الحظا الاصاغر ،
وندعيكم الادنى اذا ما سالتم ، ونلقى بنعدى حين نسال باسر ،
وان كان فينا الذنب في الناس مثله ، اخذنا به من قبل ناه وآمر ،
معنى من قبل ناه وآمر اي من قبل ان ننهى عنه او نؤمر باجتنابه ،
وان جاءكم منا غريب بارضكم ، لويتم له لؤما جنوب المناخر ،
فهل يفعل الاعداء الا كفعلكم ، هوان السراة وابتغاء العواثر ،
وغير نفسي عنكم ما فعلتم ، وذكرهوان منكم متظاهر ،

الطعام ينهم

وقع سهام صغار

اصله عبوس الوجه لكن اراد به قليل اللبن

من الجباية والذي باخذ العشر

جفاوكم من عالج الحرب عنكم ، واعداوكم من بين جاب وماشر

ولا تسألوني عن هواي وودكم ، وقل في فؤاد قد توجه نافر

ولحارثة يرثي زيادا

لهفي عليك للهفة من خائف ، يبغي جوارك حين ليس مجير

اما القبور فانهن اوانس ، بجوار قبرك والديار قبور

عمت فواضله فعم مصابه ، فالناس فيه كلهم ماجور

ردت صنايعه اليه حياته ، فكانه من نشرها منشور

قال المرتضى قدس الله روحه

واظن ابا تمام الطائي نظر الى قول حارثة ردت صنايعه في قوله

الم تمت يا شقيق النفس مذ زمن ، فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

الجود

واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم الا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو اقر لعيني والذ في سمعي ما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني سمعت كلاما قط هو اكره الي منه ثم قال ، ذهب الرجال فسدت غير مسود ، ومن الشقاء تفردي بالسودد ، وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به واخبرنا المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثني محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالاحنف بن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك فقال اجل كانوا يكرهون ان يشاوروا الجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فقال اي تمدح في سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيه **الجواب** قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون المعنى انه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تاخر ويجري مجرى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانما جاز ان يعبر عن المجازاة والجزاء بالحساب لان ما يجازى به العبد هو كفو لفعله وبمقداره فهو حساب له

اذ كان مماثلا مكافيا ومما يشهد بان في الحساب معنى المكافاة قوله عز وجل جزاء من ربك عطاء حسابا اي عطاء كافيا ويقال احسبني الطعام يحسبني احسابا اذا كفاني قال الشاعر ، واذ لا ترى في الناس حسنا يفوتها ، وفي الناس حسن لو تاملت محسب ، معناه كاف وثانيها ان يكون المراد انه عز وجل يحاسب الخلق جميعا في اوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جميعا ويحاسبهم كلهم على اعمالهم في وقت واحد وهذا احد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لانه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز ان يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون الى الآلات وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة بني الدنيا ان يستعملوا الحساب والاحصاء في اكثر امورهم اعلمهم الله انه يعلم ما يحسبون بغير حساب وانما سمى العلم حسابا لان الحساب انما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب والمحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لما جاز ايضا ان يقال انه سريع العلم بكذا لان علمه بالاشياء مما يتجدد فيوصف بالسرعة ورابعها ان الله سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسئل في وقت واحد سؤالات مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه ومسئلته ما يستوجبه بحد ومقدار فلو كان الامر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فاعلمنا تعالى انه سريع الحساب اي سريع القبول للدعاء بغير احتباس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يحتبس المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا جواب مبني ايضا على دعوى لان قبول الدعاء لا يسمى حسابا في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من اجاب بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه والا فلا طائل فيما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر

يصف امراة بالحسن ويبالغ في وصفها يقول ما راينا حسنا فات حسن هذه المراة وتعداها فان في الناس كفاية حين

محاسبة الخلق على اعماله

وهو ان يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على اعمالهم يوم القيمة ومواقفتهم عليها ويكون الفائدة في الاخبار لسرعته والاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع الحساب وليس لاحد ان يقول فهذا هو الجواب الاول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقا لان الاول مبني على ان الحساب في الآية هو الجزاء والمكافاة على الاعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة والمقابلة بالاعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضا على ابي علي الجبائي في اعتماده اياه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن قرب امر الآخرة والمجازاة على الاعمال وهذا الجواب ليس ابو علي هو المبتدئ به بل حكي عن الحسن البصري واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه تعالى قال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فالاشبه بالظاهر ان يكون الكلام وعدا بالثواب وراجعا الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار او يكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا خالصا بل اما ان يكون وعدا خالصا او وعدا ووعيدا على انه لو كان وعيدا خالصا على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى والله سريع الحساب على تاويل من اراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على كل حال يتضمن لوقوع المحاسبة على اعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لان من علم انه يحاسب باعماله ويواقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعلم ورغب في فعل الواجب فهذا ينصر الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة او قرب المحاسبة على الاعمال

ترغيبا

ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات فالتاويل الاول اشبه بالظاهر ونسق الآية الا ان التاويل الآخر غير مدفوع ولا مردود **تاويل آية** اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال اي تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب اجزل عطية من المعطي بغير حساب **الجواب** قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب هاهنا راجع الى المرزوق لا اليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي اي لم اؤمله ولم اقدر انه يكون وهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسبا كان اهنا له واحلى وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية انه قال عنى بها اموال بني قريظة والنضير وانها تصير اليكم بغير حساب ولا قتال وعلى اسهل الامور وايسرها وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين فيكون نفي الحساب فيه نفيا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمي العطاء القليل محسوبا كما قال قيس بن الخطيم

اني سربت وكنت غير سروب ، وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ، في النوم غير مصرد محسوب

وثالثها ان يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير طلب للمكافاة او اراغة لفائدة تعود اليه او منفعة ترجع عليه لان من شان اهل الدنيا ان يعطوا ليكافئوا او لينتفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية الى هذه الامور فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما اشبه ذلك فلما انتفت هذه الامور من عطاياه سبحانه جاز ان يقول انه يرزق بغير حساب ورابعها ما اجاب به قطرب قال معنى الآية يعطي العدد الكثير لا مما يضبطه الحساب اذ لا ياتي عليه العدد لان مقدوره تعالى لا يتناهى وما في خزائنه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منا الالف من الالفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناه ولا تناهي ولا انقطاع

عطاء المخلوقين

المصرد القليل

الاراغة الطلب

ثناء

لما يعقد ربه سبحانه عليه وخامسها انه يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات — واللذات
اكثر مما استحقوا وازيد مما وجب لهم بمحاسبته اياهم على طاعاتهم كما قال تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وكما قال الله تعالى
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم وكما قال تعالى ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله وسادسها ان يكون المعطي منا غيره شيئا او الرازق
سواه رزقا قد يكون له ذلك فيكون فعله حسنا لا يسال عنه ولا يواخذ به
ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يواخذ به ويحاسب
عليه فنفى الله عز وجل عن نفسه ان يفعل من الرزق القبيح وما ليس له ان
يفعله بنفي الحساب عنه وانبا انه لا يرزق ولا يعطي الا على افضل الوجوه
واحسنها وابعدها من الذم ونجري الآية مجرى قوله تعالى لا يسال عما يفعل
وهم يسالون وانما اراد انه تعالى من حيث وقعت افعاله كلها حسنة غير قبيحة
لم يجز ان يسال عنها وان سال العباد عن افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح
معا وسابعها ان الله عز وجل اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب
ساقطا من جهة الناس وليس لاحد ان يقول له لم رزقت ولا ان يقول الرب
لم رزقته ولا يساله ربه عن الرزق وتملكه وانما يساله عن انفاقه في
الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى — فيسقط
فلذلك قال عز وجل بغير حساب وثامنها ان يكون المراد بمن يشاء ان يرزقه
اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يصح ان يتناوله جميعه الحساب ولا العدد
والاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية
قوله تعالى في موضع آخر فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
تاويل خبر ان سال سائل عن الخبر الذي يروى عن زيد بن ثابت عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال توضؤا مما غيرته النار فقال ما المراد بالوضوء
ههنا ومذهبكم ان مس ما غيرته النار لا يوجب وضوءا **الجواب** ان
معنى توضؤا اي نظفوا ايديكم من الزهومة لانه روي ان جماعة من الاعراب
كانوا لا يغسلون ايديهم من الزهومة ويقولون فقدها اشد علينا من ريحها

فامر

فامر عليه السلام بتنظيف الايدي لذلك فان قيل كيف يصح ان تحملوا
الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة
بدلالة ان من غسل يده او وجهه لا يقول بالاطلاق توضات ومتى سلم لكم
ان الوضوء اصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه
عليه السلام اخص بالعرف الشرعي وحمله عليه اولى من حمله على اللغة قلنا
ليس ينكر ان يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص
بالافعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث او الصلاة وما اشبههما فاما
المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على اصله الا ترى انهم لو قالوا توضات
من الطعام او من الغمر او توضات للطعام لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف — اي الوسخ
واذا قال توضات اطلاقا او توضات من الحدث او للصلاة فهم منه الافعال
الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة
من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز ان ينتقل على وجه
دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد
ذهب كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مومن منتقل من اللغة الى عرف
الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في
اللغة ويبين ذلك ايضا ما روي عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي
الفقر وبعده ينفي اللمم وانما اراد غسل اليد بغير شك وروي عن قتادة انه
قال غسل اليد وضوء وروي عكراش ان رسول الله صلى الله عليه وآله اكل
وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه وذراعيه وراسه وقال هكذا الوضوء مما
مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الافعال الشرعية
المخصوصة لصح ان نحمله في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى اصلها بالادلة
وان كان الاولى لولا الادلة ان نحمل على مقتضى الشرع فمن الادلة على ما ذكرناه
ما رواه ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكل كتف شاة وقام وصلى
ولم يتوضا وروى عطاء عن ام سلمة قالت قربت جنبا مشويا الى النبي صلى الله
عليه وآله فاكل منه وصلى ولم يتوضا وروى محمد بن المنكدر عن جابر انه

قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما مست
النار وكل هذه الاخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الاول ولو كان له ظاهر
فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له فاما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن
فلما كان من غسل يده ونظفها فقد حسنها قيل وضأها ويقال فلان وضيء الوجه
وقوم وضاء قال الشاعر ، مساميح الفعال ذوو اناة ،
، مراجيح واوجههم وضاء ، والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك ايضا التوضؤ

المسيح الجواد والجمع سمحاء ومساميح كانه جمع سماح

والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار
والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز ان يكون الوقود بفتح الواو
المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا احسن القبول مصدر وهو مفتوح
الاول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم الا معنى المصدر وحده قال جرير
، اهوى اراك برامتين وقودا ، ام بالجنينة من مدافع اودا ، وقال آخر
، اذا سهيل لاح كالوقود ، فردا كشاة البقر المطرود ، وقال آخر
، واججنا لكل بقاع ارض ، وقودا النار للمتنورينا ، اخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال
حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني ابراهيم بن محمد
ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال
اتيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوما في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ

متغيظ

فقلت له ما لي اراك هكذا قال دخلت على اميركم هذا يعني عمر بن عبد العزيز
ومعه عبد الله بن عمر بن عثمان فسلمت فلم يردا علي السلام فقلت
، الا ابلغا عني عراك بن مالك ، فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر ،
، فقد جعلت تبدو شواكل منكما ، كانكما بي موقران من الصخر ،
، وطاوعتما بي غادرا ذا معاكة ، لعمري لقد اورى وما مثله يوري ،
، فلولا اتقاء الله بقياي فيكما ، للمتكما لوما احر من الجمر ،
، فمسا تراب الارض منها خلقتما ، وفيها المعاد والمقام الى الحشر ،
، ولا تانفا ان تغشيا فتكلما ، فما غني الاقوام شر من الكبر ،

فتكلما

، ولو شئت ادلى فيكما غير واحد ، علانية او قال عندي في ستر ،
معناه لو شئت اغنانيكما عندي غير واحد وقوله ذا معاكة يقال معك به وسيلك
به اذا تعرض به لشر ، فان انا لم آمر ولم انه عنكما ،

الشر

، ضحكت له حتى يلج ويستشري ، وكيف تريدان ابن سبعين حجة ،

يلج اي يحنزي ويظهر واصل الكلمة الاستخراج

، على ما ابى وهو ابن عشرين او عشر ، لقد علقت دلواكما دلو حول ،
، من القوم لا ادخو المراس ولا نزر ، قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله
مع نسكك وفقهك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث
برأ وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم وكان قصد بقيه كناية بذكرهما
عن ذكر غيرهما وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر بن حزم وعراك بن مالك
كانا يجتازان على عبيد الله ولا يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما بها وروى
محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ،
، اذا كان لي سر فحدثته العدى ، وضاق به صدري فللناس اعذر ،

العدى بكسر العين الاجانب والاباعد وبالضم الاعداء

، هو السر ما استودعته وكتمته ، وليس بسر حين يفشو ويظهر ،
وانشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ،
، اواخي رجالا لست مطلع بعضهم ، على سر بعض ان صدري واسعه ،
، اذا هي حلت وسط عود بن غالب ، فذلك ودٌّ نازح لا اطالعه ،

ضمير المودة

، تلاقت حيازيمي على قلب حازم ، كتوم لما ضمت عليه اضالعه ،
، بني لي عبد الله في سورة العلى ، وعتبة مجدا لا تنال مصانعه ،

ابنيته

والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي ، وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ،
، على سر بعض كان عندي جماعها ، ومما يختص لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

اي مجمع نكت الاسرار

، تغلغل حب عثمة في فؤادي ، فباديه مع الخافي يسير ،
، تغلغل حيث لم يبلغ شراب ، ولا حزن ولم يبلغ سرور ،
، شققت القلب ثم ذررت فيه ، هواك فليم فالتام الفطور ،
، اكاد اذا ذكرت العهد منها ، اطير لو ان انسانا يطير ،
، غني النفس ان ازداد حبا ، ولكني الى وصل فقير ،

واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال ، احللت من قلبي هواك محلة ،
، ما حلها المشروب والماكول   وآخذه المتنبي في قوله ،
، وللسر مني موضع لا يناله ، نديم ولا يفضي اليه شراب ،
وكان العباس بن الاحنف المربه في قوله ، لو شق عن قلبي قرى وسطه ،
، اسمك والتوحيد في سطر ، وقول عبيد الله احسن من الجميع وبعد بيت
المتنبي ولعبيد الله بن عتبة ايضا ، لعمر ابي المحصين ايام نلتقي ،
، لما لا نلاقي فيها من الدهر اكثر ، يعدون يوما واحدا ان اتيتها ،
، وينسون ما كانت على الدهر تهجر ، فان يكن الواشون اغروا بهجرنا ،
، فانا بتجديد المودة اجدر ، ومن مستحسن قوله ،
، لعمري لئن شطت بعثمة دارها ، لقد كنت من وشك الفراق اليح ،
، اروح بهم ثم اغدو بمثله ، ويحسب اني في الثياب صحيح ،
اخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه في قوله ، يصبح محزونا ويمسي به ، نخالا

، وليس يدري ما له عندك ، مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله

تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا فقال اليس هذا
تصريحا منه بان الله تعالى يجوز ان يشاء الكفر والقبيح لان ملة قومه كانت كفرا
وضلالا وقد اخبر لا يعود فيها الا ان يشاء الله الجواب قيل له في هذه الآية وجوه
اولها ان تكون الملة التي عناها الله تعالى انما هي العبادات الشرعيات التي كان
قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقادات
في الله وصفاته مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف
العبادة من حيث تبعت المصالح والالطاف والمعلوم من احوال المكلفين فكانه
قال ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وازال حكمها الا ان يشاء الله ان
يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم
ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفرا فقد يجوز فيما هو مثلها ان يكون ايمانا وهدى
بل فيها انفسها فقد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى

الذي

الذي لا يجوز ان يكون الا قبيحا وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال
كيف يجوز ان يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله تعالى قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فيقال له لم ينف عودهم اليها
على كل وجه وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذي علقه
بمشيئة الله تعالى من العود اليها هو بشرط ان يامر بها ويتعبد بمثلها والجواب
مستقيم لا خلل فيه وثانيها انه اراد ان ذلك لا يكون ابدا من حيث علقه
بمشيئة الله تعالى لما كان معلوما انه لا يشاؤه وكل امر علق بما لا يكون فقد
نفي كونه على ابعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط وكما يقول القائل انا لا افعل كذا حتى يبيض القار
او يشيب الغراب وكما قال الشاعر ، وحتى يؤوب القارظان كلاهما ،
، وينشر في القتلى كليب لوائل ، والقارظان لا يؤوبان ابدا وكليب لا
ينشر ابدا فكانه قال ان هذا لا يكون ابدا وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير
من ان في الكلام تقديما وتاخيرا وان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب
عليه السلام فكانه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين
امنوا معك من قريتنا الا ان يشاء الله ان تعود في ملتنا ثم قال حاكيا عن شعيب
عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها على كل حال ورابعها ان تعود الهاء
التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر
الملة ويكون تلخيص الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء
الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها وخامسها
ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة
غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكيا عنهم او لتعودن في ملتنا كان معناه او لنكونن
على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم
معنا على ملة واحدة فان قيل الاستثناء بالمشيئة انما كان بعد قوله وما يكون لنا
ان نعود فيها فكانه قال ليس نعود فيها الا ان يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب
قلنا هو كذلك الا انه لما كان معنى ان نعود فيها هو ان نصير ملتنا واحدة

كليب بن وائل ووائل

لتكون

غير مختلفة جاز ان يوقع الاستثناء على المعنى فيقول الا ان يشاء الله ان نتفق
في الملة بان ترجعوا انتم الى الحق فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار
الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك الا انه ما شاء على كل حال بل من وجه دون
وجه وهو ان يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي
اجرى بالتكليف اليه ولو شاء على كل حال لما جاز ان لا يقع منهم فكان شعيبا
عليه السلام قال ان ملتنا لا تكون واحدة ابدا الا ان يشاء الله ان يلجئكم الى
الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لانه
لو اطلق انا لا نتفق ابدا ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن
على حال من الاحوال فافاد بتعليقه له بالمشيئة على هذا الوجه ويجري قوله تعليقه
الا ان يشاء الله مجرى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
وسادسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه
فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوي هذا الوجه قوله تعا اولو كنا كارهين
وسابعها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه
لان اظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الاحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها
وقوله اولو كنا كارهين يقوي هذا الوجه ايضا فان قيل فكيف يجوز من نبي
من انبياء الله تعالى ان يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع قلنا
يجوز ان يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال وما يكون لي ولا
لامتي ان نعود فيها الا ان يشاء الله بان يتعبدا متي باظهار ملتكم على سبيل
الاكراه وهذا جائز غير ممتنع تأويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وآله انه قال خير الصدقة ما ابقت غنى واليد العليا خير من اليد
السفلى وابدأ بمن تعول وقد قيل في قوله خير الصدقة ما ابقت غنى
قولان احدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا تصدّقت
خرجت صدقتك منك الى من اعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك
عنها ومثله في الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس رحمه الله
في قوله تعا ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب

الآخر

الآخر ان يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت من المسالة اي
تجزل له في العطية فيستغني بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل ان يريد الرجل
ان يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عن
المسالة فذلك افضل من ان يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم والتاويل الاول
يشهد له آخر الخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر ايضا
انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم
يريد ان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون العليا هي الآخذة والسفلى
هي المعطية قال ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السوال فهم يحتجون
للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذي أعتق والمولى من عُتق
اسفل هو الذي اعتق والناس انما يعلون بالعطايا لا بالسوال قال المرتضى
قدس الله روحه عندي ان معنى قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد
السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعا وهو ان تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة
لان النعمة قد تسمى يدا في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه صلى الله عليه وآله
اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه عليه السلام
على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف باوجز الكلام واحسنه مخرجا
ويشهد لهذا التاويل احد التاويلين المتقدمين في قوله ما ابقت غنى وهذا اشبه الخبرين
واولى من ان يحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيرا
من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن ياخذ من هو خير عند الله ممن يعطي ولفظة
خير لا تحمل الا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب فاما من جعل الآخذة خيرا
من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا شنيعا وعكس الامر
على ما ذكره ابن قتيبة فان قيل كيف يصح تاويلكم مع قوله عليه السلام خير الصدقة
ما ابقت غنى وهي لا تبقي غنى الا بعد ان تنقص عن غيرها واذا كانت العطية التي
هي اجزل وافضل فتلك لا تبقي غنى والتي تبقي غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض فيطابق
قلنا اما تاويلنا فطابق الوجهين المذكورين في قوله ما ابقت غنى لان من تاول
ذلك على ان المراد بها المعطي وان خير العطية ما اغنته عن المسئلة فالمطابقة

ما ابقى الغنى

ظاهرة ومن تاول على الوجه الآخر وحمل ابقاء الغنى على المعطى واهله واقاربه فتاويلنا ايضا مطابق له لانه قد يكون فى العطايا التى يبقى بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه السلام خير الصدقة ما ابقت غنى بعد اخراجها والعطية الجزيلة التى يبقى بعدها غنى خير من القليلة فمدح عليه السلام بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمى قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوى قال انشدنى ابن الاعرابى لثابت قطنة العتكى

يا هند كيف بنصب بات يكبينى ، وعاذل فى سواد العين يوذينى

كان ليلى والاصداء هاجعة ، ليل السليم واعيا من يداوينى

لما حنى الدهر من قوسى وعذرنى ، شيبى وقاسيت امر الغلظ واللين

اذا ذكرت اباغسان ارقنى ، هم اذا عرض السارون يشجينى

كان المفضل عزا فى ذرى يمن ، وعصمة وثمالا للمساكين

غيثا لدى ازمة غبراء شاتية ، من السنين وماوى كل مسكين

انى تذكرت قتلى لو شهدتهم ، فى حومة الحرب لم يصلوا بها دونى

لا خير فى العيش اذ لم يجن بعدهم ، حربا تبئ بهم قتلى فتشفينى

لا خير فى طمع يدنى الى طبع ، وغفة من قوام العيش تكفينى

انظر فى الامر يعنينى الجواب به ، ولست انظر فيما ليس يعنينى

لا اركب الامر تزرى بى عواقبه ، ولا يعاب به عرضى ولا دينى

لا يغلب الجهل حلمى عند مقدرة ، ولا العضيهة من ذى البغى تكبينى

كم من عدو رمانى لو قصدت له ، لم ياخذ النصف منى حين يرمينى

قال السيد المرتضى قدس الله روحه وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة وتداخل ابياتا له على هذا الوزن وهى التى يقول فيها

لقد علمت وما الاشراف من خلقى ، ان الذى هو رزقى سوف ياتينى

اسعى له فيعنينى تطلبه ، ولو قعدت اتانى لا يعنينى

كم قد فدت وكم آلفت من نشب ، ومن معادن رزق غير ممنون

غاذل

فما اشرفت على يسر وما عرضت ، نفسى لخلة عسر جاء يبلونى

خيمى كريم ونفسى لا تحدثنى ، ان الاله بلا رزق يخلينى

ولا اشتريت بمالى قط مكرمة ، الا تيقنت انى غير مغبون

ولا دعيت الى مجد ومحمدة ، الا اجبت اليه من يناديني

لا ابتغى وصل من يبغى مفارقتى ، ولا الين لمن لا يبتغى لينى

انى سيعرفنى من لست اعرفه ، ولو كرهت واباه وحين يخفينى

فعطنى جاهدا واجهد على اذا ، لاقيت قومك فانظر هل تعطبنى

وقوم يخطئون فيروون قوله لقد علمت وما الاسراف بالسين غير معجمة وذلك خطأ وانما اراد بالاشراف انى لا استشرف ولا اطلع الى ما فاتنى من امور الدنيا ومكاسبها فلا تتبعها نفسى قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولى ابيات فى معنى بعض ابيات ثابت قطنة وعروة بن اذينة التى تقدمت وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتى عشرة سنة والابيات

تعاقبنى بوس الزمان وخفضه ، وادنى حرب الزمان وسلمه

وقد علم المغرور بالدهر انه ، وراء سرور المرء فى الدهر غمه

وما المرء الا نهب يوم وليلة ، تخب به شهب الفناء ودهمه

يعلله برد الحياة بمسه ، ويغتره روح النسيم يشمه

وكان بعيدا عن منازعة الردى ، فالقته فى كف المنية امه

الا ان خير الزاد ما سد فاقة ، وخير تلادى الذى لا اجمه

وان الطوى بالعز احسن بالفتى ، اذا كان من كسب المذلة طعمه

وانى لانهى النفس عن كل لذة ، اذا ما ارتقى منها الى العرض وصمه

واعرض عن نيل الثراء اذا بدا ، وفى نيله سوء المقال وذمه

اعف وما الفحشاء عنى بعيدة ، وحسبى فى صدعن الامر اثمه

وما العف من ولى عن الفرب سيفه ، ولكن من ولى عن السوء حزمه

ولى فى معنى قوله وما الاشراف من خلقى

ما خامر الرزق قلبى قبل فجاته ، ولا بسطت له فى النائبات يدى

كم قد ترادف لم احفل زيادته ، ولو يجاوزنى مافتّ فى عضدى
انا سخط الامر ادرك عنه مضطربا ، وان ارد بدلاً من مذهب اجد

ومعنى ماخامر الرزق قلبى اى لم اتمنّه ولاتطلّعت الى حصوله ولاخطر لى ببال تنزها وتقنعا والوجه فى تخصيص نفى بسط اليد فى النوائب ان النوائب يضرع عندها فى الاكثر المتنزه ويطلب المتعفف فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروة ومعنى البيت الثانى ظاهر فاما الثالث فالمراد به اننى ممن اذا كره شيأ تمكّن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصر قدرته عن استدراك مايجب بما يكره وفيه فائدة اخرى وهى اننى ممن لاتملكه العادات وتقتاده الاهواء بل متى اردت مفارقة خُلُق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك علىّ متعذرا من حيث كان لراى علىّ هواى السلطان والرجحان اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوى قال اخبرنا الزبير بن بكّار قال حدثنى عروة بن الزبير قال كان عروة بن اُذَينَة نازلا مع ابى فى قصره فسمعته ينشد لنفسه

ان التى زعمت فوادك ملّها ، خُلقت هواك كما خُلقت هوى لها
فبك الذى زعمت بها وكلاكما ، ابدى لصاحبه الصبابة كلّها
ولعمرها لوكان حبك فوقها ، يومًا وقد ضحيت اذاً لاظلّها
واذا وجدت لها وساوس سلوة ، شفع الضمير لها الى فسلّها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ، بلباقة فادقها واجلّها
لما عرضت مسلّما لى حاجة ، اخشى صعوبتها وارجو ذلّها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ، ماكان اكثرها لنا واقلّها
فدنا فقال لعلها معذورة ، فى بعض رقبتها فقلت لعلّها

قال عروة بن عبيد الله فجائنى ابو السائب المخزومى يومًا فسلّم علىّ وجلس الىّ فقلت له بعد الترحيب بك الك حاجة يا ابا السائب فقال او كما تكون الحاجة ابيات لعروة بن اُذَينه بلغنى انك سمعتها منه قلت اى ابيات قال وهل يخفى القمران التى زعمت فوادك ملّها فانشدته اياها فقال ما يروى هذا الا اهل

المعرفة

اى لطافة من غضة

المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلى الذى يقول

ان كان اهلك يمنعونك رغبة ، عنى فاهلى بى اضنّ وارغب

لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجوان يغفر الله لابن اُذينه فى حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال لا والله حتى اروى هذه الابيات فلما رواها وثب فقلت له يغفر الله لك حتى تاكل فقال والله ماكنت لاخلط بحبّى لها واخذى اياها غيرها وانصرف قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه والهذلى الذى عناه وانشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى قول عروة باكرها النعيم اراد انها لم تعش الا فى النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بوسًا فتخشع وتضرع ويوثر ذلك فى جمالها وتمامها والبكور هو التقدم فى كل وقت وكان عروة بن اذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة وروى ان سكينة بنت الحسين بن على عليهما السلام مرّت به فقالت له يا ابا عامر انت الذى تقول

اذا وجدت اوار الحب فى كبدى ، اقبلت نحو سقاء القوم ابترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره ، فمن لنار على الاحشاء تتقد
وانت القائل
قالت وابثثتها وجدى فبحت به ، قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولى فقلت لها ، غطى هواك وما القى على بصرى

قالت هن حرائر واشارت الى جواريها ان كان نخرج هذا من قلب سليم وانشد ابو الحسن على بن احمد عن احمد بن يحيى لعروة

كان نخرامى طلة صابها الندى ، وفارة مسك ضمنتها ثيابها
فكدت لذكراها اطير صبابة ، وغالبت نفسًا زاد شوقا غلابها
اذا اقتربت سعدى لججت بهجرها ، وان تغترب يومًا يرعك اغترابها
ففى اى هذا راحة لك عندها ، سواء لعمرى نايها واقترابها
وعاد الهوى منها كظلّ سحابة ، الاحت ببرق ثم مرّ سحابها

قال علم الهدى قدس الله روحه وهيهات هذا البيت الاخير من قول كُثَيِّر

وانى وتهيامى بعزة بعد ما ، تخلّيت مما بيننا وتخلّت

سجال

بما الفى

فيها اى لوحت برق

، لكالمرتجى ظلّ الغمامة كلما ، تبوّأ منها للمقيل اضمحلّت ،
، كانى واياها سحابة ممحل ، رجاها فلما جاوزته استهلت ،
وروى يحيى بن على قال حدثنا ابو هفّان قال اشعر ابيات قيلت فى الحسدة
والدعا لهم بالكثرة اربعة فاولها قول الكميت بن زيد ، ،
، ان يحسدونى فانى غير لائمهم ، قبلى من الناس اهل الفضل قد حُسِدوا ،
، فدام لى ولهم مابى ومابهم ، ومات اكثرنا غيظاً بما يجد ،
، انا الذى يجدونى فى صدورهم ، لا ارتقى صَدَرا منها ولا ارد ،
، لاينقص الله حسادى فانهم ، اسرّ عندى من اللآئى له الودد ،
، وقال عروة بن اُذَينة ، لا يبعد الله حسادى وزادهم ،
، حتى يموتوا ابدا فى مكنون ، انى رايتهم فى كل منزلة ،
، اجل قدراً من اللآئى يحبوننى ، وقال نصر بن سيار ، ،
، ان يحسدونى على مابى ومابهم ، فمثل مابى لعمرى جرّ لى الحسدا ،
، وقال معن بن زائدة ، انى حسدت فزاد الله فى حسدى ،
، لاعاش من عاش يوماً غير محسود ، مايحسد المرء الا من فضائله ،
، بالعلم والظرف اوبالباس والجود ، وقال المرتضى قدس الله روحه وقد
لحظ البحترى هذا المعنى فى قوله ، محسّدٌ بخلال فيه فاضلة ،
، وليس تفترق النعماء والحسد ، واظن ابا العتاهية اخذ قوله ،
، كم عائب لك لم اسمع مقالته ، ولم يزدك لدينا غير تزيين ،
، كان عائبكم يبدى محاسنكم ، وصفا فيمدحكم عندى ويغرينى ،
، مافوق حبك حب لست اعلمه ، فلا يضرك ان لا تستزيدينى ،
من قول عروة بن اُذينة ، لا تبعد سعدى فرحى من جوى سقم ،
، يوماً ولا قربها ان حم يشفينى ، اذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم ،
، وخلت ان بسعدى اللوم يغرينى ، وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى فى قوله
، ماحطك الواشون عن رتبة ، عندى ولا ضرك مغتاب ،
، كانهم اثنوا ولم يعلموا ، عليك عندى بالذى عابوا ،

ولعروة

معروف الاسدى

لا ألومهم

ولعروة بن اذينة ، نروّعنا الجنائز مقبلات ، ،
، ونلهو حين تخفى ذاهبات ، كروعة ثلّة لمغار ذئب ،
، فلما غاب عادت راتعات ، الثلّة القطعة من الضان وهذا المعنى
قد سبق اليه بعض الاعراب فقال ، ونُحدث روعات لدى كل فزعة ،
، ونسرع نسيانا وماجاءنا امن ، وانا ولا كفران لله ربنا ،
، لكالبدن ماتدرى متى يوم البدن ، اخذ ابو العتاهية فى قوله ،
، اذا ما رايتم ميتين جزعتم ، وان غبتم ملتم الى صبواتها ، ،
، واخذ عروة قوله ، ان الفتى مثل الهلال له ،
، نور قليلا ثم يمحق ، يبلى ويفنيه الدهور كما ،
، يبلى ويفنى الجديد الخَلَق ، من قول بعض شعراء طى ،
، مهما يكن ريب الزمان فاننى ، ارى قمر الليل المعذب كالفتى ،
، يُهلّ صغيراً ثم يعظم ضوؤه ، وصورته حتى اذا ما هو استوى ،
، تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه ، ويمصح حتى يستسر ولا يرى ،
، كذلك زيد المرء ثم انتقاصه ، يعود الى مثل الذى كان قد بدا ،
اخذ محمد بن يزيد الكاتب فقال ، المرء مثل هلال عند مطلعه ،
، يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتّسق ، يزداد حتى اذا ما تم اعقبه ،
، كرّ الجديدين نقصانا فيمحق ، مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل
عن قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من
خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فقال كيف ينزل الله سبحانه
السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى
انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم ونفاه

ونلهو

غبتم

يخفى يمحق

ويمصح يصبح

عنهم بقوله ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ثم بقوله لو كانوا
يعلمون **الجواب** قلنا فى الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم يُنعم
النظر فيها اولها ان يكون ما فى قوله تعالى وما انزل على الملكين بمعنى الذى فكانه
تعالى اخبر عن طائفة من اهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على
ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله عز وجل من قرفهم واكذبهم
فى قولهم فقال تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمو
على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم
السحر والذى انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته
وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما
انه تعالى قد اعلمنا ضروب المعاصى ووصف لنا احوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها
الا ان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم
من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال
وما يعلمان من احد يعنى الملكين ومعنى يعلمان يُعلمان والعرب تستعمل لفظة
علّم بمعنى أعْلَم قال القطامى ، تعلّم ان بعد الغى رشداً ،
، وان لذلك الغىّ انقشاعا ، وقال كعب بن زهير ، تعلّم رسول الله انك مُدركى
، وان وعيداً منك كالاخذ باليد ، ومعنى تعلم فى البيتين معنى اعلم والذى
يدل على انه ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر اى انهما لا يعرفان صفات السحر وكيفيته الا بعد ان يقولا
انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين
امراً لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه
ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض
فى القاء هذا اليك فانه انما القى اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه
فى هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما
يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه

من ثَلا

مأثمه

اى بعد هذه الظلمة ضياء وراحة

لُغُف
الغُرُّ الغُرّةُ الشدة والجمع غُرَر مثل نُوبة ونُوب

صار

صار ذلك سببا لاختيارهم ضرراً عليهم وثانيها ان يكون ما انزل موضع جرّ
ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين
على ملك سليمان وعلى ملك ما انزل على الملكين ومعنى انزل على الملكين اى
معهما وعلى السنتهما كما قال تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى على السنتهم
ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمان وان اعترض بينهما
من الكلام ما اعترض لان رد الشئ الى نظيره وعطفه على ما هو اولى هو الواجب
وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر فى القرآن وكلام العرب كثيرة قال
الله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقيم من
صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله يسئلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد
الحرام فالمسجد الحرام ههنا معطوف على الشهر الحرام اى يسئلونك عن الشهر
الحرام وعن المسجد الحرام وحكى عن بعض علماء اهل اللغة انه قال العرب تلف
الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كلٍّ خبره
كقوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله وهذا واضح فى مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعالى وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة والمعنى انهما لا يعلمان احداً بل ينهيان عنه ويبلغ من
نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال
السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت
فى نهيه حتى قلت له انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة
فى الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعانى الكثيرة لانه استغنى
بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذى
ذكرناه ولذلك نظائر فى القرآن قال الله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض فلولا الاختصار
لكان مع شرح الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولو كان
معه اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ومثله قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود

لولا

وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب
اى فيقال للذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله اكثر من
ان تورد ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وليس
يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهما وقد
نفا عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم
ايضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه فى قوله ولكن الشياطين كفروا
فدل كفروا على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وان كان التصريح
قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله عز وجل سيذكر من يخشى
ويتجنبها الاشقى اى يتجنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى
لكن دل عليها قوله سيذكر ويجوز ان يكون معنى فيتعلمون منهما اى بدلا
مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان
من النهى عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا
وكذا اى بدلا منه وكما قال الشاعر ، جمعت من الخيرات وطبا وعلبة ،
، وصرا لاخلاف المزممة البزل ، ومن كل اخلاق الكرام نميمة ،
، وسعيا على الجار المجاور بالمحل ، يريد جمعت مكان الخيرات ومكان
اخلاق الكرام هذه الاخلاق الذميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه
فيه وجهان احدهما ان يكونوا يفرقون احد الزوجين ويحملونه على الكفر
والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على
دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه الآخر ان يسعوا بين الزوجين
بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة
والمباينة وثالث الوجوه فى الآية ان تحمل ما فى قوله وما انزل على الجحد والنفى
فكانه قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا انزل
الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذى معناه التقديم
ويكون على هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان

الوطب زق اللبن والعلبة ما يحلب فيه
والصر شدة الضرع والاخلاف جمع
خلف والمزممة النوق التى علقت
الازمة عليها والبزل جمع
بازل وهى التامة
السن

اسماهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران
اللذان نفى عنهما السحر جبريل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود
فيما ذكر كانت تدعى ان الله تعالى انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان
ابن داود عليهما السلام فاكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون هاروت
وماروت يرجعان الى الشياطين فكانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت
كفروا ويسوغ ذلك كما يسوغ فى قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعنى حكم
داود وسليمان عليهما السلام ويكون قوله تعالى على هذا التاويل وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما
من الشياطين او من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى
قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما
يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح
وقول من لا ينجب والله ما حصلت الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل
النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك ويجوز
ايضا على هذا التاويل الذى يتضمن النفى والجحد ان يكون هاروت وماروت
اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله وما انزل على الملكين ويكون
قوله وما يعلمان من احد يرجع الى قبيلين من الجن او الى شياطين الجن
والانس فتحسن التثنية لهذا وقد روى هذا التاويل الاخير فى حمل ما على
النفى عن ابن عباس رحمه الله وغيره من المفسرين وروى عنه ايضا انه كان
يقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا
ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويكون
على هذه القراءة فى الآية وجه آخر وان لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على
الجحد والنفى وهو ان يكون هولاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين
وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون
الانزال مضافا الى الله سبحانه وتعالى وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر
بل يكون منزله اليهما بعض الضلال والعصاة ويكون معنى انزل وان كان

من الارض حمل اليها الا من السماء اذ انى به من نجود البلاد واعاليها فان
من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى
واما قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها
ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته واذنت
لكذا اذا استمعته وقال الشاعر ، في سماع ياذن الشيخ له ،
، وحديث مثل ماذي مشار ، ومنها ان يكون الا زالة فيكون المعنى وما هم
بضارين به من احد باذن الله ويجري مجرى قول احدنا لقيت زيدا الا انى اكرمته
اى لقيت زيدا فاكرمته ومنها ان يكون اراد بالاذن التخلية وترك المنع فكانه
افادنا بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين احدا الا بان يخلى الله تعالى
بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على منعهم بالزجر والنهي
ومنها ان يكون الضرر الذي عنى انه لا يكون الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق
المسحور من الادوية والاغذية التي يطعمه اياها السحرة ويدعون انها موجبة
لما يقصد ونه فيه من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل
الله تعالى بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر
من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون
الضرر المذكور انما هو ما يحصل عن التفريق بين الازواج لانه اقرب اليه
في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا اغووا احد الزوجين فكفر فبانت منه
زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوا له من الكفر الا ان الفرقة
لا تكون الا باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وامر بالتفريق بين المختلفي الاديان
فلهذا قال وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله
واذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له
هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوي هذا الوجه ما روي انه
كان من دين سليمان عليه السلام انه من سحر بانت منه امرأته فاما قوله عز
وجل ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ثم قوله لو كانوا يعلمون
ففيه وجوه اولها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا

نجدي غوريا

المأذي العسل

والاطعمة

انه

الشياطين

الشياطين او الذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا
يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان والذين لم يعلموا هم الذين
تعلموا السحر وشروا به انفسهم وثانيها ان يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا
الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب
لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من
عقاب الله الذي لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها ان تكون الفائدة في نفي العلم
بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا لغيره
ما ادعوك اليه خير واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل
وينظر في العواقب الا انه لا يعمل بموجب علمه فحسن ان يقال له مثل هذا القول
وقال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ليصيبا من زاده ،
، اذا حضراني قلت لو تعلمانه ، الم تعلما اني من الزاد مرمل ، فنفى عنهما
العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علما
فكانهما لم يعلماه ورابعها ان يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين قد علموا ان
الآخرة لا حظ لهم فيها مع علمهم القبيح الا انهم ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا
وزخرفها فقال تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ان الذي آثروه
وجعلوه عوضا من الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل مضمحل باطل
وان المآل المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله مجلس آخر تاويل
خبر روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو كان هذا القرآن
في اهاب ما مسته النار وقد ذكرنا ولوا حديث النبي صلى الله عليه وآله في
هذا الخبر وجوها كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وانا اذكر ما اعتمدوه وابين ما
فيه ثم اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبة ذهب الاصمعي الى ان من تعلم القرآن من
المسلمين لو القي في النار لم تحرقه فكنى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم وجمع
على تاويله هذا بالحديث بما روى عن سليمان بن حبيب قال سمعت ابا امامة يقول اقرؤا
القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن قال
ابن قتيبة وفي الحديث تاويل آخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم القي في النار

ثم

المغلقة

المعلقة يجوز ان يكون معناه المكتوبة التعليق الكتب

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة
امر النبي صلى الله عليه وآله ثم انقطع ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى كلام الذئب
وشكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام قال وفيه تاويل ثالث وهو ان
يكون الاحراق انما نفى عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل
القرآن في اهاب ثم القي في النار ما احترق القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد
ولا تحرق القرآن لان الله سبحانه ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق
وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري رادا على ابن قتيبة معترضا عليه
اعتبرت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئا صحيحا اما قوله
الاول فيرده ما روي عنه عليه السلام من قوله يخرج من النار قوم بعد ما
يحترقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل قال وقد روى
ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا ادخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار قال الله سبحانه انظروا من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها قال ابو بكر وكيف يصح
قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين
المسلمين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله تعالى ويقرأ القرآن تحرقهم
النار بغير شك واحتجاجه بخبر ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن
ومعناه قرأ القرآن وعمل به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده فانه
غير واع له قال فاما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما
روى هذا الحديث احد انه كان في دلائله عليه السلام ولو اراد ذلك
دليلا لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه في النار
فلا يحترق قال وقول ابن قتيبة الثالث لاحترق الجلد والمداد ولم
يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصحح هذا القول يوجب ان القرآن
غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل
على هذا قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون
ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو وانما يريد المصحف

قال ابو بكر والقول عندنا في تاويل هذا الخبر انه لو كان القرآن في
جلد ثم القي في النار ما ابطلته لانها وان احرقته فانها لا تدرسه اذ
كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الاخيار من عباده والدليل على هذا
قوله عز وجل للنبي صلى الله عليه وآله فيما روي عنه اني منزل عليك كتابا
لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في شيء
ثم غسل بالماء لم يغتسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كان
القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب
قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
ولا يكتمون الله حديثا فهم قد كتموا الله لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما
اراد تعالى ولا يكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم وان كتموه في الظاهر
فالذي كتموه غير مستتر عنه قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه والوجه
الصحيح في تاويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعا وهو ان
هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شان
القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب
والقي في النار وكانت النار مما لا يحرق شيئا لعلو شانه وجلالة لم تحرقه
النار ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وامثالهم كثيرة ظاهرة لا تخفى
على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومعنى الكلام انا لو انزلنا القرآن على جبل
وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا من شيء او خشية لامر لتصدع مع صلابته وقوته
فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فانتم اولى بالخشية والاشفاق
وقد صرح الله بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون ومثله قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ومثله قول الشاعر • اما وجلال الله لو تذكرينني •
• كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا • فقالت بلى والله ذكرا لو انه •

تضمنه صم الصفا لتصدعا، ومثله، فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى
وبالريح لم يُسمع لهن هبوبُ، ومثله، وقفت على ربع لمية ناقتي
فما زلت ابكي عنده واخاطبه، واسقيه حتى كاد مما أبُثُّه
تكلمني احجاره وملاعبه، وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة
يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول
وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه
الامور لو تأتّت ولو كانت مما يتسهل ويتيسر لشيء من الاشياء لتسهلت به ومن
اجله فاما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائدا على ما رده
ابن الانباري انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان
النبي صلى الله عليه وآله قد اغرانا بالذنوب لانه اذا أمن حافظ القرآن ومتعلمه
من دخول النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على
القبائح آمنين غير خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى في قول
ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما
جواب ابن قتيبة الثاني فمن اين له ان ذلك مختص بزمانه عليه السلام وليس
في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه واقوى ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكر لما جاز
ان يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته وضبطوها وفي جهالتنا
من روى ذلك وجمعه وعُني به غير عارف بهذه الدلالة والآية ابطال لما
توهمه فاما جوابه الثالث فباطل لان القرآن في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون
فيه حتى ينسب الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله
ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لان هذه سبيل كل كلام كُتب في
اهاب او في غيره اذا احترق الاهاب لم يضف الاحتراق الى الكلام لاستحالة
هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور قول ابن الانباري وهذا يوجب ان القرآن
غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان
المكتوب هو القرآن وهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي
هو القرآن واذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما افتتح ابن الانباري

يتسهل
يبطله

يقال ان ركن يركُن وركن يركن لغتان الا انهم اخذوا الماضي من هذا والمضارع من ذاك فقالوا ركن يركن

يحصل
القضية

فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان احداً لا يقول ان الجلد
هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق
الى احدهما دون الآخر وهذا كله تخليطٌ من الرجلين لان القرآن غير حال في
الجلد على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب وانما الكتابة امارة للحروف
فاما ان تكون هي الكلام على الحقيقة او يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال واما
استشهاده على ذلك بالآية ويقول لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس
يجب ان يجعل اطلاق الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات الاحكام والمعاني
ومعترضة على ادلة العقول وقد يتجوز القوم باكثر من هذا فقالوا في هذا
الكتاب شعر امرء القيس وعلم الشافعي وفقهُ فلان ولم يقتض ذلك ان يكون
العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد بُيّن الكلام في هذا الباب
في مواضع هي اولى به فاما جواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل
ايضا فيه لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان
الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم أُحرق او غُسل
لم يذهب ما في الصدور منه بل يكون ثابتا بحاله فاي مزية للقرآن في هذا على
غيره واي فضيلة فان قال وجه المزية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن ان
يدرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان هو تعالى المتولي لايداعه الصدور
ولا يتم ذلك فيه قلنا الكل سواء لان غير القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب
المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل
باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه
لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان
القرآن وثباته فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خُصّ به من ان النار لا تمسه
وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو اشبه بمذاهب العرب واولى
بتفضيل القرآن وتعظيمه اخبرنا ابو الحسين علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي
عن عمه للحسين بن مطير الاسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب

ثابتيهم

بطلان القرآن
غير القرآن

هكذا اما انتم منشد ، الا حبّ بالبيت الذى انت هاجره ،
وانت بتلماح من الطرف زائره ، فانك من بيت الىّ لمعجب ،
واملح فى عينى من البيت عامره ، اصدّ حياءً ان يلجّ بى الهوى ،
وفيك المنى لولا عدوّ احاذره ، وفيك حبيب النفس لو نستطيعه ،
لمات الهوى والشوق حين نجاوره ، فان آية لم ياتِ الا بغلطة ،
وان يا بنة عبرى تنط بى جرائره ، وكان حبيب النفس القلب وائرا ،
وكيف يحب القلب من هو وائره ، فان تكن الاعداء احموا كلامه ،
علينا فلن تحمى علينا مناظره ، أحبك يا سلمى على غير ريبة ،
ولا باس فى حب تعف سرائره ، ويا عاذلى لولا نفاسة حبها ،
عليك لما باليت انك خابره ، بنفسى من لا بدّ انى هاجره ،
ومن انا فى الميسور والعسر ذاكره ، ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ،
ببغضى الا ما يجن ضمائره ، احبك حبا لن اُعنّف بعده ،
محبا ولكنى اذا ليم عاذره ، لقد مات قبلى اوّل الحب فانقضى ،
ولو متّ اضحى الحب قد مات آخره ، كلامك يا سلمى وان قلّ نافعى ،
فلا تحسبى انى وان قلّ حاقره ، الا لا ابالى اى حىّ تحملوا ،
اذا انجد البرقاء لم تخل حاضره ، وانشد ابن الاعرابى للحسين بن مطير
لعمرك للبيت الذى لا نطوره ، احب الينا من بلاد نطورها ،
تقلبتُ فى الاخوان حتى عرفتهم ، ولا يعرف الاخوان الا خبيرها ،
ولا اصرم الخلان حتى يصارموا ، وحتى يسير واسيرة لا اسيرها ،
فانك بعد الشر ما انت واجدٌ ، خليلا مديما شيمة لا يديرها ،
معنى يديرها يقلبها تارة ههنا وتارة ههنا ،
وانك فى غير الاخلاء عالم ، بان الذى يخفى عليك ضميرها ،
فلا تك مغرورا بمسحة صاحب ، من الود لا تدرى علام مصيرها ،
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ، ولكنه خيم الرجال وخيرها ،
وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها ، فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها ،

وكأن

ناظره: اى لمح
لعبنى: معجب
تجاوره تجاوره يعنى النفس
هذا يدل على انه احيى الحب وان الحب كان قبلينا وسيموت بعده
من جلا القوم عن منازلهم اى لا تقربه
غيّر
مسحة اى بقية
اى كرمها
اى تجلوا

وكان ترى من حال دنيا تغيرت ، وحال صفا بعدا كدرا رغديرها ،
ومن طامع فى حاجة لن ينالها ، ومن يائس منها اتاه بشيرها ،
ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل ، مطيعا لها فى فعل شىء يضيرها ،
فنفسك اكرم عن امور كثيرة ، فما لك نفس بعدها تستعيرها ،
قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ولى فى معنى قول ابن مطير وقد
تغدر الدنيا والبيت الذى بعده من جملة قصيدة ،
وكنت آنس بالدنيا ولست ارى ، الا امرأً قد تعرّى من عواديها ،
نصبوا اليها بآمال محببة ، كاننا ما نرى عقبى امانيها ،
فى وحشة الدار من كان يسكنها ، كل اعتبار لمن قد ظل يأويها ،
لا تكذبنّ فما قلبى لها وطنا ، وقد رايت طلولا من مغانيها ،
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال انشدنا على بن سليمان الاخفش قال
انشدنا احمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير ،
لقد كنت جلدا قبل ان توقد النوى ، على كبدى نارا بطيئا خمودها ،
ولو تركت نار الهوى لتضرمت ، ولكن شوقا كل يوم يزيدها ،
وقد كنت ارجو ان تموت صبابتى ، اذا قدمت ايامها وعهودها ،
فقد جعلت فى حبة القلب والحشا ، عهاد الهوى تولى بشوق فعيدها ،
بمرتجة الارداف هيف خصورها ، عذاب ثناياها عجاف قيودها ،
يعنى انها عجاف اللثات واصول الاسنان هى قيودها وقال ابو العباس ثعلب
عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من الثنايا
مخصرة الاوساط زانت عقودها ، باحسن مما زينتها عقودها ،
وصفر تراقيها وحمر اكفها ، وسود نواصيها وبيض خدودها ،
وصف التراقى بالصفرة من الطيب وحمرة اكفها من الخضاب ،
تمنيننا حتى ترف قلوبنا ، رفيف الخزامى بات طلّ يجودها ،
اخذ قوله مخصرة الاوساط من قول مالك بن اسماء بن خارجة ،
وتزيد بن الطيب الطيب طيبا ، ان تمسيه اين مثلك اينا ،

كلى
وكيف نفس
اى منازلها
احزانا
طفقت
غطية
مجافا

واذا الدر زان حسن وجوه ، كان للدر حسن وجهك زينا

وقد روى ابو تمام الطائى فى الحماسة بعض الابيات التى ذكرناها للحسين

ابن مطير وروى له ايضا ويشبه ان يكون الجميع من قصيدة واحدة

وكنت اذود العين ان ترد البكا ، فقد وردت ما كنت عنه اذودها

خليلى ما بالعيش عتب لو اننا ، وجدنا لايام الصبى من يعيدها

وروى ابو تمام ايضا لغيره وبعض الرواة يرويها للحسين بن مطير

ولى نظرة بعد الصدود من الجوى ، كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها

هل الله عاف عن ذنوب تسلفت ، ام الله ان لم يعف عنها معيدها

وانشد ابو محلم لابن مطير ، فضى الله يا اسماء ان لست بارحا

احبك حتى يغمض العين مغمض ، وحبك بلوى غير ان لا يسرنى

وان كان داء انى لك مبغض ، اذا انا رضت النفس فى حب غيرها

اتى حبها من دونها يتعرض ، فيا ليتنى اقرضت غيرى صبابتى

واقرضنى صبرا على الشوق مقرض ، ويشبه ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت

النفس فى حب غيرها من رجل من فزارة ، واعرض حتى يحسب الناس انما

بى الهجر لاها الله ما بى لك الهجر ، ولكن اروض النفس انظر هل لها

اذا فارقت يوما احبتها صبر ، او من قول نصيب

وانى لاستحيى كثيرا واتقى ، عيونا واستبقى المودة بالهجر

وانذر بالهجران نفسى اروضها ، لتعلم عند الهجر هل لى من صبر

ويشبه ان يكون اخذ قوله فيا ليتنى اقرضت خلا ماخوذا من قول بعض العرب

رمى قلبه البرق الملالى رمية ، بجنب الحمى وهنا فكاد يهيم

فهل من معين طرف عين خلية ، فانسان عين العامرى كليم

وللحسين فى هذا المعنى ما رواه المبرد ، ولى كبد مقروحة من يبيعنى

بها كبدا ليست بذات قروح ، ابى الناس ويب الناس لا يشترونها

ومن يشترى ذا علة بصحيح ، واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى

فقال ، من ذا يعيرك عينه تبكى بها ، ارايت عينا للبكاء تعار

اى من دون غيرها

لاها الله قسم كو الله

ملالى مضنى

يقال هام اذا تحير

اى عيب وروى ذا علة

واخبرنا

واخبرنا المرزبانى قال حدثنى ابو عبد الله الحكيمى قال حدثنى يموت بن المزرع

قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الاصمعى فانشده رجل ابيات دعبل

اين الشباب واية سلكا ، لا اين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبى يا سلم من رجل ، ضحك المشيب براسه فبكى

يا سلم ما بالشيب منقصة ، لا سوقة يبقى ولا ملكا

قصر الغواية عن هوى قمر ، وجد السبيل اليه مشتركا

يا ليت شعرى كيف نومكما ، يا صاحبى اذا دمى سفكا

لا تاخذا بظلامتى احدا ، قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

قال فاستحسنها كل من كان فى المجلس واكثر التعجب من قوله ضحك المشيب براسه

فبكى فقال الاصمعى انما اخذ قوله هذا من ابن مطير الاسدى حيث يقول

اين اهل القباب بالدهناء ، اين جيراننا على الاحساء

جاورونا والارض ملبسة ، نور الاقاحى تجاد بالانواء

كل يوم عن اقحوان جديد ، تضحك الارض من بكاء السماء

وقد اخذه مسلم صريع الغوانى فى قوله ، مستعبر يبكى على دمنة

وراسه يضحك فيه المشيب ، قال المرتضى قدس الله روحه ولابى الحجناء

نصيب الاصغر مثل هذا المعنى وهو قوله

فبكى الغمام به فاصبح روضه ، جذلان يضحك بالجميم ويزهر

ولابن المعتز مثله ، الحت عليه كل طخياء ديمة

اذا ما بكت اجفانها ضحك الزهر ، ولابى دريد مثله

تبسم المزن واهلت مدامعه ، فاضحك الروض دمع الضاحك الباكى

وغازل الشمس نور ظل يلحظها ، بعين مستعبر بالدمع ضحاك

وروى عن ابى العباس المبرد انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من

بكاء السماء من قول ذكين الراجز ، جن النبات فى ذراها وزكا

وضحك المزن به حتى بكى ، مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله

عز وجل فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

اية طريقا

الاحساء جمع حسى وهو الموضع الذى يستنقع فيه الماء

اى مجودة

الجميم الكلأ الكثير يزهر اى يضيئ

جفن

وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان مطابقان للحق احدهما ان يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى فكانه قال وما يعلم تاويله الا الله والا الراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون آمنا به فوقع قوله يقولون آمنا به موقع الحال والمعنى انهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذا غاية المدحة لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق به على السنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم باداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الاول وتقديره ان يكون قوله يقولون آمنا به على التاويل لا ابتداء له مثل قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله انك رؤف رحيم وقال في الذين تبوؤا الدار والايمان وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال فيمن جاء من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وهذه الآيات تدل على انه لا ينكر في آية الراسخين في العلم ان يكون قوله تعالى يقولون آمنا حالا لهم مع العلم بتاويل المتشابه ولو اشكل شيء من ذلك لما اشكل قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا في انه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به فان الصورتين واحدة ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمى بردا باعه ثم ندم على بيعه ،

وشريت بردا ليتني ، من بعد برد كنت هامه ، هامة تدعو صدى (اي تدعو هامه)
بين المشقر فاليمامه ، الريح تبكي شجوه ، والبرق يلمع في الغمامه

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع كانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا في غمامة اي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء

لم يكن للكلام (في الكلام) معنى ولا فائدة ويمكن ايضا على هذا الوجه عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان يكون قوله يقولون آمنا به استيناف جملة واستغني فيه عن حرف العطف كما استغني في قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما الجملة الثانية فيه التباس بالجملة الاولى فيستغني به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسنا بنزل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثاني في الآية ان يكون قوله والراسخون في العلم مستانفا غير معطوف على ما تقدم ثم اخبر عنهم بانهم يقولون آمنا به ويكون المراد بالتاويل على هذا الجواب المتاول لانه قد يسمى تاويلا قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله والمراد بذلك لا محالة المتاول والمتاول الذي لا يعلمه العلماء وان كان الله عز وجل عالما به كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكانه قال وما يعلم تاويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه الا الله والعلماء يقولون آمنا به وقد اختار ابو علي الجبائي هذا الوجه وقواه وضعف الاول بان قال قول الراسخين في العلم آمنا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لا يعرفون تاويل المتشابه كما يعرفون تاويل المحكم ولان ما ذكره من وقت القيمة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تاويل القرآن اذا كان داخلا في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي ذكره بشيء لانه لا يمتنع ان يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك مع فقد العلم به وما المنكر من ان يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويتحققه فاما قوله ولان ما ذكرناه من تاويل القرآن فذلك انما يكون تاويلا للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على المتاول لا على الفائدة والمعنى فاما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته الا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه ان يقول ان حمل التاويل على المتاول اظهر من حمله على المعنى والفائدة لان الامر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر في الاستعمال واشبه بالحقيقة على انه لو قيل ان الجواب الاول

اقوى من الثانى لكان اولى من قوله من قبل انه لو كان المراد بالتاويل
المتاول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى
لان فى متاول المحكم كاخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما يشبه فى كونه
محكما ما لا يعرف تفصيله ولا كنهه الا الله فاى معنى لتخصيص المتشابه والكلام
يقتضى توجهه نحو المتشابه الا ترى الى قوله فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله فخص المتشابه بالذكر وكان اولى ايضا
ان يكون المراد بلفظة تاويله الثانية هو المراد بلفظة تاويله الاولى وقد علمنا
ان الذين فى قلوبهم زيغ انما اتبعوا تاويله على خلاف معناه ولم يطلبوا
تاويله الذى هو متاوله فالوجه الاول اقوى وارجح ويمكن فى الآية وجه ثالث
لم نجدهم ذكروه على ان يكون قوله والراسخون فى العلم مستانفا غير معطوف
ويكون المعنى وما يعلم تاويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهو
واضح صحيح لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة
لادلة العقول فيذكر المتاول جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لان
الذى يلزم فى مثل ذلك ان يعلم فى الجملة انه لم يرد من المعنى ما يخالف الادلة
وانه قد اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز والموافقة للحق وليس
من تكليفنا ان نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين يبين احتمالهما
لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على انه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق
الحق فنعلم فى الجملة انه قد اراد احدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من
الآى المتشابهة فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل منها يختص بوجه واحد
صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون فى العلم يقولون آمنا
به اى صدقنا بما نعلمه مفصلا ومجملا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند
ربنا وهذا ايضا وجه واضح اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنى محمد
الازهر قال انشدنا محمد بن يزيد لابى حية النميرى وهى ابيات مختارة

وخبرك الواشون الا احبكم ... بلى وستور الله ذات المحارم
اصد وما الصد الذى تعرفينه ... عزاء بنا الا اجتراع العلاقم

حياء وبقيا ان تشيع نميمة ... بنا وبكم اف لاهل النمائم
وان دما لو تعلمين جنيته ... على الحى جانى مثله غير سالم
اما انه لو كان غيرك ارقلت ... صعاد القنى بالراعفات الهاذم
ولكنه والله ما طل مسلما ... كبيض الثنايا واضحات الملاغم

قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض
وقوله ما طل مسلما اى ما ابطل دمه

اذا هن ساقطن الحديث كانه ... سقوط حصى المرجان من سلك ناظم

ويروى ساقطن الاحاديث للفتى ويروى ايضا ساقطن الحديث كانه

رمين فاقصدن القلوب فلا ترى ... دما مائرا الا جوى فى الحيازم

قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما مضى فى هذه القصيدة قوله

كان لم ارح بالغيور وافتتل ... بتفتير ابصار الصحاح السقائم
ولم الهُ بالحدث الالف الذى له ... عذار لم يحرمن نار المطاعم
اذا اللهو يطبينى واذا استميله ... بجولك الفودين وحف المقادم
واذ انا منقاد لكل مقود ... الى اللهو حلاف البطالات آثم

وروى ابن حبيب مقود ومعنى حلاف البطالات آثم اى حلاف فى البطالة

مهين المطايا متلف غير اننى ... على ردما اتلفته غير نادم
ارى خير يومى الخميس وان غلا ... بى اللوم لم احفل ملامة لائم

معنى خير يومى الخميس اى احب يومى الى الذى هو اخف عند اهل
الراى والعقل وانشد ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادى لابى حية

وقال اسمه هيثم بن الربيع ... ترحل بالشباب الشيب عنا
فليت الشيب كان به الرحيل ... وقد كان الشباب لنا خليلا
فقد قضى مآربه الخليل ... لعمر ابى الشباب لقد تولى
حميدا ما يراد به بديل ... اذ الايام مقبلة علينا
وظل اراكة الدنيا ظليل

وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمان المازنى لابى حية

زمان الصبى ليت ايامنا ... رجعن لنا الصالحات القصارا

، زمان على غراب غداف ، فطيّره الدهر عني فطارا ،
، فلا يبعد الله ذاك الغراب ، وان هو لم يبق الا ادّكارا ،
، كان الشباب و لذاته ، وريق الصبى كان ثوبا معارا ،
ريق الصبى وريّقه ورونقه اوّله ،
، وهازئة ان رات لمتي ، تلفّع شيب بها فاستدارا ،
، وقلّد ني منه بعد الخطام ، عذارا ما استطيع اعتذارا ،
، اجارتنا ان ريب الزمان ، قبلي نال الرجال الخيارا ،
، فاما ترى لمتي هكذا ، فاسرعت منها المشيب النفارا ،
، فقد ارتدي وحفة طلّة ، وقد ابرز الغيبات الخفارا ،
اما قوله وكان على غراب غداف فاراد الشباب والشعر الاسود ويشبه
ان يكون ماخوذا من قول الاعشى ،
، وما طلابك شيئا لست مدركه ، ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا ،
ولابي حيّة من قصيدة اوّلها ، الا يا اسلمي اطلال حسنا، والنعمي ،
، وحسناء مخماص الوشاحين مشيها ، الى الروح افتار وخطى المتجشم ،
، الما تبلي قبل ان ترمي النوى ، بنا فذق نبض الفؤاد المتيم ،
، يقف عاشق لم يبق من روح نفسه ، ولا عقله المسلوب غير التوهم ،
، فقلنا لها سرّا فديناك لا يرح ، صحيحا وان لم تقتليه فالممي ،
، فالقت قناعا دونه الشمس واتقت ، باحسن موصولين كف ومعصم ،
وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول النابغة ،
، سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ، فتناولته واتقتنا باليد ،
ولقوله فقلن لها سرّا فديناك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي
ابن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني
قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب امر علي بن العباس الرومي وكثرة
محاسنه لابي الحسين القسم ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين
قد احببت ان ارى ابن رومي هذا فدخل يوما عبيد الله الى ابي الحسين

حتى
الوحفة كثرة الشعر
الخفار المستحيات
اي تفتر
الزوج اثنان افتار
يخاطب صاحبه بنافذة اي بطعنة
اي دونه من الفضل والشرف في مباديه
قوله دونه صفة قناعا
الباقطاني

وابن

وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فرآه مضطرب
العقل جاهلا فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله
ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اولى عتب ولا يفكر في عاقبة فاخرجه
عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال
يا بنيّ اني لم ارد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت ابي حية النميري ،
، فقلن لها سرّا فديناك لا يرح ، سليما والا تقتليه فالممي ، فحدث
القسم بن فراس بما جرى وكان اعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج
قبيحة فقال له الوزير اعزه الله اشار بان يغتال حتى يستراح منه وانا اكفيك
ذلك فسمّه في الخشكنانج فمات قال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس
وانما قتله عبيد الله وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصه من التكلف
وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول ابي حية ،
، رمتني وستر الله بيني وبينها ، عشية آرام الكناس رميم ،
، الا رب يوم لو رمتني رميتها ، ولكن عهدي بالنضال قديم ،
قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وقد روى هذان البيتان لنصيب
في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني واصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا
لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام
واضح واما الاستعانة فهو ان تدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصح
نظما او وزنا قال ومما يختار من قول ابي حية ايضا ،
، الا حيّ من اجل الحبيب المغانيا ، لبسن البلى مما لبسن الليا ليا ،
، اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ، تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا ،
ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابي حية ،
، لقد طال ما عنيت راحلة الصبى ، وعلّت شيطان الغوى المشوق ،
، وداويت قرح القلب منهن بالمنى ، وبالحظ لو يبذ لنه المترقرق ،
، وساقينني كاس الهوى وسقيتها ، رقاق الثنايا عذبة المتريّق ،
، وخمصانة تفترّ عن متنضد ، كنور الاقاحي طيب المتذوق ،

اي سترا
الخشكنانك

المخلق اى المملس

بورقراق الشراب

ويروى عن متنسق يعنى ثغرا على نسق واحد لا اختلاف فيه

اذا اصطفت بعد امتناع من الضحى … انابيب من عود الاراك المخلق

سقت شعث المسواك ماء غمامة … فضيضا بخرطوم المدام المروق

الامتناع الارتفاع يقال متع النهار وامتع اذا طال والمخلق الذى علق به الخلوق والطيب من يدها وقال بعضهم عنى بالمخلق المملس والفضيض الذى حين سال من الغمامة اى كما فض والخرطوم سلاف الخمر وهو اول ما يخرج من غير عصر ولا دوس

وان ذقت فاها بعد ما سقط الندى … بعطفى بخنداة رداح المنطق

الخنداة الضخمة والرداح العظيمة الارداف

شممت العرار الطل غب هميمة … ونور الخزامى فى الندى المترقرق

العرار بهار البرية والطل الغض الطرى والهميمة مطر لين واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن هارون بن على قال سمعت ابى وقد ذكر قول ابى حية

نظرت كانى من وراء زجاجة … الى الدار من فرط الصبابة انظر

اى تنقشعان وتنكشفان

فعيناى طورا تغرقان من البكا … فاعشى وطورا تحسران فابصر

فقال لو اعترضنى ممن تجب طاعته ويلزم الانقياد لامره فقال اى شعر اجود واولى بان يستحسن ولم يفسح لى فى ان اميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيه وسائر اصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين ويقال ان ابا احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اجاز بيتى ابى حية بقوله

فلا مقلتى من غامر الماء تنجلى … ولا دمعتى من تكمد الوجد تقطر

شرقي

ولابى حية

من المبكيات الجلد حتى كانما … يسح بعينيه الدموع شعيب

الشعيب مزادة من اديمين يشعب احدهما بالآخر

اى تجاه

ليالى اهلانا جميعا وحولنا … سوائم منها رائح وغريب

واذ يتجنين الذنوب وما لنا … اليهن الا ودهن ذنوب

ولابى حية

اصد عن البيت الحبيب وانى … لاصغى الى البيت الذى اتجنب

ازور بيوتا غيره ولاهله … على ما عدى عنهم اعز واقرب

يُقطع

وقطع اسباب المودة معشر … غضاب وهل فى احسن القول مغضب

قوله وان لانتي عطف على بعد عشر

وان لانتي يا ام عمرو نميمة … تدب بها بينى وبينك عقرب

تؤذون يبدؤون

وما بيننا لو انه كان عالما … بذلك الا ولى يؤولون ما يترتب

او هو

حديث اذا لم تخش عينا كانه … اذا ساقطته الشهد بل هو اطيب

كانت

لو انك تستشفى به بعد سكرة … من الموت كادت سكرة الموت تذهب

تام ترتيبي

وقلت لها ما تأمرين فانني … ادى البين ادنى روعة تترقب

قال محمد بن يحيى الصولى ولا احسبه فى قوله لو انك تستشفى به بعد سكرة الا تبع قول توبة بن الحمير

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت … على ودونى تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة او زقا … اليها صدى من جانب القبر صائح

قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه واول من سبق الى هذا المعنى فاحسن الاعشى فى قوله

فى الحى حال درعت دوعت حال بعد حال

عهدى بها فى الحى قد درعت … صفراء مثل المهرة الضامر

لو اسندت ميتا الى نحرها … عاش ولم ينقل الى قابر

حتى يقول الناس مما راوا … يا عجبا للميت الناشر

ومعنى الناشر المنشور يقال نشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وقال بعض اصحاب المعانى ان الجارية التى وصفها ايضا ميتة بمعنى انها ستموت كما قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون اى ستموتون فيكون المعنى ان الناس عجبوا من ان يكون من يموت ينشر الموتى ومن قال هذا اجاز نشر الله الموتى بمعنى انشر والقول الاول اظهر وما نظن الاعشى عنى غيره مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فقال لم خص اليوم بالقول وانما اراد العفو عنهم فى جميع مستقبل اوقاتهم الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه اربعة اولها انه لما كان هذا الوقت الذى اشار اليه هو اول اوقاته التى كشف فيها نفسه واطلعهم على ما كان يستره عنهم من امره اشار الى الوقت الذى لو اراد الانتقام لابتدأ به فيه والذى متى عفا فيه عنهم لم يراجع الانتقام وثانيها ان يوسف عليه السلام لما قدم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما

ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم بنفسه ولا يفضح لهم بحاله قال لهم عند
تبين امرهم لا تثريب عليكم اليوم اى قد انقطع عنكم توبيخي ومضى
عذلي ولا يمتى عند اعترافكم بالذنب فكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع
المعاتبة والتوبيخ وعلى ان الاوقات المتصلة باليوم تجرى مجراه في
زوال الغضب وتمام العفو وسقوط المواقفة لهم على ما سلف منهم
وثانيها ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان
كله المشتمل على الليالى والايام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره
قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد وقفت لتركها ومقتها يريد في هذا
الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن
فنون العلم فاليوم ما تعجزك مسالة ولا تتوقف عن مشكلة يريد باليوم
باقى الزمان كله وقال امرؤ القيس ، حلت لى الخمر وكنت امرأ ،
، عن شربها في شغل شاغل ، فاليوم فاشرب غير مستحقب ،
، اثما من الله ولا واغل ، ولم يقصد يوما بعينه ومثله ،
، اليوم يرحمنا من كان يغبطنا ، واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا ،
وقال لبيد ، وما الناس الا كالديار واهلها ، بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ،
كل ذلك لا يراد بذكر اليوم او الغدو فيه الا جميع الاوقات المستقبلة ورابعها
ان يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم
بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا الجواب
من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله فاما معنى التثريب فان ابا عبيدة قال
معناه لا تشعيب عليكم ولا معاقبة ولا افساد قال الشاعر ،
، فعفوت عنهم عفو غير مثرب ، وتركتهم لعقاب يوم سرمد ،
وقال ابو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا اعدد عليه ذنوبه
وقال ابو مسلم التثريب ماخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكانه
موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصى الى ابعد غاياتهما **تاويل**
خبر روى ابو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن

عليهم

في هـ

الغدو

هشام

هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن ابى هريرة ان
النبى صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن كسب الزمارة وقال ابو عبيد
قال حجاج الزمارة الزانية وقال هذا مثل حديثه الآخر انه نهى عن كسب
البغى قال ابو عبيد وقال غير حجاج هى الرمازة بتقديم الراء فاما
قول حجاج اثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون اماءهم على البغاء فانزل الله
تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة
الدنيا قال فالعرض هو كسب البغى الذى نهى النبى صلى الله عليه وآله عنه
قال ابو عبيد ولا اعلم مما اخذت الزمارة غير انى وجدتها في الحديث
مفسرة وقال ابن قتيبة الامر على ما ذكر ابو عبيد الا ما انكره على من زعم
انها الرمازة لان الرمازة هى الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز اى
تومئ بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال الفراء واكثر الرمز بالشفتين ومنه
قول الله تعالى آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا فالرمازة صفة من
صفات الفاجرة ثم صار اسما لها او كالاسم وكذلك قيل لها هلوك لانها
تتهالك على الفراش او على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء
وان تهالكت على زوجها وقيل لها خريع للينها وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها
دون غيرها من النساء وان لانت وتثنت ونحوه قولهم للبعير اعلم للشق
في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب ازل للرسح ثم
صار كالاسم له والمريبة لا تكاد تعلن الكلام تومض او ترمز او تصفر
قال الشاعر ، رمزت الى مخافة من بعلها ، من غير ان يبدو هناك كلامها
وقال الاخطل ، احاديث سداها ابن حدراء فرقد ، ،
، ورمازة مالت لمن يستميلها ، وقال الراجز ، يومين بالاعين والحواجب
، ايماض برق في عماء ناضب ، والعماء السحاب والناضب البعيد
وقال بعضهم انما قيل للفاجرة قحبة من القحاب وهو السعال قال واحسبه
اراد انها تتنحنح او تسعل ترمز بذلك قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول
في قول الناس اجبن من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف من كل

ازل ارسح خفيف الوركين
ممسوح الردفين
تومض أن تعرض نفسها
سداها ابسط سدا ما حدراء غليظة
فرقد عطف بيان او بدل

يقال نضب الماء اذا غار ونضبت
المفاوز بالضاد معجمة
بعدت

شئ فاما الاصمعي فانه قال الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف
بالجبن لانه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا ارى القول الا قول
المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الاسدى ،
، ارجو لكم ان تكونوا فى اخائكم ، كلباً كورْهاً آنفلى كل صفار ،
، لما اجابت صفيرا كان آتيها ، من قابس شيط الوجعاء بالنار ،
وهذه امراة يصفر لها رجل فتجيبه فيمثل زوجها به ويصفر لها فاتته فشيّطها
بميسم فلما اعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفار تريد انا قد عففنا واطّرحنا
كل فاجر وقال ابو بكر محمد بن القسم الانبارى والاختيار عندى الزمارة
معجمة الزاى على ما قال ابو عبيد لحجج ثلاث احداهن اجماع اصحاب الحديث
الزمارة والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسّن نفسها وكلامها
والزمر عند العرب الحسن قال عمرو بن احمر الباهلى يصف شرابا وغناء
، دنان حنان بينهما ، رجل اجشّ غناؤه زمر ، قال الاصمعي معناه
غناؤه حسن كانه من مزامير داود والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة
زمارة لملاهيها وقلة ما فيها من الخير من قول العرب نعجة زمرة اذا كانت
قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروة اذا كان قليلها قال ابن احمر ،
، مُطْلَنْفِئاً لون الحصا لونه ، يحجز عنه الذر ريش زمر ، المُطْلَنْفِئ
اللاصق بالارض والذر النمل والزمر القليل فسميت البغى زمارة على
وجه الذم لها والتصغير لشانها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال
فجر الرجل اذا مال قال لبيد ، فان تتقدم تغش منها مقدَّما ،
، غليظا وان اخرت فالكفل فاجرُ ، اى مائل والكفل كساء يوضع على
ظهر البعير يوقى من العرق قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولا ارى
لاحدى الروايتين على الاخرى رجحانا لان كل واحدة منهما قد اتت من
جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج فى اللغة وتاويل يرجع الى معنى
واحد لان الرمارة بالراء غير معجمة يرجع معناها الى ما ذكره ابن قتيبة
الى معنى الفجور ومن رواها بالزاى المعجمة فالمرجع فى معناها الى ذلك

الوره ، الحمقاء ، الوجعاء ، الاست

زجل الاجش الجهير الصوت

ايضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانبارى فالاولى ان يثبتا متساويين
ويكون الراوى مخيرا فيهما اخبرنا المرزبانى قال انشدنى محمد بن احمد
الكاتب قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا ابن الاعرابى للمضرب
وهو عقبة بن كعب بن زهير بن ابى سلمى ،
، وما زلت ارجو نفع سلمى وودها ، وتبعد حتى ابيض منى المسائح ،
، وحتى رايت الشخص يزداد مثله ، اليه وحتى نصف راسى واضح ،
، علا حاجبى الشيب حتى كانه ، ظباء جرت منها سنيح وبارح ،
، وهزة اظعان عليهن بهجة ، طلبت وريعان الصبى لى جامح ،
، فلما قضينا من منى كل حاجة ، ومسح بالاركان من هو ماسح ،
، اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ، وسالت باعناق المطى الاباطح ،
، وشدت على حدب المهارى رحالها ، ولا ينظر الغادى الذى هو رائح ،
، فقلنا على الخوص المراسيل وارتمت ، بهن الصحارى والصفاح الصحاصح ،
، وانشد ابن الاعرابى ، تصلت بعينى شادن وتبسمت ،
، بجمّاً عن غُرّ لهن غروب ، جرى الاسحل الاحوى عليهن وجرى ،
، عليهن من فرع الاراك قضيب ، اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب
قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال نا محمد بن الحسن البلخى قال حدثنا
ابو حاتم قال سمعت الاصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه
مع معشوقه فقلت له هذا والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة بن
حزام العذرى لعفراء ، اراني تعروني لذكراك روعة ،
، لها بين جلدى والعظام دبيب ، وما هو الا ان اراها فجاءة ،
، فابهت حتى لا اكاد اجيب ، واصرف عن رايى الذى كنت رايى ،
، ويعزب عنى علمه ويغيب ، ويضمر قلبى عذرها ويعينها ،
، على فما لى فى الفؤاد نصيب ، فقال له الرشيد من قال هذا وهما
فانى قوله علما فقلت لله درك يا اصمعي فانى اجد عندك ما يضل عنه العلماء ،
قال الصولى فاخذه العباس بن الاحنف فقال ،

المسائح جوانب الراس وهى فى الاصل الفعائل

حدب جمع احدب

الخوص الابل الغائرة العيون والمراسيل المسرعات والصحاصح الخالية الواسعة

نقلنا بمعنى رحلنا

بجماً اى بثغة شرا غروب اى حدود الاسحل شجرة الاحوى الاسمر

اى ارى نفسى تعرونى تصيبنى

يهيم بحرّان الجزيرة قلبه ، وفيها غزال فاتر الطرف ساحره
يوازره قلبي عليّ وليس لي ، يدان بمن قلبي عليّ يوازره
واشار اليه ايضا في قوله ، قلبي اذا ما ضرّني داعي
يكثر احزاني واوجاعي ، كيف احتراسي من عدوّي اذا
كان عدوّي بين اضلاعي ، واخذه سهل بن هارون الكاتب فقال
اعان طرفي على جسمي واعضائي ، بنظرة وقفت جسمي على الداء
وكنت غرًّا بما تجني على يدي ، لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي
وقال البحتري ، ولست اعجب من عصيان قلبك لي
يومًا اذا كان قلبي فيك يعصيني ، وروى ابو عكرمة الضبّيّ عن
مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الاصمعي يومًا ما احسن ما قيل في
صفة امرأة مجزاء خميصة فانشد قول الاعشى ،
صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة ، اذا تأتّى يكاد الخصر ينخزل
وانشد قول علقمة بن عبدة ، صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة
كانها رشأ في البيت ملزوم ، وانشد قول ذي الرمة
ترى خلفها نصفا قناة قويمة ، ونصفا نقا يرتج او يتمرمر
فقال ما احسن ما قيل فيه قول ابي وجزة السعدي ،
ادماء في وضع يكاد رداؤها ، يهوي ويشبع ما احبّ ازارها
قال ابو عكرمة ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي ،
غرثان مسمط وشاحها قلق ، ريان من اردافها المرط
واخبرنا المرزباني قال نا محمد بن ابراهيم قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا
الاصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على اخيه
جعفر بن سليمان وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلاثا فانشدته لابن
اراكة الثقفي ، لعمري لقد اتبعت عينك ما مضى ، من الدهر او ساق الحمام الى القبر
لتستنفد نماء الشؤون باسرها ، ولو كنت تمريهن من ثبج البحر ،
فقلت لعبد الله اذ حنّ باكيا ، تعزّ وماء العين منهمر يجري ،

حران اسم بلدة واضافها الى الجزيرة

اذا تأتّت
اي سمينة

ما فيهم عبدة بالتحريك الا هذا والباقي عبْدة

اي يتحرك

ادماء سمراء يهوي اي يخلي

وشاحها

باسرها
حنّ

تبيّن فان كان البكا ردّها لكا ، على احد فاجهد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتا بعد ميت اجنّه ، عليّ وعباس وآل ابي بكر
قال فامر فجيء بالطعام فاكل من ساعته قوله حنّ باكيا معناه رجّع صوته
بالبكاء وقال قوم الحنين بالخاء معجمة من الانف والحنين من الصدر وهو صوت
يخرج من كل واحد منهما واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت التوزي يقول دخلنا مع
الاصمعي الى اسمعيل بن جعفر ليلة في حاجة فانشده الاصمعي ابيات ابن هرمة
اتيناك نزجو حاجة ووسيلة ، لديك وقد تحظى لديك الوسائل
وتذكر ودًّا شدّه الله بيننا ، على الدهر لم تذهب اليه الغوائل
فاقسم ما اكبا زنادك قادح ، ولا اكذبت فيك الرجاء القوابل
ولا رجعت ذا حاجة عنك علّة ، ولا عاق خيرا عاجلا منك آجل
ولا لام فيك الباذل الوجه نفسه ، ولا احتكمت في الجود منك المباخل
فلم يزد على هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسئلته قال السيد المرتضى
قدس الله روحه ويشبه ان يكون ابن هرمة اخذ قوله ولا اكذبت فيك
الرجاء القوابل من قول الحزين الكناني في زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام
فلما تردّى بالحمائل وانتهى ، يصول باطراف القنا الذوابل
تبيّنت الاعداء ان سنانه ، يطيل حنين الامهات الثواكل
تبيّن فيه ميسم العزّ والتقى ، وليدا يفدّى بين ايدي القوابل
واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا
محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا ابو حاتم عن الاصمعي قال قال لي الرشيد
يومًا يا اصمعي اتعرف للعرب اعتذارا وندما ودع النابغة فان يخنع
ويعتذر فقلت ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابي خازم الاسدي فانه هجا اوس
ابن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له امّه وكانت ذات
راي والله لا محا هجاءه لك الا مدحه اياك فعفا عنه فقال بشر ،
واني على ما كان مني لنادم ، واني الى اوس بن لام لتائب ،

نزجي
اليك

اي على مرّ الدهر

اي ما وجد كابيا

والى الى اوس ليقبل توبتي ، ويعرف ودي ما حييت لراغب ،
فهب لي حياتي فالحياة لقائم ، يسرك فيها خير ما انت واهب ،
سامحو بمدح فيك اذ انا صادق ، كتاب هجاء سار اذ انا كاذب ،
فقال الرشيد للاصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها واخبرنا علي بن محمد الكاتب
قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه
قال سمعت بيتين لم احفل بهما ثم قلتهما على حال خير من موضعهما من الكتاب
قال فاني عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير
فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شي فقال عيسى هذا بيت
مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد واقبل على عيسى فقال والله لتعطين الاصمعي
سلفا على بيت مال السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي جا
موضع البيتين فانشدت الرشيد ، اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا ،
وجداه في الماضين كعب وحاتم ، فكشفه عما في يديه فانما ،
تكشف اخبار الرجال الدراهم ، قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور
اعطه على بيت مال السرور الفي دينار فاخذت الالفين وما كان البيتان
يساويان عندي درهمين **مجلس آخر** تاويل آية ان سال سائل عن قوله
تعالى خلق الانسان من عجل ساريكم آياتي فلا تستعجلون **الجواب** قيل له
قد ذكر في هذه الآية وجوه من التاويل نحن نذكرها ونرجح الارجح منها
فاولها ان يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه
شديد الاستعجال لما يوثره ولهج باستدنا ما يجلب اليه نفعا او يدفع عنه
ضرا ولهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه
بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق الانسان الا من شر اذا اراد و ا
كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا اما انت الا اكل وشرب وما اشبه ذلك
قالت الخنساء تصف بقرة ، ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ،
فانما هي اقبال وادبار ، وانما اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع
الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التاويل قوله عز وجل في موضع آخر

بمنحى

اي انت يا مسرور

وكان الانسان عجولا ويطابقه ايضا فلا تستعجلون لانهم وصفهم بكثرة
العجلة وان من شانهم فعلها توبيخا لهم وتقريعا ثم نهاهم عن الاستعجال
باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال
وقادرين على التثبت والتايد وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن
المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الانسان
واستشهدوا على ذلك بقوله سبحانه وقد بلغني الكبر اي قد بلغت الكبر وبقوله
تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة والمعنى ان العصبة تنوء بها
ويقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة
وقولهم اذا اطلعت الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء
على العود ويقول الاعشى ، لمحقوقة ان تستجيبي لصوته ،
وان تعلمي ان المعان موفق ، يريد ان الموفق معان ويقول الآخر
على العباداة هداجون قد بلغت ، نجران او بلغت سوآتهم هجر ،
والمعنى ان السوات هي التي بلغت هجر ويقول خداش بن زهير
وتركب خيل لا هوادة بينها ، وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ،
يريد تشقى الضياطرة بالرماح ويقول الآخر ، تمشي به عود النعاج كانها ،
عذارى ملوك في بياض ثياب ، يريد في ثياب بياض ويقول الآخر
حسرت كفي عن السربال آخذه ، فردا يجر على ايدي المفديـنا ،
يريد حسرت السربال عن كفي ويقول ابن احمر ، وجرد طار باطلها نسيلا ،
واحدث قوها شعرا قصارا ، اراد طار نسيلها باطلا ويقول الآخر
وقسورة اكتافهم في قسيهم ، اذا ما مشوا لا يعزون من النسا ،
اراد قسيهم في اكتافهم ويقول الآخر ، وهن من الاخلاف والولعان ،
اي الاخلاف والولعان منهن ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضي
له حمل كلامه تعالى على القلب ان يقال له وما المعنى والفائدة في قوله عز
وجل خلق العجل من الانسان اتريدون بذلك ان الله تعالى خلق في الانسان
العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال الانسان فكيف تكون

اي بين اصحابها والضياطرة اللئام واحدهم ضيطر ويقال الضيطر الرجل العظيم

المفدينا حال من الهاء

نسيلها ما ينسل من شعرها

قوها اي بنتها

القسورة الرماة واحدهم قسور وهو الاسد ايضا ويقال

الولعان هو الصائد ٥ الكذب

التغاضي التغافل

مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال في الآية
فيقول ساريكم آياتي فلا تستعجلون لانه لا ينهاهم عما خلقه فيهم فان قالوا
لم يرد انه تعالى خلقها لكنه اراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها
قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتاخير
واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب ولا حاجة بنا اليه
وقد ذكر ابو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره واختاره وقواه وسال
نفسه عنه فقال كيف جاز ان يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب
بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طبعاً لهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعا
طبأعهم
عليها وهو مع ذلك مامور بالتثبت قادر على ان يجانب العجلة وذلك كخلقه
في البشر شهوة النكاح وامرهم في كثير من الاوقات بالامتناع منه وهذا الذي
ذكره البلخي تصريح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة
المتناولة له ويجب ايضا ان يكون المراد بمن ههنا في لان شهوة العجل لا تكون
مخلوقة من الانسان وانما تكون فيه وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع
لان القلب اولا مجاز ثم هو من بعد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز
آخر واقامته من مقام في كذلك على انه تعالى اذا نهاهم عن العجلة بقوله عز
وجل فلا تستعجلون اي معنى لتقديم قوله اني خلقت شهوة العجلة فيهم
او الطبع الداعي اليها على ما اعتبره البلخي وهذا الى ان يكون عذرا لهم اقرب
منه الى ان يكون حجة عليهم واين الاحوال ان لا يكون عذرا ولا احتجاجا
فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الاول حسن تقديم وذلك على طريق
الذم والتوبيخ والتقريع من غير اضافته له اليه عز وجل فالجواب الاول
اوضح واصح وثالثها جواب روي عن الحسن قال يعني بقوله من عجل اي
من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد
على ان العجل يكون عبارة عن الضعف او عن معناه ورابعها ما حكي ان
ابا الحسن الاخفش اجاب به وهو ان يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل
الامر لانه تعالى قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

فان

فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن ان
يكون وجه المطابقة انه لما استعجلوا بالآيات واستبطاوها اعلمهم تعالى انه
ممن لا يعجزه شيء اذا اراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا
مؤونة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي
يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات
وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان العجل الطين فكانه تعالى قال خلق الانسان
من طين كما قال في موضع آخر وبدا خلق الانسان من طين واستشهد بقول
الشاعر، والنبع ينبت بين الصخر ضاحية ، والنخل ينبت بين الماء والعجل ،
ووجدنا قوما يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل
هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحماة ولم
يستشهد عليه الا ان البيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهدا له وقد
رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في شيء من الفاظه فرواه ،
، والنبع في الصخرة الصماء منبته ، والنخل ينبت بين الماء والعجل ،
واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون
على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من
الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات او يكون المعنى انه لا يجب
لمن خلق من الطين المهين وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف ان
يهزأ برسل الله تعالى وآياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية واذا راك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وسادسها ان
يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل اي في سرعة من خلقه
لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتداه
الله تعالى ابتداء وانشاه انشاء فكانه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه
له وانه عز وجل يري عباده من آياته وبيناته اولا اولا ما يقتضيه مصالحهم
وتستدعيه احوالهم وسابعها ما روي عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق
آدم بعد خلق كل شيء نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس

وروى ان آدم عليه السلام لما نُفخت فيه الروح وبلغت اعالى جسده ولم تبلغ اسافله قال رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وثامنها ما روى عن ابن عباس والسدى ان آدم عليه السلام لما خُلق وجعلت الروح فى اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وقال قوم بل هم بالوثوب فهذا معنى قوله خلق الانسان من عجل وهذه الاجوبة الثلاثة المتاخرة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره قال السيد المرتضى قدس الله روحه وانى لاستحسن لمسكين الدارمى قوله ،

، وربّ امور قد بَرَيْتُ لحاءها ، وقوّمت من اصلابها ثم رشتها ،
، أُقيم بدار الحزم ما لم اُهَن بها ، فان خفت من دار هوانا تركتها ،
، واصلح جلّ المال حتى تخالنى ، شحيحا وانى عن اهانتها ،
، ولست بولّاج البيوت لفاقة ، ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها ،
، ابيت عن الادلاج فى الحى نائما ، وارض بادلاج وهم قطعتها ،
، الا ايها الجارى سفيها وبارحا ، تعرض نفسا لو اشاء قتلتها ،
، تعارض فخر الفاخرين بعصبة ، ولو وُضعت لى فى اناء اكلتها ،
، وان لنا ربعية المجد كلها ، موارث آباء كرام ورثتها ،
، اذا قصرت ايدى الرجال عن العلى ، مددت يدى باعا عليهم فنلتها ،
، وداع دعانى للعلى فاجبته ، ودعوة باغ فى الصديق خذلتها ،
، ومكرمة كانت رعاية والدى ، فعلّمنيها والدى ففعلتها ،
، وعوراء من قيل امرء ذى قرابة ، تصاممت عنها بعد ما قد سمعتها ،
، رجاء غد ان تعطف الرحم بيننا ، ومظلمة منه بجنبى عركتها ،
، اذا ما امور الناس رثت وضيّعت ، وجدت اموري كلها قد رممتها ،
، وانى سالقى الله لم ارم حرة ، ولم تمنى يوم سوء خنتها ،
، ولا قاذف نفسى ونفسى بريئة ، وكيف اعتذارى بعد قد قذفتها ،

اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنا ابو ذر القراطيسى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ابى الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدى

ضيعر الاموال

موارث

علّها

فعلتها اى كلمة قبيحة

ان

ان رجلا من الانصار حدثه قال قال مسكين الدارمى ، ،

، ولست اذا ما سرنى الدهر ضاحكا ، ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر ،
، ولا جاعلا عرضى لمالى وقاية ، ولكن اقى عرضى فيحرزه وفرى ،
، اعف لدى عسرى وابدى تجلدا ، ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر ،
، وانى لاستحيى اذا كنت معسرا ، صديقى واخوانى بان يعلموا فقرى ،
، واقطع اخوانى وما حال عهدهم ، حياء واعراضا وما بى من كبر ،
، فان يك عارا ما اتيت فربما ، اتى المرء يوم السوء من حيث لا يدرى ،
، ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ، ومن يحى لا يعدم بلاء من الدهر ،

ومن مستحسن قوله ، ان ادع مسكينا فما قصرت ، قدرى بيوت الحى والجدر ،
وقيل ان مسكينا ليس باسمه وان اسمه ربيعة وانما سمى بذلك لقوله ،

، وسميت مسكينا وكانت لجاجة ، وانى لمسكين الى الله راغب ،

ومعنى قصرت قدرى اى سترت بل ابدا انها بارزة لا يحجبها السواتر والحيطان

، ما مس رحلى العنكبوت ولا ، جدياته من وضعه غبر ، هذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لان العنكبوت انما تنسج على الا شيا له الايدى ولا يكثر استعماله والجديات يجمع على جدية وهى باطن دفة الرحل

، لا آخذ الصبيان الثمهم ، والامر قد يغرى به الامر ، يقول لا اقبل الصبى وانا اريد التعريض بامه ومثله لغيره ، ،

، ولا القى لذى الودعات سوطى ، الاعبه وربته اريد ،

وانشد ابن الاعرابى مثله ، اذا رايت صبى القوم يلثمه ،
، ضخم المناكب لا عم ولا خال ، فاحفظ صبيك منه ان يدنسه ،
، ولا يغرنك يوما قلة المال ، رجع الى تمام القصيدة ،
، ولرب امرء قد تركت وما ، بينى وبين لقائه ستر ،
، ومخاصم قاومت فى كبد ، مثل الدهان فكان لى العذر ،
، ما علتى قومى بنو عدس ، وهم الملوك وخالى البشر ،
، عمى زرارة غير منتحل ، وابى الذى حدثته عمرو ،

اى تغير

يغرى اى يطلب

ع ل اى يلاعب

لاُلْهِيَهُ اى امه التى ربته

اى لا هو عم ولا خال فهو صفة كثرة

ومقاوم الغمر

عابنى

في المجد غرتنا مبينة ، للناظرين كانها البدر ،
لا يرهب الجيران غدرتنا ، حتى يوارى ذكرنا القبر ،
لسنا كاقوام اذا كلحت ، احدى السنين فجارهم تمر ،
مولاهم لحم على وضم ، تنتابه العقبان والنسر ،
نارى ونار الجار واحدة ، واليه قبلى تنزل القدر ،

يقال انه كانت له امراة تماصّه فلما قال ذلك قالت له اجل انما ناره ونارك واحدة لانه اوقد ولم توقد والقدر تنزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وانت تستطعه ، ما ضر جارى ان اجاوره ، ان لا يكون لبيته ستر ،
قال ويقال انها قالت له في هذا البيت ايضا اجل ان كان له ستر هتكته

اعمى اذا ما جارتى خرجت ، حتى يوارى جارتى الخدر ،
ويصم عما كان بينهما ، سمعى وما بى غيره وقر ،

وانشد عمر بن شبة لمسكين ايضا ، لا تجعلينى كاقوام علمتهم ،
لم يطلموا لبة يوما ولا ودجا ، انى لاغلاهم باللحم قد علموا ،
نيا وارخصهم باللحم ان نضجا ، يا رب امرين قد فرجت بينهما ،
اذا هما نشبا في الصدر واعتلجا ، اديم خلقى لمن دامت خليقته ،
وامزج الحلو احيانا لمن مزجا ، واقطع الخرق بالخرقاء لاهية ،
اذا الكواكب كانت في الدجى سرجا ، ما انزل الله من امر فاكرهه ،
الا سيجعل لى من بعده فرجا ، ما مد قوم بايديهم الى شرف ،
الا رأونا قياما فوقهم درجا ، وانشد ابو العباس ثعلب له ،
اضاحك ضيفى قبل انزال رحله ، ولم يلهنى عنه غزال مقنع ،
احدثه ان الحديث من القرى ، وتعلم نفسى انه سوف يهجع ،
ومثله لغيره ، اضاحك ضيفى قبل انزال رحله ،
ويخصب عندى والمكان جديب ، وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ،
ولكنما وجه الكريم خصيب ، وذوى ثعلب ،
لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ، ولم يلهنى عنه غزال مقنع ،

احدثه ان الحديث من القرى ، وتعلم نفسى انه سوف يهجع ،

ومعنى احدثه ان الحديث من القرى اى اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اتغرض بمحادثته فاكون قد محقت قراى والحديث الحسن من تمام القرى وقال الاصمعى احسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمى ،

الا ايها الغائر المستشيط ، علام تغار اذا لم تغر ،
فما خير عرس اذا خفتها ، وما خير بيت اذا لم يزر ،
تغار على الناس ان ينظروا ، وهل يفتن الصالحات النظر ،
فانى ساخلى لها بيتها ، فتحفظ لى نفسها او تذر ،
اذا الله لم يعطه ودها ، فلن يعطى الود سوط ممر ،
ومن ذا يراعى له عرسه ، اذا ضمه والمطى السفر ،

وكان مسكين كثيرا لهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله ،

وانى امرؤ لا آلف البيت قاعدا ، الى جنب عرسى لا افرطها شبرا ،
ولا مقسم لا ابرح الدهر بينها ، لاجعله قبل الممات لها قبرا ،
اذا هى لم تحصن امام فنائها ، فليس بمنجيها بناى لها قصرا ،
ولا حاملى ظنى ولا قيل قائل ، على غيرة حتى احيط بها خبرا ،
فهبنى امرأ راعيت ما دمت شاهدا ، فكيف اذا ما سرت من بيتها شهرا ،

وانشد ابو العباس عن ابى العالية لمسكين ،

ما احسن الغيرة في حينها ، واقبح الغيرة في كل حين ،
من لم يزل متهما عرسه ، مناصبا فيها لرجم الظنون ،
يوشك ان يغريها بالذى ، يخاف او ينصبها للعيون ،
حسبك من تحصينها ضمها ، منك الى خلق كريم ودين ،
لا تظهرن منك على عورة ، فيتبع المقرون حبل القرين ،

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقال هل يسوغ ما تاول بعضهم هذه

الآية عليه من ان يوسف عليه السلام عزم على المعصية واراد ها وانه جلس
مجلس الرجل من المراة ثم انصرف عن ذلك بان أرى صورة ابيه يعقوب
عليه السلام عاضًّا على اصبعه متوعدًا له على موافقة المعصية او بان نودى
بالنهى والزجر فى الحال على ما ورد به الحديث **الجواب** قلنا اذا ثبت بادلة
العقول التى لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التاويلات ان المعاصى لا [العقول]
تجوز على الانبيا عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب
او سنة الى ما يطابق الادلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفًا
لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه او لا يجوز ولهذه الآية
وجوه من التاويل كل واحد منها يقتضى برآءة نبى الله من العزم على الفاحشة
وارادة المعصية اولها ان الهم فى ظاهر الآية متعلق بما لا يصح ان يتعلق به
العزم او الارادة على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما
وذاتاهما لا يجوز ان ترادا او يعزم عليهما لان الموجود الباقى لا يصح ذلك فيه
فلا بد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همه
عليه السلام انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول القائل قد كنت هممت
بفلان وقد هم فلان بفلان اى بان يوقع به ضربًا او مكروهًا فان قيل فاى [ضربًا]
معنى لقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف
البرهان عنها قلنا يمكن ان يكون الوجه فى ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه
الله تعالى برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها او قتلوه او انها تدعى
عليه المراودة على القبيح وتقرفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها
فيظن به ذلك بعض من لا تامل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فاخبر الله سبحانه
بانه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ويعنى بذلك القتل والمكروه اللذين
كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح او يعنى بالسوء
والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضى ان جواب لولا يتقدمها ويكون
التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح غير
مستعمل او يقتضى ان يكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا فجائز

وسنذكر

وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير انا لا نحتاج اليه فى هذا الجواب
لان العزم على الضرب والهم قد وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير [لان الهم بالضرب]
ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب فى [اى الدفع]
الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب فى قوله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لم
تنافسوا فى الدنيا وتفاخروا فيها وقال امرؤ القيس [بها]
، فلو انها نفس تموت سوية ، ولكنها نفس تساقط انفسا ، اراد فلو
انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تاول هذه
الآية على الوجه الذى لا يليق بنبى الله واضاف العزم على المعصية اليه لا بد
له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنه ولقد همت بالزنا وهم
به لولا ان راى برهان ربه لفعله فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم
جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره
قلنا اما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهم والعزم منهما جميعا وانما اثبتنا [منهما]
همها به متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب وكلا ما دبه وهى ممن يجوز عليه فعل
القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه عليها كما امن ذلك فيه عليه السلام والموضع [من جوازه امتناعه من امتناعه]
الذى يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه الى قوله فى ضلال مبين وقوله تعالى وراودته التى
هو فى بيتها عن نفسه وقوله عز وجل حاكيا عنها الآن حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين وفى موضع آخر قالت فذلكن الذى لمتننى
فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وكلا نار واردة باطباق مفسرى القرآن
ومتاوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثانى فى تاويل الآية
ان يحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا
ان رآى برهان ربه لهم بها ويجرى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا انى
تداركتك وقتلت لولا انى خلصتك والمعنى لولا تداركى لهلكت ولولا تخليصى

لفعلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر ،
، فلا يدعني قومي صريحا لحرة ، لئن كنت مقتولا ويسلم عامر ، وقال الآخر
، فلا يدعني قومي ليوم كريهة ، لئن لم أُعجّل ضربة او أُعجّل ، فقدم
الجواب في البيتين جميعا وقد استشهد عليه ايضا بقوله تعالى ولولا فضل الله
عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم ان يضلوك والهمّ لم يقع لمكان فضل الله
عز وجل ورحمته ومما يشهد لهذا التاويل ان في الكلام شرطا وهو قوله تعالى
لولا ان راى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم
ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا لان جعل جوابها موجودا اولى وقد
استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا
عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بيّنا بما اوردناه من الامثلة والشواهد جواز
تقديم لولا والذي ذكروه لا يشبه ما اخبرناه وقد يجوز ان يقول القائل
قد كان زيد قام لولا كذا او كذا وقد كنت قصدتك لولا ان صدّني فلان
وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي يشبه الآية وليس تقديم الجواب (اى جواب لولا)
بابعد من حذف جواب لولا حذف جملة من الكلام اذا جاز عندهم الحذف
لان لا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف
والجواب الثالث ما اختاره ابو علي الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه
وهو ان يكون معنى همّ بها اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز
ان تسمى الشهوة في مجاز اللغة همّا كما يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همّي
وهذا اهمّ الاشياء اليّ ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق
القبح بتناول المشتهى وقد روى هذا التاويل عن الحسن البصري قال اما (بالمشتهى)
همّها فكان اخبث الهمّ واما همّه فما طبع عليه الرجال من الشهوة للنساء ويجب
على هذا الجواب ان يكون قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف
كانه قال لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل والجواب الرابع ان من عادة
العرب ان يسموا الشيء باسم ما يقع في الاكثر عنده وعلى هذا لا ينكر ان يكون
المراد بهمّ بها خطر بباله امرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليها من غير (بهمّ بها ما خطر بباله من امرها)

ان

ان يكون هناك همّ او عزم فسمي الخطور بالبال همّا من حيث كان الهمّ يقع في
الاكثر عنده والعزم في الاغلب يتبعه وانما انكرنا ما ادعاه جهلة المفسرين
ومخرقوا القصّاص وقرفوا به نبي الله عليه السلام لما في العقول من الادلة على
ان مثل ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث كان منفرا عنهم وقادحا
في الغرض المجرى اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه قال كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء ومن اكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الاخذ فيه
والشروع في مقدماته وقوله تعالى ايضا انه من عبادنا المخلصين يقتضي تنزيهه
عن الهمّ بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهنّ حاش لله ما علمنا
عليه من سوء تدل ايضا على براءته من القبيح فاما البرهان الذي رآه فيحتمل
ان يكون لطفا لطفه الله له به في تلك الحال او قبلها اختار عنده الانصراف عن
المعاصي والتنزه عنها ويحتمل ايضا ما ذكره ابو علي وهو ان يكون البرهان له
دلالة الله تعالى له على تحريمه ذلك عليه وعلى ان من فعله يستحق العقاب وليس (تحريم)
يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رويته صورة ابيه يعقوب عليه السلام
متوعدا له او النداء له بالزجر والتخويف لان ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض (اى التكليف)
بالتكليف ويقتضي ان لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحا ولا ثوابا وهذا
سوء ثناء على الانبياء عليهم السلام واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ونحمد الله
على حسن التوفيق روى احمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطماس
قال كنت يوما عند عمي ابراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه حتى جلس
الى جانبه او قريبا من ذلك ثم حادثه الى ان قال له عمي يا ابا تمام ومن بقي
ممن يعتصم به ويلجأ اليه فقال انت لا عدمت وكان ابراهيم طويلا انت والله
كما قيل ، يمد نجاد السيف حتى كانه ، باعلى سنامي فالج يتطوح ،
، ويدلج في حاجات من هو نائم ، ويوري كريمات الندى حين يقدح ،
، اذا اعتمّ بالبرد اليماني خلته ، هلالا بدا في جانب الافق يلمح ،
، يزيد على فضل الرجال فضيلة ، ويقصر عنه مدح من يتمدح ،
فقال له ابراهيم انت تحسن قائلا وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له

اكتبنى الابيات فقال هى لابى الجويرية العبدى فخذ هامن شعره وروى
من يحيى بن البحترى قال رايت ابى بذاكر جماعة من امراء اهل الشام
بمعان من الشعر فجرى فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فانشدوا انشادا
كثيرة فقال لهم ابى قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال
احسب النوم حكاكا ، اذ راى منك جفاكا ، منى الصبر ومنك الهجر مثل
فابلغ بى مداكا ، بعثت همة عينى ، طمعت فى ان تراكا
اوما حظ لعينى ، ان ترى من قد راكا ، ليت حظى منك ان خط
تعلم ما بى من هواكا ، قال ابى انه تصرف فى معان من الشعر فى هذه
الابيات قال فكتبها عنه جماعة ممن حضر والابيات لابراهيم بن العباس
الصولى واخبرنا على بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال لما
بلغ المامون لعلى بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد وامر الناس بلبس
الخضرة صار اليه دعبل بن على وابراهيم بن العباس الصولى وكانا صديقين
لا يفترقان فانشد دعبل ، مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصات ، فانشد ابراهيم بن العباس على مذهبها قصيدة
اولها ، ازالت عزاء القلب بعد التجلد ، مصارع اولاد النبى محمد
قال فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التى عليها اسمه وكان المامون
امر بضربها فى ذلك الوقت فاما دعبل فصار بالشطر منها الى قم فاشترى
اهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة الف درهم واما
ابراهيم فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولى ولم اقف على قصيدة
ابراهيم على اكثر من هذا البيت قال وكان السبب فى ذهاب هذا الفن
من شعره ما حدثنى به ابو العباس احمد بن محمد بن الفرات والحسين بن
على الباقطانى قالا كان ابراهيم بن العباس صديقا لاسحاق بن ابراهيم الباقطانى
اخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فانتحل شعره فى على بن موسى الرضا
عليهما السلام وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيأ بخطه منه وكانت
النسخة عنده الى ان ولى المتوكل وولى ابراهيم بن العباس ديوان الضياع

وقد

وقد كان تباعد ما بينه وبين اخى زيدان فعزله عن ضياع كانت فى يده
بحلوان وغيرها وطالبه بمال والح عليه واساء مطالبته فدعا اسحاق بعض
من يثق به من اخوانه وقال له امض الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره ظلمه
فى على بن موسى الرضا بخطه عندى وبغير خطه والله لئن استمر على ظلمى ولم
يزل عنى المطالبة لاوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى
ابراهيم بن العباس فاخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الامر
فى ذلك الى الواسطة حتى اسقط جميع ما كان طالبه به واخذ الشعر منه واحلفه
انه لم يبق عنده منه شئ فلما حصل عنده احرقه بحضرته وذكر ابو احمد يحيى
ابن على المنجم ان اباه على بن يحيى كان الواسطة بينهما قال الصولى وما عرفت
من شعر ابراهيم فى هذا المعنى شيأ الا ابياتا وجدتها بخط ابى قال انشدنى
اخى لعمه فى على بن موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة
كفى بفعال امرء عالم ، على اهله عادلا مشاهدا
ارى لهم طارفا موفقا ، ولا يشبه الطارف والتالدا
يمن عليكم باموالكم ، وتعطون من مائة واحدا
فلا حمد الله مستبصرا ، يكون لاعدائكم حامدا
فضلت قسيمك فى قعدد ، كما فضل الوالد الوالدا
قال الصولى فنظرت فى قوله فضلت قسيمك فى قعدد فوجدت على بن موسى
والمامون متساويين فى قعدد النسب وهاشم التاسع من ابائهما جميعا
وروى الصولى ان مخنثا انشد ابراهيم بن العباس وهو فى مجلسه فى ديوان
الضياع ، ربما تكره النفوس من الامر ، له فرجة كحل العقال
قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال ، ولربت نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها مخرج ، كملت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكان يظنها لا تفرج ، فعجب من جودة بديهته واخبرنا ابو الحسن
على بن محمد قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى القاسم بن اسمعيل
ابو ذكوان قال كنت بالاهواز ايام الواثق وابراهيم بن العباس يلى معونتها

حمد الله مستنصرا

فى قعدد يتعلق بقسمك والقعدد
الاقرب الى الاب الاكبر وفلان
اقعد من فلان نسبا اذا
كان اقرب الى
الاب الاكبر

وخواجها فوُصِفت له بالادب فامر باحضاري فلما دخلت عليه قرّب مجلسي
وقال تسلّف انس المطاولة فان الاستمتاع لايتم الا به فانبسطت وتسائلنا
عن الاشعار فما رايت احدًا قط اعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة
، الم تر ان الله اعطاك سورة ، ترى كل ملك دونها يتذبذب ،
، فانك شمس والملوك كواكبُ ، اذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ ،
فقلت اراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خبءٌ وهو
انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام وقال انما فعلت
لهم هذا لجفائك بي فاذا اصلحت لي لم ارد غيرك كما ان من اضاءت له الشمس
لم يحتج الى ضوء الكوكب فاني بعينيي بهذا و تفضيله فاستحسنت ذلك منه
وكان ابراهيم بن العباس من اصدق الناس لاحمد بن ابي دواد فعتب على
ابنه ابي الوليد من شيء قدّمه ومدح اباه واحسن في التخلص كل الاحسان فقال
، عفت مساوٍ تبدت منك واضحةٌ ، على محاسن بقاها ابوك لكا ،
، لئن تقدمت ابناء الكرام به ، لقد تقدم ابناء اللئام بكا ،
، ولابراهيم ايضا ، تمرّ الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ،
، ويصدع قلبي ان يهب هبوبُها ، قريبة عهد بالحبيب وانما ،
، هوى كل نفس حيث كان حبيبها ، تطلّع من نفسي اليك نوازع ،
، عوارف ان الياس منك نصيبها ، واخذ هذا من قول ذي الرمة ،
، اذا هبت الارواح من نحو جانب ، به آل ميّ هاج شوقي هبوبُها ،
، هوى تذرف العينان منه وانما ، هوى كل نفس حيث كان حبيبها ،
، ولابراهيم ايضا ، دنت باناس عن تناءٍ زيارةٌ ،
، وشط بليلى عن دنو مزارُها ، وان مقيمات بمنقطع اللوى ،
، لاقرب من ليلى وهاتيك دارُها ، روى البيتان لمحمد بن عبد الملك
الزيات واخذ ذلك من قول النظار الفقعسي ، يقولون هذي ام عمرو قريبة ،
، دنت بك ارض نحوها وسماءُ ، الا انما بعد الحبيب وقربُه ،
، اذا هو لم يوصل اليه سواءُ ، ووجدت بعض اهل الادب يظن

السورة كل منزلة من البناء وجمعها سور

ان

ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله ،
، كن كيف شئت وانّى تشاءُ ، وابرق يمينا وارعد شمالا ،
، نجابك لومك منجا الذباب ، حمته مفاذيره ان ينالا ، حتى
رايت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان ،
، اما الهجاء فدق عرضك دونه ، والمدح عنك كما علمت جليلُ ،
، فاذهب فانت طليق عرضك انه ، عرض عززت به وانت ذليلُ ،
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه
السلام قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن
اصبُ اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا
تصريح من يوسف عليه السلام بارادة المعصية لان حبسه في السجن وقطعه
عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري
مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله من بعد والا تصرف عني كيدهن اصبُ
اليهن يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرفهن عن كيده
وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرفا للنبوة
عن كيده او لم يصرفهن الجواب قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل اولهما ان المحبة متعلقة في ظاهر
الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا مرادًا لان السجن انما هو الجسم
نفسه والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها او المتعلق بها والسجن
نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي
بحسب الوجوه التي تقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس
واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق
التي تناله باستيطانه طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالما لو اكره مؤمنا على
ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكرَه حسنا وان
كان فعل المكرِه قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر في الآية يقتضي ما ظنوه
وانه لابد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع

مفاذره

وحل

للآية

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بـ... زاده
١١٧٥ وكفى عبده

الى الحابس من الافعال الاولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل
الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبى لا يجوز ان يريد المعاصى والقبائح
اختص المقدر المحذوف بما يرجع اليه ما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على
مريدها ومحبة فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الى مما يدعوننى اليه
وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة ومن شان مثل هذه اللفظة ان تدخل بين ما
وقع اشتراك فى معناها وان فضل البعض على البعض قلنا قد تستعمل هذه
اللفظة فى مثل هذا الموضع وان لم يكن فى معناها اشتراك على الحقيقة الا ترى
ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جائز ان يقول هذا احبّ الى من هذا وان
لم يحبه مبتدأ ان يقول من غير ان يخير هذا احب الى من هذا اذا كان لا يحب
احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الآخر من حيث كان
المخير بين الشيئين لا يخير بينهما الا وهما مراد ان له او مما يصح ان يريدهما
فموضع التخيير يقتضى ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب على هذا
متى قال كذا احب الى من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم
يكن الامران على الحقيقة يشتركان فى تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى
قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون ونحن نعلم انه لا خير فى العقاب
وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصى على
الطاعات وانهم ما ركبوا المعاصى واثروها على الطاعات الا لاعتقادهم ان
فيها خيرا او نفعا فقيل اذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد
قال قوم فى قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن لاشتراك الحالين
فى باب المنزلة وان لم يشتركا فى الخير والنفع كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا قد يتاتى فى قوله تعالى رب السجن احب
الى لان الامرين يعنى المعصية ودخول السجن مشتركان فى ان لكل واحد
منهما داعيا وعليه باعثا وان لم يشتركا فى تناول المحبة فجعل اشتراكهما فى
دواعى المحبة اشتراكا فى المحبة نفسها واجرى اللفظ على ذلك ومن قرا هذه
الآية بفتح السين فالتاويل ايضا ما ذكرناه لان السجن المصدر فيحتمل ان

يقع

عن

يريد

يريد ان سجنى لهم نفسى وصبرى على حبسهم احب الى من موافقة المعصية
ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله والوجه الثانى ان يكون معنى احب
الى اى اهون عندى واسهل على وهذا كما يقال لاحدنا فى الامرين يكرههما
معا ان فعلت كذا والا فعلت بك كذا فيقول بل كذا احب الى بمعنى اسهل
واخف وان كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع ان يكون انما
عنى فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التى هى الارادة وانما
وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون اخف واهون من اخرى فاما قوله
والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن فليس المعنى ما ظنه السائل بل المراد متى
لم تلطف لى بما يدعونى الى مجانبة المعصية ويثبتنى الى تركها ومفارقتها
صبوت وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره
وانه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة فى ان النبى عليه السلام
انما يكون معصوما من القبائح بعصمته تعالى له وبلطفه وتوفيقه فان قيل
الظاهر خلاف ذلك لانه قال والا تصرف عنى كيدهن فيجب ان يكون المراد
ما يمنعهم من الكيد ويرفعه والذى ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضى
ارتفاع الكيد والانصراف عنه قلنا معنى الكلام والا تصرف عنى ضرر كيدهن
والغرض به لانهن انما اجرين بكيدهن الى مساعدته لهن على المعصية فاذا
عصم منها ولطف له فى الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع
به من حيث لم يقع ضرره وما اجرى به اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه
الى غرض لم يقع ما قلت شيا ولمن فعل ما لا تاثير له ما فعلت شيا وهذا
بين بحمد الله ومنه تاويل خبر ان سال سائل عن تاويل الخبر الذى
يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة طويلة
من يَتَّبِعِ المُسْمِعَةَ يُسْمِعِ اللهُ به الجواب ان المسمعة هى الضحك والمزاح
واللعب يقال سمع الرجل يسمع سموعا والمراة سموع اذا كانت كثيرة المزاح
والضحك قال ابو ذؤيب يصف الحمير ، يقرا دقيعا بى سقاها وابل ،
، واه فاثجم برهة لا يقلع ، فلبثن حينا يعتلجن بروضة ،

اى سقي القيعان

لا يقلع لا يذهب

بروضه

واه اى سحاب كثير المطر وهذه
استعارة اى كانت هذا السحاب
ضعيف فينهل عنه
الماء انهلالا

فيجد حينا في العلاج ويشمع ، اراد ان هذا الحمار الذي وصف
حاله مع الاتن وانه معهن في بعض القيعان يعارك بعض الاتن ومعنى
يعتلجن يعاض بعضها بعضا ويتراجمن من النشاط فيجد الفحل معهن مرة
واخرى ياخذ معهن في اللعب فيشمع وفي يجد لغتان يَجُدُّ ويُجِدُّ والمفتوح
اوله لغة هذيل ويقال فلان جادٌّ ومُجِدٌّ على اللغتين معًا وقيل ان معنى
يشمع في الحمار انه يتشمم ثم يرفع راسه فيكشر عن اسنانه فجعل له ذلك
بمنزلة الضحك قال الشماخ ، ولو اني اشاء كنت نفسي ،
، الى لبات بهكنة شموع ، وقال المتنخل الهذلي ، ،
، ولا والله نادي الحي ضيفي ، هدوًّا بالمساءة والعلاط ،
، سابذؤهم بشمعة واثني ، بجهدي من طعام او بساط ،
اراد يقول نادي الحي ضيفي اي لا يناد ونه من النداء بالسوء وبالمكروه
ولا يتلقونه الا بما يؤثر والعلاط المخاصمة من اعلطه واعتلط به اذا خاصمه
وشاغبه ووسمه بالشر واصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه وقيل
ان معنى نادي الحي من النادي اي لا يجالسونه بالمكروه والسوء ومعنى
سابذؤهم بشمعة اي بلعب وضحك لان ذلك من علامات الكرم والسرور
بالضيف والقصد الى ايناسه وبسطه ومنه قول الآخر ،
، ورب ضيف طرق الحي سرى ، صادف زادا وحديثا ما اشتهى ،
، ان الحديث جانب من القرى ، وروى الاصمعي عن خلف الاحمر
قال سنة الاعراب انهم اذا حدثوا الرجل الغريب وهشوا اليه ومازحوه
ايقن بالقرى واذا اعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى اثني بجهدي من
طعام او بساط اي اتبع ذلك بهذا ومعنى الخبر على هذا انه من كان شانه
العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم اصاره الله تعالى الى حالة
يعبث به فيها ويستهزأ منه ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر
وهو ما روي عنه صلى الله عليه وآله من يُسَمِّعُ الناس بعمله يُسَمِّعُ الله به
والمعنى من يرائي باعماله ويظهرها تقربا الى الناس واتخاذا للمنازل عندهم

يشهره الله تعالى بالرياء ويفضحه ويهتكه ويمكن ايضا في الخبر الاول وجه
آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب ان يسموا الجزاء على الشيء باسمه
ولذلك نظائر في القرآن واشعار العرب كثيرة مشهورة فلا يذكر ان يكون
المعنى من تتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله ويجازيه على ذلك
فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه ايضا ممكن في الخبر الثاني اخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن بن اخي
الاصمعي عن عمه قال اني لفي سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب
كان متزوجا بالبصرة وكان له ابن بضرية اذ اقبلت عجوز على ناقة لها
حسنة البزة فيها بقايا جمال فاناخت وعقلت ناقتها واقبلت تتوكا على محجن
لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي ايحضرك شيء قال
لا فانشدتها شعرا لبشر بن عبد الرحمن الانصاري ، ،
، وقصيرة الايام ود جليسها ، لو باع مجلسها بفقد حميم ،
، من محذيات اخي الهوى غصص الجوى ، بدلال غانية ومقلة ريم ،
، صفراء من بقر الجواء كانما ، خفر الحياء بها رداع سقيم ،
قال فجثت على ركبها واقبلت تخرش الارض بمحجنها وانشات تقول ،
، قفي يا اميم القلب نقرا تحية ، ونشكوا الهوى ثم افعلي ما بدا لك ،
، فلو قلت طا في النار اعلم انه ، هوى لك او مدن لنا من وصالك ،
، لقدمت رجلي نحوها فوطئتها ، هوى منك لي او ضلة من ضلالك ،
، سل البانة العليا من الاجرع الذي ، به البان لو كلمتا طلول ديارك ،
، وهل قمت في اظلالهن عشية ، قيام سقيم القلب واخترت ذلك ،
، ليهنك امساكي بكفي على الحشا ، ورقراق دمعي رهبة من زيالك ،
، لئن ساءني ان نلتني بمساءة ، لقد سرني اني خطرت ببالك ،
قال الاصمعي فاظلمت علي والله الدنيا لحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت
منها فقلت نشدتك الله لما زودتني من هذا فرايت الضحك في عينيها وانشدت
، ومستخفيات ليس يخفين زرننا ، يسحبن اذيال الصبابة والتكل ،

جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه ، نزعن وقد اكثرن فينا من القتل
مريضات رجع القول خرس عن الخنا ، تألفن اهواء القلوب بلا بذل
موارق من ختل المحب عواطف ، بختل ذوي الالباب بالجد والهزل
يعنفني العذال فيهن والهوى ، يحذرني من ان اطيع ذوي العذل
قال السيد قدس الله روحه اما قول الانصاري وقصيرة الايام فاراد بذلك ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر ايام مجلسها لان ايام السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصيرة الايام ايضا حداثة سنها وقرب عهد مولدها وان كان الاول اشبه بما اتى في آخر البيت ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميم اي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل في البائع والمشتري معا قال الفراء سمعت اعرابيا يقول بع لي تمرا بدرهم اي اشتر لي تمرا بدرهم وقال الشاعر ، فيا عزلبت الناي اذ خال بيننا ، وبينك باع الود لي منك تاجر ، اي ابتاع وقوله من محذيات اخي الهوى اي من معطيات يقال احذيت الرجل العطية او الغنيمة احذيه احذاء اذا اعطيته والاسم الحذية والحذوة والحذيا كل ذلك العطية وقوله كانما خضل الحيا بهاء داء سقيم فالرداع هو الوجع في الجسد فاراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم او يريد تغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري ذلك مجرى قول الاخيلية ، ومخرق منه القميص تخاله ، بين البيوت من الحياء سقيما ، اخبرني المرزباني قال حدثنا ابو عبيد الله الحكيمي قال اخبرنا ميمون بن هارون الكاتب قال حدثني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدني وانشدني ، وليس العمى طول السؤال وانما ، تمام العمى طول السكوت على الجهل ، ثم رجعت الى البصرة فمكثت بها حينا ثم قدمت البادية فاذا انا بالاعرابي جالسا بين ظهراني قوم وهو يقضي بينهم فما رايت قضية اخطأت قضية الصالحين من قضيته فجلست اليه فقلت يرحمك الله اما من رشوة اما من هدية اما من صلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب التوفيق فشكوت اليه ما

عبدالله

الغي

التي من عذل حليلة لي اياي في طلب المعيشة فقال لست فيها باوحد واني لشريكك ولقد قلت في ذلك شعرا فقلت انشدنيه فانشدني ،
بانت تعيرني الاقتار والعدما ، لما رأت لاخيها المال والخدما
عنف لم أيك ما الارزاق من جلد ، ولا من العجز بل مقسومة قسما
يا امة الله اني لم ادع طلبا ، للرزق قد تعلمين الشرق والشأما
وكل ذلك بالاجمال في طلب ، لم ارد عرضا ولم اسفك لذاك دما
لو كان من جلد ذا المال او ادب ، لكنت اكثر من يمل القرى نعما
ارضى من العيش ما لم يحوجني معه ، ان تنحني لسؤال الاغنياء فما
واستشعري الصبر على الله خالقنا ، يوما سيكشف عنا الفقر والعدما
لا تحوجيني الى ما لو بذلت له ، نفسي لا عقبك الالتهام والندما
تالله سرك ان الله خولني ، ما كان خوله الاعراب والعجما
ماسرني انني خولت ذاك ولا ، اني لا اقول لباغي حاجتي نعما
واني لم اجن مقلا ولا ادبا ، ولم ارث والدي مجدا ولا كرما
فعسر المرء اجرى في معاشرته ، امر يجر عليك الهم والالما
قال فوالله ما انشدتها حتى حلفت ان لا تعذلني ابدا حدثنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن بن اخي الاصمعي عن عمه قال رايت بقباء شابا من بني عامر ما رايت بدويا افصح منه ولا اظرف فوالله لكانه شواظ يتلظى فاستنشدته فانشدني ،
فلم انسكم يوم اللوى اذ تعرضت ، لنا ام طفل خاذل قد تخلت
وقالت سانسيك العشية ما مضى ، واصرف عنك النفس عما اجنت
فما قلت لا والذي انا عبده ، على ما بدا من حسنها اذ ادلت
ابت سابقات الحب لا مقرها ، اليك وما ثنى اذا ما استقرت
هو الذي في النفس مسي حبها ، عليه انطوت احشاؤها واستمرت
وانشدني ايضا ، ديار التي طرقتك وهنا ،
بريا روضة وذكاء رند ، تسائلني واصحابي هجو د

الضر
التهام الغم تحوجني
حاجة
أفد
المال
اي هت ديار
اي رائحة الرند وهو الآس البري

وتثنى عطفها من غير صد ، فلما ان شكوت الحب قالت ،
فانى فوق وجدك كان وجدى ، ولكن حال دونك ذو شذاة ،
استر بعفتك ويَبِرّ فقدى ، وبهذا الاسناد عن الاصمعى قال قعدت

الى اعرابى يقال له اسمعيل بن عماد واذا هو يفتل اصابعه ويتلهف فقلت له علام
تلهف فانشا يقول ، عيناى شومتان ويحهما ، والقلب حيران مبتلى بهما ،
عرفتاه الهوى بظلمهما ، يا ليتنى قبلها عدمتهما ،
هما الى الحين قادتاه وهما ، دلّ على ما اجنّ دمعهما ،
ساعد ذا القلب فى هواه فما ، سبب هذا البلاء غيرهما ،

وبهذا الاسناد عن الاصمعى قال نزلت ذات ليلة فى وادى بنى العنبر وهو اذ
ذاك معانٌ باهله اى آهل واذا فتية يريدون البصرة فاجبت صحبتهم
فاقمت ليلتى تلك عليهم وانى لوصب محموم اخاف ان لا استمسك راحلتى فلما قاموا
ليرحلوا ايقظونى فلما راوا حالى رحلوا لى وحملونى وركب احدهم ورائى يمسكنى
فلما امعن السير تنادوا الا فتى يحدو بنا او ينشدنا فاذا منشد فى سواد الليل

بصوت ندٍ حزين ينشد ، لعمرك انى يوم بانوا فلم امت ،
خفاتا على آثارهم لصبور ، غداة المنقى قد رميت بنظرة ،
ونحن على متن الطريق نسير ، فقلت لقلبى حين خفّ به الهوى ،
وكاد من الوجد المبرّح يطير ، فهذا ولمّا تمض للبين ليلة ،
فكيف اذا مرت عليه شهور ، واصبح اعلام الاحبة دونها ،
من الارض غولٌ نازح ومسير ، واصبحت نجدى الهوى متهم النوى ،
ازيد اشتياقا ان يحن بعير ، عسى الله بعد النأى ان يسعف النوى ،
ويجمع شملٌ بعدها وسرور ، قال فكنت والله الحمى عنى حتى ما احسّ

بها فقلت لرديفى انزل رحمك الله الى راحلتك فانى متماسك وجزاك الله عن
الصحبة خيرا اخبرنا المرزبانى قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن
يزيد النحوى قال حدثنى بعض اصحابنا عن الاصمعى قال كان بالبصرة اعرابى
من بنى تميم يطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل

الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليوكل ولا قدمت هدية فالوقع رسولا وما
اكره ان اكون ثقلا ثقيلا على من اراه شحيحا بخيلا اقتحم عليه مستأنسا واضحك
ان رايته عابسا فآكل برغمه وادعه بغمه وما اخترق اللهوات طعاما اطيب
من طعام لا ينفق فيه درهم ولا يعنّى اليه خادم ثم انشد ،

كل يوم ادور فى عرصة الحى ، اشم القتار شم الذباب ،
فاذا ما رايت آثار عرس ، او ختان او مجمع الاصحاب ،
لم اردع دون التقحم لا آر ، هب دفعا ولكزة البواب ،
مستهينا بما هجمت عليه ، غير مستاذن ولا هيّاب ،
فترانى الفّ بالرغم منهم ، كل ما قدموه لفّ العقاب ،
ذاك ادنى من التكلف والعز ، م وغيظ البقال والقصّاب ،

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب
ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس
من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون
من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى انه ليس من اهلك يقتضى تكذيب قوله ان
ابنى من اهلى والنبى لا يجوز عليه الكذب فما الوجه فى ذلك وكيف يصح ان يخبر
عن ابنه بانه عمل غير صالح وما المراد به الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه
اولها ان يكون نفيه لان يكون من اهله لم يتناول نفى النسب وانما نفى ان
يكون من اهله الذين وعده الله بنجاتهم لانه عز وجل كان وعد نوحا عليه
السلام بان ينجى اهله الا ترى الى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق
ويدل عليه ايضا قول نوح عليه السلام ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق
وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روى هذا التاويل
بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين والجواب الثانى ان يكون المراد
بقوله تعالى ليس من اهلك انه ليس على دينك واراد انه كان كافرا مخالفا لابيه
فكان كفره اخرجه من ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا التاويل قوله

عز وجل على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج من احكام
اهله لكفره وسيئ عمله وقد روى هذا الوجه ايضا عن جماعة من المفسرين
وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول
الله ونادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من
لم يؤمن وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا له في النية والعمل
فمن ثم قيل انه ليس من اهلك والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما
وُلد على فراشه فقال عليه السلام انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى ان الامر
بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته وليس في ذلك تكذيب لخبره لانه انما
خبر عن ظنه وما يقتضيه الحكم الشرعي واخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره
وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت
عنده فقال ونادى نوح ابنه لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا ابا سعيد يقول الله
ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله ليس من اهلك قال قلت
معناه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب
انه ابنه فقال اهل الكتاب يكذبون وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك
وهذا الوجه يبعد اذ فيه منافاة للقرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه فاطلق
عليه اسم البنوة ولانه ايضا استثناه من جملة اهله بقوله تعالى واهلك الا من
سبق عليه القول ولان الانبياء عليهم السلام يجب ان ينزهوا عن مثل هذه
الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله انبياءه عليهم السلام
ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد
حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاول قوله تعالى في امراة نوح
وامراة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر
الناس بانه مجنون والاخرى تدل على الاضياف والمعتمد في تاويل الآية هو
الوجهان المتقدمان فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع
وقد روى عن جماعة من المتقدمين انهم قرءوا انه عمل غير صالح بنصب اللام
وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه فاما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان

ابنك

ابنك ذو عمل غير صالح وصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء « يا ام سقب على بو تطيف به
« قد ساعدتها على التحنان آظار » ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت »
« فانما هي اقبال وادبار » ارادت انما هي ذات اقبال وادبار وقال
قوم ان المعنى اصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة
عمل غير صالح يعني الخيانة من امراته وهذا جواب من ذهب الى انه لم يكن ابنه
على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقال آخرون ان الهاء في قوله عز وجل
انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به
علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح دليل السؤال والرغبة في قوله رب ان
ابني من اهلي وان وعدك الحق ومعنى ذلك اي نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا
الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لان الصغائر تجوز عليهم ومن يمتنع من
ان يقع على الانبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة
الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم قال فلا
تسالني ما ليس لك به علم وكيف قال نوح عليه السلام من بعد رب اني اعوذ
بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال لا
يمتنع ان يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ
من ذلك وان لم يواقعه الا ترى ان الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر وان
لم يكن ذلك قد وقع منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع ان يكون
نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون عليه السلام انما سال له نجاة ابنه
باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء فاما
القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه عمل عملا
غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير
حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من مذهبهم الظاهر اقامة
الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل
قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا

الآظار جمع ظئر وهي الناقة التي تجر ولدها او مات فعطفت على جلده يعني جلد الولد المحشو

في

على

يمتنع ان يقع من

وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي ، ايها القائل غير الصواب ،
اخر النصح واقلل عتابي ، وقال ايضا ، وكم من قتيل ما يباء به دم ،
ومن غلق رهن اذا الفه مني ، ومن مالئ عينيه من شيء غيره ،
اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى ، اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة
لرجل من بجيلة ، كم من ضعيف العقل منتكث القوى ، ما ان له نقض ولا ابرام ،
مالت له الدنيا عليه باسرها ، فعليه من رزق الاله ركام ،
ومشيع جلد امين حازم ، حرس له فيما يروم مرام ،
اعمي عليه سبيله فكانه ، فيما يحاول له عليه حرام ،
اراد كم انسان ضعيف القوى اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد
ابن العباس قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم
الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى
الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما بعد موت محمد وهناك عبد
كان لمحمد اسود وقد ترك الناس واقبل عليه يسائله ويحفى به ويحادثه فلما
خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى احفيت محفوظك به فقال هذا غلام
ابن منصور ثم انشدني ، وقالوا يا جميل اتى اخوها ،
فقلت اتى الحبيب اخو الحبيب ، احبك والقريب بنا بعيد ،
لان ناسبت بثنة من قريب ، فقلت له وكنت افعل هذا كثيرا به لاستحق
كلامه وعلمه يا ابا سعيد ذاك اخوها وهذا غلامه فضحك وقال انشدنا
ابو عمرو او قال غيره ، ارى كل دار اوطنتها وان خلت ،
لها حج بندي بمسك ترابها ، واقسم اني لو ارى نسبا لها ،
ذئاب الغضا حبت الي ذئابها ، قال فجعلت اعجب من قرب لسانه من
قلبه واجابة حفظه له متى اراده وبهذا الاسناد عن اسحاق الموصلي قال
قرات على الاصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت ،
ابن اجل اعرابية حل اهلها ، بروض الثرى عيناك تبتدران ،
فقال لي اتعرف في هذا البيت خبأ باطنا غير ظاهر قلت لا فكشف عنه فقلت

مشيع يعني شجاع مرس
اي متمارس
اعمي عليه سبيله

بمعنى بثينة

غلامه

حلفت باني لو اري تبعا لها

ان

ان كان فيه شيء فافدنيه فقال نعم اما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين
ذي قدرة على ما يريد قال اسحاق وما رايت احدا قط مثل الاصمعي في العلم
بالشعر وروي عن اسحاق ايضا انه قال قال لي الاصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله
، ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع ، فالهيتها عن ذي تمائم محول ،
فقلت تخبرني فقال كان مفركا فيقول الحبت هولاء على كراهتهن للرجال فكيف
انا عند المحبات لهم وروي ان السبب الذي هاج التنافر بين الاصمعي وابن
الاعرابي ان الاصمعي دخل ذات يوم على سعيد بن سلم وابن الاعرابي جنيد
يؤدب ولده فقال لبعضهم انشد ابا سعيد فانشد الغلام ابياتا لرجل من بني
كلاب رواها ابن الاعرابي وهي ، رات نضوا اسفار امية قاعدا ،
على نضو اسفار فجن جنونها ، فقالت من اي الناس انت ومن تكن ،
فانك راعي صرمة لا نزينها ، فقلت لها ليس الشحوب على الفتى ،
بعار ولا خير الرجال سمينها ، عليك براعي ثلة مسلحبة ،
يروح عليها محضها وحقينها ، سمين الضواحي لم تورقه ليلة ،
كانعم ابكار الهموم وعونها ، فرفع ليلة قال له الاصمعي من رواه هذا
قال المؤدب فاحضره واستنشده فانشده ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر
البيت فقال انما اراد لم تورقه ليلة ابكار الهموم وعونها وانعم اي زاد على
هذه الصفة وقوله سمين الضواحي اي ما ظهر منه وبدا سمين ثم قال الاصمعي
لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعا لتاديب ولد الملوك واخبرنا
المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا
الاصمعي قال ولد بشار بشار بن برد اكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة
وذكا فقلت له يوما من اين لك هذا الذكا قال من قدم العمى وعدم المناظر
يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكا وانشد لنفسه
يفخر بالعمى ، عميت جنينا والذكا من العمى ، فجئت عجيب الظن للعلم موئلا ،
وغاض ضياء العين للعقل رافدا ، بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا ،
وشعر كنور الروض لائمت بينه ، بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا ،

الذي تبغضه النساء

نضوا اسفار اي مهزول اسفار
الصرمة القطعة من الابل نحو الثلاثين
الثلة قطعة من غنم طريق مسلحب
اي ممتد مستقيم المحض
اللبن الخالص الحقين
اللبن الحامض الذي
حبس في
الاناء

النواظر

قصده بقوله العين ان العلم موئل اليه
اي يعتصم به ويلجأ اليه وقوله
بقلب يتعلق برافد

واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ابو العيناء
قال حدثنا الاصمعي قال انشد رجل وانا حاضر بشارا قول الشاعر

وقد جعل الاعداء ينتقصوننا ، وتطمع فينا السن وعيون
الا انما ليلى عصى خيزرانة ، اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال بشار والله لو جعلها عصى مخ او زبد لما كان الا مخطئا مع ذكر العصى الا قال كما قلت

وحوراء المدامع من معد ، كان حديثها قطع الجنان
اذا قامت لسبحتها تثنت ، كان عظامها من خيزران
ينسيك المنى نظر اليها ، ويصرف وجهها وجه الزمان

واخبرني المرزباني قال حدثنا علي بن عبد الله الفارسي قال حدثنا ابي عن عمر بن شبة قال قال لي ابو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال قصيدة طويلة اولها

نأتك على طول التجاور زينب ، وما علمت ان النوى سوف تشعب

وكان سليمان بخيلا فاعطاه خمسة آلاف لم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال

ان امس منقبض اليدين عن الندى ، وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد اروح على اللئام مسلطا ، ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة ، تندى يدي ويخاف فرط لساني
ازمان سربال الشباب مذيل ، واذ الامير علي من حجر الى
ريم باجوبة العراق اذا بدا ، برقت عليه اكلة المرجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى ، وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وانت متيم ، اشفى لدائك من بني مروان

فلما رجع الى العراق برّه ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدحه قيسا وافتخاره بهم فلما جاءت دولة اهل خراسان عظم شانه واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال قال الاصمعي ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابي حازم

يفلجن الشفاه عن اقحوان ، جلاه غب سارية قطار

ولا

طنق ينتقصوننا

جمع جواد وهو مكان الحي الحلول

عبدة اسم امراة

قبيلة

ولا وصف احد اللون باحسن من قول عمر بن ابي ربيعة

وهي مكنونة تحير منها ، في اديم الخدين ماء الشباب
شق عنها محقق جندي ، فهي كالشمس في خلال السحاب

ولا وصف احد عيني امراة الا احتاج الى قول عدي بن الرقاع

لولا الحياء وان راسي قد بدا ، فيه المشيب لزرت ام القاسم
وكانها وسط النساء اعارها ، عينيه احور من جآذر جاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت ، في عينه سنة وليس بنائم

ولا وصف احد نجيبا الا احتاج الى قول حميد بن ثور

محلى باطواق عتاق يبينها ، على الضر راعي الضان لو يتقوف

ولا وصف احد ظليما الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هيق كان جناحيه وجؤجؤه ، بيت اطافت به خرقاء مهجوم

ولا اعتذر احد الا احتاج الى قول النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي ، وان خلت ان المنتأى عنك واسع

قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه اما قول حميد بن ثور محلى باطواق عتاق فانه يريد ان عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلائلهما وسماتهما حلية له من حيث كان موسوما بهما ومعنى يبينها على الضر اي يبينها ويعرفها هذا الراعي فيعلم انه كريم والتقوف من القيافة فاما قول علقمة هيق فالهيق ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقاء اي عملته وابتنته وقيل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اي مهدوم وقال الاصمعي معنى اطافت به عملته فخرقت في عمله يقول قد ارسل جناحيه كانه خباء امراة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية اخرى والوجه الثاني اشبه واملح فاما قول بشر في وصف الثغر واحسنه فاحسن منه واكشف واشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كالاقحوان غداة غب سمائه ، جفت اعاليه واسفله ندى

وانما وصف اعاليه بالجفوف ليكون

يقال ثوب محقق اي جيد النسج محكم النسج

جاسم موضع

لو يتقيف اي يزجر عتاق اي جياد وجمع عتيق

مصروع ساقط

سمتها

متفرقا منتضدا غير متلبّد ولا مجتمع فيشبه حينئذ الثغور ثم قال وأسفله
ندى حتى لايكون فحلا يابسا بل تكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه
غروب الاسنان التي تلمع وتبرق ودوى الرياشي قال الاصمعي يقول لاحسن
ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة ، وتجلو بفرع من اراك كانه ،
، من العنبر الهندي والمسك يصبح ، ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى ،
، اليه الندى من رامة المتروح ، هجان الثنايا مغربا لو تبسمت ،
، لاخرس عنه كاد بالقول يفصح مجلس آخر ان سال سائل عن تاويل
قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة
الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم بالاموال والاولاد
ومعلوم ان لهم فيها سرورا ولذة وما تاويل قوله وهم كافرون وظاهره
يقتضي انه اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم لان
القائل اذا قال اريد ان يلقاني فلان وهو لابس او على صفة كذا وكذا
فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة الجواب قلنا اما التعذيب بالاموال
والاولاد ففيه وجوه اولها ما روى عن ابن عباس رحمه الله وقتادة وهو
ان يكون في الكلام تقديم وتاخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا
تعجب المومنين معك اموال هولاء الكفار المنافقين ولا اولادهم في الحياة
الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها
واستشهد على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول
عنهم فانظر ماذا يرجعون فالمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول
عنهم وانشد في ذلك قول الشاعر ، عشية ابدت جيدا دما مغزل ،
، وطرفا يريك الاثمد الجون احورا ، يريد وطرفا احور يريك الاثمد
الجون وقد اعتمد هذا الوجه ايضا ابو علي قطرب وذكره ابو القاسم البلخي
والزجاج وثانيها ان يكون معنى التعذيب بالاموال والاولاد في الدنيا هو
ما جعله للمومنين من قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم في
ذلك لا محالة ايلام لهم واستخفاف بهم وانما اراد تعالى بذلك اعلام نبيه

ای كان هذا السواك يستقى العنبر والمسك

رامة هی رملة بعينها والمتروح الذي جاء رواحا

ای جيدا مثل جيد ادماء وقوله مغزل ای معها غزالها

صلى

صلى الله عليه وآله والمومنين انه لم يرزق الكفار الاولاد والاموال ولم
يبقها في ايديهم كرامة لهم ورضا عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم
مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب ان
يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب في النار آجلتهم
وهذا جواب ابي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تامل له فقال
كيف يصح هذا التاويل مع انا نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدي المسلمين
ولا يقدرون على غنيمة اموالهم ونجد اهل الكتاب ايضا خارجين عن هذه
الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشئ لانه لا يمتنع ان
تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن اوجب الله تعالى محاربته
فاما الذين هم بحيث لا تنالهم الايدي او هم من القوة على حد لا يتم معه
غنيمة اموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لانهم ممن اراد الله تعالى
ان يسبى ويغنم ويجاهد وان يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة
على انه غير مراد وثالثها ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك كل ما يدخله في
الدنيا عليهم من الغموم والمصائب باموالهم واولادهم التي هي لهولاء الكفار
المنافقين عقاب وجزاء وللمومنين محنة وجالبة للنفع والعوض ويجوز
ايضا ان يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع
التكليف عنه مع انه حي من العذاب الدائم الذي قد اعدّ له واعلامه
انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معنى اكثره عن
قوم من متقدمي المفسرين وذكره ابو علي الجبائي ايضا ورابعها جواب
يحكى عن الحسن البصري واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو ان يكون
المراد بذلك ما الزم هولاء الكفار من الفرائض والحقوق في اموالهم
لان ذلك يوخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا فيه انفقوا بغير نية ولا عزيمة
فتصير نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها اجرا قال السيد
المرتضى قدس الله روحه وهذا وجه غير صحيح لان الوجه في تكليف الكفار
اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المومن ذلك ومحال ان يكون

انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا
يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هي المصلحة
واللطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل
هذا من ان المصائب والغموم قد تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة
لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة جميعا ولا
يجوز في هذه الفرائض ان يكون لوجوبها على المكلف الا وجه واحد وهو
المصلحة في الدين فافترق الامران وليس لهم ان يقولوا ليس التعذيب
في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لاموالهم على وجه التكره
والاستثقال وذلك انه اذا كان الامر على ما ذكروه وخرج ان يكون مراد
الله تعالى ما اراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو
طاعة وقربة فاذا اخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف
يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب ان يكون ما يعذبون به شيئا يصح ان
يريده الله تعالى قال قدس الله روحه وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية
الاجوبة التقديم والتاخير مبنية على ان الحياة الدنيا ظرف للعذاب فيحمل
كل متاول من القوم ضربا من التاويل يطابق ذلك وما يحتاج عندنا الى
جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتاخير اذا لم يجعل الحياة ظرفا للعذاب
بل جعلناها ظرفا الفعل الواقع بالاموال والاولاد المتعلق بهما لانا قد علمنا
اولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لان الاموال والاولاد
انفسهما لا تكون عذابا والمراد على سائر وجوه التاويل الفعل المتعلق بها
والمضاف اليها سواء كان انفاقها او المصيبة بها او الغم عليها او اباحة غنيمتها
واخراجها من ايدي مالكيها فكان تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بكذا
وكذا مما يتعلق باموالهم واولادهم ويتصل بها واذا صح هذا جاز ان تكون
الحياة الدنيا ظرفا لافعالهم القبيحة واموالهم واولادهم التي تغضب الله تعالى
وتسخطه كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر والزامهم
الموافقة في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في

تجعل

الآية

النحلة الدين

اموالهم

اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر
يغني عن التقديم والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه فاما قوله تعالى
وتزهق انفسهم وهم كافرون فمعناه تبطل وتخرج اي انهم يموتون على الكفر
وليس يجب اذا كان مريدا لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال ان يكون مريدا
للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل اهل
البغي وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريدا لحرب اهل
البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم على هذه الحال وكذلك قد يقول لغلامه
اريد ان تواظب على المصير الى في السجن وانا محبوس وللطبيب صر الي
ولازمني وانا مريض وهو لا يريد ولا الحبس وان كان قد اراد ما هو متعلق
بها بين الحالتين وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ان لا يكون قوله وهم كافرون
حالا لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف والتقدير فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم مع ذلك كله كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم
مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى تزهق انفسهم
على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة
والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت
روحه وما اشبه ذلك قال السيد قدس الله روحه ذاكرني قوم من اهل
الادب باشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى بن ابي
حفصة فافرط بعضهم في وصفه وتقريظه وتفضيله وآخرون في ذمه
وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت
لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الالفاظ غير متصرف في المعاني
ولا غواص عليها ولا مدقق لها فلذلك قلت النظائر في شعره ومدائحه
مكررة الالفاظ والمعاني وهو غزير الشعر قليل العين الا انه مع ذلك
شاعر له تجويد وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته واشعر
شعراء اهله ويجب ان يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ

والكلف

فيها

اي الخيار

وتدقيق المعانى وحسن الالفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد
فى الابيات النادرة السائرة فكانه طبقة بينهما وليس بمقصر عنهما شديدا
ولا بمنحط عنهما بعيدا وكان اسحق بن ابراهيم الموصلى يقدمه على بشار
ومسلم وكذلك ابو عمرو الشيبانى وكان الاصمعى يقول مروان مولد وليس
له علم باللغة واختلاف الناس فى اختيار الشعر بحسب اختلافهم فى التنبه على
معانيه وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرائقه فسئلت عن ذلك ان اذكر
مختار ما وقع الى من شعره وانبه على سرقاته ونظائر شعره وان املى ذلك فى
خلال المجالس واثنائها فمما يختار من شعره قصيدته يمدح بها المهدى واولها

اعادك من ذكرى الاحبة عائد ، اجل واستخفتك الرسوم البوائد ،

ويقول فيها ،

تذكرت من تهوى فابكاك ذكره ، فلا الذكر منسى ولا الدمع جامد ،
نحن ويابى ان يساعدك الهوى ، وللموت خير من هوى لا يساعد ،
الا طالما اهبت دمعك طائعا ، وجارت عليك الآنسات النواهد ،
تذكرنا ابصارها مقل المهى ، واعناقها ادم الظباء العواقد ،
تساقط منهن الاحاديث غضة ، تساقط در اسلمته المعاقد ،
اليك امير المومنين تجاذبت ، بنا الليل خوص كالقسى شوارد ،
يمانية يناى القريب محله ، بهن ويدنو الشاحط المتباعد ،
تجلى السرى عنها وللعيس اعين ، سوامر واعناق اليك قواصد ،
الى ملك تندى اذا يبس الثرى ، بنائل كفيه الاكف الجوامد ،
له فوق مجد الناس مجدان منهما ، طريف وعادى الجراثيم تالد ،
واحواض عز حومة الموت دونها ، واحواض عرف ليس عنهن ذائد ،
ايادى بنى العباس بيض سوابغ ، على كل قوم باديات عوائد ،
هم يعدلون الملك من قبة الهدى ، كما تعدل البيت الحرام القواعد ،
سواعد عز المسلمين وانما ، تنوء بصولات الاكف السواعد ،
يكون غرارا نومه من حذاره ، على قبة الاسلام والخلق راقد ،

وروى عن الاصمعى انه قال لم يقل احد
الفرج بالعفاف وضد الاخوان ولكنى
الاصل الحفاظ والاخطار والاقدار وذوى الارضاع
وانبثت عن ابعض ما فى جوانحى
وجرعته من مر ما اتجرع
ولا بد من شكوى الى ذى حفيظة
اذا جعلت اسرار نفسى تطلع
[illegible]

كان امير المومنين محمدا ، لرافته بالناس للناس والد ،

قال السيد قدس الله تعالى روحه اما قوله تساقط منهن الاحاديث غضة
تساقط در اسلمته المعاقد فكثير فى الشعر واظن ان الاصل فيه ابو حية
النميرى فى قوله اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم
وانما عنى بالمرجان صغار اللولو وعلى هذا يتاول قوله تعالى يخرج منهما اللولو
والمرجان ومنه قول الآخر ، هى الدار منثورا اذا ما تكلمت ،

وكالدر منظوما اذا لم تكلم ، ومثله ، من ثغرها الدر النظيم ،
ولفظها الدر النثير ، ونظيره قول البحترى واحسن غاية الاحسان
ولما التقينا والنقا موعد لنا ، تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه ،
فمن لولو تجلوه عند ابتسامها ، ومن لولو عند الحديث تساقطه ،
ومثله قول الاخيطل الاهوازى ، خلوت بها وسجف الليل ملقى ،
وقد اصغت الى الغرب النجوم ، كان كلامها در نثير ،
ودون نقى ثغرها در نظيم ، ولغيره ، تبسمت فرايت الدر منتظما ،
وحدثت فرايت الدر منتثرا ، وللآخر ، وتحفظ لا من ريبة بحديثها ،
ولكنها من اعين الناس تحفظ ، وتلفظ درا فى الحديث اذا جرى ،
ولم نر درا قبل ذلك يلفظ ، ولبعض من تاخر زمانه من الشعراء ،
وقرب من عصرنا هذا ، اظهرن وصلا اذ رجعن سنيما ،
وابن هجرا اذ خشين مراقبا ، فنظمن من در المباسم جامدا ،
ونثرن من در المدامع ذائبا ، قال قدس الله روحه وليس قول
ابى دهبل فى صفة الحديث ، كتساقط الرطب الجنى من الا
الاقناء لا نزرا ولا نزرا ، من هذا الباب فى شىء لان جميع ما
تقدم انما هو فى وصف الثغر وهذا فى وصف حسن الحديث وانه متوسط
فى القلة والكثرة لا ذم للقصد كانتثار الرطب من الاقناء ويشبه ان يكون
اراد ايضا مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه
غض طرى غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجنى فجمع له اغراض

الوصف بالاقتصاد فى القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الفصاحة
ثم الغضاضة ونظير قول ابى دهبل قول ذى الرمة ،
، لها بشر مثل الحرير ومنطق ، رخيم الحواشى لا هراء و لا نزر ،
فاما قول مروان ، الى ملك تندى اذا ايبس الثرى ، بنائل كفيه الاكف
الجوامد ، فمثل قول ابى حنش النميرى فى يحيى بن خالد البرمكى ،
، لا ترانى مصافحا كف يحيى ، اننى ان فعلت اتلفت مالى ،
، لو يمس البخيل راحة يحيى ، لسخت نفسه ببذل النوال ،
ومثله قول ابن الخياط المدنى فى المهدى ،
، لمست بكفى كفه ابتغى الغنى ، ولم ادر ان الجود من كفه يعدى ،
، فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى ، افدت واعدانى فاتلفت ما عندى ،
وقد قيل ان هذا الشاعر كاد يصرح بالهجاء لانه زعم ان الذى لمس كفه
لم يعده شيئا بل اعداه جوده فاتلف ماله ولم يرد الشاعر الا المدح ولقوله
وجه وهو ان ذوى الغنى هم الذين تستقر الاموال فى ايديهم وتلبث تحت
ايمانهم ومن اخرج ما يملكه حالا بحال لا يوصف بانه ذو غنى فاراد الشاعر
اننى لم افد منه ما بقى فى يدى فاستقر تحت ملكى فلهذا قال لم افد ما افاد ذوو
الغنى ومن هذا المعنى قول مسلم ، الى ملك لو صافح الناس كلهم ،
، لما كان حى فى البرية يبخل ، ومثله قول العكوك ،
، لو لمس الناس راحتيه ، ما بخل الناس بالعطاء ، واحسن من هذا
كله واشبه بالمدح وادخل فى طريقته قول البحترى ،
، من شاكر عنى الخليفة بالذى ، اولاه من طول ومن احسان ،
، ملأت يداه يدى وشرد جوده ، بخلى فافقرنى كما اغنانى ،
، حتى لقد افضلت من افضاله ، ورايت نهج الجود حيث ارانى ،
، ووثقت بالخلف الجليل معجلا ، منه فاعطيت الذى اعطانى ،
ومن هذا المعنى قول الآخر ، رايت الندى فى آل عوف خليقة ،
، اذا كان فى قوم سواهم تخلقا ، ولو جزت فى ابيانهم لتعلمت ،

، يداك الندى منهم فاصبحت مملقا ، ولابن الرومى ،
، يجود البخيل اذ امار آك ، ويسطو الجبان اذا عاينك ، فاما قوله
، واحواض عز حومة الموت دونها ، واحواض عرف ليس عنهن ذائد ،
فيشبه ان يكون ابراهيم بن العباس الصولى اخذ فى قوله ،
، لنا ابل كوم يضيق بها الفضا ، وتفتر عنها ارضها وسماؤها ،
، فمن دونها ان تستباح دماؤنا ، ومن دوننا ان تستباح دماؤها ،
، حمى وقرى فالموت دون مرامها ، وايسر خطب عند حق فناؤها ،
وقد احسن ابراهيم فى ابياته كل الاحسان فاما قوله ،
، يكون غرار نومه من حذاره ، على قبة الاسلام والخلق راقد ،
فكثير متداول ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات ،
، نعم الخليفة للرعية من اذا ، رقدت وطاب لها الكرى لم يرقد ، ومثله
، ويظل يحفظنا ونحن بغفلة ، ويبيت يكلاونا ونحن نيام ، ومثله البحترى
، اربيعة الفرس اشكرى يد منعم ، وهب الاساءة للمسئ الجانى ،
، دو عنهم جاراته فبعثتم ، منه حمية آنف غيران ،
، لم تكرعن قاصى الرعية عينه ، فتنام عن وتر القريب الدانى ، فاما
قوله ، كان امير المومنين محمد ، لرافته بالناس للناس والد ،
فنظير قول بعض الشعراء فى يحيى بن خالد البرمكى ،
، احيا لنا يحيى فعال خالد ، فاصبح اليوم كثير الحامد ،
، يسخو بكل طارف وتالد ، على بعيد غائب وشاهد ،
، الناس فى احسانه كواحد ، وهو لهم اجمعهم كالوالد ،
ومن جيد قول مروان من قصيدة اولها ، خلت بعد نامن آل ليلى المصانع ،
، وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع ، ويقول فيها ،
، ومالى الى المهدى لو كنت مذنبا ، سوى حلمه الضافى على الناس شافع ،
، ولا هو عند السخط منه ولا الرضى ، بغير الذى يرضى به الله قانع ،
، تغض له الطرف العيون وطرفه ، على غيره من خشية الله خاشع ،

اما قوله ولا هو عند التسخط منه ولا الرضى فمثل قول اشجع
، ولست بخائف لابى على ، ومن خاف الا له فلن يخافا ، ومثله
، آمنني منه ومن خوفه ، خيفته من خشية البارى ، ولابى نواس
، قد كنت خفتك ثم آمنني ، من ان اخافك خوفك الله ، ويشبه
هذا المعنى ما روى عن امير المومنين عليه السلام انه دعا غلاما له مرارا
فلم يجبه فخرج فوجده على الباب فقال له ما حملك على ترك اجابتي قال
كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعلنى
ممن يامنه خلقه فاما قوله تغض له الطرف العيون فيشبه ان يكون ماخوذا
من قول الفرزدق اوممن نسب اليه هذه الابيات ،
، يغضى حياء ويغضى من مهابته ، فلا يكلم الا حين يبتسم ،

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تاوله قوم من انه
يحول بين الكافر وبين الايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة
فى اجابته الجواب قلنا اما قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه ففيه وجوه اولها
ان يريد بذلك انه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا
حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة لها قبل الفوت وانقطاع
التكليف وتعذر ما يسوف به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكانه تعالى
قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل ان ياتيكم الموت فيحول بينكم
وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم وتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم
من التوبة بقلوبكم ويقوى ذلك قوله تعالى وانه اليه تحشرون وثانيها انه
يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه وان كان حيا وقد يقال
لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير قلب قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى
لمن كان له قلب وقال الشاعر ، ولى الف وجه قد عرفت مكانه ،
، ولكن بلا قلب الى اين اذهب ، وهذا الجواب يقرب من الاول لانه
تعالى

تعالى اخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبل فوتها
لانه لا فرق بين تعذرها بالتوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها
بازالة العقل وثالثها ان يكون المعنى المبالغة فى الاخبار عن قربه من عباده
وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضمائر المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة
لعلمه بادية ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد ونحن نعلم انه لم يرد تعالى بذلك قرب المسافة بل المعنى الذي
ذكرناه واذا كان جل وعز هو اعلم بما فى قلوبنا منا وكان ما نعلمه ايضا
يجوز ان ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز
ان يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم فى الشاهد ان كل شئ
يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما ولما اراد تعالى المبالغة فى وصف القرب
خاطبنا بما نعرف ونالف وان كان القرب الذى عناه جلت عظمته لم يرد
به المسافة والعرب تضع كثيرا لفظة القرب على غير معنى المسافة فيقولون
فلان اقرب الى قلبي من فلان وزيد منى قريب وعمرو بعيد ولا يريدون
بذلك قرب المسافة ورابعها ما اجاب به بعضهم من ان المومنين كانوا
يفكرون فى كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلبهم الخوف فاعلمهم الله
تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدله بالخوف الامن ويبدل عدوهم
انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور ويمكن فى الآية وجه
خامس وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه
قلبه من القبائح بالامر والنهى والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم
يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع
ولا عن مواقعته رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث زجر
عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب فى الحائل ان يكون فى كل موضع
مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منا على غيره فى امر كان قد هم به
وعزم على فعله ان يجتنبه والمنبه له على ان الحظ فى الانصراف عنه يصح
ان يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله وقال عبد الله بن قيس الرقيات

حال دون الهوى ودون سرى الليل مصعب وسياط على اكف رجال
ونحن نعلم انه لم يعل الا بالتخويف والترهيب دون غيرهما فان قيل يطابق
هذا الوجه صدر الاية قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى امرهم بالاستجابة
لله ولرسوله فيما يدعوان اليه من فعل الطاعات والامتناع من القبيحات
واعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجرى مجراهما يحول بين المرء وبين
ما تدعوه اليه نفسه من المعاصى ثم ان المآب بعد هذا كله اليه والمنقلب
الى ما عنده فيجازى كلا باستحقاقه فاما قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم ففيه
وجوه اولها ان يريد بذلك الحياة فى النعيم والثواب لان تلك هى الحياة
الطيبة الدائمة التى يؤمن تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه تعالى حث على
اجابته التى تكسب هذه الحال وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد
وقتال العدو فكانه تعالى امرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يامرهم
به من قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة الاسلام واعلمهم ان ذلك يحييهم
من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لعددهم وفل لحدهم وحسم
لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا استدلوا جانب المومنين واقدموا عليهم
بالقتل وصنوف المكاره فمن هنا كانت الاستجابة له عليه السلام فى
القتال تقتضى الحياة والبقاء ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ولكم فى القصاص
حياة وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حياة يوصف فاعلها بانه حى
كما ان المعاصى يوصف فاعلها بانه ميت والوجه فى ذلك ان الطائع لما كان
منتفعا بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة
ولما كان الكافر العاصى لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب
الدائم كان فى حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع
بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته
ويمكن فى الاية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالكلام الحياة فى الحكم لا
فى الفعل لانا قد علمنا انه عليه السلام كان مكلفا مامورا بجهاد جميع المشركين
المخالفين لملته وقتلهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا اهل الذمة

على

على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم
كنتم فى الحكم غير احياء من حيث تعبد بقتالكم وقتلكم فاذا اطعتم كنتم
فى الحكم احياء ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وانما
اراد تعالى يجب ان يكون آمنا وهذا حكم ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع
فاما المجبرة فلا شبهة لهم فى الاية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول
بين المرء وبين الايمان ولا ظاهر الاية يقتضى انه يحول بينه وبين افعاله
وانما يقتضى ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا الكفر
ذكر ولو كان للاية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لانصرفنا عنه
بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما امره به واراده
منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية اخبرنا ابو عبيد الله
المرزبانى قال حدثنى احمد بن محمد الجوهرى قال اخبرنا الحسن بن عليل
العنزى قال حدثنا احمد بن عمر بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمر بن
عبد الرحمن بن عوف قال حدثنى محمد بن خالد بن عبد الله عن الحجاج
السلمى قال لما اشتكى حصن بن حذيفة بن بدر وجهه من طعنة كرز
ابن عامر اياه يوم بنى غضيل دعا ولده فقال ان الموت اهون مما اجد
فايكم يطيعنى قالوا كلنا نطيعك فبدأ باكبرهم فقال قم وخذ سيفى
واطعن به حيث آمرك ولا تعجل قال يا ابتاه ايقتل المرء اباه فاتى على
القوم كلهم فاجابوه بجواب الاول حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه
اليس لك فيما تامرنى به راحة ولى بذلك لك طاعة وهو هواك قال بلى
قال فمرنى كيف اصنع قال قم فخذ سيفى فضعه حيث آمرك ولا تعجل
فقام فاخذ سيفه ووضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه كيف اصنع قال الق
السيف انما اردت ان اعلم ايكم امضى لما آمره به فانت خليفتى ورئيس قومك
من بعدى فقال القوم انه سيقول فيما بيننا فاحضروه فلما امسى قال
ولوا عيينة من بعدى اموركم … واستيقنوا انه بعدى لكم حامى
اما هلكت فانى قد بنيت لكم … عز الحياة بما قدمت قدامى

واستوسقوا للتي فيها مروتكم ، قود الجياد وضرب القوم في الهام
والقرب من قومكم والقرب ينفعكم ، والبعد ان باعدوا والرحي للرامي
ولي حذيفة اذ ولى وخلفني ، يوم الهباءة يتيما وسط ايتام
لا ارفع الطرف ذلا عند مهلكه ، القى العدو بوجه خد دامٍ
حتى اعتقدت لوا قومي فقمت به ، ثم ارتحلت الى الجفني بالشام
لما قضى ما قضى من حق زائره ، محبت المطي الى النعمان من عام
اسموا لما كانت الاباء تطلبه ، عند الملوك فطر في عندهم سامي
والدهر آخره شبه لاوله ، قوم كقوم وايام كايام
فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم ، من بين بان الى العليا وهدام

قال ثم اصبح ودعا بني بدر فقال لواني ورياستي لعيينة واسمعوا مني ما اوصيكم به ولا يتكل اخركم على اولكم فانما يدرك الآخر ما ادرك الاول وانكحوا الكفي والغريب فانه عز حادث واذا احضركم امران فخذوا بخيرهما صدرا فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم باجمل اخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس المطاع واذا حاربتم عدوكم فاوقعوا ثم قولوا فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيول فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون الخيل واعزوا الكبير بالكبر فاني بذلك كنت اغلب الناس ولا تعزوا الآبا بالعيون ولا تسرحوا حتى تامنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا للضيف بالقرى فان خيره عجله واتقوا فضحات البغي وفلتات المزاح ولا تجتروا على الملوك فان ايديهم الطول من ايديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن فاخذ عيينة الرياسة وقال

اطعت ابا عيينة في هواه ، ولم تخلج صريمتي الظنون
وقد عرض الرئيس على بنيه ، فقال القوم هذا لا يكون
سنحيى او نموت فطاولوه ، وقتل المرء والله جنون
فلم اقتل بحمد الله حصنا ، وكل فتى ستدركه المنون
ولم اتكل عليه وكل امرٍ ، اذا هونته يوما يهون

فان

فان يك بدؤ هذا الامر عنا ، فآخره بني بدر سمين
وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة بن حصين حذيفة وانما اصابته اللقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة واذا اعظمت عين الانسان لقبوه اما عيينة واما عيينا، وروى قيس بن ابي حازم ان عيينة بن حصين دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا احمق مطاع وروى ايضا انه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام وهو صبي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة الا اراك تصنع هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الابن رجلا قد خرج لسانه ووجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انه من لم يرحم لم يرحم ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما يختار من شعره قوله من قصيدة اولها

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله ، واقصرن عنه حين اقصر باطله
ومن مد في ايامه فتاخرت ، منيته فالشيب لا شك شامله
يقول في المديح فيها
هو المرء اما دينه فهو مانع ، مصون واما ماله فهو باذله
وامر واحلى ما الى الناس طعمه ، عقاب امير المومنين ونائله
ابيّ لما يابى ذو والحزم والتقى ، فعول اذا ما جد بالامر فاعله
تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضى ، لدى موطن الا على الحق حامله
يرى ان مر الحق احلى مغبة ، وانجى ولو كانت ذعافا مناهله
وان طليق الله من هو مطلق ، وان قتيل الله من هو قاتله
وانك بعد الله للحكم الذي ، تصاب به من كل حق مفاصله
فاما قوله
ومن مد في ايامه فتاخرت ، منيته فالشيب لا شك شامله
فماخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفي
والشيب غاية من تاخر حينه ، لا يستطيع دفاعه من يجزع
ومثله في هذا قول امية بن ابي الصلت
من لم يمت عبطة يمت هرما ، للموت كاس فالمرء ذائقها
ويشبه ذلك قول الآخر

اي شعره

قل لعرسي ليس شيبي بعجب ، من يعش ما ام عمار يشب ،
ومثله قول ابي العتاهية ، من يعش يكبر ومن يكبر يمت ،
والمنايا لا تبالي من اتت ، ومثله قول البحتري ،
ولا بد من ترك احدى اثنتين ، اما الشباب واما العمر ،
ويقاربه قوله ايضا ، والشيب مهرب من جاري منيته ،
ولا نجاء من ذلك المهرب ، وقريب منه قول ابن المعتز ،
وقالت كبرت واشتبت من الصبى ، فقلت لها ما عشت الا لاكبرا ، وبعضهم
ولا بد من موت فاما شيبة ، واما مشيب والشيبة اصلح ، معنى
قوله الشيبة اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه والاسف
على مفارقته واذا اسن برم به اهله وهان عليهم فقده واما قوله ،
هو المرء اما دينه فهو مانع ، مصون واما ماله فهو باذله ، فمعناه
متكرر في الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب
منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد ، يذكرنيك الجود والبخل والنهى
وقول الخنا والحلم والعلم والجهل ، فالقاك عن مذمومها متنزها ،
والقاك في محمودها ولك الفضل ، واحمد من اخلاقك البخل انه ،
بعرضك لا بالمال حاشى لك البخل ، وقد احسن البحتري في قوله ،
بلونا ضرائب من قد نرى ، فما ان وجدنا للفتح ضريبا ،
تنقل في خلقي سؤدد ، سماحا مرجى وباسا مهيبا ،
وكالسيف ان جئته صارخا ، وكالبحر ان جئته مستثيبا ، فاما قوله
تورك الهوى لا السخط منه ولا الرضى ، لدى موطن الا على الحق حامله
فمعنى مطروق متداول وقد كرره في قوله ،
اذا هن الفين الرجال ببابه ، حططن بها ثقلا وادركن مغنما ،
الى طاهر الاخلاق ما نال في رضى ، ولا غضب ملا احراما ولا دما ،
واحسن من هذا قول ابي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات ،
نبين الخطاب اذا اصطكت بمظلمة ، في رحله السن والاقوام والركب ،

لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه ، يوما ولا حجة الملهوف تستلب ،
كانما هو في نادي قبيلته ، لا القلب يهفو ولا الاحشاء تضطرب ،
وتحت ذاك قضاء حز شفرته ، كما يعض بظهر الغارب القتب ،
لا سورة تتقى منه ولا بله ، ولا يخاف رضى منه ولا غضب ،
ومنه قول البحتري في ابن الزيات ايضا ، وتجنب الحق بين اخذ واعطاء ،
وقصد في الجمع والتبديد ، واستوى الناس فالقريب قريب ،
عنده والبعيد غير بعيد ، لا يميل الهوى به حيث يمضي ،
الامر بين المقلي والمودود ، وسواء لديه ابناء ابراهيم
في حكمه وابناء هود ، مستريح الاحشاء من كل ضغن ،
بارد الصدر من غليل الحقود ، فاما قوله وان قتيل الله من هو قاتله
فيشبه ان يكون ماخوذا من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد ،
ان الذي عاش ختارا بذمته ، ومات عبدا قتيل الله بالزاب ،
اسم موضع
فاما قوله ، وانك سيف الله الحكم الذي ، تصاب به من كل حق مفاصله
فيشبه قول ابي تمام يصف القلم من قصيدته يمدح بها ابن الزيات واجمع العلماء
ان هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل في القلم ،
لك القلم الاعلى الذي بشباته ، تصاب من الامر الكلى والمفاصل ،
له الخلوات اللاء لولا نجيها ، لما احتفلت للملك تلك المحافل ،
لعاب الافاعي القاتلات لعابه ، واري الجنى اشتارته ايد عواسل ،
له ريقة طل ولكن وقعها ، باثاره في الشرق والغرب وابل ،
فصيح اذا استنطقته وهو راكب ، واعجم ان خاطبته وهو راجل ،
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت ، عليه شعاب الفكر وهي حوافل ،
اطاعته اطراف القنا وتقوضت ، لنجواه تقويض الخيام الجحافل ،
اذا استغزر الذهن الذكي واقبلت ، اعاليه في القرطاس وهي اسافل ،
وقد رفدته الخنصران وسددت ، ثلاث نواحيه الثلاث الانامل ،
رايت جليلا شانه وهو مرهف ، ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل ،

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى فأين تذهبون إن هو
إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب
العالمين فقال ما تأويل هذه الآية أو ليس ظاهرها يقتضي أننا لا نشاء شيئاً
إلا والله تعالى شاء له ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية الجواب
قلنا الوجه المذكور في الآية أن الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة
لأنه تعالى قال لمن شاء منكم أن يستقيم ثم قال وما تشاؤون إلا أن يشاء الله أي
لا تشاؤون الاستقامة إلا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات
وإنما أنكرنا إرادته المعاصي وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا
يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما أن السبب لا يوجب قصر ما يخرج
من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك أن الذي ذكروه إنما يجب فيما يستقل
بنفسه وإذا تعلق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على أنه لو كان للآية
ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة
على أن الله تعالى لا يريد المعاصي ولا القبائح على أن مخالفينا في هذه المسألة
لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤون عندهم ما لا يشاء الله تعالى
بأن يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع لمنع أو غيره وكذلك قد يريد النبي
صلى الله عليه وآله من الكفار الإيمان وتعبدنا بأن نريد من المقدم على
القبيح تركه وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم أنه لا يقع فلا
بد لهم من تخصيص الآية فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة وتجري
هذه الآية مجرى قوله تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون
إلا أن يشاء الله في تعلق الكلام بما قبله فإن قالوا فالآية تدل على مذهبنا
وبطلان مذهبكم من وجه آخر وهو أنه عز وجل قال وما تشاؤون إلا أن
يشاء الله وذلك يقتضي أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة
إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب أنه يشاء
أفعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون إليه من أنه يريد الطاعات في
حال الأمر قلنا ليس في ظاهر الآية أنا لا نشاء إلا ما شاء الله تعالى في حال مشيئتنا

كما ظننتم وإنما يقتضي حصول مشيئته لما نشاؤه من الاستقامة من غير ذكر
لتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل زيد هذه الدار إلا
أن يدخلها عمرو ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في
حال واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وأن الخفيفة
وإن كانت للاستقبال على ما ذكروه فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها
لأن تقدير الكلام وما تشاؤون الطاعات إلا بعد أن يشاءها الله ومشيئة الله
تعالى لها قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب
إلى أنه لا يمتنع أن يريد الطاعات حالاً بعد حال وإن كان قد أرادها في حال
الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمر لأنه قد يصح أن يتعلق بإرادته ذلك
منا بعد الأمر في حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى أنا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى
فعل الطاعات أقرب وعلى هذا المذهب لا معترض بما ذكروه والجواب الأول
واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي علي في هذا الباب على أن اقتضاء الآية
للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام إذا اقتضى حدوث
المشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم إنه مريد لنفسه أو مريد بإرادة
قديمة وصح ما نقوله من أن إرادته متجددة محدثة ويمكن في الآية وجه آخر
مع حملنا إياها على العموم ومن غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة
ويكون المعنى وما تشاؤون شيئاً من أفعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته
وإقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن
الافتقار إلى الله تعالى وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عليه وليس
يجب أن يستبعد هذا الوجه لأن ما تعلق به المشيئة في الآية محذوف غير
مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله إلا أن يشاء الله بالأفعال دون أن نعلقه
بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بين بحمد الله
ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما يختار له قوله من قصيدة أولها

طرقتك زائرة فحي خيالها ، بيضاء تخلط بالحياء دلالها ، يقول فيها

مالت بقلبك فاستقاد ومثلها ، قاد القلوب إلى الصبى فأمالها ،

وكانما طرقت بنفحة روضة ، سحت بها ديم الربيع خلالها
بانت تسائل في المنام معرسنا ، بالبيد اشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما ، سئموا مراعشة السرى ومطالها
وكان حشو ثيابهم هندية ، نحلت واغفلت القيون صقالها

اما ذكره في اول القصيدة طروق الطيف فانه لم يات فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستغرب وقد قال الناس في الطيف والخيال فاكثروا وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله •

انى سربت وكنت غير سروب ، وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد توتينه ، في النوم غير مصرد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها ، فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقد احسن جرير في قوله ، اتنسى اذ تودعنا سليمى
بفرع بشامة سقي البشام ، بنفسي من تجنبه عزيز
علي ومن زيارته لمام ، ومن امسي واصبح لا اراه
ويطرقني اذا هجع النيام ، وهذه الابيات وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب مقبول ولابي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر فانه تغلغل من اوصافه واهتدى من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفا بتكرار القول فيه لهجا بابدائه واعادته وان كان لابي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شاؤها فمما لابي تمام قوله ، زار الخيال لها لا بل ازاركه
فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم ، ظبي تقنصته لما نصبت له
من آخر الليل اشراكا من الحلم ، ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم
باق وان كان معشوقا من السقم ، وقوله ، عادك الزور ليلة الرمل من
رملة بين الحمى وبين المطالي ، نم فما زارك الخيال ولكنك
بالفكر زرت طيف الخيال ، وقوله ، الليالي احفى بقلبي اذا ما
جرحته النوى من الايام ، يا لها لذة تنزهت الارواح

فيها

فيها سرا من الاجسام ، مجلس لم يكن لنا فيه عيب
غير انا في دعوة الاحلام ، فاما البحتري فقوله في هذا المعنى اكثر من ان نذكر جميعه ههنا غير انا نشير الى نادره فمن ذلك قوله
فلا وصل الا ان يطيف خيالها ، بنا تحت جؤشوش من الليل اسفع
المت بنا بعد الهدو فسامحت ، بوصل متى نطلبه في الجد تمنع
وما برحت حتى مضى الليل فانقضى ، واعجلها داعي الصباح الملمع
وولت كان البين يخلج شخصها ، اوان تولت من حشاي واضلعي
ورب لقاء لم يؤمل وفرقة ، لاسماء لم تحذر ولم تتوقع
اراني لا انفك في كل ليلة ، تعاود فيها المالكية مضجعي
اسر بقرب من مليم مسلم ، واشجى ببين من حبيب مودع
فكائن لنا بعد النوى من تفرق ، تزجيه احلام الكرى وتجمع
وقوله ، واني وان ضنت علي بودها ، لارتاح منها للخيال المؤرق
يعز على الواشين لو يعلمونها ، ليال لنا نزدادها ونلتقي
فكم غلة للشوق اطفات حرها ، بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق
اضم عليه جفن عيني تعلقا ، به عند اجلاء النعاس المرنق ، وقوله
بلى وخيال من اثيلة كلما ، تاوهت من وجد تعرض يطمع
اذا زورة منه تقضت مع الكرى ، تنبهت من وجد له اتفزع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه ، وتسمع اذني رجع ما ليس تسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل ، ترد به نفس اللهيف فترجع ، وقوله
اذا ما الكرى اهدى الي خياله ، شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدي انتباهة ، عددت حبيبا راح مني او غدا
ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا ، نعذب ايقاظا وننعم هجدا ، وقوله
فما نلتقي الا على حلم هاجد ، يحل لنا جدواك وهي حرام
اذا ما تباخلنا النعاس خلتنا ، من الجد ايقاظا ونحن نيام ، وقوله
وليلة هومنا على العيس ارسلت ، بطيف خيال يشبه الحق باطله

فلولا بياض الصبح طال تشبثي ، بعطفي غزال بت وهنا اغازله ،
وقوله ، امنك تاوب الطيف الطروب ، حبيب جاء يهدى من حبيب ،
يخطى رقبة الواشين كرها ، ويبعد مسافة الخرق المجوب ،
يكاذبني واصدقه ودادا ، ومن كلف مصادقة الكذوب ،
وقوله ، ما تقضى لبانة عبد لبنى ، والمعنى بالغانيات معنى ،
هجرتنا يقظى وكادت على مذ ، هبها في الصدود تهجر وسنا ،
بعد لأي وقد تعرض منها ، طائف عرجت على الركب وهنا ،
قال السيد قدس الله روحه وجدت ابا القاسم الحسن بن بشر الامدى
مع ميله الى البحترى وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تاول ما اخذ عليه
من خطاء وزلل يزعم ان البحترى اخطا في قوله ، هجرتنا يقظى وكادت على
مذهبها في الصدود تهجر وسنا ، قال لان خيالها يتمثل له في كل احوالها
يقظان كان او وسنان قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله ،
اردد دونك يقظانا ويأذن لى ، عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا ،
قال والذى اوقع البحترى في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم ،
ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه ، في النوم غير مصرد محسوب ،
وكان الاجود ان يقول ما تمنعى في اليقظة فقد تؤتينه في النوم اى ما
تمنعينه في يقظتى فقد تؤتينه في حال نومى حتى يكون النوم واليقظة منسوبين
اليه لان خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال الا انه يتسع
في التاويل في هذا القيس ما لا يتسع البحترى لان قيسا قال فقد تؤتينه في
النوم ولم يقل تؤتينه نائمة وقد يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعى يقظى وانا
يقظان فقد تؤتينه في النوم اى في نومى ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحترى
لانه قال وسنى ولم يقل في الوسن قال قدس الله روحه وقد يمكن من
التاويل للبحترى ما امكن مثله لقيس لكن الامدى ذهب عن ذلك لان
البحترى لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال
يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة

بالعادة فقوله وسنى ينبئ عن كونه هو ايضا نائما وانما اراد المقابلة في زنة
اللفظ بين يقظى ووسنى وقوله يقظى متى لم يحمل ايضا على هذا المعنى لم
يصح لانه لا بد ان يريد بذلك هجرتنا في حال اليقظة ويكون معنى يقظى مضافا
اليه الا ترى ان الامدى حمل قول قيس بن الخطيم يقظى على معنى وانا يقظان
ولم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحترى وقوله
وسنى ويقظى مثل قول قيس يقظى ولو مكن قيسا وزن الشعر من ان يقول
وسنى في مقابلة يقظى لعله ما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى
الا ما عليه في يقظى وما يتاول له في احد الامرين يتاول له في الآخر قال
قدس الله روحه ولى في الخيال وطروقه معنى ما علمت انه سبق اليه من جملة قصيدة

احوال

وزور تخطى جنوب الملى ، فناديت اهلا بذا الزائر ،
اتانى هدوا وعين الرقيب ، مطروفة بالكرى الغامر ،
فاعجب به يسعف الهاجرين ، ويخرمه مقلة الساهر ،
وعهدى بمو يره عين المحب ، ينم على قلبه الطائر ،
فلما التقينا بزعم الرقاد ، موه قلبى على ناظرى ،
ومعنى البيت الاخير ان الاحلام انما هى اعتقادات تحصل في القلب لا
حقيقة لاكثرها لان الانسان يعتقد انه راء لما يراه على الحقيقة ومدرك
لما ليس بمدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما ان
العين تخيل في كثير من الاحوال للقلب ما لا حقيقة له فاما قول مروان ،
فكانما طرقت بنفحة روضة ، البيت فيشبه ان يكون ماخوذا من قول بشار
ابن حرى ، طرقت اسماء الرحال ودونها ، نجيان من ليل التمام الاسود ،
ومفاوز وصل الفلاة جنوبها ، بجنوب اخرى غيران لم تعقد ،
رمل اذا ايدى الركاب قطعنه ، فرعت مناسمها بقف قردد ،
وكان ريح لطيمة هندية ، وذكى جادى بنضح مجسد ،
وندى خزامى الحوجو سويقة ، طرق الخيال به بعيد المرقد ،
او من قول الآخر ، طرقتك زينب والمزار بعيد ،

يمنى ونحن معرّسون هجود ، فكانما طرقت بريّا روضة
انف يسحّ مزنها ويجود ، وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم
والمتأخر جدا فاما قوله ، بانت تسائل في المنام معرّسا ، البيت والبيتان
اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السرى والادلاج
وشعث السارين فاكثروا فمن احسن ما قيل في ذلك قول لبيد
ومجود من صبابات الكرى ، عاطف النمرق صدق المبتذل
قال هجّدنا فقد طال السرى ، وقدرنا ان خنى الدهر غفل
فتمارس حتى هجته ، بالتباشير من الصبح الاول
يلمس الاحلاس في منزله ، بيديه كاليهودي المصل
يتمارى في الذي قلت له ، ولقد يسمع قولي حيّهل
ومن ذلك قول ذي الرمة ، وليل كاثناء الرويزي جبته
باربعة والشخص في العين واحد ، والرويزي هو الطيلسان وقد روي
ايضا كجلباب العروس ادرعته وكل ذلك وصف له بالسواد لان الطيلسان
اسود وجلباب العروس اخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد
احمّ علافي وابيض صارم ، واعيس مهري واشعث ماجد
اخو شقة جاب الفلاة بنفسه ، على الهول حتى لوحته المطارد
واشعث مثل السيف قد لاح جسمه ، وجيف المهاري والهموم الاباعد
سقاه الكرى كاس النعاس فراسه ، لدين الكرى من آخر الليل ساجد
اخت له صدر المطي فما درى ، اجارة اعناقها ام قواصد
ترى الناشئ الغريد يضحي كانه ، على الرحل مما منّه السير عاصد
ومن ذلك قول ابي حية النميري
واغيد من طول السرى برحت به ، افانين نهاض على الاين مرجم
سريت به حتى اذا ما تمزقت ، توالي الدجى عن واضح اللون معلم
انخنا فلما انجرت في دماغه ، وعينيه كاس النوم قلت له قم
فما قام الا بين ايد تقيمه ، كما عطفت ريح الصبا خوط ساسم

خطا

خطا الكرة مغلوبا كان لسانه ، لما رد من رجع لسان المبلسم
وود بوسطى الخمس منه لواننا ، رحلنا وقلنا في المناخ له نم

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال اي معنى لاختصاص الارض بالذكر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الاولياء عنهم وقد نجد اهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم السمع والابصار واكثرهم كان يسمع باذنه ويرى بعينه الجواب قلنا اما الوجه في اختصاص الارض بالذكر فلان عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق فالوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ اليه الخائف المطلوب فكانه تعالى نفى ان يكون لهولاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الارض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد ايقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من افعال البشر ولان معاقل الارض هي التي يهرب اليها البشر من المكاره ويلجؤن الى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى ان يكون لهم في الارض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه فاما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من اولياء فمعناه انه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد ايضا ايقاعه بهم في الدنيا وان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن ارادهم بسوء وقد يجوز ان يكون ذلك ايضا بمعنى الامر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم ان يتخذوا اولياء من دون الله بل الواجب ان يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ففيه وجوه احدها ان يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا للحق وذهابا عن سبيله فاسقطت الباء من

الكلام وذلك جائز كما جاز في قولهم لاجزينك بما عملت ولاجزينك ما عملت ولاحدثنك بما عملت ولاحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر

تغالي اللحم للاضياف نياً ، ونبذله اذا نضج القدور

فاراد تغالي باللحم والوجه الثاني انه لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهتهم تذكرها وتدبرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان ان ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر ان يكلمه وكما تقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما تستطيع ان تسمع للحق وما تطيق ان يذكر لك وكما قال الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل ، وهل تطيق وداعا ايها الرجل

ونحن نعلم انه قادر على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال ومعنى وما كانوا يبصرون اي ان ابصارهم لم يكن نافعا لهم ولا مجديا عليهم مع الاعراض عن تامل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الابصار جاز ان ينفي عنهم الابصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تامله ما لك لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل وما اشبه ذلك والوجه الثالث ان يكون معنى نفي السمع والبصر راجعا الى آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام اولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه وفيه ادنى بعد ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان تكون ما في قوله ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ما لاح نجم ولاقيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اي انهم معذبون ما كانوا احياء فان قيل كيف يعبر عن كونهم احياء باستطاعة السمع والابصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك قلنا للعرب في هذا عادة لانهم يقولون والله لا كلمت فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الاغلب في احوال الحي ان تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الاغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وما

وما انس من شيء تقادم عهده ، فلست بناس ما هدت قدمي نعلي

عشية قالت والدموع بعينها ، هنيئا لقلب عنك لم يسله مسلي

وانما اراد اني لا انسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع ان يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم احياء والمرجع في ذلك الى التابيد لانه اذا علق العذاب ببقائهم وحياتهم وعلمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة علمنا تابيد العذاب ونعود الى ما كنا شرعنا من الكلام على شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة التي اولها قد مضى وتكلمنا عليها

وضعوا الخدود لدى سواهم جنح ، تشكو كلوم صفاحها وكلالها

طلبت امير المؤمنين فواصلت ، بعد السرى بغدوها آصالها

نزعت اليك صواديا فتقاذفت ، تطوي الفلاة حزونها ورمالها

يتبعن ناجية يهز مراحها ، بعد النحول تليلها وقذالها

هوجاء تدرع الربى وتشقها ، شق الشموس اذا تراع جلالها

تنجو اذا رفع القطيع كما نجت ، خرجاء بادر ذو الظلام رئالها

كالقوس ساهمة اتتك وقد ترى ، كالبرج تملأ رحلها وحبالها

هذه الابيات في وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة اللفظ مطردة النسج وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الاخطل

بخوص كاعطال القسي تقلقلت ، اجنتها من شقة ودؤوب

اذا معجل غادرنه عند منزل ، اتيح لجواب الفلاة كسوب

المعجل الملقي من الاجنة لغير تمام وجواب الفلاة الذئب

وهن بنا عوج كان عيونها ، بقايا قلات قلصت لنضوب

مسانيف تطويها مع القيظ والسرى ، تكاليف طلاع النجاد ركوب

قديم ترى الاصواء فيها كانها ، رجال قيام عصبوا بسبوب

تعوم بنا عوم السفين اذا انجلت ، سحابة وضاح السراب خبوب

وقال مسلم بن الوليد الانصاري الى الامام تهادانا باذرعها

خلق من الريح في اشباح ظلمان ، كان افلاتها والفجر باخذها
افلاة صادرة من قوس حسبان ، وقال بشار ،
واذا المطى سبحن في اعطافه ، فات المطي بكاهل وتليل
فكانه والناعجات يردنه ، قدح تطلع من قداح بخيل
ولبعض الحارثيين ، نهس الهواجر والظها ترلحمها
حتى تجدد لحمها المتطاير ، حرف تناهبها النجاء فلا يصن
مما تخل شدقم او داعر ، صبرا اذا اعطفت سوالفها البرى
سمعت لهن كشاكش وجراجر ، ويحلن من عز النفوس حدها
جنا وهن اذا اختبرن اباعر ، اما اذا ما اقبلت فكانها
ذعرتها دتها الفلاة نوافر ، اما اذا ما اعرضت فكانها
كدر توردن النطاف صوادر ، اما اذا ما ابركت فكانها
صرح مشيد وهن ضوامر ، قال السيد قدس الله روحه واني
لاستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف ناقة بالسرعة ،
كان يديها اذا ارقلت ، وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا سابح خر في غمرة ، وقد شادف الموت الا قليلا
اذا اقبلت قلت مشحونة ، اطاعت لها الريح قلعا جفولا
وان ادبرت قلت مذعورة ، من الربد تتبع هيقا ذمولا ،
ومعنى قوله وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يعني المطايا يقول كن نشيطات
بمرحن ويجرن فلا يلزمن لقم الطريق بل ياخذن يمينا وشمالا فلما ضمهن
الكلال استقمن على المحجة فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي
وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة
مليحة ومثله قول الآخر ، كان يديها حين جد نجاؤها ،
يدا سابح في غمرة يتدرع ، ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ
كان ذراعيها ذراعا مدلة ، بعيد السباب حاولت ان تعذرا ،
مجدة الاعراق قال ابن ضرة ، عليها كلاما جار فيه واهجرا ،

شبه ذراعيها وهي تتدرع في سيرها بذراعي امراة مدلة على اهلها
مبراة ساحتها وقد حكى ضرتها ابن ضرتها كلاما اهجر فيه اي افحش فهي ترفع
يديها وتضعها تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها وقد قيل ان معنى مدلة
انها تدل بحسن ذراعيها فهي تديم اظهارها ليرى حسنها وقوله بعيد
السباب اي في عقيب المسابة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد
الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي اقوم بحجتها من
الحدثة الغرة ويشهد لهذه الرواية الاخيرة قول الآخر ،
كان يديها حين يقلق ضفرها ، يدا نصف غيري تعذر من جرم ،
وقوله حين يقلق ضفرها فيه سر وفائدة لان الضفر هو الانساع وانما
تقلق اذا اجهدها السير فضمرت فكانه وصفها بالتدرع والنشاط مع
الجهد والكلال ومثله ، كان ذراعيها ذراعا بدية ،
مفجعة لاقت لاقت ضرائر من عفر ، سمعن لها واستعجلت بكلامها ،
فلا شئ يفري باليدين كما تفري ، ويقاربه قول الآخر ،
الاهل تبلغنيهم على النأي والظنة ، وآلة لحصى المعزاء في اخفافها رنه
اذا ما عسفت قلت حاة فاصبحت كنة ، وممن شبه سرعة ايدي الابل
بايدي النوائح كعب بن زهير فقال ، كان اوب ذراعيها اذا عرقت ،
وقد تلفع بالقور العساقيل ، وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ،
ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا ، شد النهار ذراعا عيطل نصف ،
قامت يجاوبها نكد مثاكيل ، نواحة رخوة الضبعين ليس لها ،
لما نعى بكرها الناعون معقول ، العساقيل اوائل السراب ولا واحد
لها من لفظها واخبر ان ناقته من شدة الحر واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها
وتتدرع بيديها فشبه ذراعيها بذراعي امراة نصف تنوح على ابنها وقد
نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما والعيطل الطويلة العنق وجعلها
نصفا لانها قد كادت تياس من الولد فهي اشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه
والقور جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل واراد ان يقول كما

فجاوبها

تلفعت القور بالعسا قبل فلم يمكنه فقلب ومثله

وكانما رفعت يدى نواحة ، شمطاء قامت غير ذات خمار

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من الياس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء لم يترك شقاها ، لها من تسعة الا جنينا ، وقد بين

فى بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطاء لما على راسها من اللغام ومثل ما

تقدم من المعانى قول الشاعر ، يا ليت شعرى والمنى لا تنفع

هل اغدون يوما وامرى مجمع ، وتحت رحلى زفيان ميلع

كانه نائحة تفجع ، تبكى لميت وسواها الموجع

الزفيان الناقة الخفيفة والميلع السريعة وشبه رجع يديها فى السير

لنشاطها بيدى نائحة تنوح على ميتهم باجرة فهى تزيد فى الاشادة بيديها

ليرى مكانها ومثله بعينه قول ذى الرمة ، محانيق تضحى وهى عوج كانها

تجوز الفلا مستاجرات نوائح ، المحانيق اللوانى ضمرت بعد سمن

وخص المستاجرات من النوائح للمعنى الذى ذكرناه وقال الشماخ فيما

يقارب هذا المعنى من وصف السرعة ، كان اوب يديها حين اعجلها

اوب المراح وقد نادوا بترحال ، مقط الكرين على مكنوسة زلق

فى ظهر حنانة البيرين مغوال ، معنى اوب ذراعيها اى رجعها

واوب المراح اذا اراح القوم عازب اموالهم ليرحلوا وقد روى اوب

المراح بالكسر ومعناه رجع المراح والنشاط والمقط اللعب بالكرة والكرين

جمع كرة والمكنوسة الارض البراح التى لا شئ فيها والزلق المستوية من

الارض والحنانة الريح والبيران جانبا هذه الارض ومغوال قيل انه

من صفات الريح وقيل من صفات الارض فان كان للريح فمعناه ان الريح

تغول الارض باسرها اى تملاها واذا كان للارض فالمعنى انها تغول من

سلكها اى تهلكه وتلخيص معنى البيت انه شبه يدى ناقته بيدى ضارب

بكرة فى الارض الواسعة فى يوم عاصف وهذا من دقيق المعانى وحسن

التشبيه والمبالغة ومثل بيتى الشماخ قول المسيب بن علس

مرحت

مرحت يداها للنجا كانما ، تكرو بكفى ماقط فى قاع

فعل السريعة بادرت جدادها ، قبل المساء تهم بالاسراع

معنى تكرو اى كانها لاعب بكرة والسريعة يعنى نساجة والجداد الغزل

الضعيف فاراد انها تسرع الضرب بالحف والنسج قبل المساء وما دامت

تبصر فشبه يدى ناقته فى تدرعها بيدى هذه الناسجة قال الاصمعى الجداد

هدب الثوب فيعنى ان هذه الناسجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت

الى هدبه فهى تبادر لتفرغ منه قبل المساء وقريب منه قول الاخر

كان ايديهن بالقاع القرق ، ايدى جوار يتعاطين الورق

القرق الخشن الذى فيه الحصى وشبه حذف مناسمهن بحذف جوار

يلعبن بدراهم وخص الجوارى لانهن اخف يدا من النساء وقال اخرون

القرق ههنا المستوى من الارض الواسع وانما خص بالوصف لان ايدى

الابل اذا اسرعت فى المستوى فهو احمد لها واذا ابطات فى حزم فهو احمد

لها ومن احسن ما قيل فى الاسراع قول المرار بن سعيد

فتنا ولو اشعب الرحال تخلصت ، سود البطون كفضلة المتمنس

ذكر قوما سفرا هبوا من رقدتهم الى رحالهم للسير واو يعنى بسود البطون

الابل والمتمنس الصائد الذى قد اتخذ ناموسا وهو ما يستر به ليختل الصيد

فشبه المطايا فى سرعتها بقطا قد صاد الصائد بعضها وافلت بعضها فهن

يطرن طيرانا شديدا ومثل هذا وان كان فى وصف الخيل قول النابغة

كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد ، فاما قول مروان يهز مراحها

بعد النحول تليلها وقذالها ، فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد

السامة والجهد ما مضى واحسن من قول مروان واشد افصاحا بالمعنى

واعرابا عنه قول الهذلى ، ومن سيرها العنق المسبطر

والعجرفية بعد الكلال ، وانما كان هذا احسن لانه صرح بنشاطها

بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجرى هذا المجرى لان النحول قد

يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره فاما قوله كالقوس ساهمة

كانما

اتئد فقد اكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها
وقد احسن كثير في قوله ، نفى السير عنها كل داء اقامة ،
، فهن رذايا في الطريق تركنه ، وحملت الحاجات خوصا كانها ،
، وقد ضمرت صفر القسي العوائك ، وقال سلم بن عمرو الخاسر ،
، وكانهن من الكلال اهلة ، او مثلهن عطائف الاقواس ،
، قود طواها ما طوت من همه ، نائي الصوى ومناهج ادراس ،
وقال ابو تمام يصف ناقته ، اتينا القادسية وهي تنزو ،
، الى بعين شيطان رجيم ، فما بلغت بنا عسفان حتى ،
، رنت بلحاظ لقمان الحكيم ، وبدلها السرى بالجهل حلما ،
، وقد اذيبها قد الاديم ، اذاب سنامها قطع الفيافي ،
، ومزق جلدها نفخ العصيم ، بدت كالبدر وافى ليل سعد ،
، وآبت مثل عرجون قديم ، وقال البحتري ،
، وخدان القلاص حولا اذا ما ، بلين حولا من نجم الاسحار ،
، يترقرقن كالسراب وقد خضن غمارا من السراب الجاري ،
، كالقسي المعطلات بل الاسهم مبرية بل الاوتار ، وله
ايضا وهي العيس دهرها في ارتحال ، من حلول او فرقة من جميع ،
، دب غربت مرت تجاذب قطرية سرابا كالمنهل المشروع ،
، وسرى ننتحيه بالوخد حتى ، نصدع الليل عن بياض صديع ،
، كالبرى في البرى وتحسب احيانا نسوعا مجدولة في نسوع ،
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي الآية فقال اضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن
الجوارح الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون قوله لما خلقت
بيدي جاريا مجرى قوله تعالى لما خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب
يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك واذا ارادوا
نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان

لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون
للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها
ان يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات لفظة
اليد النعمة واما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد به نعمة الدنيا ونعمة
الآخرة فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت لنعمتي واراد بالباء اللام
وثالثها ان يكون معنى اليد ههنا القدرة وذلك ايضا من محتملات اللفظة
معروف يقول القائل ما لي بهذا الامر يد ولا يدان وما جرى مجرى ذلك
انني لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة
بل اثبات كون القادر قادرا ونفي كونه قادرا فكانه تعالى قال ما منعك ان
تسجد لما خلقت وانا قادر على خلقه فعبر عن كونه قادرا بلفظ اليد الذي
هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تاويل الآية ونعود الى ما كنا
ابتدانا من الكلام على شعر مروان في قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليها قوله
، احيا امير المومنين محمد ، سنن النبي حرامها وحلالها ،
، ملك تفرع نبعة من هاشم ، مد الاله على الانام ظلالها ،
، جبل لامته تلوذ بركنه ، رادى جبال عدوها فازالها ،
، لم تغشها مما تخاف عظيمة ، الا اجال لها الامور مجالها ،
، حتى يفرجها اغر مبارك ، يلقى اباه مفرجا امثالها ،
، ثبت على زلل الحوادث راكب ، من صرفهن لكل حال حالها ،
، كلتا يديك جعلت فضل نوالها ، في المسلمين وفي العدو وبالها ،
، وقعت مواقعها بعفوك انفس ، اذهبت بعد مخافة اوجالها ،
، آمنت غير معاقب طرادها ، وفككت من اسرائها اغلالها ،
، ونصبت نفسك خير نفس دونها ، وجعلت مالك واقيا اموالها ،
اما قوله احيا امير المومنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها فقد عابه
عليه بعض من لا معرفة عنده بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي حرام
وما ذاك بعيب لانه اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل من سنته

صلى الله عليه وآله تحريم الحرام وتحليل الحلال وانما المعيب من هذا المعنى
قول ابن الرقاع العاملي، ولقد اراد الله اذ ولاكها، من امة اصلاحها وفسادها
ومثل قول مروان قول سلم الخاسر، ولما وليت ذكرت النبي بتحليله وتحريمه،
فاما قوله حتى يفرجها اغر مبارك البيت فكثير للمتقدمين والمحدثين والاصل
فيه قول زهير، وماكان من خير اتوه فانما، توارثه آباء آبائهم قبل،
وهل ينبت الخطي الا وشيجه، وتغرس الا في منابتها النخل، ومثله لابي
وحمزة والعباس منهم ومنهم، عقيل وما له الجود من حيث يعصر،
ومثله للربيع بن ابي الحقيق اليهودي، اذا مات منا سيد قام بعده،
له خلف يكفي السيادة بارع، من ابنائه والعرق ينضر فرعه،
على اصله والعرق للعرق نازع، ومثله له، ترجوا الغلام وقد اعياك والده،
وفي ارومته ما ينبت العود، واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال
تجري اصاغرهم مجرى اكابرهم، وفي ارومته ما ينبت الشجر،
ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات،
يخلف البيض من بنيك كما، يخلف عود النضار في شعبه،
ومثله قول نهشل بن حري، ارى كل عود ناميا في ارومة،
ابى نبت العيدان ان يتغيرا، بنو الصالحين الصالحون ومن يكن،
لآباء صدق يلقهم حيث سيرا، ومثله لمسلم بن الوليد الانصاري،
الح على الايام يفري خطوبها، على منهج الفى اباه به قبل،
ولبشار، على اعراقها تجري الجياد، ومثله، وما في من خير وشر فانها،
سجية آبائي وفعل جدودي، هم القوم فرعي منهم متفرع،
وعودهم عند الحوادث عودي، وللبحتري، واذا ابو الفضل استعار سجية،
للمكرمات فمن ابي يعقوب، شرف تتابع كابرا عن كابر،
كالرمح انبوبا على انبوب، وارى النجابة لا يكون تمامها،
لنجيب قوم ليس بابن نجيب، وله ايضا، ماسعوا يخلفون غير ابيهم
كل ساع منا يريد نصابه، وله ايضا، وما تابع في المجد نهج عدوه

كتبيع في المجد نهج ابيه، وفي هذه القصيدة يقول مروان،
هل تعلمون خليفة من قبله، اجرى لغايته التي اجرى لها،
طلع الدروب مشمرا عن ساقه، بالخيل منصلتا بحد نعالها،
فوداتريع الى اغر لوجهه، نور يضيء امامها وخلالها،
قصرت حمائله عليه فقلصت، ولقد تحفظ قينها فاطالها،
حتى اذا وردت اوائل خيله، جيحان بث على العدو رعالها،
احمى بلاد المسلمين عليهم، واباح سهل بلادهم وجبالها،
ادمت دوابر خيله وشكيمها، غاراتهن والحقت آطالها،
لم تبق بعد مقادها وطرادها، الا تحاززها والا آلها،
رفع الخليفة ناظري وراشني، بيد مباركة شكرت نوالها،
وحبيت حتى قيل اصبح باغيا، في المشي مترف شيمة مختالها،
ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى، نعلا ورثت عن النبي مثالها،
اما قوله قصرت حمائله فالاصل فيه قول عنترة،
بطل كان ثيابه في سرحة، يحذى نعال السبت ليس بتوام، او قول الاعشى
الى ماجد كهلال السما، ازكى وفاء ومجدا وخيرا،
طويل النجاد رفيع العماد، يحمي المضاف ويغني الفقيرا، ومثله
طويل نجاد السيف عار جبينه، كنصل اليماني اخلصته صياقله،
اذا هم بالمعروف لم تجر طيره، نحوسا ولم تسبق يداه عواذله، ندا ه
ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي، واشعث طلاع الثنايا مبارك،
يطول نجاد السيف وهو طويل، ولابي الجويرية العبدي،
يمد نجاد السيف حتى كانه، باعلى سنامي فالج يتطوح،
اذا اهتز في البرد اليماني خلته، هلالا بدا في جانب الافق يلمح،
ولابي عطاء السندي، واذهم من بني عمرو بن عمرو،
حمائله وان طالت قصار، ولبعضهم في آل المهلب،
رايتكم اعز الناس جارا، وامنعهم اذا عقدوا ذمارا

حمايلكم وان كانت طوالا ، تراها عن شمائلكم قصارا ، ولبعض
بني العنبر في معنى الطول ، فجاءت به عَبْلَ العظام كانما
عمامته بين الرجال لواء ، وللآخر ، اشم طويل الساعدين كانما
تناط الى الجذع طويل حمائله ، ولابن هرمة ، تناط حمائل الهندي منه
بعاتق لا الفُّ ولا ضئيل ، ولكن تستقل به قواه
على ماض بقائمه نبيل ، ولسلم الخاسر ، يقوم مع الرمح الرديني قائما
ويقصر عنه طول كل نجاد ، وللخثعمي ، يوازي الرديني في طوله
ويقصر عنه نجاد الحسام ، وللوالبي ، طول وطول فتى كفه
تهلّ بالطول انهلال الغمام ، وطوله يغناك يوم الوغى
وغيره فضل نجاد الحسام ، فاما قوله ، ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى
نعلا وزنت عن النبي مثالها ، فقد ردده مروان معناه في مواضع من شعره فقال
شبيه ابيه منظرا وخليقة ، كما حذيت يوما على اختها النعل ، وقال في
موضع آخر ، احيا الناس لنبي سميه ، قد الشراك به قرنت شراكا
وقال ايضا ، صحيح الضمير سريرته مثل جهره ، قياس الشراك بالشراك تقابله
وقال ايضا ، تشابهتما حلما وعدلا ونائلا ، وحزما اذا الامر الجسام واقعدا
تنازعتما نفسين هذي كهذه ، على اصل عرق كان فخر مشيدا
كما قاس نعلا حضرمي قدّها ، على اختها لم يال ان يجودا
واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال ، تنازع الاحمدان الشبه فاتفقا
خلقا وخلقا كما قُدَّ الشراكان ، والاصل في هذا المعنى قول ابي ربيعة
فلما توافقنا عرفت الذي بها ، كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
ومثله للسيد محمد الحميري ، يتلون اخلاق النبي وفعله
كالنعل تشبه في المثال طرائقها ، وقد تقدم هذا المعنى يزيد بن المكسر
ابن ثعلبة بن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال
انا ابن سيار على شكيمه ، مثل الشراك قدّ من اديمه
وكلهم يجري على قديمه ، فاما قوله ، وحسدت حتى قيل اصبح باغيا

البيت ففي معناه قول البحتري ، ألِنْتَ لي الايام من بعد قسوة
وعاتبت لي دهري المسيء فاعتبا ، والبستني النعمى التي غيرت اخي
عليّ فامسى نازح الود اجنبا ، ومما يختار لمروان قوله
موفق لسبيل الرشد متبع ، يزينه كل ما ياتي ويجتنب
تسمو العيون اليه كلما انفرجت ، للناس عن وجهه الابواب والحجب
له خلائق بيض لا يغيرها ، صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب
ووجدت بعض من ينتقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير
هذا البيت الاخير من الثلاثة ابيات وكان ابن مناذر اياه اراد بقوله وقد
سال وهو مجاور بمكة عمن ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الاحنف
فقال انشدوني له فانشدوه ، لو كنت عاتبة لسكن عبرتي
املي رضاك وزرت غير مراقب ، لكن مللت فلم تكن لي حيلة
صدّ الملول خلاف صد العاتب ، فقال ابن مناذر اخلق بمن ادام بحث
التراب ان يصيب حوزة قال السيد قدس الله روحه ولا شك في قلة الامثال
في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذي تضمنه البيت قد
سبق ايضا اليه قال طريح بن اسمعيل ، جواد اذا جئته راجيا
كفاك السؤال وان عدت عادا ، خلائقه كسبيك النضار
لا يجعل الدهر فيها فسادا ، ومثله للخزيمي
راتك يا زيد زيد الندى ، وزيد الفخار وزيد الكرم
تزيد على نائبات الخطوب ، بذلا وفي سابغات النعم
كذا الطهر والذهب المعدني ، يجود هذا وذاك العدم ، وفي
قوله الذهب المعدني فائدة لانه اذا اخلص الذهب وصفا لم يفسد واذا
امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه ومثله للاموي ، ياوي الى خلق لم يصدأ طبع
كان جوهره من جوهر الذهب ، ولبعضهم ، ملك له خلق خليق بالعلى
كسبيكة الذهب التي لا تكلف ، وقد اخذ الخبزارزي هذا المعنى في قوله
فلا تعن لتحذيف تكلفه ، لصورة حسنها الاصلي يكفيها

ان الدنانير لا تجلى وان عتقت ، ولا تزاد على النقش الذي فيها ، ولحفظه

مثله ، صديق لي له ادب ، صداقة مثله حسب ،

دعالي فوق ما يُرعى ، واوجب فوق ما يجب ،

ولو نُقِدت خلائقه ، لبهرج عندها الذهب ،

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جميع وما معنى مسحور وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بانه ساحر الجواب قلنا اما قوله تعالى واذهم نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمونث وهو مقر على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعني بصوم صايمون وبحمد محمودة وقد قال قوم ان معناه واذهم اصحاب نجوى فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجو والقوم انجية فمن وحد بنى على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقا برغيف وارغفة وما اشبه ذلك وقد قال الشاعر في التوحيد ،

اتاني نجيّ بعد هدءٍ ورقدةٍ ، ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ،

وانشد الفراء في الجمع ، ظلت نساؤهم والقوم انجية ،

يعدى عليها كما يعدى على الغنم ، فاما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه اولها ان يكون المراد ان تتبعون الا رجلا مسحورا متغير العقل لان المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله وتضعيف امره وتوهين رايه فكانوا في وقت ينسبونه الى انه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر حوشي من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضيفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور وثانيها ان يريد وابا المسحر المخدع المعلل لان ذلك احد ما تستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ القيس ،

ارانا موضعين لحتم غيب ، ونسحر بالطعام وبالشراب ،

وقال امية بن ابي الصلت ، فان تسالينا فيم نحن فاننا ،

عصافير من هذا الانام المسحر ، وثالثها ان السحر في لغة العرب الرئة وما تعلق بها وفيها ثلاث لغات سَحر وسُحر وسَحَر وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمرئ من اعلى الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا ان تتبعون الا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها ان يكون معنى مسحورا اي ساحر وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا اي ساترا والعرب تقول للعسر مُلفَج لان ماضيه الفج فجا وا بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشوم على فلان وميمون وهم يريدون شائم له ويامن لانه من شامهم ويمنهم قال السيد قدس الله روحه ورايت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الاخير فيقول العرب لا تعرف فلان مشوم على فلان وانما هذا من كلام اهل الامصار وانما تسمي العرب من لحقه الشوم مشوما قال علقمة بن عبدة ، ومن تعرض للغربان يزجرها

على سلامته لابد مشوم ، والوجوه الثلاثة الاول اشبه واوضح ومما يختار لمروان بن ابي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني اولها ، ازى القلب اسى بالاوانس مولعا ، وان كان من عهد الصبا قد تمتعا يقول فيها ، ولما رايت الهم الغريب قربته ، قرى من ازال الشك عنه وازمعا ،

عزمت فعجلت الرحيل ولم اكن ، كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعا ،

فامت ركابي ارض معن ولم تزل ، الى ارض معن حيث ما كان نزعا ،

نجائب لولا انها سخرت لنا ، اَبَت عزة من جهلها ان توزعا ،

كسونا رحال الميس منها غواربا ، تدارك فيها التي صيفا ومربعا ،

فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ، ذراها وزال الجهل عنها واقلعا يقول

فيها وما الغيث اذ عم البلاد بصوبه ، على الناس من معروف معن باوسعا ،

تدارك معن قبة الدين بعد ما ، خشينا على اوتادها ان تنزعا ،

، اقام على الثغر المخوف وهاشم ، تساقى سماما بالاسنة منقعا ،
، مقام امرئ يابى سوى الخطة التى ، تكون لدى غب الاحاديث انفعا ،
، وما اجم الاعداء عنك بقية ، عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا ،
، راوا مخدرا قد جربوه وعاينوا ، لدى غيله منهم مجرا ومصرعا ،
، وليس بثانيه اذا امتد ان يرى ، لدى نحره ذرق الاسنة شرعا ،
، له راحتان الحتف والغيث فيهما ، ابى الله الا ان تضر وتنفعا ،
، لقد دوخ الاعداء معن فاصبحوا ، وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا ،
، نجيب مناجيب وسيد سادة ، ذرى المجد من فرعى نزار تفرعا ،
، لبانت خصال الخير فيه واكملت ، وما كملت خمسا سنوه واربعا ،
، لقد اصبحت فى كل شرق ومغرب ، بسيفك اعناق المريبين خضعا ،
، وطئت خدود الحضرميين وطاة ، لها هد ركنا عزهم فتضعضعا ،
، فاقعوا على الاذناب اقعاء معشر ، يرون لزوم السلم ابقى واودعا ،
، فلو مدت الايدى الى الحرب كلها ، لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا ، اما
قوله فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ، ذراها فزال الجهل عنه واقلعا ،
فقد ردده فى موضع آخر فقال ، فما بلغت حتى حماها كلالها ،
، اذا عريت اصلابها ان تقيدا ، وهذا المعنى كثير فى الشعر القديم
والمحدث فمنه قول جرير ، اذا بلغوا المنازل لم تقيد ،
، وفى طول الكلال لها قيود ، وروى انه قيل لنصيب ان بيت
نازعك فيه جرير الخيار فيه اشعر قال فما هو فقيل قولك ،
، اضر بها التهجير حتى كانها ، بقايا سلال لم يدعها سلالها
وانشد بيت جرير الذى تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفى فقيل له قد فضله
عليك فقال هو ذاك واخذ هذا المعنى المؤمل بن اميل المحاربى فقال
، كانت تقيد حين تنزل منزلا ، فاليوم صار لها الكلال قيودا
ولابى نخيلة ، قيدها الجهد ولم تقيد ، فهى سوام كالقنى المسند ،
، وما لها معقل من مزود ، منها ولا من شاحط مستبعد ،

ومعنى

ومعنى قوله سوام اى هى رافعة رؤسها وشبهها بالقنى لان القنى اذا
ركزت مال قليلا مع الريح فيقول فى اعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ
، فاضحت تغالى بالستار كانها ، رماح نحاها وجهة الريح راكز ،
، وكما قال حميد بن ثور ، بمثوى حرام والمطى كانه ،
، قنى مسند هبت لهن خريق ، والخريق ريح شديدة تنخرق من كل وجهة
ومعنى قول ابى نخيلة من مزود اى من ثميلة تجترها من الاجترار واراد
انه لا شئ فى اجوافها تتعلل به والمستبعد ما ابعد عن المرعى وانشد ابو العباس
ثعلب ، اذا بلغوا المنازل لم تقيد ، ركابهم ولم تشدد بعقل ،
، فهن مقيدات مطلقات ، تقضم ما تشذب فى المحل ، والاصل
فى هذا قول امرئ القيس ، مطوت بهم حتى تكل مطيهم ،
، وحتى الجياد ما يقدن بارسان ، ولعباد بن انف الكلب الصيداوى
، فتمسى لا اقيدها بحبل ، بها طول الضراوة والكلال ،
ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل ،
، بدانا بها من سيف رمل كهيلة ، وفيها نشاط من مراح وعجرف ،
، فما بلغت حتى تقارب خطوها ، وبادت ذراها والمناسم رعف ،
، وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت ، اذا ما انيخت والمدامع ذرف ،
، وحتى مشى الحادى البطئ يسوقها ، لها بخص دام ودام مجلف ،
البخص لحم الخف الذى تطا عليه والدامى عقار الظهر والجلف المقشور
، وحتى بعثناها وما فى يد لها ، اذا حل عنها رمة وهى رسف ،
الرمة الحبل واراد انها ترسف كما يرسف المقيد وان لم يكن فى يدها
قيد ، اذا ما نزلنا قالت عن ظهورها ، جراجيح امثال الاهلة شسف
الجراجيح الطوال من الابل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى
قالها للغربان انها اذا عريت ظهورها تقع الغربان عليها لتاكل دبرها
فالابل تدفع الغربان بافواهها عن ظهورها وذلك قالها ،
، اذا ما اربناها الازمة اقبلت ، الينا بحرات الخدود تصدف ،

كأنّ فنيق راح الذاعرية خوضها ، بنا الليل إذ نام الدثور الملفف ،
ومن أحسن ما قيل في وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر
وذات مآتين قد غيضت جمّها ، بحيث تمسك الأدواح بالحجر ،
ردت تعوادي غيطان الفلا وبحت ، بمثل أبابيل منحائل العشر ،
قوله ذات مآتين يعني سمنا على سمن وقيل بل عنى أنها دعت كلا عامين وقوله
قد غيضت جمها يعني أنه أتعبها بالسير حتى ردها هزيلا بعد سمن فكأنه
غيض بذلك ماءها ومعنى بحيث تمسك الأدواح بالحجر يعني الفلاة حيث
لا يكون الماء فيقتسم الركب الماء الذي معهم بالحجر الذي يقال له المقلة
فيمسك أرماقهم وقوله ردت عوادي غيطان الفلا أي ما رعت من كلا هذه
الأماكن وسمنت عنه كان كعادية عندها فردته حيث جهدها السير وهزلها
وكالأبابيل الحزمة من الحطب اليابس وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال
رعته الفيافي بعد ما كان حقبة ، رعاها وماء المزن ينهل ساكبه ،
فكم جزع واد جبّ ذروة غارب ، ومن قبل كانت أسكنته مذانبه ،
فأما قوله فما أحجم الأعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا ؛
فمأخوذ من قول الآخر ، فما بقيا علي تركتماني ، ولكن خفتما صرد النبال
وقريب منه قول الآخر ، لعمرك ما الناس أثنوا عليك ،
ولا قرظوا ولا عظموا ، ولو أنهم وجدوا مطعنا ، إلى أن يعيبوك ما أجمعوا
فأنت بفضلك ألجأتهم ، إلى أن يجلّوا وأن يعظموا ، ومثله
أما لو رأى فيك العدو نقيصة ، لحبّ بتعريف العيوب وأوضعا ،
ولكنه لما رآك مبرّأ ، من العيب غطّى رأسه وتقنّعا ، ومثله
قد طلب العاذل عيبا فما ، أصاب عيبا فانثنى عاذرا ،
وللبحتري في معنى قول مروان فما أحجم الأعداء عنك بقية من قصيدة
يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد ،
غداة لقيت الليث والليث خادر ، يحدّد نابا للقاء ومخلبا ،
شهدت لقد أنصفته يوم تنبري ، له مصلتا عضبا من البيض مقضبا ،

فلم

فلم أر ضرغامين أصدق منكما ، عراكا إذا الهيّابة النكس كذّبا ،
هزبر مشى يبغي هزبرا وأغلب ، من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا ،
أدلّ بشغب ثم هالته صولة ، رآك لها أمضى جنانا وأشغبا ،
فأحجم لمّا لم يجد فيك مطمعا ، وأقدم لمّا لم يجد عنك مهربا ،
فلم يغنه أن كرّ نحوك مقبلا ، ولم ينجه أن حاد عنك منكّبا ،
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ، ولا يدك ارتدّت ولا حدّه نبا ،
وكنت متى تجمع يمينك تهتك الـ ، ـضريبة أو لا تبق للسيف مضربا ،
ومن صافي كلام مروان ورائقه ومما اجتمع له فيه جودة المعنى
واللفظ واطّراد النسج قوله ، بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ،
أسود لها في غيل خفّان أشبل ، هم يمنعون الجار حتى كأنما ،
لجارهم بين السماكين منزل ، لهاميم في الإسلام سادوا ولم يكن ، سادات كبار
كأوّلهم في الجاهلية أوّل ، هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ،
أجابوا وإن أعطوا أطالوا وأجزلوا ، وما يستطيع الفاعلون فعالهم ،
وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا ، ثلاث بأمثال الجبال حباهم ،
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل ، ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنا
ما من عدو يرى معنا بساحته ، إلا يظن المنايا تسبق العددا ،
يلقى إذا الخيل لم تقدم فوارسها ، كالليث يزداد إقداما إذا زجرا ،
أغرّ يحسب يوم الروع ذا لبد ، وزدّا ويحسب فوق المنبر القمرا ،
وله من قصيدة يصف يوما حارا ، ويوم عسول الآل حام كأنما ،
لظى شمسه مشبوب نار تلهّب ، نصبنا له منا الوجوه وكنّها ،
عصائب أسمال بها نتعصّب ، ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى
ويوم من الشعرى يذوب لعابه ، أفاعيه في رمضائه تتململ ،
نصبت له وجهي ولا كنّ دونه ، ولا ستر إلا الأتحميّ المرعبل ،
وله أيضا من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر نخلها وشجرها
أجاد فيها ، نواضر غلبا قد تدانت رؤوسها ، من النبت حتى ما يطير غرابها ،

تری الباسقات الغم فیها کانها ، ظعائن مضروب علیها قبابها

تری مابها سهلا لکل مدقع ، اذا اینعت تحل فاغلق بابها

یکون لنا ما یجتنی من ثمارها ، ربیعا اذا الآفاق قل سحابها

حظائر لم یخلط باثمانها الربی ، ولم یک من اخذ الدیات اکتسابها

ولکن عطاء الله من کل مدحة ، جزیل من المستخلفین ثوابها

ومن رکضنا الخیل فی کل غارة ، حلال بارض المشرکین نهابها

حوت غنمها آباؤنا وجدودنا ، بصم العوالی والدماء خضابها

اما قوله حظائر لم یخلط باثمانها الربی ، ولم یک من اخذ الدیات اکتسابها

فکان ابن المعتز نظر الیه فی قوله ، لنا ابل ما وفرتها دماؤنا

ولا ذعرتها فی الصباح المسارح ، وفی ضد هذا قول ابی تمام

کثرت فیهم المواشی الا ، الا انها من مناکح ودیات

ومثل الاول قول حسان یهجو قوما من قریش ، وما لکم لا من طراد فوارس

ولکن من الترقیح یا آل نمالک مجلس آخر تاویل آیة ان سال سائل

عن قوله تعا کل شیء هالک الا وجهه وقوله تعا انما نطعمکم لوجه الله وقوله

ویبقی وجه ربک وما شاکل ذلک من الآی المتضمنة لذکر الوجه الجواب

قلنا الوجه ینقسم فی اللغة العربیة الی اقسام فالوجه المعروف المرکب فیه

العینان من کل حیوان والوجه ایضا اول الشیء وصدره ومن ذلک قوله تعا

وقالت طائفة من اهل الکتاب امنوا بالذی انزل علی الذین امنوا وجه النهار

واکفروا آخره ای اول النهار ومنه قول الربیع بن زیاد ،

من کان مسرورا بمقتل مالک ، فلیات نسوتنا بوجه نهار

ای غداة کل یوم وقال قوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل من ذلک

قوله تعا ومن یسلم وجهه الی الله وهو محسن معناه من قصد بامره وفعله

الی الله سبحانه وارادة بهما وکذلک قوله ومن احسن ممن اسلم وجهه لله وهو

محسن وقال الفرزدق ، واسلمت وجهی حین شدت رکائبی

الی آل مروان بناة المکارم ، ای جعلت قصدی وارادتی لهم وانشد الفرا

استغفر

استغفر الله ذنبا لست محصیه ، رب العباد الیه الوجه والعمل

ای القصد ومنه قولهم فی الصلاة وجهت وجهی للذی فطر السموات والارض

ای قصدت قصدی بصلاتی وعملی وکذلک قوله تعا فاقم وجهک للدین والوجه

الاحتیال للامر من قولهم کیف الوجه لهذا الامر وما الوجه فیه ای ما الحیلة

والوجه المذهب والجهة والناحیة قال حمزة بن بیض الحنفی ،

ای الوجوه انتجعت قلت له ، لای وجه الا الی الحکم

متی یقل صاحبا سرادقه ، هذا ابن بیض بالباب یبتسم

والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عریض وفلان اوجه من

فلان ای اعظم قدرا وجاها ویقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال

امرؤ القیس ، ونادمت قیصر فی ملکه ، فاوجهنی ورکبت البریدا

والوجه الرئیس المنظور الیه یقال فلان وجه القوم وهو وجه عشیرته

ووجه الشیء ایضا نفسه وذاته قال احو بن جندل السعدی

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ، فافلت وجهه عند نهد

اراد افلته ونجاه ومنه قوله انما افعل ذلک لوجهک ویدل ایضا علی ان

الوجه یعبر به عن الذات قوله تعا وجوه یومئذ ناضرة الی ربها ناظرة ووجوه

یومئذ باسرة تظن ان یفعل بها فاقرة وقوله تعا وجوه یومئذ ناعمة لسعیها

راضیة لان جمیع ما اضیف الی الوجوه فی ظاهر الآی من النظر والظن

والرضی لا یصح اضافته علی الحقیقة الیها وانما یضاف الی الجملة فمعنی قوله

کل شیء هالک الا وجهه کل شیء هالک الا ایاه وکذلک قوله تعا کل من علیها

فان ویبقی وجه ربک ذو الجلال والاکرام لما کان المراد بالوجه نفسه ولم

یقل ذی الجلال کما قال تعا تبارک اسم ربک ذی الجلال والاکرام لما کان

اسمه غیره ویمکن فی قوله کل شیء هالک الا وجهه وجه آخر قد روی عن بعض

المتقدمین وهو ان یکون المراد بالوجه ما یقصد به الی الله تعا ویوجه نحو

القربة الیه جلت عظمته فیقول لا تشرک بالله ولا تدع مع الله الها غیره فان

کل فعل یتقرب به الی غیره ویقصد به سواه فهو هالک باطل وکیف یجوز

للمشبهة ان يحمل هذه الآية والتي قبلها على الظاهر وليس ذلك يوجب انه
تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله فاما قوله تعالى انما نطعمكم
لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقوله وما آتيتم من زكاة تريدون
وجه الله فمعلوم ان هذه الافعال المفعولة له ومقصودها محمول والقربة
اليه والزلفة عنده فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد
به فثم الله لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ايضا
ان يراد به فثم رضى الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة
وتكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اي ان الجهات كلها لله وتحت
ملكه وهذا واضح بين بحمد الله اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال
حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال انحدرنا مع المكتفي بالله في آخر سفرة سافرها
للصيد من الموضع المعروف بحنة الى تكريت في حراقة فكانت تجنح كثيرا
فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت اشدهم فزعا وكان في الحراقة
سواي من الجلساء يحيى بن علي المنجم ومتوج بن محمود بن مروان
والقسم المعروف بابن حبابة فكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم
حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحتري يقول شعرا يصف فيه حالنا
ويمدح به احمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب اوله

الم تر تغليس الربيع المبكر ، وما حاك من وشي الرياض المنشر

فقال انشدني في الموضع الذي ذكر هذا فيه منها وكان جيد العلم
بالاشعار حافظا للاخبار فانشدته

غدوت على الميمون صبحا وانما ، غدا المركب الميمون تحت المظفر
اذا زمجر النوتي فوق علاته ، رايت خطيبا في ذوابة منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم ، وفوق السماط للعظيم المؤمر
اذا ما علت فيه الجنوب اعتلاله ، جناحا عقاب في السماء مهجر
اذا ما انكفى في هبوة الماء خلته ، تلفع في اثناء برد محبر

وحولك ركابون للهول عاقروا ، كؤوس الردى من دارعين وحسر
تميل المنايا حيث مالت اكفهم ، اذا اصلتوا حد الحديد المذكر
اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ، ليقلع الا عن شواء مقتر
يسوقون اسطولا كان سفينه ، سحائب صيف من جهام وممطر
صدمت بهم صهب العثانين دونهم ، ضراب كايقاد اللظى المتسعر
كان ضجيج البحر بين رماحهم ، اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر
تقارب من زحفيهم فكانما ، تولف من اعناق وحش منفر
فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى ، مقعصة فيهم وهام مطير
على حين لا نقع تطوحه الصبا ، ولا ارض تلفى للصريع المقطر
وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده ، مليا بان توهى صفاة ابن قيصر
جدحت له الموت الزعاف فعافه ، وطار على الواح شطب مسمر
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها ، عليه ومن يول الصنيعة يشكر

قال فاستجاد المكتفي قوله على حين لا نقع تطوحه الصبا فقال له يحيى بن علي
انشدني ابن الرومي شعرا له في هذا المعنى منه

ولم اتعلم قط من ذي سباحة ، سوى الغوص والمعوص غير مغالب
ولم لا ولو القيت فيها وصخرة ، لوافيت منها القعر اول راسب
وابرا شفاقا من الماء انني ، امر به في الكوز مر المجانب
واخشى الردى منه على كل شارب ، فكيف بامنيه على نفس راكب

فقلت له انما اخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول ابي نواس فقال المكتفي
وما قال فقلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني ابو وائل اللخمي قال حدثني
ابراهيم بن الخصيب قال وقف ابو نواس بمصر على النيل فراى رجلا قد اخذه
التمساح في النيل فقال ، اضمرت في النيل هجرانا ومقلية

مذ قيل لي انما التمساح في النيل ، فمن راى النيل راى العين من كثب
فما ارى النيل الا في البواقيل ، قال الصولي البواقيل سفن صغار ثم
اجرى المكتفي ذكر الشيب فقال العرب تقول اظلم من شيب وقد شبت وظلمني

الشيب وشبت يا صولى فقلت جواب عبدك فى هذا جواب معن بن زائدة
الشيبانى للملك المنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال فى طاعتك يا امير
المومنين قال وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وفيك بقية قال لك
فنزع المكتفى عمامته فاذا شيبتان فى مقدم راسه فقال لقد غمنى طلوع هاتين
الشيبتين فقلت انما يعيش الناس فى الشيب فاما السواد فلا يصحب الناس
خالصا اكثر من اربعين سنة الى الخمسين وقد يعاش فى البياض الذى لا سواد
فيه ثمانون سنة فانشدنا يحيى بن على بن يحيى المنجم فى معنى طول العمر مع الشيب
قول امرئ القيس ، الا ان بعد العدم للمرء قنوة ، وبعد المشيب طول عمر وملبسا ،
وانشدته ايضا ابياتا انشدها اسحاق بن ابراهيم الموصلى لبعض القيسيين
، لم ينتقص منى المشيب قلامة ، الآن حين بدا الب واكيس ،
، والشيب ان يظهر فان وراءه ، عمرا يكون خلاله متنفس ،
قال قدس الله روحه اما قول البحترى مضى وهو مولى الريح فقد كرر معناه
فى قوله من قصيدة يمدح بها ابا سعيد الثغرى ،
، اشلى على مثويل اطراف القنا ، فنجا عتيق عتيقة جرداء ،
، ولو ان ابطا الهن هيبته ، لصددن عنه وهن غير بطاء ،
، فلئن تبقاه القضاء لوقته ، فلقد عممت جنوده بقضاء ،
واظنه اخذ هذا المعنى من ابى تمام فى قوله من قصيدة يمدح بها المعتصم
ويذكر فتح الخرمية ، لولا الظلام وقلة علقوا بها ،
، باتت رقابهم بغير قلال ، فليشكروا جنح الظلام ودروذا ،
، فهم لدروذ والظلام موال ، وقد اخطا الصولى فى تفسير بيت ابى نواس
بان البواقيل سفن صغار لان البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز
معروفة تعمل من الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومى ،
، امر به فى الكوز مر المجانب ، وانما اراد انى لا امر بماء النيل الا اذا اردت
شربه فى كوز او بوقال واظن الصولى استمر عليه الوهم من جهة قوله فما ارى
النيل وصرف ذلك الى انه اراد النيل بعينه على الحقيقة وانما اراد ماء النيل فى

عملت

علمت ان السفن الصغار تسمى بواقيل الا من قول الصولى هذا ولو كان ما
ذكره صحيحا من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت ابى نواس بما ذكرنا
اشبه واليق وادخل فى معنى الشعر كيف تدخل شبهة فى ذلك مع قوله
، فمن راى النيل راى العين من كثب ، ومن راى النيل فى السفن فقد رآه
من كثب ومن راى ماءه فى الآنية على بعد لا يكون رائيا له من كثب فاما
مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فاكثروا وافهم انقدم
من ذلك قول روبة بن العجاج ويقال ان روبة لم يقل من القصيدة الا هذين
البيتين ، ايها الشامت المعير بالشيب ، اقلن بالشباب افتخارا ،
، قد لبست الشباب غضا جديدا ، فوجدت الشباب ثوبا معارا ،
، ولعلى بن جبلة ، جفا طرب العشبان وهو طروب ،
، واعقبه قرب الشباب مشيب ، تجافت عيون البيض عنه وربما ،
، مددن اليه الوصل وهو حبيب ، لعمرى لنعم الصاحب الشيب واعظا ،
، وان كان عنه للعيون نكوب ، خليط نهى مثتاب حلم واته ،
، على ذاك مكروه الخلاط مريب ، ولاخر ،
، وتنكرت شيبى فقلت لها ، ليس المشيب بناقص عمرى ،
، سيان شيبى والشباب اذا ، ما كنت من عمرى على قدرى ، ولاخر
، ان اكن قد رزيت اسود كالفحم ، واعقبت مثل لون الثغامه ،
، فلقد اسعف الكريم واحبو ، اهله بالندى وآبى الظلامه ،
، غير ان الشباب كان رداء ، خانتا فيه كفى عمامه ، ولاخر
، ان المشيب رداء الحلم والادب ، كما الشباب رداء الجهل واللعب ،
، تعجبت ان رات شيبى فقلت لها ، لا تعجبى من يطل عمر به يشب ، ولابن
الجهم حسرته على القناع طلوعهم ، وتولت ودمعها مسجوم ،
، انكرت ما رات براسى فقالت ، امشيب ام لولو منظوم ،
، قلت شيب وليس عيبا فانت ، انه ينشرها المهموم ،
، شد ما انكرت تصرم عهد ، لم يدم لى واى شى يدوم ، ولابى هفان

تعجبت درّ من شيبي فقلت لها ، لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف ،
وزادها عجبا المارات سملي ، وما درت درُّ ان الدرّ في الصدف ،
وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان في قوله ،
ابدت اسًى ان رأتني مخلس القصب ، وآل ما كان من عجب الى عجب ،
ست وعشرون تدعوني فاتبعها ، الى المشيب ولم تظلم ولم تحب ،
فلا يؤرقك ايماض القتير به ، فان ذاك ابتسام الرأي والادب ،
وللبحتري عيرتني بالشيب وهي بدته ، في عذاري بالصد والاجتناب ،
لا تريه عارا فما هو بالشيب ، ولكنه جلاء الشباب ،
وبياض البازي اصدق حسنا ، ان تاملت من سواد الغراب ، وله
ها هو الشيب لائما فافيقي ، واتركيه ان كان غير مفيق ،
فلقد كفت من غناء المعنى ، وتلافيت من اشتياق المشوق ،
عذلتنا في عشقها ام عمرو ، هل سمعتم بالعاذل المعشوق ،
ورات لمة الم بها الشيب ، فريعت من ظلمة في شروق ،
ولعمري لولا الاقاحي لابصرت ، انيق الرياض غير انيق ،
وسواد العيون لو لم تحلّ ، ببياض ما كان بالموموق ،
ومزاج الصهباء بالماء احلى ، بصبوح مستحسن وغبوق ،
اي ليل يبهى بغير نجوم ، او سماء تندى بغير بروق ،
ويشبه ان يكون اخذ قوله اي ليل يبهى من قول الشاعر ،
اشيب ولم اقض الشباب حقوقه ، ولم يمض من عهد الشباب قديم ،
رات وضحا في مفرق الراس راعها ، وشتان مبيضٌ به وبهيم ،
تفاريق شيب في الشباب لوامع ، وما حسن ليل ليس فيه نجوم ،
لمحمود الوراق مثل هذا المعنى قوله ، ما الذي ينظر ما باحسن من ،
شيب تحلل هامة الكهل ، وكانه فيها النجوم اذا ،
جد المسير بها على مهل ، لا تبكين على الشباب اذا ،
يبكي الجهول عليه للجهل ، واشكر لشيبك حسن صحبته ،

فلقد

فلقد كساك جلالة الفضل ، ولآخر في مدح الشيب ،
لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله ، فالشيب حلية ووقار ،
انما تحسن الرياض اذا ما ، ضحكت في خلالها الانوار ،
قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولي في هذا المعنى من قصيدة :
جزعت لوخطات المشيب وانما ، بلغ الشباب مدى الكمال فنورا ،
والشيب ان فكرت فيه موردٌ ، لا بد يورده الفتى ان عمّرا ،
يبيض بعد سواده الشعر الذي ، ان لم يزره الشيب واراه الثرى ،
وممن عدل بين الشيب والشباب ومدح كل واحد منهما طريح بن اسمعيل فقال
والشيب للحكماء من سفه الصبى ، بدل يكون له الفضيلة مقنع ،
والشيب غاية من تأخر حينه ، لا يستطيع دفاعه من يجزع ،
ان الشباب له لذاذة جدة ، والشيب منه في المغبة انفع ،
لا يبعد الله الشباب ومرحبا ، بالشيب حين ارى اليه المرجع ،
ومثله لآخر ، وكان الشباب الغض لي فيه لذة ،
فوقرني عنه المشيب وادبا ، فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى ،
واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل
عن قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل
بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون
المراد بقوله اجيب دعوة الداع اي اسمع دعوته ولهذا يقال دعوت من لا
يجيب اي دعوت من لا يسمع وقد يكون ايضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى
يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد اجاب الله لمن حمده وانشد ابن الاعرابي
دعوت الله حتى خفت ان لا ، يكون الله يسمع ما اقول ، اراد يجيب ما
اقول وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله قريب قرب المسافة بل اراد انني قريب من قرب
باجابتي ومعرفتي ونعمتي او لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيها
بقرب المسافة لان من قرب من غيره عرف احواله ولم تخف عليه ويكون قوله

اجيب على هذا تاكيدا للقرب فكانه اراد انى قريب قربا شديدا وانى بحيث لا يخفى على احوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله انا بحيث اسمع كلامك واجيب نداءك وما جرى هذا المجرى ولقد روى ان قوما سالوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا له اربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الآية وثالثها ان يكون معنى الآية انى اجيب دعوة الداعي اذا دعانى على الوجه الصحيح وبالشرط الذى يجب ان يقارن الدعاء وهو ان يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحا فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو ايضا مجاب الى دعائه ورابعها ان يكون معنى دعانى اى عبدنى ويكون الاجابة هى الثواب والجزاء على ذلك فكانه تعالى قال انى اثيب العباد على دعائهم لى وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سال الله تعالى شيئا فى اعطائه صلاح فعله به واجابه اليه وان لم يكن فى اعطائه اياه فى الدنيا صلاح وخيرة لم يعطه ذلك فى الدنيا واعطاه اياه فى الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من احد امرين اما ان يجاب دعاؤه واما ان يختار له بصرفه عما سال ودعا فحسن اختيار الله تعالى يقوم مقام الاجابة فكانه مجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لان العبد ربما سال ما فيه صلاح ومنفعة له فى الدنيا وان كان فيه فساد فى الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لامر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذى لا يرجع اليه منه شئ من الصلاح اللهم الا ان يقال انه دعا مشروط بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما تقدم ومعنى فليستجيبوا لى اى فليجيبونى وليصدقوا رسلى قال الشاعر ، وداع دعا يا من يجيب الى الندى ، فلم يستجبه عند ذاك مجيب ، اى لم يجبه قال السيد قدس الله روحه واذ كنا ذكرنا فى المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه والتعزى عنه والتسلى

عن

عن نزوله فنحن نتبعه بطرف مما قيل فى ذمه والتالم به والجزع منه فمن ذلك قول ابى حية النميرى ، ترحل بالشباب الشيب عنا ،
، فليت الشيب كان به الرحيل ، وقد كان الشباب لنا خليلا ،
، فقد قضى مآربه الخليل ، لعمر ابى الشباب لقد تولى ،
، حميدا ما يراد به بديل ، اذا الايام مقبلة علينا ،
، وظل اراكة الدنيا ظليل ، وقال الفرزدق ،
، ارى الدهر ايام المشيب امره ، علينا وايام الشباب اطايبه ،
، وفى الشيب لذات وقرة اعين ، ومن قبله عيش تعلل جادبه ،
، اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا ، بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه ،
، فيا خير مهزوم ويا شر هازم ، اذا الشيب وافى للشباب كتائبه ،
، وليس شباب بعد شيب براجع ، يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه ،
، وما المرء منفوعا بتجريب واعظ ، اذا لم تعظه نفسه وتجاربه ،
، وانشد اسحق الموصلى ، لعمرى عن حليت عن منهل الصبى ،
، لقد كنت وراد المشرب العذب ، ليالى امشى بين بردى لاهيا ،
، اميس كغصن البانة الناعم الرطب ، سلام على سير القلاص مع الركب ،
، ووصل الغوانى والمدامة والشرب ، سلام امرئ لم تبق منه بقية ،
، سوى نظر العينين او شهوة القلب ، وللمنصور النمرى ،
، ما تنقضى حسرة ولا جزع ، اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع ،
، بان الشباب وفاتنى بشرته ، صروف دهر وايام لها خدع ،
، ما كنت اوفى شبابى كنه عزته ، حتى مضى فاذا الدنيا له تبع ،
، ولمحمد بن حازم ، عهد الشباب لقد ابقيت لى حزنا ،
، ما جد ذكرك الا جد لى ثكل ، سقيا ورعيا لايام الشباب وان ،
، لم يبق منك له رسم ولا طلل ، جر الزمان ذيولا فى مفارقه ،
، وللزمان على احسانه علل ، وربما جر اذيال الصبى مرحا ،
، وبين برديه غصن ناعم خضل ، لا تكذبن فما الدنيا باجمعها ،

من الشباب بيوم واحد بدلا ، كفاك بالشيب ذنبا عند غانية
وبالشباب شفيعا ايها الرجل ، ولابي نواس الحسن بن هانئ
كان الشباب مطية الجهل ، ومحسن الضحكات والهزل
كان الجميل اذا ارتديت به ، ومشيت اخطر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقت به ، واصاخت الاذان للمملي
كان المشفع في مآربه ، عند الحسان ومدرك النبل
والباعثي والناس قد رقدوا ، حتى ابيت خليفة البعل
والآمري حتى اذا عزمت ، نفسي اعان يدي بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة ، وحططت عن ظهر الصبى رحلي
قال السيد قدس الله روحه وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من اعرابية
ليست للعرب وليشار بن برد ، الشيب كره وكره ان يفارقني
اعجب بشيء على البغضاء مودود ، يمضي الشباب وياتي بعده خلف
والشيب يذهب مفقودا بمفقود ، وهذا البيت الاخير يروى لمسلم بن
الوليد الانصاري ومما احسن فيه مسلم قوله في هذا المعنى
طرفت عيون الغانيات وربما ، املن الى الطرف كل مميل
وما الشيب الا شعرة غير انه ، قليل قذاة العين غير قليل وله
اهلا بوافدة للشيب واحدة ، وان ترات بشخص غير مودود
لا اجمع الحلم والصهباء قد سكنت ، نفسي الى الماء عن ماء العناقيد
لم ينهني كبر عنها ولا فند ، لكن صحوت وغصني غير مخضود
او في بي الحلم واقتاد النهى طلقا ، شاوي وعفت الصبى من غير تفنيد
ولقد احسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب ، كان لكلا لما آتها
فضاد لعينها قذى ، ولغيرها رات طالعا للشيب اغفلت امره
ولم تتعهده اكف الخواضب ، فقالت اشيب ما ارى قلت شامة
فقالت لقد شانتك عند الحبائب ، ولمحمود الوراق ويروي لابن حازم
اليس عجيبا بان الفتى ، يصاب ببعض الذي في يديه

فمن

فمن بين باك له موجع ، وبين معز مغذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشبا ، ب فليس يعزيه خلق عليه ، ولابي دلف
في كل يوم ارى بيضاء طالعة ، كانما طلعت في اسود البصر
لئن قصصتك بالمقراض عن بصري ، لما قصصتك عن همي ولا فكري
وعن
وليحيى بن خالد البرمكي ويروى لغيره ، الليل يشيب والنهار كلاهما
راسي بكثرة ما تدور رحاهما ، يتناهبان نفوسنا ودماءنا
ولحومنا عمدا ونحن نراهما ، والشيب احدى الميتتين تقدمت
اولاهما وتاخرت اخراهما ، وقد اتى المجلدان المبرزان ابو تمام
وابو عبادة البحتري في هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن ذلك قول ابي تمام
غدا الهم مختطا بفودي خطة ، طريق الردى فيها الى الموت مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ، وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين ابيض ناصع ، ولكنه في القلب اسود اسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضى ، وانف الفتى من وجهه وهو اجدع ، وله
شعلة في المفارق استودعتني ، في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها ، صعدا وهي تستثير الهموما
غرة مرة الا انما كنت ، اغر ايام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالا ، مثلما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم وارانى ، قبل هذا التحليم كنت حليما ، وله
لعب الشيب بالمفارق بل جد ، فابكى تماضرا ولعوبا
خضبت خدها الى لؤلؤ العقد ، دما ان رات شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له ، الا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك ابقى ، حسناتي عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رايْن لقد انكرْن ، مستنكرا وعبن معيبا
او تصدعن عن قلى لكفى بالشيب ، بيني وبينهن حسيبا
لو راى الله ان للشيب فضلا ، جاورته الابرار في الخلد شيبا

قال السيد قدس الله روحه وجدت الآمدي يذكر ان قوما ادعوا المناقضة على ابي تمام في هذه الابيات لقوله فابكي تماضرا ولعوبا وقوله خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ان رات شواتي خضيبا وقوله يا نسيب الثغام ذنبك وقوله ولئن عبن ما رأين لقد انكرن مستنكرا وعبن معيبا قالوا كيف يبكين دما على شيبه ثم يعبنه قال الآمدي وليس هذا تناقضا لان الشيب انما ابكى تماضرا ولعوبا اسفا على شبابه والحسان اللواتي عبنه غير هاتين المرأتين فيكون من اشفق عليه من الشيب منهن واسف على شبابه بكى كما قال الاخطل

لما رات بدل الشباب بكت له ، ان المشيب لارذل الابدال

ولم تكن هذه حال من عابه قال هذا مستقيم واضح قال السيد قدس الله روحه وليس يحتاج في الاعتذار لابي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال وان كان من بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي انكرن شيبه وعبنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض ان يبكي على شبابه ونزول شيبه منهن من راى الشيب ذنبا وعيبا منكرا وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب الا من رآه منكرا ومعيبا وقال ابو تمام

راحت غواني الحي عنك غوانيا ، يلبسن نايا تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب اذا بدت ، تركت عميد القريتين عميدا
اربين بالمرد الغطارف بدنا ، غيدا الفتهم لدانا غيدا
احلى الرجال من النساء مواقعا ، من كان اشبههم بهن خدودا

قوله اربين بالمرد من ارب بالشيء اذا لزمه واقام عليه يقال ارب والب بالمكان اذا لزمه يريد انهن لزمن هوى المرد واقمن عليه ورواه قوم اربين بالمرد من الربا الذي معناه الزيادة يقال قد اربى الرجل اذا ازداد فيقول اربين بالمرد اي ازددن علينا بهم وجعلن للمرد زيادة اخترنها علينا ويقال انه اخذ قوله احلى الرجال من النسا مواقعا من قول الاعشى

وارى الغواني لا يواصلن امرأ ، فقد الشباب وقد يصلن الامردا

وللمنصور النمري مثله

كرهن

كرهن من الشيب الذي قد رأينه ، بهن رايت الطرف عنهن ازوردا

ونحوه قول الآخر

ارى شيب الرجال من الغواني ، كموقع شيبهن من الرجال

وقال ابو تمام

شاب راسي وما رايت مشيب الـ ، راس الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كل بؤس ، ونعيم طلائع الاجساد
طال انكاري البياض وان عمر ، ت شيئا انكرت لون السواد
زارني شخصه بطلعة ضيم ، عمرت مجلسي من العواد
نال راسي من ثغرة الهم لما ، لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعنى هذا البيت الاخير ان الثغرة هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد جاور عدوا ثغرا كان معناه انه مكشوف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر الانسان لانه اول ما يقابلك من انسان واول ما يظهر عند الكلام واول ما يسقط فيرى مثلوما فشبه الثغر الذي هو البلد به ويقال اثغر الصبي واتغر ويسمى تلك الفرجة في موضع السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله نال راسي من ثغرة الهم اي وجد الشيب الهم فرجة دخل على راسي منها لان الهم يشيب لا محالة وقوله لما لم ينله من ثغرة الميلاد اراد بثغرة الميلاد الوقت الذي هجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل في ذلك الوقت الى الحلول براسه فجعله ثغرة في هذا الوجه فاراد ان الشيب حل براسه من جهة همومه واحزانه لما لم يبلغ السن التي توجب حلوله به من حيث كبره قال السيد قدس الله روحه ورايت الآمدي يطعن على قوله عمرت مجلسي من العواد ويقول لا حقيقة لذلك ولا معنى لانا ما راينا ولا سمعنا احدا جاءه عواد يعودونه من الشيب ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة نظر في نقد الشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد ابو تمام بقوله عمرت مجلسي من العواد العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العواد مجالس المرضى وذوي الاوجاع وانما هذا استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض

خفية وكانه اراد ان شخص الشيب لما زاد في كثرة المتوجعون لي والمتاسفون
على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكانهم في مجلسي عوادي لان من شان
العائد للمريض ان يتوجع ويتفجع وكنى بقوله عمرت مجلسي من العواد عن
كثرة من تفجع له وتوجع من شيبه وهذا من ابي تمام كلام في نهاية البلاغة
والحسن وما المعيب الا من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجلس الآتي
بمشيئة الله وعونه ما للبحتري في هذا المعنى ان شاء الله تعالى

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه
شراب ومنه شجر فيه تسيمون فقال اذا كان الشجر ليس ببعض الماء كما كان
الشراب بعضا له فكيف جاز ان يقول ومنه شجر بعد قوله شراب وما معنى
قوله تسيمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى والخيل
المسومة والانعام وقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك **الجواب** قلنا في قوله تعالى ومنه شجر وجهان احدهما ان يكون المراد
ومنه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وذلك
كثير في لغة العرب ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل
والوجه الآخر ان يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر
فحذف الاول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع ، امن آل ليلى عرفت الديارا
بجنب الشقيق خلاء قفارا ، اراد من ناحية آل ليلى وقال زهير
، امن ام اوفى دمنة لم تكلم ، بحومانة الدراج فالمتثلم ،
اراد من ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب ، امنك البرق ارقبه فهاجا
، فبت اخاله دهما خلاجا ، وقال ايضا ، امنك برق ابيت الليل ارقبه ،
، كانه في عراض الشام مصباح ، وقال الجعدي ، لمن الديار تعفو بالمطالي ،
، بقيت على حجج خلون طوال ، اراد بقيت على مر حجج وتكر حجج فاما قوله تعالى
فيه تسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم يقال اسام الابل يسيمها اسامة
اذا ارعاها واطلقها ترعى متصرفة حيث شاءت وسومها ايضا يسومها من
ذلك وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا قصرتها
على

على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن اذل
واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد في الاسامة
التي هي الاطلاق في الرعي ، راعيا كان مسجحا ففقدناه ،
، وفقد المسيم هلك السوام ، وقال آخر ، سكنت ببطن واد واظعن ،
، ما ظعنت فلا اسيم ، وذهب قوم ان السوم في البيع من هذا لان كل واحد
من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب
سوائم المواشي حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس
فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت
الراعي وتخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس
في البيوع مكروه لان السلعة المبيعة تستر عيوبها او بعضها فيدخل ذلك في
بيوع المنهي عنها فاما الخيل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات ماخوذة
من السيما وهي العلامة وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى والخيل المسومة
قال سومت نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ان المسومة هي الحسان وروي عن
مجاهد في قوله تعالى والخيل المسومة هي المطهمة الحسان وقال آخرون بل هي
الراعية روي ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد وهو معنى
العلامة لان تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتتميز لمكانها
وقيل ان السوم من الرعي يرجع الى هذا المعنى ايضا لان الراعي يجعل في
المواضع التي يرعاها علامات او كالعلامات بما يزيله من نباتها ويمحوه من
آثارها فكان الاصل في الكل متفق غير مختلف وقال لبيد في التسويم الذي هو
الاعلام ، وغداة قاع القرنتين اتيتهم ، رهوا يلوح خلالها التسويم ،
اراد التعليم فاما قوله تعالى في الملائكة مسومين فالمراد به معلمين وكذلك قوله
تعالى حجارة من سجيل منضود مسومة اي معلمة وقيل انه كان عليها امثال
الخواتيم قال السيد قدس الله روحه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكر ما
للبحتري في ذم الشيب والتالم من فقد الشباب فمن ذلك قوله ،
، وكنت ارجي في الشباب شفاعة ، فكيف لباغي حاجة من شفيعه ،

مشيب كثث السر عني بحمله ، محق ثرا وضا وقصد رمذ بعه
تلاحق حتى كاد يأتي بطيئه ، لحث الليالي قبل آتي سريعه

وما احسن هذا من كلام وابلغه واطبعه وقال ايضا

ردي على الصبي ان كنت فاعلة ، ان الصبي ليس من شاني ولا اربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا ، الى بنات الصبي يركضن في طلبي
والشيب يهرب من جاري شيبته ، ولا نجاء له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا ، صبت عليه صروف الدهر من صبب وقال
ايضا ، لابس من شيبة ام ناض ، ومليح من شيبة ام راض
واذا ما امتعضت من ولع الشيب براسي لم يغن ذاك امتعاضي
ليس يرضى عن الزمان مرو ، فيه الا عن غفلة او تغاضي
والبواقي من الليالي وان خالفن شيئا مشبهات المواضي
ناكرت لمتي وناكرت منها ، سوء هذي الابدال والاعواض
شعرات اقصهن ويرجعن ، رجوع السهام في الاغراض
وابت تركي الغديات والآ ، صال حتى خضبت بالمقراض
غير نفع الا التعلل من شخص عدو لم يجد ابغاضي
وورا المشيب كالبخص في عيني فقل فيه في العيون المراض
لهت نفسا عن الشباب وما سو ، د من صبغ برده الفضفاض
فهل الحادثات يا ابن عويف ، ناكراتي ولبس هذا البياض وقال ايضا
تعيب الغانيات على شيبي ، ومن لي ان امتع بالمعيب
ووجدي بالشباب وان تولى ، حميدا دون وجدي بالمشيب وقال ايضا
ارابته من بعد جثل فاحم ، جون المفارق بالنهار خضيبا
فعجبت من حالين خالف منهما ، صرف الزمان وما رايت عجيبا
ان الزمان اذا تتابع خطوه ، سبق الطلوب وادرك المطلوبا وقال ايضا
رات فلتات الشيب فابتسمت لها ، وقالت نجوم لو طلعن باسعد
اعاتك ما كان الشباب مقربي ، اليك فالحى الشيب اذ كان مبعدي وقال ايضا

عرت كبدي قسوة منك ما ان ، تزال تجدد فيها ندوبا
وحلت عندك ذنب المشيب ، حتى كاني ابتدعت المشيبا
ومن يطلع شرف الاربعين ، يحيي من الشيب شخصا غريبا

وقال قدس الله روحه ولي في هذا المعنى قلن لما رابن وخطا من الشيب

براسي اعيا على مجهودي ، كمنا بادق تعرض وهنا
في حواشي بعض الليالي السود ، ابيا من مجدد من سواد
كان قدما الا مرحبا بالجديد ، يا لحاكن من رماكن بالحسن
لتفهرننا بغير جنود ، ليس بعضي مني فاجزي عليهن
صدودا وليس منكن سودي ، قلما ضركن من شعرات
كن يوما على الوقار شهودي ، وقال البحتري ايضا
خلياه وجدة اللهو ما دا ، م رداء الشباب غضا جديدا
ان ايامه من البيض بيض ، ما رابن المفارق السود سودا وقال
ايضا ، ترك السواد للابسيه وبيضا ، ونضا من الستين ما عنه نضا
وشآه اغيد في تصرف لحظه ، مرض اعل به القلوب وامرضا
وكانه وجد الصبي وجديده ، دينا تقاضاه تقاضى
اسيان اثرى من جوى وصبابة ، واساف من وصل الحسان وانقضا وقال
ايضا ، هل انت صارف شيبة ان عجلت ، في الوقت او عجلت عن الميعاد
جاءت مقدمة امام طوالع ، هذي تراوحني وتلك تغادي
واخو الغبينة تاجر في لمة ، يشري جديد بياضها بسواد
لا تكذبن فما الصبي بمخلف ، هوا ولا زمن الصبي بمعاد
واري الشباب على غضارة حسنه ، وجماله صدا من الاضداد وقال ايضا
ابني الشباب ام ما تولى ، منه في الدهر ولا ما يعود
لا اري العيش والمفارق بيض ، اسوة العيش والمفارق سود
واعطى الشقي جدا ولو اعطي ، غنما حتى يقال سعيد
من مرنة العيون وانصرفت عنه ، التفاتا الى سواد الخدود وقال ايضا

فذلك مني فما جوى السقم الا * في ضلوع على جوى الحب تحنا
لو رأت حادث الخطاب لانت * وارنت من احمرار اليرنا
كلف البيض بالمعمر قدرا * حين يكلفن والمصفر سنا
يتشاغفن بالغرير المسمى * من تصاب دون الجليل المكنى
وقال ايضا
اخي ان الصبا استمر به * سير الليالي فانهجت برده
تصد عني الحسان مبعدة * اذ انا لا اقربه ولا اصدده
شيب على المفرقين بارضه * يكثر لي ان ابينه عدده
تطلب عندي الشباب ظالمة * بعيد خمسين حين لا تجده
لا تعجب ان مللت خلتنا * فافتقد الوصل منك معتقده
من يتطاول على تطاوله العيش تقعقع من ملة عمده

قال قدس الله روحه ورأيت الآمدي قد اخطا في معنى هذا البيت الاخير لانه قال معنى تقعقع من ملة عمده اي عظامه يجي لها صوت اذا قام او قعد من كبره وضعفه قال وقوله من ملة اي من تملي العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والامر بخلاف ما توهمه ومعنى تقعقع من ملة عمده اي من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله عن الدنيا فكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من تجمع تقعقع عمده يريدون ان التجمع داعي التفرق وان الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو الى الانتقال الذي تتقعقع معه العمد وكلام الآمدي على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ان كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحتري يطابقه فهو اطرف فاما قوله من ملة فانما اراد به من ملل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملي العيش ولم يسمع في تمليت ملة وهذا خطأ على خطأ وقال البحتري

ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا * دمعي باول دمع في الهوى سفحا
ولم تكن مشغوفا بجدتها * فما عفا الشيب لي عنها ولا صفحا
وقال ايضا
وما انس لا انس عهد الشباب * وعلوة اذ عيرتني الكبر

كواكب شيب علقن الصبى * فقللن من حسنه ما كثر
واني وجدت فلا تكذبن * سواد الهوى في بياض الشعر
ولا بد من ترك احدى اثنتين * اما الشباب واما العمر

قال الآمدي وعليه في قوله ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهو ان يقال له انه من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر ايضا فهو تارك لهما معا ومن شاب وفارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما لا يوجب الا احدهما قال والعذر للبحتري ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده قال هذا مذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر هاهنا الكبر كما قال زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

قال قدس الله روحه وما رأيت اشد تهافتا في الخطا منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التغلغل والتعسف وانما اراد البحتري ان الانسان بين حالين اما ان يفارق الشباب بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا وان كان قد خرج عن العمر وخرج بخروجه عن سائر احوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وقضية الرجل تناولت احد الامرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولن يكون ذلك الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شيب او موت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحتري انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لاجل القافية مع انه منبئ عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الشباب او ترك الحياة لقام مقام

حالتين

قوله العم أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي تفرد بها قوله يذم الزمان من جعل مصيبة غيره منسية له مصيبته وعاب من تعلل بالتأسي بما نال غيره وهو بري في شبابه وأحسن

يا شبابي وأين مني شبابي ... آذنتني أيامه بانقضاب

لهف نفسي على نعيمي ولهوي ... تحت أفنانه اللدان الرطاب

ومعزى عن الشباب مؤيس ... بمشيب اللدات والأصحاب

قلت لما انتحى يعد أساه ... من مصاب شبابه كمصاب

ليس تأسو كلوم غيري كلومي ... ما به ما به وما بي ما بي

ولابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة ... تنصف منها ان تلهفتها

فقبحا لها قبحا على أنها ... أقبح شيء حين كشفتها

وقد يعزيني شباب مضى ... ومدة للعيش أسلفتها

فكرت في خمسين عاما مضت ... كانت أمامي ثم خلفتها

أجهلتها إذ هي موفورة ... ثم مضت عني فعرفتها

ففرحة الموهوب أعدمتها ... وترحة المسلوب أتحفتها

لو أن عمري مائة هدني ... تذكري أني تنصفتها

ولي في هذا المعنى وقد حت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقلما أحسن في معناها كل الإحسان

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا ... لمن قد أضلته المنايا لياليا

أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي ... لرامي المنايا تحسبيني ناجيا

غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ... لشخصي أخلق أن يصبن سواديا

وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى ... فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فقال كيف جاءت أو بعدها ما لا يجوز أن يعطف عليه وما الناصب لقوله أو يتوب عليهم وليس في الكلام ما يقتضي نصبه الجواب قلنا قد ذكر في ذلك

وجوه

ومعزّى مؤيّس

وجوه أولها أن يكون قوله أو يتوب عليهم معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا والمعنى أنه تعالى عجل لكم هذا النصر ومنحكم به ليقطع طرفا من الذين كفروا أي قطعة وطائفة من جمعهم أو يكبتهم أي يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ويكذب فيهم ظنونهم أو يعظهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه صلى الله عليه وآله فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء معطوفا على قوله تعالى وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم أي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء وإنما هو من الله تعالى والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلا أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

أراد إلا أن نموت وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول إن أمر الخلق ليس إلى أحد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم ويعذبهم حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال قد يصح الكلام إذا حمل على المعنى وذلك أن قوله ليس لك من الأمر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم أو ما تريده من استبطاء استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلا بأن يلطف الله لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الكلام ليس يكون ما تريده من توبتهم أو عذابهم بك وإنما يكون ذلك بالله تعالى والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب عليهم فأضمر من اكتفاء بالأولى وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها وهي مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك

من الامر شيء ومن توبتهم ومن عذابهم قال قدس الله روحه ووجدت
ابا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان
الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على اضمار ان
مع الفعل لانه ليس من كلام العرب يعجبني من اخيك ومن ان يقوم لان اخاك
اسم جامد محض لا يعطف عليه الا ما شاكله قال وهذا اذن يستقيم ويصلح
في رد الفعل على المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك على معنى
كرهت غضبك وان يغضب ابوك فيطرد هذا في المصادر لانها تتاول بان
تقول النحويون يعجبني قيامك وتاويله يعجبني ان تقوم قال والاسم الجامد
لا يمكن هذا فيه قال السيد المرتضى قدس الله روحه وليس ذكره ابن الانباري
مستبعدا وان لم يضعف هذا الجواب الاخر حيث ذكر فليس بضعيف وذلك
ان فيما امتنع منه مثل الذي اجازه لانه قد اجاز ذلك في المصادر ولم يجزه
في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء فيه دلالة على الفعل لان الامر مصدر
امرت امرا فكانه تعالى قال ليس لك من ان آمرهم او ان تامرهم شيء ولا من ان
يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك في رد الفعل
على المصدر والوجه الاول اقوى الوجوه والله اعلم تاويل خبر ان سال
سائل عن معنى الحديث الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه الجواب
قيل له اما النجش فهو المدح والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر
وترجي بالهن يشربها . ويعد كرمها عند النجش . اي عند مدحها
ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة
لشرائها بل ليقتدي بالزائد في الزيادة غيره واصل النجش استخراج الشيء
والتنفير عنه قال بعض الفقعسيين . اجرش لها يا ابن ابي كباش .
. فما لها الليلة من انفاش . الا السري وسائق نجاش . اسر مثل الحية الخشخاش
فالنجاش هو المثير لسيرها والمستخرج لما عندها منه ومعنى اجرش لها اي
احدها لتسمع الحداء فتسير وهو ماخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

الانفاش

الانفاش اراد انها لا تتركه ترعى ليلا والنفش ان ترعى الابل ليلا وقد
انفشتها اذا ارسلتها بالليل ترعى والخشخاش الخفيف الحركة السريع التقلب
والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا ايضا لان الناجش يستثير بزيادة
في الثمن ومدحه للسلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا
تناجشوا اي لا يمدح احدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراها
ليسمعه غيره فيزيد وقد يجوز ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه
من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فايدته وهذا المعنى اشبه بان
يكون مراده لان قوله ولا تدابروا اشد مطابقة له ومعنى لا تدابروا اي
لا تهاجروا ويولي كل احد منكم صاحبه دبر وجهه قال الشاعر .
. واوصى ابو قيس بان تتواصلوا . واوصى ابوكم ويحكم لا تدابروا
فكانه قال لا تمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا
وتتقاطعوا فاما قوله صلى الله عليه وآله كل المسلم على المسلم حرام دمه
وعرضه فقد ذهب قوم الى ان عرض الرجل هو سلفه من ابائه وامهاته
ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل نفسه واحتج بحديث
النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون
وانما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك اي من ابدانهم قال ومنه قول
ابي الدرداء اقرض من يوم عرضك ليوم فقرك اراد من شتمك فلا تشتمه
ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضا لك ليوم الجزاء والقصاص
واحتج ايضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ايعجز
احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم اني قد
تصدقت بعرضي على عبادك فقال معناه قد تصدقت بنفسي واحللت من
يغتابني فلو كان العرض الاسلاف ما جاز ان يحل من سب الموتى لان ذلك
اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك حديث سفيان بن عيينة لو ان رجلا اصاب
من عرض رجل شيئا ثم تورع من بعد فجاء الى ورثته بعد موته فاحلوه لم
يكن ذلك كفارة له ولو اصاب من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته لكان كفارة

ان ذلك كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان
هجوت محمدا فاجبت عنه ، وعند الله في ذاك الجزاء
فان ابي ووالده وعرضي ، لعرض محمد منكم وقاء
اراد فان ابي وجدي ونفسي وقاء محمد صلى الله عليه وآله وقال آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الانسان فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع او يسقط بذكره ويمدح او يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر ابائه واسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال او شتم سلفه واباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي
رب مهزول سمين عرضه ، وسمين الجسم مهزول الحسب ،
فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال يرجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول كريمة افعاله او كريم اباؤه واسلافه وقال ابن عبدل الاسدي
واني لاستغني فما ابطر الغنى ، واعرض ميسوري لمن يبتغي قرضي ،
واعسر احيانا فتشتد عسرتي ، وادرك ميسور الغنى ومعي عرضي ،
ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه قال السيد المرتضى قدس الله روحه ووجدت ابا بكر بن الانباري قد رد على ابن قتيبة قوله هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف اهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن الجسد وحكي عن الاموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث ابي الدرداء معناه من عابك وذكر اسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك وقال في قول ابي ضمضم معناه انه احل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر ابائه فلم يكل الامر اليه وقال في قول حسان المراد بعرضه هاهنا ايضا اسلافه كانه قال وان ابي ووالده وجميع اسلافي الذين أُمدح وأُذم من جهتهم وقاء له عليه السلام فاتى بالعموم بعد الخصوص كما قال تعالى ولقد آتيناك سبعا من

لنفسه

المثاني

المثاني والقرآن العظيم فاتى بالعموم بعد الخصوص ولم اجده ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئا وتاويله يقرب من تاويل خبر ابي ضمضم لان من آذى رجلا بسبه في نفسه او بسب سلفه وادخل عليه بذلك وضعا ونقصا لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لان الاذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم ايضا مع دخوله على المسبوب لكان احلالهم مما يرجع الى غيرهم لا يصح على ان في الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه اولا كلاما ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرها النفس دون السلف او سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع المدح والذم من الانسان ولا فرق بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وانما ينفع ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل الا في النفس دون السلف وكل شيء اورده مما المراد بالعرض فيه النفس او المراد به السلف فهو تاكيد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع المدح والذم من الانسان وانما يكون ما استشهد به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله ومنه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسين ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة معمر بن المثنى صفريا وكان يكتم ذلك فانشد لعمران بن حطان
انكرت بعدك من قد كنت اعرفه ، ما الناس بعدك يا مرداس بالناس ،
اما تكن ذقت كاسا دار اولها ، على القرون فذاقوا نهلة الكاس ،
فكل من لم يذقها شارب عجلا ، منها بانفاس ورد بعد انفاس ،
فقد كنت ابكيك حينا ثم قد بخلت ، نفسي فما ردعتني عبرتي ياسي ،
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال حدثنا الاشنانداني قال قال التوزي كنت اذا اردت

ان انشط اباعبيدة سالته عن اخبار الخوارج وابتهج منه فتيم يوما وهو مطرق ينكت في الارض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس فسلمت فلم يرد على السلام فتمثلت ، وما للمرء خير في حياة ، اذا ما عد من سقط المتاع والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الي وقال ويحك اتدري من يقوله قلت قطري بن الفجاءة فقال اسكت فض الله فاك فالا قلت امير المومنين ابو نعامة ثم انتبه فقال اكتمها علي بما ترى فقلت هي ابنة الارض فانشدني

اقول لها اذا جاشت حياء ، من الابطال ويحك لن تراعي ،
فانك لو طلبت حياة يوم ، على الاجل الذي لك لن تطاعي ،
فصبرا في مجال الموت صبرا ، فما نيل الخلود بمستطاع ،
وما طول الحياة بثوب مجد ، فيطوى عن اخ الخنع اليراع ،
سبيل الموت منهج كل حي ، وداعية لاهل الارض اعي ،
ومن لا يغتبط يسام ويهرم ، ويفض به البقاء الى انقطاع ،
وما للمرء خير في حياة ، اذا ما عد من سقط المتاع ، فكتبتها

وقت لا تصرف فقال اقعد ثم انشدني

الى كم تعاديني السيوف ولا ارى ، معاداتها تدعوا الى حماميا ،
اقارع عن دار الخلود ولا ارى ، بقاء على حال لمن ليس باقيا ،
ولو قرب الموت القراع لقد اني ، لموتي وان يدنو لطول قراعيا ،
اغادي جلاد المعلمين كانني ، على العسل الماذي اصبح غاديا ،
وادعوا الكماة للنزال اذا القنا ، تحطم فيما بيننا من طعانيا ،
ولست ادى نفسا تموت وان دنت ، من الموت حتى يبعث الله داعيا ،

قال ابن دريد وهذا الشعر لقطري ابن الفجاءة اخبرنا ابو الحسين علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال جئت اباعبيدة يوما ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقراه على فقير فقلت ما معي غيره فانشدني انت ما شئت فانشدني

يا رب ظل عقاب قد وقيت به ، مهري من الشمس والابطال تجتلد ،
ورب يوم حمى ارعيت عقوته ، خيلي اقتسارا واطراف القنا قصد ،

ويوم لهو لاهل الخفض ظل به ، لهوي اصطلاء الوغى اذ ناره تقد ،
مشهرا موقفي والحرب كاشفة ، عنها القناع وبحر الموت يطرد ،
ورب هاجرة تغلي مراجلها ، تخرتها بمطايا غادة تخد ،
تجتاب اودية الافزاع آمنة ، كانها اسد تقتادها اسد ،
فان امت حتف انفي لا امت كمدا ، على الطعان وقصر العاجز الكمد ،
ولم اقل لم اساق القتل شاربه ، في كاسه والمنايا شرع ورد ،

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به انفسكم من اشعار المخانيث والشعر لقطري ابن الفجاءة واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة يانس الي في اول ما اختلفت اليه ويسالني عن خوارج سجستان لانه كان يظنني على رايهم وكنت اوهمه اني على رايهم فنالني منه لذلك عناية خاصية وكان كثيرا ما ينشدني اشعارهم ثم يتمثل

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا ، وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا اشدوا ،

قال وانشدني يوما لرجل من طي من الخوارج ، لا كابن ملحان من شاد اخي ثقة ،
اوكابن علقة المستشهد الشاري ، من صادق كنت اصفيه مخالصتي ،
فباع داري باعلى صفقة الدار ، اخوان صدق ارجيهم واحذرهم ،
اشكوا الى الله اخواني واحذاري ، فصرت صاحب دنيا لست املكها ،
وصار صاحب جنات وانهار ،

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي اضافتها اليهود الى الله تعالى وادعوا انها مغلولة وما نرى عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يدا مغلولة واليهود تتبرا من ان يكون فيها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلت ايديهم وهو تعالى ممن لا يصلح ان يدعو على غيره لانه قادر على ان يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له الجواب قلنا يحتمل ان يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى ان يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا

يصح

بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا ويده لا تنبسط
الى كذا اذا اراد وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع
آخر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ثم قال تعالى مكذبا
لهم بل يداه مبسوطتان اي انه ممن لا يعجزه شيء وثنى اليدين تأكيدا للامر
وتفخيما له لانه ابلغ في المعنى المقصود من ان يقول يده مبسوطة وقد قيل
ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطئوا رزقه وقيل انهم قالوا على سبيل
الاستهزاء ان اله محمد الذي ارسله يداه الى عنقه اذ ليس يوسع عليه وعلى
اصحابه فرد الله تعالى عليهم قولهم فاكذبهم بقوله بل يداه مبسوطتان واليد
ههنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة ظاهر في كلام العرب واشعارهم
ويشهد له من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ولا معنى لذلك الا الامر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق
وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن ان يكون الوجه في تثنية النعمة
من حيث اريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعم الله تعالى فمن
حيث اختص كل واحد من الامرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كانهما
جنسان او قبيلان ويمكن ايضا ان تكون تثنية النعمة انه اريد بها النعم الظاهرة
والباطنة فاما قوله عز وجل غلت ايديهم ففيه وجوه اولها ان يكون ذلك
على سبيل الدعاء بل على سبيل الاخبار منه جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي
الكلام ضمير قد قبل قوله غلت وموضع غلت نصب على الحال كانه تعالى قال
وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم وحكم بذلك فيهم
ويسوغ اضمار قد ههنا كما ساغ في قوله تعالى ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
والمعنى فقد صدقت وقد كذبت وثانيها ان يكون معنى الكلام وقالت
اليهود يد الله مغلولة فغلت ايديهم او وغلت ايديهم واضمر الفاء والواو
لان كلامهم تم واستونف بعده كلام آخر ومن عادة العرب ان تحذف فيما
يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله

يامركم

يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا فاضمر الفاء لتمام كلام موسى عليه السلام
ومنه قول الشاعر، لما رأيت نبطا انصارا، شمرت عن ركبتي الازارا،
كنت لها من النصارى جارا، اراد وكنت فاضمر الواو وثالثها ان يكون القول
خرج مخرج الدعاء الا ان معناه التعليم من الله تعالى والتأديب فكانه جلت
عظمته وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي ان نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء
في غير هذا الموضع بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكل
ذلك جلي واضح بحمد الله **تأويل خبر** ان سأل سائل عن الخبر الذي يروى
عنه صلى الله عليه وآله انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده
ويسرق الحبل فتقطع يده **الجواب** قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس
فالخوارج تتعلق به وتدعي ان القطع في الكثير والقليل وتستشهد به على ذلك
وبظاهر قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وتعلق بهذا الخبر
ايضا الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة لانه لا قطع
الا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه واول ما نقوله ان الخبر مطعون عند
اصحاب الحديث على سنده وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجها عن يحيى بن
اكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجها آخر نحن نذكرهما وما فيهما
ونتبعهما بما نختاره قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة فرأيته
يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الراس في الحرب
وان الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال
ورأيته يعجب بهذا التأويل ويبدي فيه ويعيد ويرى انه قطع به حجة الخصم
قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس
هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دنانير وحبل
لا يقدر على حمله السارق ولا من عادة العرب والعجم ان يقولوا قبح الله فلانا
عرض نفسه للضرب في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما
العادة في مثل هذا جارية ان يقال لعنه الله تعرض للقطع في حبل رث واداوة
خلقة او كبة شعر وكلما كان من ذلك احقر كان ابلغ قال والوجه في الحديث

ان الله عز وجل لما انزل على رسوله صلى الله عليه وآله والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الله السارق
يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم اعلمه الله تعالى
بعد ان القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه
وآله يعلم من حكم الله تعالى الا ما علمه الله وما كان الله عز وجل يعرفه ذلك جملة
جملة بل بيّن له شيئا بعد شيء قال السيد الشريف المرتضى علم الهدى قدس الله
روحه ووجدت ابا بكر الانباري يقول ليس الذي طعن به ابن قتيبة على
تاويل الخبر بشيء لان البيضة من السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في
علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك اللذين هما ربما
ساويا الالوف من الدنانير والبيضة من الحديد ربما اشتريت باقل مما
يجب فيه القطع وانما اراد عليه السلام انه يكتسب قطع يده بما لا غنى له به
لان البيضة من السلاح لا يستغني بها احد والجوهر والمسك في يسيرهما
غنى قال السيد قدس الله روحه والذي نقوله انما طعن به الانباري على
كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن ابن قتيبة
فيشبه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى في ذلك ان يقال اي وجه
لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليسا هما النهاية في التقليل فان كان لما ذكره
ابن الانباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغني به فليس ذكر ذلك باولى من
غيره ولا بد من ذكر وجه في ذلك واما تاويل ابن قتيبة فباطل لان النبي
صلى الله عليه وآله لا يجوز ان يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى والسارق
والسارقة لان الآية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز ان يصرفها الى بعض
محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان اكثر من قال ان الآية غير مجملة وان
الظاهر من القول يقتضي العموم يذهب الى انه اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق لم يتاخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله من ان الآية تقدمت
ثم تاخر تخصيص السراق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتاخر ناسخا للآية وعلى
تاويله هذا يقتضي ان يكون كل الخبر منسوخا واذا امكن تاول اخباره

ظاهر القول

عليه

عليه السلام على ما لا يقتضي رفع احكامها ونسخها كان اولى فالاشبه ان
يكون المراد بهذا الخبر ان السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق
القليل الحقير فتقطع يده فكانه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث
باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد حكى اهل اللغة ان بيضة القوم
وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه
وبيضة البلد الذي لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم
على سبيل الاضداد واذا استعمل في الذم فمعناه ان الموصوف بذلك خسيس
مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة لا تلتفت اليها فمما
جاء من ذلك في المدح قول اخت عمرو بن عبد ود وتذكر قتل امير المؤمنين
عليه السلام وقيل ان الابيات لامراة من العرب غيرها

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ، لكنت ابكي عليه آخر الابد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به ، من كان يدعى قديما بيضة البلد

وقال آخر في المدح

كانت قريش بيضة فتفلقت ، فالمح خالصه لعبد مناف

وقال آخر في الذم

تابى قضاعة ان تعرف لكم نسبا ، وابنا نزار وانتم بيضة البلد

اراد ان تعرف فاسكن وقال آخر في ذلك

لكنه حوض من اودى باخوته ، ريب الزمان فامسى بيضة البلد

فصار معنى البيضة كله يعود الى
التفخيم والتعظيم واما الحبل فذكر على سبيل المثل والمراد به المبالغة في التحقير
والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان عقالا وما ذهب من فلان عقال
ولا يساوي كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التحقير والتقليل
وليس الغرض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة واذا كان هذا
تاويل الخبر زالت المناقضة التي ظنت وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع
يجب في القليل والكثير اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني ابو عبد الله
الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو زينب علي بن ثابت
قال قال الاصمعي تصرفت بي الاسباب على باب الرشيد مؤملا الظفر به

والوصول اليه حتى انى صرت لبعض حرسه خدينا فانى فى ليلة قد نثرت
السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال
ابالحضرة رجل يحسن الشعر فقلت الله اكبر رب قيد مضيقة قد حله التيسير
فقال الخادم ادخل فلعلها ان تكون ليلة تعرس فى صباحها بالغنى ان فزت
بالحظوة عند امير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد فى بهو والفضل بن
يحيى الى جانبه فوقف الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد السلام ثم
قال يا غلام ارحه قليلا يفرخ روعه ان كان قد وجد للروعة حسا فدنوت
قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين اضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر
اليك من اعتراض اذية فقال ادن فدنوت فقال اشاعر ام راوية فقلت
راوية لكل جد وهزل بعد ان يكون محسنا فقال تالله ما رايت ادعاء اعم
من هذا فقلت انا على الميدان فاطلق من عنانى يا امير المؤمنين فقال قد
انصف القارة من راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بديا قال قلت فيها
قولان القارة هى الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة
للتبابعة والملك اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج خارج
من السغد قد وضع سهمه فى كبد قوسه فقال اين رماة العرب فقالت العرب
انصف القارة من راماها فقال لى الرشيد اصبت ثم قال اتروى لرؤبة بن
العجاج والعجاج شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوافى وان غيبا عن بصرك
بالاشخاص فاخرج من ثنى فرشه رقعة ثم انشدنى ، ارقنى طارق هم
ارقا ، خضت فيها مضى الجواد فى سنن ميدانه تهد وبها اشداقى فلما صرت
الى مديحه لبنى امية ثنيت لسانى الى امتداحه للمنصور فى قوله قلت لزير
لم تصله مريمه فلما رآنى قد عدلت من ارجوزة الى غيرها قال لى اعن حيرة
ام عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه وعدلت الى صدقه فيما وصف به المنصور
من مجده فقال الفضل احسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس
فلما اتيت على آخرها قال لى الرشيد اتروى كلمة عدى بن الرقاع ، عرف
الديار توهما فاعتادها ، قلت نعم قال هاتها فمضيت فيها حتى اذا صرت

الى

الى وصفه الجمل قال لى الفضل ناشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعنا به
السهر فى ليلتنا هذه بصفة جمل اجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل
هى التى اخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها
سياطا ضربت بها انت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد
لله فقال الرشيد اخطات الحمد لله على النعم ولو قلت واستغفر الله لكنت
مصيبا ثم قال لى امض فى امرك فانشدته حتى بلغت الى قوله ، تزجى اغن
كان ابرة روقه ، استوى جالسا وقال اتحفظ فى هذا ذكرا قلت نعم ذكرت
الرواة ان الفرزدق قال كنت يوما فى المجلس وجرير الى جانبى فلما ابتدا عدى
فى قصيدته قلت لجرير مسرا اليه هلم لنسخر من هذا الشامى فلما ذقنا كلامه
يئسنا منه فلما قال لجرير ، تزجى اغن كان ابرة روقه ، وعدى كالمسيح
قال لجرير اما تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يا لكع انه يقول ضخم قلم
اصاب من الدواة مدادا ، فقال عدى ، قلم اصاب من الدواة مدادا ،
فقال جرير اكان سمعك مخبوا فى صدره فقال لى اسكت شغلنى سبك عن
جيد الكلام فلما بلغ الى قوله ، ولقد اراد الله اذ ولاكها ،
، من امة اصلاحها ورشادها ، قال الاصمعى فقال لى ما تراه قال اذ انشده
الشاعر هذا البيت قال قلت كذا اراد الله فقال الرشيد ما كان فى جلالته
ليقول هذا احسبه قال ما شاء الله وكذا جاءت الرواية فلما اتيت على آخرها
قال لى اتروى لذى الرمة شيئا قلت الاكثر قال فماذا اراد بقوله ،
، ممرا امرت متنه اسدية ، ذراعية حلالة بالمصانع ، قلت وصف
حمار وحش اسمنه بقل روضة تواشجت اصوله وتشابكت فروعه عن مطر
سحابة كانت بنوء الاسد فى الذراع من ذلك فقال الرشيد ارح فقد
وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا ثم قال اجد ملالة ونهض فاخذ الخادم
يصلح عقب النعل فى رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتنى يا غلام
فقال الفضل قاتل الله الاعاجم اما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه
الكلفة فقال الرشيد هذه نعلى ونعل آبائى كم تعارض فلا تترك من جواب

مرض ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين الف درهم على هذا
الرجل في ليلته ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين
ولا يأمر غيره لامرت لك بمثل ما امر لك به وقد امرت لك به الا الف درهم فتلق
الخادم صباحا قال الاصمعي فما صليت من غد الا وفي منزلي تسعة وخمسون
الف درهم **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال اليس ظاهر هذه الآية
يقتضي انه هو الفاعل للايمان فيهم لان النور ههنا كناية عن الايمان والطاعات
والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه واذا كان
مضيفا للاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم
الجواب قلنا اما النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز ان يكون المراد بهما
الايمان والكفر وجائز ايضا ان يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب
وقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بانه نور وعن العقاب في النار
بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ اضافة اخراجهم من الظلمات
الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في انه عز وجل هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل
به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لانه يقتضي ان المؤمن الذي ثبت
كونه مؤمنا يخرج من الظلمة الى النور فلو حمل على الايمان والكفر لتناقض
المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمنا من
الكفر الى الايمان وذلك لا يصح فاذا كان الكلام يقتضي الاستقبال في اخراج
من قد ثبت كونه مؤمنا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق
النار اشبه بالظاهر على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم
يكن مقتضيا لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه وان لم يكن الايمان
من فعله من حيث دل وبين وارشد ولطف وسهل وقد علمنا انه لولا
هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فتصح اضافة الاخراج
اليه لكون ما عددناه من جهته وعلى هذا يصح من احدنا اذا اشار على غيره
بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح

او بمجانبة فعل من الافعال ان يقول انا ادخلت فلانا البلد الفلاني وانا
اخرجته من كذا وكذا او اخشيته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب
وتقوية الدواعي الا ترى انه تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات
الى الطواغيت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في
الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر
ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان
وحزبه وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته واغرى بمعصيته يصح اجراء هذه
التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الاولى ان الايمان من فعل الله في المؤمن
ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله
المخالفين وغفلتهم وبعد فلو كان الامر على ما ظنوه لم صار الله تعالى وليا للمؤمنين
وناصرا لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله لا من فعلهم ولو كان خاذلا
للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله لهم ومن فصل بين
الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا
لا يذهب على احد ولا يعرض عنه الا معاند مغالط لنفسه اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال قال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا احمد بن حيان
قال حدثنا ابو عبد الله بن النطاح قال اخبرنا ابو عبيدة قال قال عبد الملك
ابن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من هذه الدنيا
الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث
وقبلك عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه
وبعث به اليه وقرظه واطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد
الملك قال للحاجب استأذن لي قال من انت قال عامر الشعبي قال حياك الله
ثم نهض فاجلسه على كرسيه فلم يلبث ان خرج اليه الحاجب فقال ادخل
فدخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل ابيض
الراس واللحية جالس على كرسي فسلمت فرد السلام ثم اومأ الي بقضيبه
فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر

الناس قال انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم علي ما بيني وبين عبد الملك
ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس
فعجب عبد الملك من عجلتي قبل ان يسالني عن حالي ثم قال هذا الاخطل
قلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول ، هذا غلام حسن وجهه ،
مستقبل الخير سريع التمام ، للحرث الاكبر والحرث الاصغر ،
والحرث خير الانام ، خمسة اباء هم ما هم ،
هم خير من يشرب صوب الغمام ، فقال عبد الملك رددها علي فرددتها
حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين قال هذا الشعبي قال
صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك فقال كيف
انت يا شعبي فقلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من
خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى
هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل علي عبد الملك
فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير
موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوما وبابه وفد غطفان فقال يا
معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول ، حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ،
وليس وراء الله للمرء مذهب ، لئن كنت قد بلغت عني جناية ،
لمبلغك الواشي اغش واكذب ، ولست بمستبق اخا لا تلمه ،
على شعث اي الرجال المهذب ، قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول
، فانك كالليل الذي هو مدركي ، وان خلت ان المنتاى عنك واسع ،
خطاطيف حجن في حبال متينة ، تمد بها ايد اليك نوازع ،
قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول ، الى ابن محرق اعملت نفسي ،
وراحلتي وقد هدت العيون ، اتيتك عاديا خلقا ثيابي ،
على خوف تظن بي الظنون ، فالفيت الامانة لم تخنها ،
كذلك كان نوح لا يخون ، قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم
ثم اقبل عبد الملك على الاخطل فقال اتحب ان لك قياضا بشعرك شعر احد

من

من العرب ام تحب انك قلته فقال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت ابياتا
قالها رجل منا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال [في الهامش: فانشد]
، انا محيوك فاسلم ايها الطلل ، وان بليت وان طالت بك الطيل ،
، ليس الجديد به تبقى بشاشته ، الا قليلا ولا ذو خلة يصل ،
، والعيش لا عيش الا ما تقر به ، عين ولا حال الا سوف تنتقل ،
، ان ترجعي من ابي عثمان منجحة ، فقد يهون على المستنجح العمل ،
، والناس من يلق خيرا قائلون به ، ما يشتهي ولام المخطئ الهبل ،
، قد يدرك المتاني بعض حاجته ، وقد يكون مع المستعجل الزلل ،
قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قلت قال
، طرقت جنوب رحالنا من مطرق ، ما كنت احسبه قريب المعنق ،
حتى اتيت على آخر القصيدة فقال عبد الملك ثكلت القطامي امه هذا والله
الشعر قال فالتفت الى الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في الاحاديث وانما
لنا فن واحد فان رايت ان لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم حرضا قلت لا
اعرض لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت
امير المؤمنين فقال عبد الملك هو علي ان لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي
اي شعراء الجاهلية كان اشعر من النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها على
غيرها قلت لقولها ، وقائلة والنعش قد فات خطوها ،
، لتدركه يا لهف نفسي على صخر ، الا ثكلت ام الذين غدوا به ،
، الى القبر ماذا يحملون الى القبر ، فقال عبد الملك اشعر منها والله ليلى الاخيلية [في الهامش: حيث تقول]
، مهفهف الكشح والسربال منخرق ، عنه القميص لسير الليل محتقر ،
، لا يامن الناس ممساه ومصبحه ، في كل فج وان لم يغز ينتظر ،
ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعت قلت اي والله يا امير المؤمنين اشد
المشقة اني محدثك منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة في الغلام ثم
قال يا شعبي انما اعلمناك هذا لانه بلغني ان اهل العراق يتطاولون على
اهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فليس يغلبوننا على العلم

والرواية واهل الشام اعلم بعلم اهل العراق من اهل العراق ثم رد على ابيات ليلى حتى حفظتها واذن لي فانصرفت فكنت اول داخل وآخر خارج قال سيدنا قدس الله روحه الصحيح في الرواية ان الابيات اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لاعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الوايلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة وهي

انى اتتني لسان لا اسر بها ، من علو لا عجب منها ولا سخر ،

فظلت مكتئبا حيران ابدبه ، وكنت احذره لو ينفع الحذر ،

فجاشت النفس لما جاء جمعهم ، وراكب جاء من تثليث معتمر ،

يأتي على الناس لا يلوي على احد ، حتى التقينا وكانت دوننا مضر ،

ان الذي جئت من تثليث تندبه ، منه السماح ومنه النهي والغير ،

تنعى امرأ لا تغب الحي جفنته ، اذا الكواكب اخطا نوءها المطر ،

وراحت الشول مغبرا مناكبها ، شعثا تغير منها النيّ والوبر ،

والجأ الكلب موقوع الصقيع به ، والجأ الحي من تنفاحها الحجر ،

عليه اول زاد القوم قد علموا ، ثم المطي اذا ما ارملوا جزر ،

قد تكظم البزل منه حين تبصره ، حتى تقطع في اعناقها الجرر ،

اخو رغائب يعطيها ويسلبها ، يأبى الظلامة منه النوفل الزفر ،

لم تر ارضا ولم تسمع بساكنها ، الا بها من بوادي وقعه اثر ،

وليس فيه اذا استنظرته عجل ، وليس فيه اذا ياسرته العسر ،

فان يصبك عدو في مناواة ، يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر ،

من ليس في خيره من يكدره ، على الصديق ولا في صفوه كدر ،

اخو شروب ومكساب اذا عرضا ، وفي المخافة منه الجد والحذر ،

مردي حروب ونور يستضاء به ، كما اضاء سواد الظلمة القمر ،

مهفهف اهضم الكشحين منخرق ، عنه القميص لسير الليل محتقر ،

طاوي المصير على العزاء منجرد ، بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر ،

لا يصعب الامر الا ريث يركبه ، وكل امر سوى الفحشاء يأتمر ،

معنى لا يصعب الامر اي لا يجده صعبا ،

لا يتأرّى لما في القدر يرقبه ، ولا يعض على شرسوفه الصفر ،

لا يغمز الساق من اين ولا وصب ، ولا يزال امام القوم يقتفر ،

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ، في كل فج وان لم يغز ينتظر ،

تكفيه حزة فلذ ان الم بها ، من الشواء ويروي شربه الغمر ،

لا تأمن البازل الكوماء عدوته ، ولا الامون اذا ما اخروط السفر ،

كأنه بعد صدق الناس انفسهم ، بالبأس تلمع من قدامه البشر ،

قال المبرد لا نعلم بيتا في يمن النقيبة وبركة الطلعة ابرع من هذا البيت

لا يعجل القوم ان تغلي مراجلهم ، ويدلج الليل حتى يفسح البصر ،

عشنا به حقبة حيا ففارقنا ، كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر ،

اصبت في حرم منا اخا ثقة ، هند ابن اسماء لا يهني لك الظفر ،

لو لم تخنه نفيل وهي خائنة ، لصبح القوم وردا ماله صدر ،

واقبل الخيل من تثليث مصغية ، وضم اعينها اخوان او حضر ،

اما سلكت سبيلا كنت سالكها ، فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر ،

وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء اخت المنتشر وقيل لليلى اخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبتها الى ليلى الاخيلية من ههنا والصحيح ما ذكرناه اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة قال وفد الاخطل على معاوية فقال اني قد مدحتك بابيات فاسمعها قال ان كنت شبهتني بالحية او الاسد او الصقر فلا حاجة لي فيها وان كنت قلت في كما قالت الخنساء ،

وما بلغت كف امرئ متناول ، بها المجد الا حيث ما نلت اطول ،

وما بلغ المهدون في القول مدحة ، وان صدقوا الا الذي فيك افضل ،

فقال انت اذا فقال الاخطل والله لقد احسنت وقلت بيتين ما هما بدون ما سمعته وانشد ،

اذا مت مات العرف وانقطع الغنى ، فلم يبق الا من قليل مصرد ،

وردت اكف الراغبين وامسكوا ، من الدين والدنيا بخلف مجدد ،

فاحسن صلته واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد
النحوي قال اخبرنا احمد بن يحيى ان ابن الاعرابي انشدهم
مررنا عليه وهو يكعم كلبه ... دع الكلب ينبح انما الكلب نابح
قوله يكعم كلبه اي يسد فاه خوفا ان ينبح فيدل عليه وقال آخر
ونكعم كلب الحي من خشية القرى ... ونارك كالعذراء من دونها ستر
قال وقد قال الاخطل ... قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم
قالوا لامهم بولي على النار ... قال ابو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد
الازدي يقول هذا من اهجى ما هجي به جرير لانه جعل نارهم يطفئها البول
وجعلهم يامرون امهم بالبول استخفافا بها مجلس آخر تاويل آية
ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب اوليس تاويل هذه الآية يقتضي
انه تعالى يجوز ان يزيغ القلوب عن الايمان حتى تصح مسالته ان لا يزيغها
ويكون هذا الدعاء مفيدا الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون
المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضي
بنا ذلك الى زيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع ان يضيفوا ما يقع من زيغ
قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم اليه كما قال تعالى في السورة انها زادتهم
رجسا الى رجسهم وكما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام فلم يزدهم دعائي
الا فرارا فان قيل كيف يشدد عليهم في المحنة قلنا بان يقوي شهواتهم لما
قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك
شاقا والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا وانما يحسن ان يجعله شاقا تعريضا
لهذه المنزلة وثانيها ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت على الهداية وامدادهم
بالالطاف التي معها يستمرون على الايمان فان قيل كيف يكون نزيغا لقلوبهم
بان لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم انه متى قطع امدادهم بالطافه
وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجري هذا مجرى قولهم اللهم لا
تسلط علينا من لا يرحمنا لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله

قول الشاعر ... اتاني رحلي بالمدينة وقعة ... لآل تميم اقعدت كل قائم
اراد اقعد لها كل قائم فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا
الطافك فنزيغ ونضل وثالثها ما اجاب به ابو علي محمد بن عبد الوهاب
الجبائي لانه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى
هذا السؤال انهم سالوا الله تعالى ان يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه
ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان ان تزيغ قلوبهم عن
الثواب وان يفعل بهم بدلا منه العقاب فان قال قائل فما هذا الثواب
الذي في قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سالوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم
عنه واجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من
الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله
لرسوله عليه السلام الم نشرح لك صدرك وذكر ان ضد هذا الشرح هو
الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك ايضا التطهير
الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك ايضا كتابته الايمان
في قلوب المؤمنين كما قال تعالى اولئك كتب الله في قلوبهم الايمان وايدهم بروح
منه وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم
سالوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب
ورابعها ان تكون الآية محمولة على الدعاء بان لا يزيغ القلوب عن اليقين
والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب ان يفعله وما لولا المسالة
لجاز فعله لانه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى
ما عنده بان يفعل ما نعلم انه لا بد من ان يفعل وبان لا يفعل ما نعلم انه واجب
انه لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن ابراهيم
ولا تخزني يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعوه به قل رب احكم بالحق
وربنا الرحمن وكقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وكل ما ذكرناه واضح
بين بحمد الله قال سيدنا قدس الله روحه واني لاستحسن قول الداعي في وصف

الاثافى والرماد فقد طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستواء نظمه
واورق منه هدابن صفان حوله ، حواضن الآف على غير مشرب ،
ورادا الاعالى اقبلت بنحورها ، على راشح ذى شامة متصوب ،
كان بقايا لونه فى متونها ، بقايا هناء فى قلانص مجرب ،
الاورق الرماد وجعل الاثافى له كالحواضن لاحتضانها له واسنادها
حوله واراد بوارد الاعالى ان الوانها تضرب الى الحمرة وخص الاعالى لانها
مواضع الوقد فلا تكاد تسود والراشح هو الراضع وانما شبه الرماد بينهن
بفصيل بين اظآر والمتصوب الذى قد انحسر اعلاه وشبه ما سودت النار
منهن باثر قطرات على قلانص جربى والمجرب الذى قد جربت ابله ونظير
هذا المعنى بعينه اعنى تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذى الرمة ،
عفا الزرق من اطلال مية فالدحل ، فاجماد حوضى حيث زاحمها الحبل ،
سوى ان ترى سوداء من غير خلقة ، تخطاها وارتث جاراتها النقل ،
من المرضمات البيض غير لونها ، بنات فراض المرخ واليابس الجزل ،
كجرباء دست بالهناء فاقصيت ، بارض خلاء ان تقاربها الابل ،
قوله سوداء من غير خلقة يعنى اثفية لان السواد ليس بخلقة بها وانما سودتها
النار وقوله تخطاها النقل اى تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت
مفردة وارتث جاراتها يعنى بجاراتها الاثافى اللواتى كن معها والمرتث هو
المنقول من مكان الى مكان واصل ذلك فى الجريح والعليل يقال ارتث الرجل
ارتثاثا اذا حمل من المعركة وبه رمق قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع
وقال ابو زيد هو ماخوذ من قولهم ارتثثنا رثة القوم اذا جمعوا ردى
متاعهم بعد ان يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذى الرمة لانه
قد يجوز ان يريد بقوله وارتث جاراتها اى نقلن عنها ويجوز ان يريد صرعن
وبقيت ثابتة قائمة والرضمات حجارة بيض بعضها على بعض والفراض جمع
فرض وهو الحز يكون فى الزند وعنى ببنات فراض المرخ شررها للنار الخارجة
من ذلك الفرض والمرخ شجر تتخذ منه الزند ومن امثالهم فى كل شجر نار

واستجد

واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم يفضل القوم
ويزيد عليهم فكان المعنى كل قوم كرام واكرمهم فلان ومعنى كجرباء دست
بالهناء انه شبه الاثفية المنفردة بناقة جرباء وقد افردت وابعدت عن
الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء طليت به وفى قول الراعى
وراد الاعالى شبه من قول الشماخ بن ضرار ، فاشت على ربعيها جارتا صفا ،
كميتا الاعالى جونتا مصطلاهما ، يعنى بربعيها منزلى المراتين اللتين
ذكرهما ويعنى بجارتا صفا الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذى هو
الصخر ويمكن فى قوله جارتا صفا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان
الاثفيتين توضعان قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة
للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافى اى بالصخرة والجبل
وشبه اعلاهما بلون الكميت وهو لون الحمرة نفسه لان النار لم تصل اليه فتسوده
ومصطلاهما جون اى اسود لان النار قد سفعته وسودته وقال الراعى فى
وصف الاثافى ايضا ، اذاع باعلاه وابقى شريده ،
ذرا مجنحات بينهن فروج ، كان بجنح الدار لما تحملوا ،
سلائب ورق بينهن خديج ، اذاع باعلاه يعنى الرماد لان السافى
يطيرظاهره وما علا منه وابقى شريده اى بقيه ما شرد على السافى فلم يطر
وذرا مجنحات يعنى الاثافى وذرا كل شى جانبه وما استذريت به منه
والمجنحات المسيلات والسلائب جمع سلوب وهى الناقة التى قد سلبت ولدها
بموت او نحر فقد عطفت على حوار آخر والخديج الذى قد سقط لغير تمام
والورق اللواتى الوانهن كلون الرماد وفى معنى قول الراعى وابقى شريده
ذرا مجنحات قول المخبل السعدى ، وارى لها دارا باغدرة السيدان ،
لم يدرس لها رسم ، الا رمادا هامدا دفعت ،
عنه الرياح خوالد سحم ، الا ههنا بمعنى الواو فكانه قال وارى
رمادا هامدا ولولا ان الا ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره اوله
لانه قال فى آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف يخبر

بانه قد درس وانما اراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه الرياح
فلم يستفه اذا من جملة ما المريد درس بل هو داخل في جملته وللراعي ايضا في
الاثافي ، اثحن وهن اغفال عليها ، فقد ترك الصلاء بهن نارا ،
شبه الاثافي بنوق اثحن اغفالا ليست عليهن سمة ثم اخبر ان الوقود اثر
فيهن اثرا كالسمة والنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك اي ما سمته وفي
امثالهم نجارها نارها اي سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهرا
حسنا يدل على باطن خير وقال عدي بن الرقاع العاملي ،

الا رواكد كلهن قد اصطلى ، حمراء اشعل اهلها ايقادها ،
كانت رواحل للقدور فعريت ، منهن واستلب الزمان رمادها ،
وقال الاسعر الجعفي ، الا رواكد بينهن خصاصة ،
سفع المناكب كلهن قد اصطلى ، وقال حميد بن ثور ، فتغيرت الا ملاعبها
ومعرسا من جونة ظهر ، عرش النقاب لها بدار مقامة ، المحي بين نظار ووتر

الجونة القدر يقال قد ظهر وقد ورظهور اذا كانت قديمة وعرش اي
جعل مثل العريش يعني الوقود والنقاب ما انقبض من الوقود والنظار هي
الاثافي والوتر الفرج واراد انها ثلاث وقال الكميت بن زيد ،

ولن تجيبك اظار منعطفة ، بالقاع لا تمك فيها ولا ميل ،
ليث بعوذ ولم تعطف على ربع ، ولا يهيب بها ذو النية الابل ،

يعني الاثافي وشبه تعطفها على الرماد بنوق اظار قد عطفن على فصيل
والتمك انتصاب السنام والميل من صفة السنام والعائذ من النوق التي
يتبعها ولدها والربع الذي نتج في اول الربيع والاهابة الدعاء اهاب بالابل
اذا دعاها وذو النية الذي قد نوى الرحيل والابل صاحب ابل وقال
ذو الرمة ، فلم يبق الا ان ترى في محلة ، رمادا نحت عنه السيول جنادله
كان الحمام الورق في الدار وقعت ، على حرق بين الظؤور جوازله ،
شبه الاثافي بحمام ورق وجعلها ظؤورا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد
بفرخ حرق قد سقط ريشه والجوازل الفراخ واحدها جوزل وقال البعيث

الا حييا الربع القواء وسلما ، ورسما كجثمان الحمامة ادهما ،
قيل ان الحمامة ههنا القطاة وانه شبه الرسوم من الرماد والموقد نار ودمنة
ومحتطب وما اشبه هذه الاشياء بالوان ريش قطاة ومثله لجرير ،
كان رسوم الدار ريش حمامة ، محاها البلى واستعجبت ان تكلما ،
ولقد احسن كل الاحسان كثير في قوله ، امن آل قيلة بالدخول رسوم ،
وبحومل طلل يلوح قديم ، لعب الرياح برسمه فاجده ،
جون عواكف في الرماد جثوم ، سفع الخدود كانهن وقد مضت ،
حجج عوائد بينهن سقيم ، قيل في قوله اجده جون عواكف يعني

الاثافي لان الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت هي كانها اجدت الرسم
ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون معنى اجدته انها حمت الرماد الذي احاطت
به من لعب الرياح فبقي بحاله يستدل به المترسم فكان الرياح درست
الرسم ومحته الا ما اجدته هذه الاثافي من الرماد ومنعت الريح منه ويجري
ذلك مجرى قول المخبل الا رمادا هامدا البيت وقال المراد القعقعي في الاثافي
اثر الوقود على جوانبها ، بخدودهن كانه لطم ، ويقال ان ابا تمام
الطائي اخذ ذلك في قوله ، قفوا نعط المنازل من عيون ،
لها في الشوق احساء غزار ، عفت آياتهن واي ربع ،
يكون له على الزمن الخيار ، اثاف كالخدود لطمن حزنا ،
ونؤي مثلما انفصم السوار ، وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا بعض

من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان اللطم
الحزن يكون اوجع وابلغ فتاثيره ابين واظهر وقد يكون اللطم لغير الحزن
فاما قوله ونؤي مثلما انفصم السوار فماخوذ من قول الشاعر ،

نؤي كما نقص الهلال محاقه ، او مثل ما فصم السوار المعصم ،

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرا وبغير ذلك قال كثير ،

عرفت لسعدى بعد عشرين حجة ، بها درس نؤي في المحلة منحني ،
قديم كوقف العاج ثبت حوله ، مغار زاوناد برضم موضن ،

الوقف السوار من الذبل ومن العاج والرضم صخر وعظام والموضن الذى
بعضه فوق بعض وقال بشار ، ونؤى كخلخال الفتاة وصائم ،
اشج على ريب الزمان رقوب ، الصائم الاشج يعنى الوتد وانما وصفه بانه
صائم لقيامه وثباته وجعله رقوبا لانفراده والمراة الرقوب والشيخ الرقوب
الذى لا يعيش له ولد ومن مستحسن ما وصف به النؤى قول ابى تمام ،
والنؤى اهمد شطره فكانه ، تحت الحوادث حاجب مقرون ،
وقال المتنبى فى ذلك ، قف على الدمنتين بالدو من ريّا ،
كخال فى وجنة جنب خال ، بطلول كانهن نجوم ،
فى عراص كانهن ليال ، ونؤى كانهن عليهن ،
خدام خرس بسوق خدال ، الخدام جمع خدمة وهى الخلخال وجعلها
خرسا لانها غير قلقة وشبه ما احدق به النؤى من الارض وامتلائها
بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهى الممتلئة مجلس آخر تاويل آية
ان سال سائل عن قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه
يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر
الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان
شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون نضا
ما تاويل هذه الآيات وهل البقرة التى نعتت بجميع النعوت هى البقرة
المرادة باللفظ الاول والتكليف واحد والمراد واحد او المراد مختلف والتكليف
متغاير الجواب قلنا اهل العلم فى تاويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف
اصولهم فمن جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى ان التكليف واحد
وان الاوصاف المتاخرة هى للبقرة المتقدمة وانما تاخر البيان ولما سال
القوم عن الصفات ورد البيان شيئا بعد شى ومن لم يجوز تاخير البيان

يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم
الا ذبح اى بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اى بقرة اتفقت
لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو
ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من اى لون كان لاجزاءهم فلما لم يفعلوا كلفوا
ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الاخيرة ثم
اختلف هولاء من وجه آخر فمنهم من قال فى التكليف الاخير انه يجب ان يكون
مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الارض
ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر ومنهم من
قال انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب
بالقول الاول المبنى على جواز تاخير البيان اشبه وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح
بقرة قالوا للرسول ادع لنا ربك يبين لنا ما هى فلا يخلو قولهم ما هى من ان
يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن غيرها التى امروا بها فابوا عن قول
من يدعى ذلك وليس يجوز ان يكونوا سالوا عن صفة غير التى تقدم ذكرها
لان الظاهر من قولهم ما هى بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضى ان يكون السؤال
عن صفة البقرة المامور بذبحها ولانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى
فيستفهموا عنها واذا صح ان السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكرة التى امروا
فى الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون
كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك كناية عن
بقرة ثانية لان الظاهر قوله انها بقرة من صفتها كذا بعد قولهم ما هى يقتضى ان يكون
كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم ولان الامر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك
جوابا لهم بل كان يجب ان يكونوا سالوه عن شى فاجابهم عن غيره وهذا لا يليق
بالنبى عليه السلام على انه لما اراد ان يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم فى
الاول على ما يدعيه من ذهب الى هذا المذهب قد كان يجب ان يجيب عن سؤالهم
وينكر عليهم الاستفهام عنه فيقول فى جواب قولهم ما هى ما كلفتم اى بقرة شئتم
وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم فى ترك الامتثال واخطاتم فى الاستفهام مع

وضوح الكلام الا انكم قد كلفتم ثانيا كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه
لازالة الابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذي ظاهره
يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الامر على ما ذكرناه وهو انه لم يفعل ذلك في
اول السؤال كيف لم يفعله مع تكرار الاسولة والاستفهامات التي لم تقع على هذا
المذهب موقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن ان يكون جميع اجوبته
غير متعلقة باسولتهم لانه يسالونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان
بل على اقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في
جواب من ساله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عما
وقع السؤال عنه وهذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك
الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اي تشابه عليكم وانما
امرتم في الابتداء باي بقرة كانت وفي الثاني بما اختص بالصفة المخصوصة وفي
اي بقر كان وفي الثالث بما اختص باللون المخصوص من اي البقر كان فان قيل
كيف يجوز ان يامرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام
ولا يبين لهم ذلك وهل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم ان يذبحوا
البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز ان
يتاخر البيان لان تاخره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه وانما
اراد ان يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد
عليهم عند الحاجة اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا
بذبحه فوجوده كعدمه وهذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثا قلنا
ليس يجب ما ظننتم لان القول وان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد افاد
تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار
مفيدا من حيث ذكرنا وخرج من ان يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا
يجب ان يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد
كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها فان قيل ظاهر قوله تعالى فذبحوها
وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال الامر

قلنا ليس ذلك التصريح ذم لان كادوا للمقاربة وقد يجوز ان يكون التكليف
صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تتكامل لها تلك الصفات فقد روي انهم
ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على ان الذي يقتضي ظاهره ان يصرف الى تقصيرهم
او تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لان قوله تعالى وما كادوا يفعلون انما
ورد بعد تقديم البيان التام المكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في
الاول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو ثبت
تقدير ان التكليف في البقرة متغاير اي القولين اللذين حكيتموهما عن اهل
هذا المذهب اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان البقرة يجب ان تكون
بالصفة الاخيرة فقط لان الظاهر بها اشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير
التكليف وليس في قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض الى آخر الاوصاف
ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الاول فالواجب اعتبار ما
تضمنه لفظه والاقتصار عليه فاما الفارض فهي المسنة وقيل هي العظيمة
الضخمة يقال غرب فارض اي ضخم والغرب الدلو ويقال ايضا لحية فارضة
اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون المراد المسنة فاما البكر فهي
الصغيرة التي لم تلد فكانه تعالى قال لا تكون مسنة ولا صغيرة والعوان دون
المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي ولدت بطنا او بطنين ويقال حرب
عوان اذا لم تكن اول حرب وكانت ثانية وانما جاز ان يقول بين ذلك وبين
لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت
زيدا قائما ويقول القائل قد ظننت ذلك ومعنى فاقع لونها اي خالص الصفرة
وقيل ان كل ناصع اللون بياضا كان او غيره فهو فاقع وقيل انه اراد بصفراء
ههنا سوداء ومعنى قوله لا ذلول تثير الارض ان تكون صعبة لم يذللها العمل
في اثارة الارض وسقي الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب
وقال قوم مسلمة من الشية اي لا شية فيها تخالف لونها وقيل لا شية فيها اي
لا عيب فيها وقيل لا وضح فيها وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله اعلم بما الوضح البياض
اراد واياه نسال حسن التوفيق قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه

كنت اظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله في مرثية لاخت سيف الدولة
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر ، فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املا ، شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
حتى رايت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الانصاري وللبحتري اما الذي لمسلم
فقوله من قصيدة يرثي بها سهل بن صباح ، وقف العفاة عليك من متحير
وله الرجاء وذي غنى يسترجع ، ومخادع السمع النعي ودونه
خطب الم بصادق لا يخدع ، وقال البحتري يرثي وصيفا التركي
اذا جاء ناعيه توهمت انه ، يكرر من اخباره قول مازح
وكنت اظن المتنبي قد سبق الى قوله ، يحل القنا يوم الطعان بعقوتي
فاحرمه عرضي واطعمه جلدي ، حتى رايت هذا المعنى واللفظ بعينه
لجهم بن شبل الكلابي من اهل اليمامة في قوله تنت قومه عن حد رجان ودلـ حنا
الى الموت دامي الصفحتين كليم ، اخو الحرب اما جلده فمجرب
كليم واما عرضه فسليم ، وكنت اظن البحتري قد سبق الى
معنى قوله في الفتح بن خاقان ، حملت عليه السيف لا عزمك انثنى
ولا يدك ارتدت ولا حده نبا ، حتى وجدت لشاعر متقدم
طعنت ابن عبد القيس (؟) طعنة ، شففت بها عنه مضاعفة السرد
فلا الكف واهت بي ولا الرمح خانني ، ولا الادهم المنعوت جار عن القصد
قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك
بلا فضيلة الا البحتري قال اعرابي من ابيات ،
جعلت وما بي من عطر كانما ، جرى بين جلدي والعظام خلوق
وقال ابو تمام ، لم تشن وجهه المليح ولكن ،
جعلت ورد وجنتيه بهارا ، وقال غيره ،
ولم تشن شيئا ولكنها ، بدلت التفاح بالياسمين ،
وقال بكر بن عيسى ، حلة زعفرت مورد خد ،
كاد من رقة وري يفيض ، ولاحمد بن يزيد المهلبي ،

وقالوا

وقالوا عرت غزاء حمى شديدة ، فوجهتها منها شديد بصفارها ،
فقلت لهم هيهات هاتيك روضة ، مضى ورد منها وجاء بهارها ،
ولابي العتاهية ، وكانني مما تطاول بي ، مني السقام طليت بالورس ،
وقال ابن المعتز ، وصفرت علته وجهه ، فصار كالدينار من حقي
وقال البحتري ، بدت صفرة في لونه ان حمدهم ، من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد
وحرت على الايدي مجسة كفه ، كذلك موج البحر ملتهب الوقد ،
وما الكلب محموما وان طال عمره ، ولكنما الحمى على الاسد الورد ،
قال السيد قدس روحه اما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه
مليح موافق لغرضه الا انه اخطأ في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه
في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبهه وترك التعليل لكان
اجود وروى ابو العباس احمد بن فارس المنبجي قال حدثني ابو احمد عبيد الله
ابن يحيى بن البحتري قال حدثني ابي قال حدثني جدي البحتري قال كنت
عند ابي العباس المبرد فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال لي لقد احسن
عمارة بن عقيل في قوله لخالد بن يزيد لما وجه اليه بهذين البيتين ،
لم استطع سيرا لمدحة خالد ، فجعلت مدحته اليه رسولا ،
فليرحلن الى نايل خالد ، وليكفين رواحلي الترحيلا ،
قال البحتري فقلت له لمروان بن ابي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد اتاه
من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشدته ، لعمري لنعم الغيث غيث اصابنا ،
ببغداد من ارض الجزيرة وابله ، فكان الحي صبح الغيث اهله ،
ولم يرتحل اظعانه ورواحله ، فقال نعم هذا احسن فقلت له ان
لي في بني السمط وقد اتاني برهم من حمص مالا يضيع من الجميع وانشدته ،
جزى الله خيرا والجزاء بكفه ، بني السمط اخدان السماحة والمجد ،
هم وصلوني والمهامه بيننا ، كما ارفض غيث من تهامة في نجد ،
فقال هذا والله ارق مما قالا واحسن وروى احمد بن فارس المنبجي عن
عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني ابي عن جماعة من اهل العلم والادب

منهم عوف بن المرتع قال قلت لابي عثمان الجاحظ من انسب العرب قال
الذي يقول ، عجلتُ الى فضل الخمار فاثرت ، عذبا بة بمواضع التقبيل ،
وهذا البحتري في القصيدة التي اولها ، صبٌّ يخاطب مفحمات طلول ،
قال السيد قدس الله روحه وفي نسيب هذه القصيدة بيت آخر ليس بنقص
في ملاحة الكلام ورشاقته واخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به
الجاحظ وهو ، الحب عاذلي والصبى لي شافع ، واردّ دونك والشباب رسولي
وفي مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو ،
لا تطلبنّ له الشبيه فانه ، قمر التامّل مزنة التاميل ، وبهذا الاسناد
عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوما من مجلس ابي العباس محمد بن
يزيد المبرد فقال لي ابي البحتري اَرِني ما الذي اُفِدتَ يومك هذا من ابي
العباس فقلت املى علي اخبارا حسنة وانشدني ابياتا للحسين بن الضحاك
فقال ابي انشدني الابيات فانشدته ، كاني اذا فارقت شخصك ساعة ،
لفقدك بين العالمين غريب ، وقدمتُ اسباب السلو فخانني ،
ضمير عليه من هواك رقيبُ ، اعرك صفحي عن ذنوب كثيرة ،
وغضي على الاشياء منك تريبُ ، كان لم يكن في الناس قبلي متيم ،
ولم يك في الدنيا سواك حبيب ، الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن ،
لشكواي من عطف الحبيب نصيب ، فقال ما احسن هذا الكلام ثم انشدني لنفسه
حبيبي حبيب يكتم الناس انه ، لنا حين تلقانا العيون حبيب ،
يباعدني في الملتقى وفؤاده ، وان هو ابدى لي البعاد قريب ،
ويعرض عني والهوى منه مقبل ، اذا خاف عينا او اشار رقيبُ ،
فتنطق منا اعين حين نلتقي ، وتخرس منا السن وقلوبُ ،
ثم قال ارو يا بني هذين فانهما من احسن الشعر وطريفه وروى احمد بن
فارس المنبجي عن ابي نصر محمد بن اسحاق النحوي قال سمعت بعض اهل الادب
يقول للزجاج قد كنت تعرف ابا العباس المبرد وكبره وانه لم يكن يقوم لاحد
ولا يتطاول له وينشد اذا اشرف عليه الرجل ثهلان الهضبات لا يتحلحل ، ذو الهضبات

ولقد

ولقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه ابو العباس فاعتنقه
ونحّى عن موضعه واجلسه فجعل الرجل يستعفيه من ذلك فلما اكثر عليه
انشد ابو العباس ، اتكبر ان قوم وقد بدا لي ، لاكرمه واعظمه هشام ،
، فلا تنكر مبادرتي اليه ، فان لمثله خُلق القيام ، فلما انصرف الرجل
سالنا عنه فقيل هذا البحتري

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن
قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء
باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز
ان يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد ان يبوء اخوه
بالاثم وذلك ارادة لقبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها
كونها ارادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه
واثم غيره وهل هذا الا ما تابونه من اخذ البري بجرم السقيم **الجواب**
قلنا جواب اهل الحق عن هذه الاية معروف وهو ان هابيل من اخيه
قبيحا ولا اراد ان يقتله وانما اراد ما اخبر الله تعالى عنه من قوله اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك اي اني اريد ان تبوء بجزاء ما اقدمت عليه من القبيح
وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله
اثمي مع ان المراد عقوبة اثمي الذي هو قتلي قول القائل لمن يعاقب على
ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك
قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيمة معناه ما
ذكرناه فان قيل كيف يجوز ان تحسن ارادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه
لان القتل على هذا القول لم يكن واقعا قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الامر
الذي يستحق به العقاب فهابيل لما راى من اخيه التصميم على قتله والعزم
على امضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط
ان يفعل ما هم به وعزم عليه فاما قوله باثمي واثمك فالمعنى فيه واضح لانه
اراد باثمي عقاب قتلك لي واثمك اي عقاب المعصية التي اقدمت عليها من

قيل فلم يتقبل قربانك بسببها لان الله تعالى اخبر عنهما انهما قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة في ان قربان احدهما لم يتقبل
انه غير متق وليس يمتنع ان يريد باثمي ما ذكرناه لان الاثم مصدر والمصادر
قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعا وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر
والكلام فمثال ما اضيف الى الفاعل قوله تعالى ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض
ومن اضافته الى المفعول قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير ولقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه ومما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل
قول الشاعر، أمن رسم دار مربع ومصيف، لعينيك من ماء الشؤون وكيف
وفي الكلام يقول القائل اعجبني ضرب عمرو خالدا اذا كان عمرو فاعلا وضرب
عمرو خالدا اذا كان مفعولا وقد ذكر قوم في الآية وجها آخر وهو ان يكون
المراد اني اريد زوال ان تبوء باثمي واثمك لانه لم يرد له الا الرشد والخير
فحذف الزوال واقام ان وما اتصل به مقامه كما قال تعالى واشربوا في قلوبهم
العجل بكفرهم اراد حب العجل فحذف الحب واقام العجل مقامه وكما قال تعالى
واسئل القرية وهذا قول بعيد لانه لا دلالة في الكلام على محذوف وانما
يحسن الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه وذكر
ايضا وجه آخر وهو ان يكون المعنى اني اريد ان لا تبوء باثمي واثمك اي اريد
ان لا تقتلني ولا اقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى يبين الله لكم
أن تضلوا معناه لان لا تضلوا وكقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد
بكم معناه لان لا تميد بكم وكقول الخنساء، فاقسمت آسى على هالك،
، واسال نائحة مالها، ارادت لا آسى وقال امرؤ القيس،
، فقلت يمين الله ابرح قاعدا، ولو قطعوا راسي لديك واوصالي،
اراد لا ابرح وقال عمرو بن كلثوم، نزلتم منزل الاضياف منا،
، فعجلنا القرى ان تشتمونا، اراد لان لا تشتمونا والشواهد في هذا
كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من اهل العربية لانهم لا يستحسنون
اضمار لا في مثل هذا الموضع فاما قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت الي يدك

لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك فقال قوم من المفسرين ان
القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وان الله
تعالى امر بالصبر عليه وامتحن بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف وقال آخرون
بل المعنى انك ان بسطت الي يدك مبتدئا ظالما لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك على وجه الظلم والابتداء فكانه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع
على سبيل الظلم والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين اشبه لانه تعالى
خبر عنه انه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله وهو مريد
لقتله ومختار اليه لان هذه اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الارادة والغرض
ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه ولان المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم
طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله او الاضرار به ومتى قصد ذلك كان
في حكم المبتدي بالقتل لانه فاعل لقبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من
المضرة باي وجه يمكن بعد ان يكون غير قبيح فان قيل وكانكم تمنعون من
حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونهما على
كل حال قلنا لا نمنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة
والانتصاف على ما ذهب اليه قوم لان قوله لاقتلك يقتضي ان يكون
البسط لهذا الغرض والمدافعة لا تقتضي ذلك ولا يحسن من المدافع ان
يجري بها الى الضرر فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة ووجب ان يكون ما
ذكرناه اولى بشهادة الظاهر تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الخبر
الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يموت لمؤمن
ثلاثة من الاولاد فتمسه النار الا تحلة القسم الجواب قيل له اما
ابو عبيد القاسم بن سلام فانه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى وان منكم الا
واردها كان على ربك حتما مقضيا فكانه قال لا يرد النار الا بقدر ما يبر
الله قسمه واما ابن قتيبة فانه قال في تاويل ابي عبيد هذا مذهب حسن من
الاستخراج ان كان هذا قصد قال وفيه مذهب آخر اشبه بكلام العرب ومعانيهم
وهو ان العرب اذا ارادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بتحليل

القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان
عندنا الا تحلة القسم وما ينام الغليل الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور
وقال مزاحم بن الاحمر وذكر الريح ، اذا اعصفت رسما فليس بدائم ،
، به وتد الا تحلة مقسم ، يقول لا يثبت الوتد الا قليلا كتحلة القسم
لان هبوب الريح يقلعه وقال آخر يذكر ثورا ،
، يخفى التراب باظلاف ثمانية ، في اربع مسهن الارض تحليل ،
يقول هو خفيف سريع فقوائمه لا تثبت في الارض الا كتحليل اليمين وقال
ذو الرمة ، طوى طية فوق الكرى جفن عينه ، على رهبات من جنان المحاذر ،
، قليلا كتحليل الالى ثم قلصت ، به شيمة روعاء تقليص طائر ،
الالى جمع الوة وهي اليمين ومعنى الحديث على هذا التاويل ان النار
لا تمسه الا قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها وقال ابو بكر بن القسم الانباري
الصواب قول ابي عبيد لحجج ثلاث منها ان جماعة من كبار اهل العلم فسروه
على تفسير ابي عبيد ومنها انه ادعى ان النار غشى الذي وقعت منزلته جليلة
عند الله لكن مسا قليلا والقليل لا يقع به الالم العظيم وليس صفة الابرار
في الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم
على هذا المصاب بولد بمس النار وانما حكم عليه بالورود والورود لا
ان لا يكون من الابرار لان الا معناه الاستثناء المنقطع كانه قال فتمسه النار
لكن تحلة اي لكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس
الا الاثقال وارتحل العسكر الا اهل الخيام وانشد الفراء ،
، وسمحة المشي شملال قطعت بها ، ارضا يحار بها الهادون ديموما ،
، مهامها وحزونا لا انيس بها ، الا الصوائح والاصداء والبوما ،
، وانشد الفراء ايضا ، ليس عليك عطش ولا جوع ،
، الا الرقاد والرقاد ممنوع ، فمعنى الحديث لا يموت للمسلم ثلاثة
من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة يمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود
والورود لا يقع فيه مس قال ابو بكر وقد سنح فيه قول آخر وهو ان تكون

الا زائدة دخلت للتاكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى
الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم والا زائدة قال الفرزدق ،
، هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم ، وضحوا بلحم من محل ومحرم ، معناه
هم القوم حيث سلوا سيوفهم والا مؤكدة وقال الاخطل ،
، يقطعن الا من فروع بردنها ، بمدحة محمود ثناه ونائله ،
معناه يقطعن الابل من فروع بردنها والفروع الواسعة من الارض قال
السيد قدس الله روحه والوجوه المذكورة في تاويل الخبر كالمتقاربة الا ان
الوجه الذي اختص به ابن الانباري فيه ادنى تعسف وبعد من حيث جعل
الا زائدة وذلك كالمتعسف المستضعف عند جماعة من اهل العربية وقد بقي
في الخبر مسئلة التشاغل بالجواب عنها اولى مما تكلفه القوم وهي متوجهة على
كل الوجوه التي ذكروها في تاويله وهو ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه
السلام بان من مات له ثلاثة من الولد لا تمسه النار اما جملة او بمقدار تحلة
القسم وهو النهاية في القلة اوليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب
لمن هذه حاله واذا كان من يموت له هذا العدد من الاولاد غير خارج عن
التكلف فكيف يصح ان يؤمن من العقاب والجواب عن ذلك انا قد علمنا
اولا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز
ولا مدحة في مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله فلا بد من ان
يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس الذي يموت له ثلاثة اولاد اذا احسن
صبره واحتسابه وعزاءه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق
الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن في
القول اغراء الان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي اذا وقع عليه تفضل الله
سبحانه بغفران ما لعله ان يستحقه من العقاب في المستقبل اذا لم يكن معلوما
متميزا فلا وجه للاغراء واكثر ما في هذا ان يكون القول مرغبا في حسن
وحاثا عليه رغبة في الثواب ورجاء الغفران ما لعله ان يستحق في المستقبل
من العقاب وهذا واضح لمن تامله مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل

لعله الصبر

من قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة
فقال ما معنى او ههنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى الجواب
قلنا فى ذلك وجوه اولها ان تكون او ههنا للاباحة كقولهم جالس الحسن
او ابن سيرين والق الفقها او المحدثين ولم يريدوا الشك بل كانهم قالوا
هذان الرجلان اهل للمجالسة وهذان القبيلان اهل للقا فان جالست الحسن
فانت مصيب وان جالست ابن سيرين فانت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك
فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هولا قاسية متجافية عن الخير والرشد
فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان
شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتاول قوله تعالى او كصيب من السما لان
او لم يرد بها الشك بل على النحو الذى ذكرناه من انكم شبهتموهم بالذى استوقد
نارا فجائز وان شبهتموهم باصحاب الصيب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك
وثانيها ان تكون او دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الاية ان قلوبهم
قست فبعضها ما هو كالحجارة فى القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها ويجرى
ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا معناه وقال
بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى
فدخلت او للتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا
بياتا او هم قائلون معناه فجاء بعض اهلها باسنا بياتا وجاء بعض اهلها
باسنا فى وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه
ايضا ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذى استوقد نارا وبعضهم يشبه
اصحاب الصيب وثالثها ان تكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى
المخاطب وان كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد فى
اخبارهم عن ذلك الى التفصيل بل علم ان خطابهم بالاجمال ابلغ فى مصلحتهم
فاخبر ان قسوة قلوب هولاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد قسوة والمعنى
انها كاحد هذين لا تخرج عنهما ويجرى ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك الا حلوا
او حامضا فيبهمون على المخاطب ما يعلمونه لانه لا فائدة فى تفصيله والمعنى ما

اطعمتك الا احد هذين الضربين وكذلك يقول احدهم اكلت بسرة او تمرة
وهو قد علم ما اكل على التفصيل الا انه ابهمه على المخاطب وقال لبيد
، تمنى ابنتاى ان يعيش ابوهما ، وهل انا الا من ربيعة او مضر ،
اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين فسبيلى ان افنى كما فنيا وانما حسن
ذلك لان قصده الذى اجرى اليه وغرضه الذى نحاه هو ان يخبر بكونه
ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجماله ما اجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه
لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب وكذلك الاية
لان الغرض فيها ان يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تنثنى لوعظ
ولا تصغى الى حق فسواء كانت فى القسوة كالحجارة او اشد منها فقد تم ما
اجرى اليه من الغرض فى وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما
هو اشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة او مضر فى انه غير محتاج اليه ولا
يقتضيه الغرض فى الكلام ورابعها ان تكون او بمعنى بل كما قال تعالى وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما فى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال كانوا مائة الف
واربعين الفا وانشد الفرا ، بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى ،
، وصورتها او انت فى العين املح ، وقد يكون ام فى الاستفهام ايضا بمعنى
بل كقول القائل اضربت عبد الله ام انت رجل متعنت معناه بل انت وقال الشاعر
، فوالله ما ادرى اسلمى تغولت ، ام النوم ام كل الى حبيب ، معناه
بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى
بلفظة بل وهى تقتضى الاستدراك والنقض للكلام الماضى والاضراب عنه
وليس ذلك بشى اما الاستدراك فان اريد به الاستفادة او التذكر لما لم
يكن معلوما فليس بصحيح لان احدنا قد يقول لا عطينه الفا بل الفين وقصده
دفعه بل دفعتين وهو عالم فى ابتداء كلامه بما اخبر به فى الثانى ولم يتجدد له
به علم وان اريد به الاخذ فى كلام غير الماضى واستيناف زيادة عليه فهو
صحيح ومثله جائز عليه واما النقض للكلام الماضى فليس بواجب فى كل

موضع فتستعمل فيه لفظة بل لان القائل اذا قال اعطيته القا بل الفين لم ينقص الاول وكيف ينقصه والاول داخل فى الثانى وانما زاد عليه وانما يكون ناقصا للماضى اذا قال لقيت رجلا بل حمارا واعطيته درهما بل ثوبا لان الاول لم يدخل فى الثانى على وجه وقوله تعا او اشد قسوة غير ناقض للاول لانها لا تزيد فى القسوة على الحجارة الا بان تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان تكون او بمعنى الواو كقوله تعا ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباكم معناه وبيوت اباكم قال جرير

نال الخلافة او كانت له قدرا ، كما اتى ربه موسى على قدر ،

وقال ايضا

اثعلبة الفوارس او رياحا ، عدلت بهم طهية والخشابا ،

ارادوا رياحا وقال توبة بن الحمير

وقد زعمت ليلى بانى فاجر ، لنفسى تقاها او عليها فجورها ،

وقال آخر

فلوان البكاء يرد شيئا ، بكيت على بجير او عفاق ،

على المرأين اذ هلكا جميعا ، لشانهما بشجو واشتياق ،

اراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شى يعلم اشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فينسق به عليها وانما يصح ذلك فى قولهم اطعمتك تمرا او احلى منه لان احلى منه معلوم ولحا المفضل الوجه الذى يتضمن ان او بمعنى بل وهذا الذى طعن به المفضل ليس بشى لانهم وان لم يشاهدوا او يعرفوا ما هو اشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح ان يتصوروا ما هو اشد قسوة منها وما له الزيادة عليها لان قدرا ما اذا عرف صح ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة والنقصان انما يضافان الى معلوم معروف على ان الآية خرجت مخرج المثل واراد تعا بوصف قلوبهم بالزيادة فى القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كانها اشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها فقول المفضل ليس يعرفون ما هو اقسى من الحجارة لا معنى له اذا كان القول على طريق المثل وبعد فان الذى طعن به على هذا الجواب

يعترض

بنو دارم من الكتاب حنظلة يقال لهم الخشاب منا

يعترض به على الوجه الذى اختاره لانه اذا اختار ان او فى الآية بمعنى بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو اقسى من الحجارة واذا جاز بان يقول لهم بل قلوبهم اقسى مما تعرفون من الحجارة جاز ان يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التى يعرفون فى القسوة وهى مع ذلك تزيد عليها فان قال قائل كيف تكون او فى الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز ان تكون قلوبهم كالحجارة او اشد من الحجارة فى حال واحدة لان الشى اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة فى حال واشد من الحجارة فى حال اخرى فصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب وتكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هولاء فى بعض الاحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والفكر فيه ربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغى الى الحق فتكون فى هذه الحال كالحجارة التى ربما لانت وفى حال اخرى تكون فى نهاية البعد عن الخير والنفور عنه فتكون فى هذه الحال اشد قسوة من الحجارة على انه يمكن فى هذا الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر قد تقدم معناه فى بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان تكون فيها قسوة الحجارة لان القائل اذا قال فلان اعلم من فلان فقد اخبر بانه زائد عليه فى العلم الذى اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها وكل هذا واضح بحمد الله ومنه قال المرتضى قدس الله روحه وانى لاستحسن من الشعر قول الاحوص بن محمد الانصارى

ومولى سخيف الراى رخو تزيده ، اناتى وعفوى جهله عندى ذما ،

دملت ولولا غيره لاصبته ، بشنعاء باق عارها تقفر العظما ،

طوى حسدا ضغنا على كانما ، اداوى به فى كل مجمعة كلما ،

ويجهل احيانا فلا يستخفنى ، ولا اجهل العتبى اذا رجع الحلما ،

بصد ويناى فى الرخاء بوده ، ويدنو ويدعونى اذا خشى الهضما ،

فيفرج عنه اربة الخصم مشهدى ، وادفع عنه عند عثرته الظلما
الاربة الدهاء والاربة العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت
وكنت امرءا عود الفعال تهزنى ، مآثر مجد تالد لم تكن ذ عما
ولست بلاق سيدا ساد ما لكا ، فتحسبه الا ابالى او عما
وكنت وشتمى فى ادومة مالك ، تسبتى له كالكلب اذ ينبح النجما
ستعلم ان عادينى فقع قرقر ، اما الا افدت لا ابالك او غرما
لقد ابقت الايام منى وحوشها ، لاعدائنا ثكلا وحسادنا رغما
وكانت عروق السواذرت وقصرت ، بران ينال الحمد فالتمس الذما
ومن مختار قوله ، انى اذا اخفى اللئام رايتنى
كالشمس لا تخفى بكل مكان ، ما من مصيبة نكبة امنى بها
الا تشرفنى وتعظم شانى ، وتزول حين تزول عن متخمط
تخشى بوادره لدى الاقران ، ومن جيد قوله
خليلان باحا بالهوى فتشاحنت ، اقاربها فى وصلها واقاربه
الا ان اهوى الناس قربا ودرقة ، وربحا اذا ما الليل غادت كواكبه
ضجيع دنا منى جذلت بقربه ، فبات يمنينى وبت اعاتبه
واخبره فى السر بينى وبينه ، بان ليس شى عند نفسى يقاربه
وقد غبر فى وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس بقوله
تقول وقد جردتها من ثيابها ، كما رعت مكحول المدامع اتلعا
وجدك لو شى اتانا رسوله ، سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا تذود الوحش عنا كاننا ، قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
اذا اخذتها هزة الروع امسكت ، بمنكب مقدام على الهول اروعا
وقال على بن الجهم فى شرب المدام ، سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة
وادنى فؤادا من فؤاد معذب ، فبتنا جميعا لو تراق زجاجة
من الراح فيما بيننا لم تسرب ، ولعبد الصمد بن المعذل فى هذا المعنى
كانى عانقت ريحانة ، تنفست فى ليلها البارد

اسم نسر

فلو

فلو ترانا فى قميص الدجى ، حسبتنا فى جسد واحد ، ولبشار بن برد
انى اشتهى لقاءك والله ، فما ذا عليك ان تلقانى
قد تلف الرياح غصنا من البا ، ن الى مثله فيلتقيان ، ومثل هذا للبحترى
ولم انس ليلتنا فى العناق ، لف الصبا بقضيب قضيبا
كما افتنت الدرج فى مرتها ، فطورا خفوقا وطورا هبوبا
ولآخر فى مثل هذا المعنى بعينه ولسنا ندرى هل سبق البحترى او تاخر عنه
وضم لا يهنه واعتناق ، كما التف القضيب على القضيب ، ولعلى بن الجهم
وبتنا على رغم الحسود كاننا ، خليطان من ماء الغمامة والخمر
وهذا وان جعله فى العناق فهو ماخوذ من قول بشار
واذ نلتقى خلف الغيور كاننا ، سلاف عقار بالنقاخ مشوب
اى الماء البارد
والاصل فى هذا المعنى قول الاخطل والناس من بعد على اثره
من الجاذ رات الحور مطلب سرها ، كبيض الانوق المستكنة فى الوكر
وانى واياها اذا ما لقيتها ، لكالماء من صوب الغمامة والخمر
وقد اخذه ايضا ابن ابى عيينة فقال ، ذاك اذ روحها وروحى مزاجا
كما صفى خمرا بعذب ماء ، واخذه العباس بن الاحنف فقال
ما انس لا انس عيناها معطفة ، على فؤادى ويسراها على راسى
وقولها ليته ثوبا على جسدى ، او ليتنى كنت سربالا لعباس
او ليته كان لى خمرا وكنت له ، من ماء مزن فكنا الدهر فى كاس
ومثله للبحترى ، وجدت نفسك من نفسى بمنزلة
هى المصافاة بين الماء والراح ، ولقد احسن بشار فى قوله
لقد كان ما بينى زمانا وبينها ، كما بين ريح المسك والعنبر الورد
اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا احمد بن محمد المكى قال حدثنا
ابو العينا قال حدثنا العتبى عن ابيه قال سير الوليد بن عبد الملك الاحوص
الى دهلك فكتب الاحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف
دهلك اسم بلد
وكيف ترى للنوم طعما ولذة ، وخالك اسى موثقا فى الحبائل

فمن يك امسى سائلا عن شماتة ، ليشمت بي او شامتا غير سائل
فقد عجمت مني الحوادث ماجدا ، صبورا على عضّاء تلك البلابل
اذا سرّ لم يفرح وليس لنكبة ، ألمّت به بالخاشع المتضائل

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه وقال ما ترى في هذا البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك حدّر الاحوص وسيّر عراكا قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وانما كان الاحوص خال عمر بن العزيز من جهة ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وامها انصارية فاما قوله اذا سرّ لم يفرح البيت فماخوذ من قول لقيط من زرارة

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ، وليس ان عضّ مكروه به خشعا ، وللاحوص

وبطن مكة لا ابوح به ، قرشية غلبت على قلبي
ولو انها اذ مرّ موكبها ، يوم الكديد اطاعني صحبي
قلنا لها حييت من شجن ، ولركبها حييت من ركب
والشوق اقتله برؤيتها ، قتل الظما بالبارد العذب
والناس ان حلوا جميعهم ، شعبا سلام وكنت في شعب
لحللت شعبك دون شعبهم ، ولكان قربك منهم حسبي

قوله والشوق اقتله برؤيتها نظير لقول جرير

فلما التقى الحيان القيت العصا ، ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقال كيف يامرهم ان يخبروا بما لا يعلمون او ليس ذلك قبيح من تكليف ما لا يطاق الذي تابونه والذي جوز ان يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه **الجواب** قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان احدهما ان ظاهر الآية وان كان امرا يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا اخبروا عن ذلك صدقوا فكانه قال لهم خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا

تكليف عليهم وهذا بمنزلة ان يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه او ان كنت تعلم انك صادق فيما تخبر به فان قيل ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى ان كنتم صادقين ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من اجلها جعلت خليفة في الارض او ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما انصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون له قلنا قد قيل ذلك وقيل ايضا ما ذكرناه وان كان القول محتملا للامرين جاز ان يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم الا لمن يذهب الى ان الله تعالى يصح ان يامر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن ان يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح ان يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاي فائدة في ان يامرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط ان يكونوا صادقين وهو عالم بانهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا لمن ذهب الى الاصل الذي ذكرناه ان يقول لا يمتنع ان يكون الغرض في ذلك هو ان ينكشف باقرارهم وامتناعهم من الاخبار بالاسماء ما اراد الله تعالى بيانه من استيثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعد قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما بون من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الآية تضمنت الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا يسلم فيه ان القول امر على الحقيقة فمن ههنا افترقا والجواب الثاني ان يكون الامر وان كان ظاهره ظاهر امر فغير امر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس بامر والقرآن والشعر وكلام العرب مملو بذلك ويخص هذا الجواب ان الله تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم اني اعلم ما لا تعلمون اي اني مطلع من مصالحكم وما هو انفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي اولى بالاستخلاف في الارض وان كان في ذريته من يفسد

ويسفك الدماء، فعلم آدم عليه السلام جميع الاجناس واكثرها ثم قال انبئوني
باسماء هولاء ان كنتم صادقين مقررا لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص
آدم بما لم يختصوا به فلما اجابوه بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا
يعلمونه فقال تعالى لهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون منبها على انه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب
على كل مكلف ان يسلم لامره ويعلم انه لا يختار لعباده الا ما هو الاصلح لهم في دينهم
علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى ان كنتم صادقين
محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة او في ظنهم
انهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويحلون له فلولا ان الامر على ما ذكرناه
وان القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
معنى لان التكليف الاول لا يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه السلام بالاسماء
ولا يكون قوله اني اعلم غيب السموات والارض الى آخر الآية الا مطابقا لما
ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكانه قال تعالى اذا كنتم لا تعلمون هذه
الاسماء فانتم عن علم الغيب اعجز وبان تسلموا الامر لمن يعلمه ويدبر امركم
بحسبه اولى فان قيل فكيف علمت الملايكة ان في ذرية آدم عليه السلام من
يفسد في الارض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة
فكيف يحسن ان تخبر عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت
فكانها قالت متعرفة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل ان الله تعالى اخبرها
بانه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد في الارض فقالت على
وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه
اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضي ان يكون في اول
الكلام حذف ويكون التقدير واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض
خليفة واني عالم بانه سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى
عن ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

لان في ذلك دلالة على الاول وانما حذف اختصارا وفي جملة جميع الكلام
اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان في ضمن هذا الكلام
فنحن على ما ظننته ويظهر لنا من الامر اولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصي
وقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا انني اعلم من مصالح المكلفين
ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور وفي القران من
الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شي من الكلام
فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام والناجي من صاحبيه في
السجن عند رويا الملك البقر السمان والعجاف انا انبئكم بتاويله فارسلون
ففعلوا فاتى يوسف فقال ليوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام
لاورد محذوفه لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون ففعلوا فاتى يوسف
فقال له ايها الصديق افتنا ومثله قوله تعالى في الانعام قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي لا تكونن من المشركين
وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام ولسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن
ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من
محاريب وتماثيل الى قوله اعملوا آل داود شكرا اي وقيل لهم اعملوا آل
داود شكرا وقال جرير ، الم تر قيسا حين خارت مجاشع ،
، بحيرو ما ان تبتغي من يجيرها ، بني دارم من رد خيلا مغيرة ،
، غداة الصفا لم يخح الا عثورها ، وردتم على قيس بخور مجاشع ،
، فنوتم على ساق بطي جبورها ، اراد فنوتم على ساق مكسورة بطي
جبورها كانه لما كان في قوله بطي جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه وقال آخر
، هل تبلغني دارها شدنية ، لعنت بمحروم الشراب مصرم ،
يعني ناقته ومعنى لعنت دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها اضمرت
كذلك فحذف هذا كله والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير

اي ضعفت

قال تابط شرا ويروى للشنفرى ، فلا تدفنوني ان دفنى محرم ،
، عليكم ولكن خامرى ام عامر ، لانه اراد لا تدفنوني بل دعوني تاكلني
التي يقال لها خامرى ام عامر وهي الضبع وقال اوس بن حجر ،
، حتى اذا الكلاب قال لها ، كاليوم مطلوبا ولا طلبا ، اراد لم ار كاليوم
فحذف وقال ابو داود الايادي ، ان من شيمتي لبذل تلادى
، دون عرضى فان رضيت فكوني ، اراد فكوني معى على ما انت عليه وان
سخطت فبيني فحذف هذا كله وقال الآخر ، اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها ،
، جرى دون ليلى مائل القرن اعضب ، اراد لعلها قريب وهذا باب يتسع
واكثر من ان نحيط به والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد
وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان تاتي بلفظ يقتضي غيره
ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فتقتصر
عليه طلبا للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو ان تاتي بلفظ مفيد
لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى اكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا
وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله خامرى ام عامر
ونظائره مما انشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاما آخر
غير انه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي
ليس بحذف قول الشاعر ، اولادجفنة حول قبر ابيهم ،
، قبر ابن مارية الكريم المفضل ، اراد انهم اعزاء مقيمون بدار مملكتهم لا
ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط في قوله حول قبر ابيهم ومثله قول
عدى بن زيد ، عالم بالذى يريد نقى الصدر عف على جناه نحور ،
ومن معنى الاختصار قول اوس بن حجر ، وفينا نصدق لا تخم لحامهم ،
، اذا اشبه النجم الصوار النوافرا ، فقوله لا تخم لحامهم لفظ مختصر ولو
بسط لقال لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الاضياف والطراق
ومعنى قوله اذا اشبه النجم الصوار النوافرا يعني في شدة البرد وكلب الشتاء
والثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كانها صوار منفرق وهذا ايضا اكثر من

الصوار القطيع من البقر

ان يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة
المعاني بالالفاظ المختصرة فاما قوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة بعد ذكر الاسماء
التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به انه عرض المسميات لان الكناية لا تليق
بالاسماء ولا بد من ان تكون في المسميات او فيها من يجوز ان يكنى عنه بهذه
الكناية لانها لا تستعمل الا في العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل في قراءة ابي ثم
عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح
ان تكون عبارة عن الاسماء قال السيد قدس الله روحه وقد بقي في هذه
الآية سؤال لم نجد احدا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله
تعرض له وهو من مهم ما يسال عنه وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة
لما اخبرها آدم عليه السلام بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات
وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت الملائكة عالمة لاخبرت بالاسماء
ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضي انهم لما انباهم آدم بالاسماء علموا صحتها
ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما
ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره والجواب انه غير ممتنع ان
تكون الملائكة في الاول غير عارفين بتلك الاسماء فلما انباهم آدم عليه السلام
بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات اما
عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لاحد
ان يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطرارا وفي هذا منافاة طريقة
التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم
بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجرى
هذا مجرى ان يخبر احدنا نبي بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة
وهو وان كان عالما بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد
على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها
على ترتيب ووجه آخر وهو انه لا يمتنع ان تكون للملائكة لغات مختلفة فكل

قيل منهم يعرف اسماء الاجناس فى لغته دون لغة غيره الا ان تكون احاطة
عالم واحد لاسماء الاجناس فى جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى
التنبيه على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم
كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع
الى غيره وعلم مطابقة ذلك لما فى اللغات بخبر كل قبيل ولا شك فى ان كل قبيل
اذا كانوا كثيرة وخبروا بشىء يجرى هذا المجرى علم بخبرهم فاذا اخبر كل قبيل
صاحبه علم من ذلك فى لغة غيره ما علمه فى لغته وهذا الجواب يقتضى ان يكون
قوله انبئونى باسماء هؤلاء اى ليخبرنى كل قبيل منكم بجميع هذه الاسماء وهذان
الجوابان جميعا مبنيان على ان آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وان
اخباره بالاسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا
تقدم ظهور معجزات على يديه لم يحتج الى هذين الجوابين معا لانهم يعلمون اذا كانت
الحال هذه مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذى قد
انبئوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تأمله قال السيد قدس الله روحه رأيت
قوما ممن تكلم على معانى الشعر يذكرون فى بيت حسان بن ثابت

لم تفتها شمس النهار بشىء ، غير ان الشباب ليس يدوم

ان المراد به
الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكانه قال لم تفتها شمس النهار بشىء غير انها
كبيرة طاعنة فى السن وعذرها فى ذلك ان الشباب ليس مما يدوم لامثالها
وهذا الذى ذكروه ليس بشىء والاشبه والاولى ان يكون مراد حسان ان شمس
النهار لم تفتها بشىء غير ان شبابها لا يدوم ولا بد من ان يلحقها الهرم الذى
لا يلحق الشمس ولم يرد انها فى الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يا لقومى هل يقتل المرء مثلى ، واهن البطش والعظام سؤوم — يال قوم
شأنها العطر والفراش ويعلو ، ها الجمان واللؤلؤ المنظوم
لو يدب الحولى من ولد الذر ، عليها لاندبتها الكلوم

وهذه الاوصاف لا تليق بمن طعن فى السن من النساء ولا يوصف بمثلها الا
الصبيان والاحداث ومن العجائب ان الاستخراج على ركاكته مسند الى

الاصمعى وما اولى من ان يكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هذه الثمرة
بالاضراب عن استخراج المعانى والبحث عنها وما فسره اصحاب المعانى على وجه
وهو بغيره اشبه واقل الاحوال ان يكون محتملا للامرين فلا يقتصر على احدهما
قول الخنساء

يا صخر وراد ماء قد تناذره ، اهل الموارد ما فى ورده عار

لانهم يقولون مرادها بالبيت ما فى ترك ورده عار ويظنون انه متى لم يحمل
على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

ليس على طول الحياة ندم ، ومن وراء المرء ما يعلم

وليس الامر كما
ظنوه لانه يحتمل ان يريد انه لا عار فى ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه
ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورد الماء فهو كناية عن ركوب الامور الصعبة
التى من جملتها ايراد الماء غلبة وقهرا فكانها قالت انك تورد ماء قد تناذره
الناس وتركب امرا صعبا قد نكل عنه الخلق وذلك يدل على الحظ فى الشجاعة
والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك فى ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلا يجوز
به اكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم او نكث عهد
او ما جرى هذا المجرى فكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجرى ذلك
مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم لان البيت متى لم يحمل على ان
المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئا وقد بينا فائدة بيت الخنساء
اذا كان المراد ما ذكرناه **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
الجواب قلنا قد ذكر فى هذه الآية وجوه اولها ان يكون المعنى واسأل اتباع من
ارسلنا من قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير
وهم يريدون السخاء سخاء حاتم فاقاموا حاتما مقام السخاء المضاف اليه
ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله ومثله قول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال اذلة ، سواسية احرارها وعبيدها

والمراد
بالسؤال فى ظاهر الكلام النبى صلى الله عليه وآله وهو فى المعنى لامته لانه
عليه السلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب بخطاب امته كما قال تعالى

المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه فافرده بالمخاطبة ثم
رجع الى خطاب امته فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وفى موضع آخر يا ايها
النبى اتق الله ولا تطع الكافرين فخاطبه عليه السلام والمعنى لامته لانه ياتى
ذلك بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا وقال تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النسا
فوحد وجمع فى موضع واحد للمعنى الذى ذكرناه وقال الكميت

الى السراج المنير احمد لا ... تعدلنى رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع النا ... س الى العيون وارتقبوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو ... عنفنى القائلون او ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو ... اكثر فيك الضجاج واللجب
انت المصفى المحض المهذب فى ... النسبة ان نص قومك النسب

فظاهر الخطاب للنبى عليه السلام والمقصود به اهل بيته عليهم السلام لان
احدا من المسلمين لم يمنع من تفضيله عليه السلام والاطناب فى وصف فضائله
ومناقبه ولا يعنف فى ذلك احد وانما اراد الكميت وان اكثر فى مدح اهل
بيته وذويه الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول اليه والمراد
به غيره ولذلك وجه صحيح وهو ان المراد بولائهم والانحياز اليهم والانقطاع
الى جهتهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بذلك اجمع جاز
ان يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع وقيل ان المراد
بتباع الانبياء الذين امر بمسئلتهم هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
ونظائره وليس يمتنع ان يكون هو عليه وآله السلام المامور بالمسئلة على
الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا فى ذلك ولا مرتابا به ويكون
الوجه فيه تقرير اهل الكتاب به واقامة الحجة عليهم باعترافهم اولان بعض
مشركى العرب انكر ان تكون كتب الله تعالى المتقدمة وانبياؤه عليهم السلام
الآتون بها دعت الى التوحيد فامر عليه السلام بتقرير اهل الكتب لنزول
الشبهة عمن اعترضته والجواب الثانى ان يكون السوآل متوجها اليه عليه السلام
دون امته والمعنى اذا لقيت النبيين فى السما بذلك فاسالهم عن ذلك لان

الكتاب
اعترضته
فسلم عليهم وسالم

الرواية قد وردت بانه صلى الله عليه وآله لقى النبيين فى السما فسلم عليهم
وامتهم ولا يكون امره بالسوآل لانه كان شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك
فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين اما للنبى بخصته عليه السلام
او تتعلق ببعض الملائكة الذين يسمعون ما يجرى بينه وبين النبيين من سوآل
وجواب والجواب الثالث ما اجاب به ابن قتيبة وهو ان يكون المعنى وسل
من ارسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعنى اهل الكتاب وهذا الجواب وان
كان يوافق فى المعنى الجواب الاول فبينهما خلاف فى تقدير الكلام وكيفية
تاويله فلهذا صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه
اخطا فى الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها فى هذا الموضع لانهم لا
يجيزون الذى جلست عبد الله على معنى الذى جلست اليه عبد الله لان اليه
حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذى
اكرمت اباه عبد الله لم يجز ان يضمر اباه لانفصاله عن الفعل كانت لفظة اليه
بمنزلته وكذلك لا يجوز الذى رغبت محمد بمعنى الذى رغبت فيه لان الاضمار
انما يحسن فى الهاء المتصلة بالفعل كقولك الذى اكلت طعامك والذى
لقيت صديقك معناهما اكلته ولقيته وقال الفرا انما حذفت الهاء لدلالة
الذى عليها وقال غيره فى حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم فى شئ
فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد على ما تقدم تاويل خبر
ان سال سائل عن معنى ما رواه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله قوله
كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه الجواب قلنا
اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال فى تاويل هذا الخبر سالت محمد بن الحسن
عن تفسيره فقال كان هذا فى اول الاسلام قبل ان تنزل الفرائض ويومر
المسلمون بالجهاد قال ابو عبيد كانه ذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم
مات قبل ان ينصره ابواه ويهوداه ما ورثاه وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما
لانه مسلم وهما كافران وما كان ايضا يجوز ان يسبى فلما نزلت الفرائض
وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين ابويه قال ابو عبيد واما

عبد الله بن المبارك فانه قال هو بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن انه عليه
السلام سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى
انهم يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر فمن كان في علمه تعالى انه يصير
مسلما فانه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافرا ولد على ذلك قال
ابو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل اني
خلقت عبادي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما احللته لهم
حراما قال ابو عبيد يريد بذلك البحائر والسيب وغير ذلك مما احله الله تعالى
فجعلوه حراما واما ابن قتيبة فقال وقد حكى ما ذكرناه عن ابي عبيد لست
ارى ما حكاه ابو عبيد عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسين مقنعا لمن
اراد ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ما قال به اهل القدر وتفسير
محمد بن الحسن يدل على ان الحديث عنده منسوخ والنسخ لا يكون في الاخبار
وانما يكون في الامر والنهي قال ولا يجوز ان يراد به على تاويل ابن المبارك
بعض المولود دون بعض لان مخرجه مخرج العموم قال ولا ارى معنى الحديث
الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم
في اصلاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاخرج منه ذريته الى يوم
القيمة امثال الذر واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فاراد عليه السلام
ان كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الاول وهو
الفطرة قال السيد قدس الله روحه هذا كله تخليط وبعد عن الجواب الصحيح
والصحيح في تاويله ان قوله يولد على الفطرة يحتمل امرين احدهما ان يكون
الفطرة ههنا الدين ويكون على بمعنى اللام فكانه قال كل مولود يولد للدين
ومن اجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين الا ليعبده
فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
والدليل على ان على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابي زيد
عن العرب انهم يقولون صف على كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صفه لي ويقولون
ما اغيظك علي يريد وما اغيظك لي والعرب تقيم بعض حروف الصفات

اغيظك

مقام

مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه وقال الطرماح
كان مخواها على ثفناتها ، معرس خمس وقعت للجناجز ،
اراد على الجناجز وقال عنترة ، شربت بماء الدحرضين فاصبحت ،
زوراء تنفر عن حياض الديلم ، معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين
وهما ماآن يقال لاحدهما وسيع وللآخر دحرض فغلب الاشهر وهو الدحرض
وانما ساغ ان يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان
هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق
والاختصاص وعلى هذا يتاول قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة
الله التي فطر الناس عليها اراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى
لا تبديل لخلق الله المراد به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة
ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز
ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر فكانه تعالى قال لا تبدلوا
ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بان تعصوا وتخالفوا والوجه
الآخر في تاويل قوله عليه السلام الفطرة ان يكون المراد به الخلقة وتكون
لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على
الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والايمان به لانه جل وعز
قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان به
وان لم ينظروا او يعرفوا فكانه عليه السلام قال كل مخلوق ومولود فهو
يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا
او نصرانيا وهذا الوجه ايضا يحتمله قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس
عليها واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه السلام حتى يكون
ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين احدهما ان من كان يهوديا او نصرانيا
ممن خلقته لعبادتي وديني فانما جعله ابواه كذلك او من جرى مجراهما
ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين وانما خص الابوين لان
الاولاد في الاكثر ينشاون على مذاهب آبائهم ويالفون اديانهم ونحلهم

خوى البعير اذا تجافى في بروكه ومنه خوى الرجل في سجوده وخوت المراة عند جلوسها على المجمر

في بخلقته معرفة وعبادة

ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم وانه انما
خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم او من جرى مجراهم والوجه الآخر ان يكون
معنى يهودانه وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال اهل الذمة قد الحق
الشرع احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلام قال لا تتوهموا من لحقت احكام
اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين
الصحيح لكن آباءهم هم الذين ادخلوهم في احكامهم وعبّر عن ادخالهم في
احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح فاما جواب ابي عبيد الذي
حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا امكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ
لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من لحاقهم
بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع واما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد
لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق احداً للكفر وكيف يخلقه للكفر وهو يأمره بالايمان
ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه فاما ما روي عنه عليه السلام وقد سئل
عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل ان يكون عليه السلام
انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف تكون صورته والى اي شيء تنتهي عاقبته
فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فاراد ان ذلك مستور عني ولو كانت المسئلة
عمن اخترم طفلا لم يجز ان يكون الجواب ذلك واما ابن قتيبة فانه ردّ على
ابي عبيد من غير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم
والخصوص وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسد به وهو الذي ذكرناه وكيف
ينبه على فساده من هذه الجهة وقد اختار في تاويل الخبر ما يجري في الفساد
والاختلال مجرى تاويل ابن المبارك فاما النسخ في الاخبار فجائز اذا تضمنت
معنى الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الاوامر دالا على ذلك
فيها وهذا مثل ان يقول عليه السلام الصلاة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان
ليست واجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال صلوا ثم قال لا
تصلوا كان النهي الثاني ناسخا للاول واما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد
بينا فساده فيما تقدم من الامالي عند تاويلنا لقوله تعالى واذ اخذ ربك من

بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم وافسدنا من اعتقد انه
مسح ظهر آدم واستخرج منه الذرية واشهدها على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته
بوجوه من الكلام فلا طائل في اعادته مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل
عن قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما
دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء ههنا والمراد التابيد والدوام ثم
ما معنى التمثيل بمدة السموات والارض التي تفنى وتنقطع الجواب قلنا قد ذكر
في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الا وان كان ظاهرها الاستثناء فالمراد
بها الزيادة فكانه تعالى قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف
دينار الا الالفين اللذين اقرضتكهما وقت كذا وكذا والالفان زيادة على الالف
بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره
من المفسرين والوجه الثاني ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول
الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وفي احوال
المحاسبة والعرض وغير ذلك لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم
متوهم انهم يكونون في الجنة والنار من لدن نزول الآية او من بعد انقطاع
التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة والوجه الثالث ان تكون الا
بمعنى الواو والتاويل خالدين فيها ما دامت السموات والارض وما شاء ربك
من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر ، وكل اخ مفارقه اخوه ،
، لعمر ابيك الا الفرقدان ، معناه والفرقدان ويقول الآخر
، وارى لها دارا بأغدرة السـ ، يدان لم يدرس لها رسم ،
، الا رمادا هامدا دفعت ، عنه الرياح خوالد سحم ،
والمراد بالا ههنا الواو والا كان الكلام متناقضا والوجه الرابع ان يكون
الاستثناء الاول متصلا بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام لهم في

النار زفير وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين
الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا امكن في
الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني قلنا نحمل الثاني على استثناء المكث في
المحاسبة والموقف وغير ذلك مما تقدم ذكره والوجه الخامس ان يكون
الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء ان
يخرجهم وان لا يخلدهم لفعل وان التخليد انما يكون بمشيته وارادته كما
يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وهو لا ينوي الا
ضربه ومعنى استثنائه اني لو شئت ان لا اضربك لفعلت وتمكنت غير اني مجمع
على ضربك والوجه السادس ان يكون تعليق ذلك بالمشية على سبيل
التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم
به ودل عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله لا هجرتك الا ان يشيب
الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك اني اهجرك ابدا من حيث علق على شرط معلوم
انه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما انهم خالدون ابدا الا ان الله
تعالى لا يشاء ان يقطع خلودهم والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا
من ادخل النار من اهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصي
فقال تعالى انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال
ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ايضا ان يريد باهل الشقاء هنا جميع الداخلين
الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم ومن يستحق
ثوابا لا بد ان يوصل اليه فقال الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم اهل
الثواب واما الذين سعدوا فانما استثنى من خلودهم ايضا لما ذكرناه لان
من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد في الاخبار عنه بتابيد خلوده من
استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى
الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل
لفظ في الحال التي تليق بهم فهم اذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء

واذا

واذا نقلوا الى الجنة من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من
المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن
ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم
قوم من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله سبحانه عليهم فيخرجهم
من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال اخرى فاما تعليق الخلود
بدوام السموات والارض فقد قيل فيه ان ذلك لم يجعل شرطا في الدوام وانما
علق به على طريق التبعيد وتاكيد الدوام لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة
خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء
الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما تغنت حمامة ونحو ذلك
ومرادهم التابيد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا ابدا
لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعاداتهم انما تجري
بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما يجري عليه الشيء في نفسه الا ترى ان بعضهم لما
اعتقد في الاصنام ان العبادة تحق لها سماها آلهة بحسب اعتقاده وان لم تكن
في الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول ابي جويرية العبدي

ذهب الجود والجنيد جميعا ، فعلى الجود والجنيد السلام ،
اصبحا ثاويين في قعر مرو ، ما تغنى على الغصون الحمام ، وقال الاعشى
الست منتهيا عن نحت اثلتنا ، ولست ضايرها ما اطت الابل ، وقال الاخر
لا افتا الدهر ابكيكم باربعة ، ما اجترت النيب وحنت الى بلد ، وقال
زهير مبينا عن اعتقاده دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير ،
الا ارى على الحوادث باقيا ، ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

فهذا وجه وقيل ايضا في ذلك انه اراد به الشرط وعنى بالآية دوام السموات
والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاعلمنا
انهما تبدلان وقد يجوز ان يديمهما بعد التغيير ابدا بلا انقطاع وانما المنقطع
هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون المراد انهم
خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالى انقطاعهما ثم يزيدهم

الله على ذلك وبجلدهم ويويد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي تتضمن
ان الاستثنا اريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان قال السيد قدس
الله روحه وجدت الآمدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت مضاف اليه الى
ظلمه له في اشياء كثيرة تاولها على خلاف مراد البحتري حكى قوله ،
، كالبدر الا انها لا تجتلى ، والشمس الا انها لا تغرب ، ثم قال وهذا
فيه سوال لانه لما قال كالبدر الا انها لا تجتلى فالمعنى ان عيون الناس
كلهم ترى البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا تجتلى ثم قال والشمس
الا انها لا تغرب وانما قال لا تجتلى لانها محجوبة واذا كانت في حجاب فهي في
غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب وظاهر المعنى كالبدر
الا ان العيون لا تراها والشمس الا ان العيون لا تفقدها قال وهذا القول
متناقض كما تراه واظنه اراد انها وان كانت في حجاب فانه لا يقال لها غربت
تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت واغربت وغربت
اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل اغرب عنا اى ابعد عنا ولو استعار
لها اسم الغروب عن الارض التي تكون فيها اذا اطلعت عنها الى ارض اخرى كان
ذلك حسنا جدا لا سيما وقد جعلها شمسا كما قال ابراهيم بن العباس الصولي ،
، وزالت زوال الشمس عن مستقرها ، فمن مخبري في اي ارض غروبها ،
قال ويجوز ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس
وهذه معاذير ضيقة لابي عبادة فان لم يكن اخطا فقد اساء قال قدس الله
روحه وما المخطي غير الآمدي ومراد البحتري بقوله اوضح من ان يذهب
على متامل لانه اراد بقوله والشمس الا انها لا تغرب انها لا تصير بحيث تتعذر
روءيتها وتمتنع كما تتعذر روءية الشمس على من غربت عن افق بلده والمراة
وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لانها اذا شاءت
ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت فروءيتها غير ممكنة ولهذا لا يصح
ان يقال لمن استقل بدارا وجدار عن الشمس انها قد غربت عنه وان كانت
غير راءية له الان روءيتها ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول في احتجاب

اى ظلما مضافا
مضافا الى ظلمه

الاحتفال النظر الى
ما نعرض عليك

المراة فلا تناقض في بيت البحتري على ما ظنه الآمدي وبعضهم في مثل هذا المعنى
، قد قلت للبدر واستغربت حين بدا ، ما فيك يا بدر للحسن وجهها خلف ،
، تبدى لنا كلما شئنا محاسنها ، وانت تنقص احيانا وتنكسف ،
فمعنى قوله وانت تنقص وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لانه فضلها على
البدر من حيث كان بروزها لمبصرها موقوفا على اختيارها والبدر ينقص
وينكسف ويغيب على وجه لا يمكن روءيته كما فضلها البحتري بانها لا تغرب حتى
تصير روءيتها مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الامدي البحتري في قوله ،
، لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده ، قال الآمدي وهذا
عندي من اهجا بيت مدح به خليفة وافحشه ومن ذا يعنف الخليفة على الكرم
او يصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وللبحتري عذر في هذا من وجهين
احدهما ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكانه قال لو عنف وعذل لما
صده ذلك عن الكرم وان كان من حق العذل والتعنيف ان يصدا ويجزا عن
الشي وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام العرب وقد مضى فيما امليناه شي
من ذلك والوجه الآخر ان العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه
فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجود بنفائس الاموال ولم
يقل البحتري ان عذله يردعه او تعنيفه يصده وانما قال لا العذل يردعه ولا
التعنيف يصده فكانه اخبر بان ما يسمعه من عذل العذال على الكرم وتعنيفهم
على الجود وان كان متوجها الى غيره فهو غير صاد له لقوة عزيمته وشدة بصيرته
ومما خطا الآمدي فيه البحتري وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله
، ذنب كما سحب الرداء يذب عن ، عرف وعرف كالقناع المسبل ،
قال الآمدي وهذا خطا من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان
عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها
كما قال امرء القيس ، بضاف فويق الارض ليس باعزل ، وقد عيب امرء القيس
بقوله ، لها ذنب مثل ذيل العروس ، تسد به فرجها من دبر ، وما ارى
العيب يلحق امرء القيس لان العروس وان كانت تسحب اذيالها وكان ذنب

كمت اذا استدبرته سد فرجه
اى بذنب تام سابغ

الفرس اذا مس الارض عيبا فليس بمنكر ان يُشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان
يمس الارض لان الشئ انما يشبه به الشئ اذا قاربه او داناه من معناه فاذا
اشبهه فى اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم يقصد ان يشبه
طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ والكثرة والكثافة
الا ترى انه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس
الارض ولا يكون كثيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه
اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا اشبه الذنب الذيل من هذه الجهة
كان فى الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب العيب وانما العيب
فى قول البحترى ذنب كما سحب الرداء فصرح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول
امرئ القيس قول خداش بن زهير ، لها ذنب مثل ذيل الهدى ،
، الى جؤجؤ ايد الزافر ، والهدى العروس التى تهدى الى زوجها والايد
الشديد والزافر الصدر لانها تزفر منه قال فشبه الذنب الطويل السابغ
بذيل الهدى وان لم يبلغ فى الطول الى ان يمس الارض قال السيد قدس الله
روحه وللبحترى وجه يقرب من عذر امرئ القيس فى قوله مثل ذيل العروس
غير ان الامدى لم يفطن له واول ما نقوله ان الشاعر لا يجب ان يؤخذ عليه
فى كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر فى الشعر بطل جميعه وكلام
القوم مبنى على التوسع والتجوز والاشارة والحذف والايماء الى المعانى تارة من
بعد واخرى من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق وانما
خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحترى بقوله ذنب
كما سحب الرداء المبالغة فى وصفه بالطول والسبوغ وانه قد قارب ان يسحب
ويكاد يمس الارض ومن شان العرب ان تجرى على الشئ الوصف الذى قد كاد
يستحقه وقرب منه الشديد فيقولون قد قتل فلانا هوى فلانة وذلة عقله
وازال تمييزه واخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة وافادة
المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى ومن شانهم ايضا اذا
ارادوا المبالغة التامة ان يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص

وبالنل

اى تسنى الى جؤجؤ اى صدر

وولد

وبالنل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمدار حلقة الخاتم ويعدون هذا
غاية المدح واحسن الوصف ونحن نعلم انا لو راينا من خصره بمقدار وسط
الزنبور وكفله كالكثيب العظيم استبدعناه واستهجنا صورته لتفاوتها وقبحها
وانما اتوا بالفاظ المبالغة صنعة وتانقا لا لتحمل على ظاهرها تحديدا وتحقيقا
بل ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ويترك ما وراء ذلك فكانا
نفهم من قولهم ان خصرها كخصر الزنبور انه فى نهاية الدقة المستحسنة فى البشر
ومن قولهم كفلها كالكثيب انه فى نهاية الوثادة المطلوبة المحمودة لا انه كالتل
على الحقيقة فهكذا لا ينكر ان يريد البحترى بقوله كما سحب الرداء انه فى غاية
الطول الممدوح لا انه يجر على الارض فى الحقيقة ووكلنا فى تخليص معناه
وتفصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء فى استعمال مثل هذا اللفظ
الذى استعمله وقد قال بعضهم فى ثقل العجيزة ، تمشى فتثقلها اردافها ،
، فكانها تمشى الى خلف ، وقال المؤمل ، من راى مثل حبتى ، تشبه البدر اذ بدا ،
، تدخل اليوم ثم تد ، خل اردافها غدا ، وقال ذو الرمة ،
، ورمل كاوراك العذارى قطعته ، وقد جللته المظلمات الحنادس ،
وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به فى نهاية القبح
لان من يمشى الى خلف ومن يدخل كفله بعده لا يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح
، فرعاء تسحب من قيام شعرها ، وتغيب فيه وهو جثل اسحم ،
، فكانها فيه نهار مشرق ، وكانه ليل عليها مظلم ،
فوصف شعرها بانه يسحب مع قيامها ونحن نعلم ان طول الشعر وان كان مستحسنا
فليس الى هذا الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها ما اراده البحترى بقوله كما
سحب الرداء من المبالغة فى الوصف بالطول المحمود دون المذموم مجلس آخر
تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون
اليوم فى ضلال مبين فقال ما تاويل هذه الاية وان كان المراد بها التعجب من
قوة اسماعهم وابصارهم فكيف يطابق ما اخبر به عنهم فى مواضع كثيرة من الكتاب
بانهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم واسماعهم غشاوة وما معنى

بمقدار

لتفاوتها

المحمود

الثقل المصدر والثقل الشئ الثقيل
حتى بمعنى محبوبتى

فرعها

قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين واي يوم هو اليوم المشار اليه وما
المراد بالضلال المذكور الجواب قلنا اما قوله تعالى اسمع بهم وابصر فهو على
مذهب العرب في التعجب يجري مجرى قولهم ما اسمعه وما ابصره والمراد بذلك الاخبار
عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه لا اعتراض
للشبهة عليه وهذا يدل على ان اهل الآخرة عارفون بالله ضرورة فلا تنافي
بين هذه الآية وبين الآيات التي اخبر عنهم فيها بانهم قوم لا يسمعون ولا يبصرون
وان على ابصارهم غشاوة لان تلك الآيات تناولت احوال التكليف وهي
الاحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته
وهذه الآية تناولت يوم القيمة وهو المعنى بقوله تعالى يوم ياتوننا واحوال
القيمة لا بد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فاما قوله
تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فيحتمل ان يريد بقوله اليوم الدنيا
واحوال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول
عن الحق واراد تعالى انهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا ينفعهم
المعرفة ويحتمل ان يريد باليوم يوم القيمة ويعني بالضلال العدول بهم عن طريق
الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكانه تعالى قال اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا
غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم الى العقاب ويعدل
بهم عن طريق الثواب وقد روي معنى هذا التاويل عن جماعة من المفسرين
فروي عن الحسن في قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال يقول هم
يوم القيمة سمعاء بصراء لكن الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا سمعاء ولا بصراء ولكنهم
في ضلال عن الدين مبين وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيمة سمعوا
حين لم ينفع السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وقال ابو مسلم بن بحر في (هامش: ينفعهم)
تاويل هذه كلاما جيدا قال معنى اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم وهذا
على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة بصراء سمعاء
اي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين اي جهل واضح قال وهذه

الآية

الآية تدل على ان قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة
في الاذن والعين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون
ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى انه
جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله اسمع بهم
وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم فاقام السمع والبصر مقام
الهدى اذ جعله بازاء الضلال المبين واما ابو علي بن عبد الوهاب فانه (هامش: فأما)
اختار في تاويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه
قال وعنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمعهم وابصرهم وبين لهم انهم اذا
اتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة وعن
الثواب الذي يناله المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله هم هؤلاء الذين
توعدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم ويجوز ايضا ان يكون عنى بقوله اسمع
بهم وابصر اي اسمع الناس بهؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا
خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا باعمالهم واراد بقوله لكن الظالمون اليوم
لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيمة في ضلال عن الجنة
وعن الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي استدركت على
ابي علي ونسب فيها الى الزلل لان الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض
الاحتمال على بعد فان الاولى والاظهر في معناه ما تقدم ذكره من المبالغة في
وصفهم وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق
الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على ان المشار به الى يوم القيمة
على ان ابا علي جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله
اسمع بهم وابصر وتاوله على ان المعنى بر اعلمهم وبصرهم بانهم يوم القيمة
في ضلال عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله
لكن استيناف لكلام ثان وما يحتاج ابو علي الى هذا بل لو قال على ما اختاره
من التاويل انه اراد اسمعهم وابصرهم يوم ياتوننا اي ذكرهم بما هو اله
واعلمهم بما فيه ثم قال مستانفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج

لى ماذكره وكان هذا اشبه بالصواب فاما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل
لان قوله اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم بقي قوله يوم
ياتوننا بلا عامل ومحال ان يكون ظرف لا عامل له فالاقرب ان يكون على

لا علاقة له بذلك

الوجه الاول مفعولا ووجدت بعض من اعترض على ابي علي يقول له رادّا
عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول اسمعهم وابصرهم
بغير باء وهذا الرد غير صحيح لان الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها
وذلك موجود كثير في القرآن والشعر قال الله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق
وعينا يشرب بها عباد الله وهزي اليك بجذع النخلة وتلقون اليهم بالمودة
وقال الاعشى ، ضمنت برزق عيالنا ارماحنا ، وقال امرؤ القيس
، هصرت بغصن ذي شماريخ ميال ، واظن ابا علي انما انسه بهذا الجواب

هصرت مددت بهنا واصل الهصر الكسر

وجد تاليا للاية لفظ امر وهو قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة فحمل الاول على
الثاني والكلام لا تشتبه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه
حيث يقتضيه معناه قال المرتضى قدس الله روحه ووجدت جماعة من اهل الادب
يستبعدون ان يرتج على انسان في خطبة او كلام قصد له فينبعث منه في
تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون
ان النسيان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف يجتمع معهما البراعة الثاقبة
والبلاغة المأثورة مع حاجتهما الى اجتماع الفكر وحضور الذكر ويحسبون
جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عمن حصر في خطبة او منطق
الى انه موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه ببعيد ولا منكر لان النسيان
قد يختص شيئا دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعالم متعارف
فلا ينكر ان ينسى الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ويكون مع ذلك
ذاكرا لغيره متمكنا بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن
المقصد يحييان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابرعه
ويكون ذلك هربا من العي وانتفاء من اللكنة ومن احسن ما روي وابرعه
من الكلام في حال الحصر والانقطاع عن المقصود ما اخبرنا ابو عبيد الله

حصول
مستغرب
استبعدوه

القريحة الخاطر واصل القريحة الماء الذي يظهر في البئر اولا ه

المرزباني

المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرني
ابن دريد مرة اخرى قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن
الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه

القسري منسوب الى قسر وهو قرية من قرى العرب

فقال ايها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجيء احيانا ويذهب
احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فابى
وعولج فابطا وقال ابن الكلبي ربما طلب فابى وعولج فقسا فالتاني لمجيئه
اصوب من التعاطي لابيه ثم نزل فما رؤي حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم
والترك لابيه افضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره اولى من طلبه

تعذره

عند تنكره وقد يختلج من الجريء جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل واخبرنا
بهذا الخبر ابو عبيد الله على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي
قال كان خالد بن عبد الله حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتبالغ
فقدم واسطا فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال ايها الناس ان
هذا الكلام يجيء احيانا ويعزب احيانا فيعزب عند عزوبه طلبه ويتسبب عند
مجيئه سببه وربما كوبر فابى وعوسر فقسا والتاني لمجيئه اسهل من التعاطي
لابيه وتركه عند تعذره احمد من طلبه عند تنكره فقد يرتج على البسيط
لسانه فلا ينظره القول اذا اتسع ولا ينثنوا اذا امتنع ومن لم تمكن له الحظوة
فخليق ان تعق له النبوة واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم
ابن محمد بن عرفة قال حدثنا ابو العباس المنصور قال صعد ابو العباس
السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس انما اللسان بضعة من الانسان

السفاح سمي بذلك لانه سفح دماء بني امية واغل فيه ه

يكل اذا كل وينفسح بانفساحه اذا انفسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه
وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل
فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من اخطب
الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن
قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح ان يتكلم في
امر من الامور بعدما افضت الخلافة اليه وكان فيه حياء مفرط فارتج عليه

فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واثنى عليه ان امير المومنين الذى
قلده سياسة رعيته عُقل من لسانه عندما تعهد من بيانه ولكل مرتقٍ بهرٌ
حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة من الله فى صلاح دينكم ورغد معيشتكم
واخبرنا ابو عبيد الله قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا عبد الله
ابن اسحاق بن سلام قال صعد عثمان بن عفان المنبر فارتج عليه فقال ايها
الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عىٍّ نطقا وانكم الى امام فعال احوج
منكم الى امام قوال وروى محمد بن يزيد النحوى هذا الكلام بعينه عن زياد
ابن ابى سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما
بلغه كلامه قال هن مخرجات من ا لشام استحسانا لكلامه وروى محمد بن
يزيد النحوى قال بلغنى ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان واليا على قوم
فقال لهم ايها الناس انى ان لا اكن فارسا طبا بهذا القرآن فان معى من اشعار
العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اساء اخو البراجم حيث يقول

وما عاجلات الطير يدنين للفتى ، رشادا ولا من ريثهن تجيب
ورب امور لا يضيرك ضيرة ، وللقلب من مخشاتهن وجيب

اي خشيتهن

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ، على حادثات الدهر حين تنوب
وفى الشك تفريط وفى الحزم قوة ، ويخطى الفتى فى حدسه ويصيب

حدث

فقال له رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل يحمد الله عليه ويصلى
على النبى صلى الله عليه وآله وللقرآن فقال اما لو انشدتكم شعر رجل من كلب
لسرّكم فكتب الى يزيد بذلك فعزله وقال كنت ارى انك جاهل ولم احسب ان
الحمق بلغ بك هذا كله فقال احمق منى من ولانى وكان يزيد بن المهلب ولى
ثابت قطنة بعض قرى خراسان فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول

فان لا اكن فيكم خطيبا فاننى ، بسيفى اذا جدّ الوغا لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

ابا العلاء لقد لاقيت معضلة ، يوم العروبة من كرب وتخنيق
اما القران فما تهدى لمحكمه ، ولم تسدد من الدنيا بتوفيق

لما

لما رمتك عيون الناس هيبتهم ، وكدت تشرق لما قمت بالريق

ابنتي اعلا حبكم

حانق جانب

تلوى اللسان اذا رمت الكلام به ، كما هوى زلق من جانبى نيق

وروى ان بعض خلفاء بنى العباس واظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب
فسقطت ذبابة على وجهه فطردها فعادت فحصر وارتج عليه فقال اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له
ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن
ذلك منه ومما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان
لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا ركينا
ولا وقورا اضبط من نفسه واملك من حركته مثل الذى ضبط وملك كان
يصلى الغداة فى منزله وهو قريب الدار من مسجده فياتى مجلسه فيحتبى فلا
يتكى ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول

الحبوة ضم الرجل الى البطن بثوب

رجلا عن رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كانه بناء مبنى او صخرة منصوبة
فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك
حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة
المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيرا ما يكون ذلك اذا بقى عليه من قراءة
العهود والشروط والوثائق ثم يصلى العشاء وينصرف لم يقم فى طول تلك الولاية
مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب
وكذلك كان شانه فى طول الايام وفى قصارها وفى صيفها وشتائها وكان
مع ذلك لا يحرك يدا ولا يشير براسه وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ
بالكلام اليسير المعانى الكثيرة فبينا هو كذلك ذات يوم واصحابه حوله وفى
السماطين بين يديه اذ سقط على انفه ذباب فاطال السقوط والمكث ثم تحرك
الى موق عينه فرام الصبر فى سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه
كما رام من الصبر على سقوطه على انفه من غير ان يحرك ارنبته او يغضن
وجهه او يذب باصبعه فلما طال عليه ذلك من الذباب واوجعه واحرقه

وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل عنه اطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل
فلم ينهض فدعاه ذلك الى ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريث ما سكن
جفنه ثم عاد الى موقعه اشد من مرته الاولى فغمس خرطومه فى مكان قد كان
اوهاه قبل ذلك فكان احتماله له اضعف وعجزه عن الصبر فى الثانية اقوى
فحرك اجفانه وزاد فى شدة الحركة وفى تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه
بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ
صبره وبلغ مجهوده فالجأه الى ان يذب عن عينه بيده ففعل ذلك وعيون
القوم اليه يرمقونه كانهم لا يريدونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت
حركته ثم عاد الى موضعه فالجأه الى ان ذب عن وجهه بطرف كمه ثم الجأه
الى ان تابع بين ذلك وعلم ان ذلك كله بعين من حضر من امنائه وجلسائه
فلما نظروا اليه قال ان الذباب الح من الخنفساء وازهى من الغراب واستغفر
الله فما اكثر من معجبته نفسه فاراد الله ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا
وقد علمت انى عند الناس من ازمت الناس وقد غلبنى وفضحنى اضعف
خلق الله ثم تلا قول الله تعالى ضعف الطالب والمطلوب مجلس آخر تاويل
آية ان سال سائل عن قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم
فقال ما تنكرون ان تكون فى هذه الآية دلالة على اضافة الاعمال التى تظهر
فى العباد اليه تعالى من وجهين احدهما انه قال بعد ذكر ما تقدم من افعالهم
ومعاصيهم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه والثانى انه
اضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال واذ انجيناكم ومعلوم انهم هم الذين
ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك السير فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة
الجواب قلنا اما قوله تعالى وفى ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره من انجائه
لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله
يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين والبلاء
ههنا الاحسان والنعمة ولا شك فى ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التى

عددها

عددها نعمة عليهم واحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا ويكون
سيئا قال الله تعالى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول الناس فى الرجل
اذا احسن القتال والثبات فى الحرب قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى
ايضا قد تستعمل فى الخير والشر الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود
فى الجميل والخير والبلوى المقصورة فى السوء والشر وقال قوم اصل البلاء
فى اللغة الاختبار والامتحان ثم يستعمل فى الخير والشر كما قال تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات يعنى اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة والينا ترجعون فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر فى
الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفى الخير ابليته ابليه ابلاء وقال زهير فى البلاء
الذى هو الخير: جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم * فابلاهما خير البلاء الذى يبلو
فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التى يختبر بها عباده
وكيف يجوز ان يضيف ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه
وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد عد
تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما نجاهم من فعله
بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما
حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى فى تخليته بين هؤلاء
وبينكم وتركه منعهم عن ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم اى محنة
واختبار لكم والوجه الاول اقوى واولى وعليه جماعة المفسرين وروى
ابو بكر الهذلى عن الحسن فى قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة
عظيمة اذ انجاكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس والسدى
ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم
فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول انقذنا من الشرك واخرجنا
من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا وكذلك
قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا واستنقذتك وخلصتك ولا يريد
انه فعل فعله والمعنى فى ذلك ظاهر لان ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته

وهدايته ومعونته والطافه فقد تصح اضافتها اليه تعالى فعلى هذا يصح اضافة
النجاة اليه تعالى ويمكن ان يكون مضيفا لها ايضا من حيث ثبط عنهم الاعداء
وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة يكون بامر يرجع اليهم
وتارة بامر يرجع الى اعدائهم فان قيل كيف يصح ان يقول واذ انجيناكم
فخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره قلنا ذلك معروف
مشهور في كلام العرب وله نظاير كثيرة لان العربي قد يقول مفتخرا على
غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد ان قومي فعلوا ذلك بقومكم قال
الاخطل يهجو جرير بن عطية ، ولقد سما لكم الهذيل فنالكم ، علا
، باواب حيث تقسم الانفالا ، في فيلق يدعو الاراقم لم تكن ، اواب اسم موضع ما والاراقم قبائل معروفة
، فرسانه عزلا ولا اكفالا ، ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك اليوم
الذي ذكره غير انه لما كان يوم من ايام قوم الاخطل على قوم جرير اضاف
الخطاب اليه والى قومه وكذلك خطاب الله تعالى بالاية انما توجه الى ابناء من
نجي من آل فرعون واخلافهم والمعنى واذ نجينا اباءكم واسلافكم والنعمة على
السلف نعمة على الخلف قال السيد قدس الله روحه ومن حسن الشعر في تعود
الضيافة والانس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي ،
، اذا ما بخيل القوم هرت كلابه ، وشق على الضيف الغريب عقورها ،
، فاني جبان الكلب بيتي موطأ ، جواد اذا ما النفس شح ضميرها ،
، وان كلابي قد اقرت وعودت ، قليل على من يعتريها هريرها ،
اراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها انها لا تهر جملة ولذلك نظاير
كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ومثل قوله فاني جبان الكلب معنى
ولفظا قول الشاعر ، وما يك في من عيب فاني ، جبان الكلب مهزول الفصيل ،
وانما اراد انى اوثر الضيوف بالالبان ففصالى مهازيل ومثل اللفظ والمعنى الضيف
قول ابي وجزة السعدي ، وآل الزبير بنو حرة ،
، مروا بالسيوف الصدور الجنافا ، يموتون والقتل من دابهم ، قوله مروا اي استخرجوا
، ويغشون يوم السيوف السيافا ، واجبن من صافر كلبهم ،

وان

، وان قذفته حصاة اضافا ، يقول ادركوا بسيوفهم ثاراتهم فكانهم
شفوا وغر قلوبهم وازالوا ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا اي
استخرجوا كما تمرى الناقة اذا اردت ان تحلبها لتدر والجناف المائل ثم
قال وان مات بعضهم على فراشه فان اكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم
فلذلك قال والقتل من دابهم وجعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم
من النزال والاضياف فقد الفهم كلابهم وانست بهم فهي لا تنبحهم وقيل ايضا
انها لا تهر عليهم لانها تصيب ما ينحر لهم وتشاركهم فيه ومعنى وان قذفته
حصاة اضافا اي اشفق وهذا تاكيد لجبنه يقال اضاف الرجل من الامر اذا
اشفق منه ومعنى اجبن من صافر قد تقدم ذكره في الامالي ومثله في المعنى
لحسان بن ثابت ، يغشون حتى ما تهر كلابهم ، لا يسالون عن السواد المقبل
وقال المرار بن منقذ العدوي ، اعرف الحق ولا انكره ،
، وكلابي انس غير عقر ، لا ترى كلبي الا آنسا ،
، ان اتى خابط ليل يهتر ، كثر الناس فما ينكرهم ،
، من اسيف يبتغي الخير وحر ، لا سيف العبد ههنا وقال آخر ،
، الى ماجد لا ينبح الكلب ضيفه ، ولا يتاداه احتمال المغارم ،
معنى يتاداه يثقله واراد ان يقول يتاوده فقلبه وقال ابن هرمة ،
، واذا اتانا طارق متنور ، نبحت فدلته علي كلابي ،
شراشر الذنب ذباذبه والشراشر ما تدلى من شعر ذنبه ، وفرحن اذ ابصرنه فلقينه ، يضربنه بشراشر الاذناب ،
وانما تفرح لانها قد تعودت اذا نزلت الضيوف ان ينحر لهم فتصيب من قراهم ومثله
له ، ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ، ليسقط عنه وهو بالثوب معصم ،
، عوى في سواد الليل بعد اعتسافه ، لينبح كلب او ليفزع نوم ،
، فجاوبه مستسمع الصوت للقرى ، له مع اتيان المهبين مطعم ،
، يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا ، يكلمه من حبه وهو اعجم ،
اراد بقوله فجاوبه مستسمع الصوت انه جاوبه كلب والمهبون الموقظون له
ولاهله وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لانه ينحر لهم ما يصيب منه

واراد بقوله يكلمه من حبه وهو انجم بصبصته وتحريكه ذنبه فاما قوله
لبفزع نوم فانما اراد ليخبث نومهم يقال فزعت لفلان اذا اعنته ومعنى
عوى في سواد الليل ان العرب تزعم ان سارى الليل اذا اظلم عليه وادلهم
فلم يستبن محجة ولم يدر اين الحلة وضع وجهه مع الارض وعوى عوا ،
الكلب ليسمع ذلك الكلاب ان كان الحى قريبا منه فتجيبه فيقصد الابيات
وهذا معنى قوله ايضا مستنبح اى ينبح نباح الكلاب وقال الفرزدق في
مثله ، وداع بلحن الكلب يدعو دونه ، من الليل سجفا ظلمة وغيومها ،
دعا وهو يرجو ان ينبه اذ دعا ، فتى كابن ليلى حين غارت نجومها ،
ابن ليلى يعني اباه غالبا ، بعثت له دهما، ليست بلقحة ،
تدر اذا ما هب نحسا عقيمها ، معنى بعثت له دهما، اى رفعتها على
اثافيها ويعني بالدهما، قدرا واللقحة الناقة واراد ان قدره تدر اذا
هبت الريح عقيما لا مطر فيها ، كان المحال الغر في حجراتها ،
عذارى بدت لما اصيب حميمها ، اراد قطع اللحم لا تستتر منها بشيء كما لا
تستتر العذارى اللواتي اصيب حميمهن فيظهرن حواسر ،
عضوبا كحيزوم النعامة احمشت ، باجواز خشب زال عنها هشيمها ،
الاجواز الاوساط واوساط الخشب اصلبه وابقى نارا ،
محضرة لا يجعل الستر دونها ، اذا المرضع العوجا، جال بريمها ،
البريم الحقاب وانما يجول من الهزال والجهد والطوى والعوجا، التي قد
اعوجت من الطوى وقال الاخطل في الضيف ، دعاني بصوتي واحد فاجابه
مناد بلا صوت وآخر صيت ، وذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من
من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتي واحد وقوله فاجابه مناد بلا
صوت يعني نارا رفعها له فراى سناها فقصدها والآخر الصيت الكلب لانه
اجاب عواه ومثله ، وساري ظلام مقفعل وهبوة ،
دعوت بضوء ساطع فاهتدى ليا ، يعني نارا رفعها ليقصد طارق الليل
والمقفعل المنقبض من شدة البرد وانشد محمد بن يزيد ،

درت السماء اذا مطرت

الى القطع

الريح العقيم التي لا تاتي لا بسحاب ولا مطر

اصيب حميمها اى اصيب بالموت

الحقاب شيء تحلى تشده المراة على وسطها

ومستنبح

ومستنبح تهوى مساقط راسه ، الى كل شخص فهو للصوت اصور ،
حبيب الى كلب الكريم مناخه ، بغيض الى الكوما، والكلب ابصر ،
دعته بغير اسم هلم الى القرى ، فاسرى يبوع الارض شقرا، تزهر ،
معنى اصور مائل اراد انه يميل راسه الى كل شخص يخيل له يظنه انسانا
ومعنى حبيب الى الكلب المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض الى الناقة انها
تنحر له وقوله دعته شقرا، بغير اسم يعني نارا راى ضوءها فقصدها فكانها
دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف ، فقلت لقينى ارفعاها وحرقا ،
لعل سنا نارى بآخر يهتف ، وفي معنى قوله بغيض الى الكوما، قول
بعض الشعرا، يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله ،
وابيك خير ان ابل محمد ، عزل تناوح ان تهب شمال ،
واذا ارين لدى الفنا، غريبة ، ذرفت لهن من الدموع سجال ،
وترى لها زمن الشتا، على الثرى ، رخما وما يحيى لهن فصال ،
اراد وابيك الخير فلما طرح الالف واللام نصب والعزل التي لا سلاح
معها وسلاح الابل سمنها واولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من
حيث كان صاحبها اذا راى سمنها وحسن اجسامها وراى اولادها تبعتها
نفسه بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صادا من الذبح
ومانعا منه جرى مجرى السلاح لها فكانه يقول هذه الابل وان كانت ذوات
سلاح من حيث كانت شحيمة سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها لا يغني عنها شيا
ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضا اى هي حدبات
باسنمتها واوبارها لا تبالي هبوب الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد
وقوله واذا ارين لدى الفنا، غريبة اى اذا نزل ضيف فعقل ناقته التي جا،
عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن
وقوله وترى لها زمن الشتا، على الثرى رخما فقد قيل انه اراد به انه يهب فصالهن
فتبقى البانهن على الارض كهيئة الرخم وحكي عن ابي العباس ثعلب انه قال
الرخم قطع العلق من الدم وعندي ان المعنى غير هذين جميعا وانه انما اراد

انها تحز و تعقر فتسقط الرخم علی موضع عقرها و بقایا دمها و اسلابها هذا
معنی قوله لاما تقدم و قال آخر فی معنی سلاح الابل یمدح بنی عوذ بن غالب
ابن عبس ، جزی الله عنی غالبا خیر ما جزی ، اذا احدثان الدهر نابت نوائبه ،
، اذا اخذت بذل المخاض سلاحها ، تجرد فیها متلف المال کاسبه ،
اراد ان سمنها وحسنها وتمامها لا یمنعنی عقرها للاضیاف ومثله ،
، اذا البقل فی اصلاب شول ابن مسهر ، نمی لم یزده البقل الا تکرما ،
، اذا اخذت شول البخیل رماحها ، دحا برماح الشول حتی تحطما ،
وقوله اخذت رماحها من المعنی المتقدم وقال مسکین الدارمی ،
، فقمت ولم تاخذ الی رماحها ، عشاری ولم ارجب عرا قبها عقرا ،
لم ارجب ای لم اکبر ذلک ولم یعظم علی وسمی رجب رجبا من ذلک لانه شهر
یعظم وقالت لیلی الاخیلیة ، ولا تاخذ الکوم الجلاد سلاحها ،
، لتوبة فی قر الشتاء الصنابر ، ومثله ، لا اخون الصدیق ما حفظ العهد
، ولا تاخذ السلاح لقاحی ، وقال النمر بن تولب ، ،
، ازمان لم تاخذ الی سلاحها ، ابلی بجلتها ولا ابکارها ،
، ابتزها البانها ولحومها ، فاهین ذاک لضیفها ولجارها ،
وقال مضرس بن ربعی الاسدی ، وما نلعن الاضیاف ان نزلوا بنا ،
، ولا یمنع الکوماء منا نصیرها ، ومعنی لا نلعنهم ای لا نبعدهم واللعین
البعید ونصیرها هاهنا لا یمنع من عقرها من حسن تمام وولد وما جری
مجری ذلک والنصیر والسلاح فی المعنی واحد مجلس آخر تاویل آیة
ان سال سائل عن قوله تعالی ولا تقولن لشیء انی فاعل ذلک غدا الا ان یشاء الله
فقال لما تنکرون ان یکون ظاهر هذه الآیة یقتضی ان یکون جمیع ما نفعله
یشاؤه ویرید لانه لم یخص شیئا من شیء وهذا بخلاف مذهبکم ولیس لکم ان
تقولوا انه خطاب للرسول علیه السلام خاصة وهو لا یفعل الا ما یشاؤه الله
[illegible] یفعل المباح بلا خلاف ویفعل الصغائر عند اکثرکم فلا بد من
ان یکون فی افعاله ما لا یشاؤه عندکم ولانه ایضا تادیب لنا کما انه تعلیم له

علیه

اصل المخاض وجع الولادة والمخاض الحوامل واحدتها خلفة ولا واحد لها من لفظها ٥

فیهم غ

یمنعه غ

ای قاصدة الی

رجبته بالکسر ای هبته وعظمته

یعنی توبة بن الحمیر زوجها الصنبر شدة البرد وبذاجته ٥

من النصرة

علیه السلام و لذلک یحسن منا ان نقول ذلک فیما نفعله الجواب
قلنا تاویل هذه الآیة مبنی علی وجهین احدهما ان یجعل حرف الشرط
الذی هو ان متعلقا بما یلیه و بما هو متعلق به فی الظاهر من غیر تقدیر
محذوف ویکون التقدیر ولا تقولن انک تفعل الا ما یرید الله وهذا
الجواب ذکره الفراء وما رایته الا له ومن العجب تغلغله الی مثل هذا مع انه
لم یکن متظاهرا بالقول بالعدل وعلی هذا الوجه لا شبهة فی الآیة و لا
سؤال للقوم علینا وفی هذا الوجه ترجیح لیس لغیره من حیث اتبعنا فیه
الظاهر ولم نقدر محذوفا وکل جواب طابق الظاهر ولم یبن علی محذوف
کان اولی والجواب الآخر ان یجعل ان متعلقة بمحذوف ویکون التقدیر
ولا تقولن لشیء انی فاعل ذلک غدا الا ان تقول ان شاء الله لان من عادتهم
اضمار القول فی مثل هذا الموضع واختصار الکلام اذا طال وکان فی الموجود
منه دلالة علی المفقود وعلی هذا الوجه یحتاج الی الجواب عما سئلنا عنه
فنقول هذا تادیب من الله تعالی لعباده وتعلیم لهم ان یعلقوا ما یخبرون به
بهذه اللفظة حتی یخرج من حد القطع ولا شبهة فی ان ذلک مختص بالطاعات
وان الافعال القبیحة خارجة منه لان احدا من المسلمین لا یستجیز ان یقول
انی ازنی غدا ان شاء الله وکلهم یمنع من ذلک اشد المنع فعلم سقوط شبهة
من ظن ان الآیة عامة فی جمیع الافعال واما ابو علی محمد بن عبد الوهاب
فانه ذکر فی تاویل هذه الآیة ما نحن ذاکروه بعینه قال انما عنی بذلک
ان من کان لا یعلم انه یبقی الی غد حیا فلا یجوز ان یقول انی سافعل غدا
کذا وکذا فیطلق الخبر بذلک وهو لا یدری لعله سیموت فلا یفعل ما اخبر
به لان هذا الخبر اذا لم یوجد مخبره علی ما اخبر به فهو کذب واذا کان
المخبر لا یامن ان لا یوجد مخبره لحدوث امر من فعل الله تعالی نحو الموت
او العجز او بعض الامراض او لا یحدث ذلک بان یبدو له هو فی ذلک فلا
یامن ان یکون خبره کذبا فی معلوم الله عز وجل فاذا لم یامن ذلک لم
یجز ان یخبر به ولا یسلم خبره هذا من الکذب الا بالاستثناء الذی ذکره

المعنی ان الله تعالی نهی عن ان یقول احد انی فاعل کذا غدا الا ان یشاء الله لان الله تعالی لا یشاء جمیع ما یفعلونه بل انه تعالی لا یامر الا بخلق افعالهم بل یشاء الله عز وجل ما هو حسن

عنه

اخبر به المخبر

الله تعالى فاذا قال انى صائر غدا الى المسجد ان شا الله فاستثنى فى مصيره
مشية الله تعالى امن ان يكون خبره فى هذا كذبا لان الله ان شا ان يلجيه الى
المصير الى المسجد غدا الجاه الى ذلك وكان المصير منه لا محالة فاذا كان
ذلك على ما وصفناه لم يكن خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير الى
المسجد لانه لم يوجد ما استثناه فى ذلك من مشية الله تعالى وقال ينبغى
ان لا يستثنى مشية دون مشية لانه ان استثنى فى ذلك مشية الله تعالى
لمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو ايضا لا يامن ان يكون خبره كذبا
لان الانسان قد يترك كثيرا مما يشاوه الله تعالى منه ويتعبده ولو كان استثنى
مشية الله لان يبقيه ولان يقدره ويرفع عنه الموانع كان ايضا لا يامن
ان يكون خبره كذبا لانه قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى
له قادرا مخلى فلا يامن الكذب فى هذا الخبر دون ان يستثنى المشية العامة
التى ذكرناها فاذا دخلت هذه المشية فى الاستثناء فقد امن ان يكون خبره
كذبا اذ كانت هذه المشية متى وجدت وجب ان يدخل المسجد لا محالة قال
وعلى هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال والله لاصيرن غدا الى
المسجد ان شا الله لانه اذا استثنى على سبيل ما بيناه لم يجز ان يحنث فى يمينه
ولو خص استثناءه بمشية الله تعالى بعينها ثم كانت ولم يدخل معها المسجد
حنث فى يمينه وقال غير ابى على ان المشية المستثناة ههنا هى مشية المنع
والحيلولة فكانه قال ان شا الله تخليتى ولم يمنعنى وفى الناس من قال المقصد
بذلك ان يوقف الكلام عن جهة القطع وان لا يلزم به ما كان يلزم لولا
الاستثناء ولا ينوى فى ذلك الجاء ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن
البصرى واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل
فى الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجرى مجراها من الاخبار
فان دخل فى ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما
يلزم به وازالته عن الوجه الذى وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كانه لا
حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه ان يستثنى فى الماضى فيقول قد دخلت

المشية ص

الدار ان شا الله ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا
او يلزم به حكم وانما لم يصح دخوله فى المعاصى على هذا الوجه لان قبله
اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصى لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه احد
ما يحتمله تاويل الاية وقد يدخل الاستثناء فى الكلام ويراد به اللطف
والتسهيل وهذا الوجه يخص الطاعات ولهذا جرى قول القائل لاقضين
غدا ما على من الدين ولاصلين غدا ان شا الله مجرى ان يقول انى افعل ذلك
ان لطف الله تعالى فيه وسهله فعلم ان المقصد واحد ومتى قصد الحالف
فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثا او كاذبا لانه
ان لم يقع علمنا انه لم يلطف له لانه لا لطف له وليس لاحد ان يعترض هذا
بان يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف فيه جملة
فارتفاع ما هذه سبيله يكشف عن انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح ان
يقال فى الاية لانه يخص الطاعات والاية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة
الاجتماع على حسن استثناء ما تضمنته فى فعل كل ما لم يكن قبيحا وقد يدخل
الاستثناء فى الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو
عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل فى المباحات وهذا الوجه
يمكن فى الاية لانه يعترضه ما ذكره ابو على فيما حكيناه من كلامه وقد يذكر
استثناء المشية ايضا فى الكلام وان لم يرد به شى مما تقدم بل يكون الغرض
اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد به شى من الوجوه المتقدمة
ويكون هذا الاستثناء غير معتد به فى كونه كاذبا او صادقا لانه فى الحكم
كانه قال لافعلن كذا اذا وصلت الى مرادى مع انقطاعى الى الله عز وجل
واظهار الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن فى تاويل الاية ومتى تؤمل
جملة ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسئلة التى لا يزال الحال
عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال
دون المعاصى لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لاعطينك
حقك غدا ان شا الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى

اجود

بانه

الاجماع اجتماع المسلمين

الى شى

قد شاء منه ذلك عندكم وان كان لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة وان
لا يوثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه لو قال والله
لاعطينك حقك غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حانثا وفي التزام
هذا الحنث خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه جامعا لبيان تاويل
الآية والجواب عن هذه المسئلة ونظائرها من المسائل والحمد لله قال السيد
المرتضى قدس الله روحه تاملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت اكثر
ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد او الشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك
الى تشبيه ثلاثة بثلاثة واربعة باربعة وهو قليل ولم اجدهم تجاوزوا هذا القدر
الا قطعة مرت لي لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة اشياء بستة اشياء فاما
تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه ، قدح المكب على الزناد الاجذم
ومثله قول ابن الرقاع ، تزجي اغن كان ابرة روقه
قلم اصاب من الدواة مدادها ، وقول امرء القيس
كان عيون الوحش حول خبائنا ، وارحلنا الجزع الذي لم يثقب وقوله
اذا ما الثريا في السماء تعرضت ، تعرض اثناء الوشاح المفصل
وقول ذي الرمة ، وردت اعتسافا والثريا كانها
على قمة الراس ابن ماء محلق ، وهذا الباب اكثر من ان يحصى واما
تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرء القيس ، كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي ، وقوله ، وكشح لطيف كالجديل مخصر
وساق كانبوب السقي المذلل ، وكقول بشار ، كان مثار النقع فوق رؤسهم
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه ، وقول الآخر ، كان سمو النقع والبيض حولنا
سماوة ليل اسفرت عن كواكب ، وقول ابي نواس ، كان صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء در على ارض من الذهب ، ولآخر ، ان الشمول هي التي
جمعت لاهل الود شملا نبتها وحبابها ، بشقائق يحملن طلا ، ولآخر
البدر والكاس بين فمه ، منه وبين انامل خمس

الروق القرن

اي تزجي الوحش ولدا اغن
صوتيته غنة كان روقه
قرنه قلم قد مس الحبر

اثناء الوشاح جمع ثني وهو
ما ينثني

اعتسافا اي متعسفا

قوله ابن ماء اي طير الماء
محلق اي يدور حول
الماء

كالجديل اي كالرسن

شبه النقع بالليل
والسيوف بالكواكب
٥

فكانها

فكانها وكان شاربها ، قمر يقبل عارض الشمس ، ولآخر
حتى اذا اجليت في الكاس خلت بها ، عقيقة جليت في قشر بلور
تعلى اذا امتزجت في كاسها حببا ، كانه عرق في خد مخمود ، وقال البحتري
شقائق يحملن الندى فكانه ، دموع التصابي في خدود الخرائد ، وقال آخر
فكان الربيع يجلو عروسا ، وكانا من قطره في نثار
ولابي العباس الناشي ، كان الدموع على خدها
بقية طل على جلنار ، وقال ابن الرومي فاحسن
لو كنت يوم الفراق حاضرنا ، وهن يطفين غلة الوجد
لم تر الا الدموع سافحة ، تسفح من مقلة على خد
كان تلك الدموع قطر ندى ، تقطر من نرجس على ورد
وقال جران العود النميري ، ابيت كان العين افنان سدرة
عليها سقيط من ندى الطل ينطف ، ولابن المعتز
سقتني في ليل شبيه بشعرها ، شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت في ليلين بالشعر والدجى ، وشمسين من خمر ووجه حبيب
وقال المتنبي ، نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فارت ليالي اربعا ، واستقبلت قمر السماء بوجهها
فارتني القمرين في وقت معا ، فاما تشبيه ثلاثة بثلاثة فمثل قول ابي الموج
نشرت غدائر شعرها لتظلني ، خوف العيون من الوشاة الرمق
فكانه وكانها وكانني ، صبحان باتا تحت ليل مطبق ، ولبعضهم
روض ورد خلاله نرجس غض ، يحفان اقحوانا نضيرا
ذا يباهي لنا خدودا وذا يحكي عيونا وذا يضاهي ثغورا
ولآخر في النرجس ، مداهن تبر بين اوراق فضة
لها عمد مخروطة من زبرجد ، وللبحتري يصف ضمر المطايا ونحولها
كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار ، ولبعض الطالبيين
وانا ابن معتلج البطاح اذا غدا ، غيري وراح على متون ظواهر

يعثر عن ركنها وحطيمها ، كالجفن يفتح عن سواد الناظر ،
يجبا لها شرفي ومثل سهولها ، خلقي ومثل ظبائهن مجاوري فاما
تشبيه اربعة باربعة فمثل قول امرء القيس ، له ايطلا ظبي وساقا نعامة ،
وارخاء سرحان وتقريب تتفل ، ولآخر ، كف تناول راحها بزجاجة ،
خضراء تقذف بالحباب وتزبد ، فالكف عاج والحباب لآلي ،
والراح تبر والاناء زبرجد ، ولبعضهم وقد اهدى اليه نرجس
والخوان وشقائق وابن وكتب الى المهدى ، لله ما اظرف اخلاقك يا بدر الكرم
اهديت ما ناسبها حسنا وظرفا وشيم ، وما رأينا مهديا ، قبلك في كل الامم
اهدى كالعيون والخدود والثغور واللمم ، ولآخر ، افدي حبيبا له بدايع اوصاف
، تعالت عن كل ما اصف ، كالبدر يعلو والشمس تشرق ،
والغزال يعطو والغصن ينعطف ، وللمتنبي ، ،
بدت قمرا وماست خوط بان ، وفاحت عنبرا ورنت غزالا ، ومثله
، سفرن بدورا وانتقبن اهلة ، ومسن غصونا والتفتن جاذرا ،
فاما تشبيه خمسة بخمسة فقول الواوا الدمشقي ، ،
، واسبلت لؤلؤا من نرجس فسقت ، وردا وعضت على العناب بالبرد ،
فاما تشبيه ستة بستة فلم اجد الا لابن المعتز فقوله ، ،
، بدر وليل وغصن ، وجه وشعر وقد ، خمر ودر وورد ،
ريق وثغر وخد مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فقال كيف يجوز ان يامرنا على سبيل
العبادة لنا بالدعاء بذلك وعندكم ان النسيان من فعله تعالى ولا تكليف على الناسي
في حال نسيانه وهذا يقتضي احد امرين اما ان يكون النسيان من فعل العباد
على ما يقوله كثير من الناس او نكون متعبدين بمسئلته تعالى ما نعلم انه واقع
حاصل لان مؤاخذة الناسي مأمونة منه تعالى والقول في الخطاء اذا اريد به ما
وقع سهوا او عن غير عمد يجري هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل في تاويل
هذه الآية ان المراد بنسينا تركنا كما قال ابو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان

ههنا الترك كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي اي ترك ولولا
ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته
فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك اي
لا تتركني منها وانشد ابن عرفة ، ولم اك عند الجود للجود قاليا ،
، ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا ، اي تاركا ومما يمكن ان يكون شاهدا
على ذلك قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اي تتركون
انفسكم ويمكن في الآية وجه آخر على ان يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم
ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من الامالي على سبيل
الانقطاع الى الله واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة به وان كانت
مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى في تعليمنا وتاديبنا ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله تعالى رب احكم بالحق وقوله
ولا تخزني يوم يبعثون وقوله تعالى حاكيا عن الملائكة فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا الوجه ايضا يمكن في قوله او اخطانا
اذا كان الخطاء ما وقع سهوا او عن غير عمد فاما على ما يطابق الوجه
الاول فقد يجوز ان يريد بالخطاء ما يفعل من المعاصي بالتاويل السيئ
وعن جهل بانها معاص لان من قصد شيئا على اعتقاد انه بصفة فوقع
ما هو بخلاف معتقده يقال قد اخطا فكانه امرهم بان يستغفروا مما
تركوه متعمدين من غير سهو ولا تاويل ومما اقدموا عليه مخطئين متاولين
ويمكن ايضا ان يريد باخطانا ههنا اذنبنا وفعلنا قبيحا وان كانوا له
متعمدين وبه عالمين لان جميع معاصينا لله تعالى قد توصف كلها بانها خطا
من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمدا وكانه امرهم بان يستغفروا
مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات ليشتمل الكلام على جميع
الذنوب والله اعلم بمراده اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن
العباس قال قال رجل يوما لابي العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف
ضادية احسن من ضادية ابي الشيص فقال وكم ضادية حسنة لا تعرفها ثم انشد لبشار

غمض الجديد بصاحبيك فغمضا ، وبقيت تطلب في الحباله منهضا
وكان قلبي عند كل مصيبة ، عظم تكرر صدعه فتهيضا
واخ سلوت له فا ذكره اخ ، فمضى وتذكرك الحوادث ما مضى
فاشرب على تلف الاحبة اننا ، جزر المنية ظاعنين وخفضا
ولقد جريت مع الصبي طلق الصبي ، ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا
وعلمت ما علم امرئ في دهره ، فاطعت عذالي واعطيت الرضي
وصحوت من سكر وكنت موكلا ، ارعى الحمامة والغراب الابيضا
الحمامة المراة والغراب الابيض الشعر الشائب فيقول كنت كثيرا التعهد نفسي بالنظر في المراة وترطيل الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان غربيبا اسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب ، ما كل بارقة تجود بمائها
وكذاك لو صدق الربيع لروضا ، هكذا انشد المبرد ويحيى بن علي
وانشد ابن الاعرابي ، ما كل بارقة تجود بمائها ،
ولربما صدق الربيع فروضا ، قد ذقت الفته وذقت فراقه
فوجدت ذا عسلا وذا جمر الغضا ، ياليت شعري فيم كان صدوده
الساتم رعد السحاب واومضا ، وغير من ذكرنا برويه اجم الحلائل فاجمضا
وبلي عليه وويلتي من بينه ، كان الذي قد كان نحلما فانقضى
سبحان من كتب الشقاء لذي الهوى ، ماكان الا للخطاب فقد نضا
قال المبرد وهي طويلة وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه ان ابا نواس اخذ قوله ، جريت مع الصبي طلق الجموح ، من قول بشار ولقد جريت مع الصبي طلق الصبي قال السيد قدس الله روحه ولابي تمام والبحتري على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان لم تزيدا على ضادية بشار التي استحسنها المبرد لم تقصرا عنها فاولى قصيدتي ابي تمام
اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا ، ومزمما يصف النوى ومقرضا
ان يدنج عينك انهم اموا اللوى ، فيما اضاء وهم على ذات الاضا
بدلن من برق الثغور وبردها ، برقا اذا ظعن الاحبة اومضا يقول

اجم اي كره وقوله فاجمضا اي دخل في الحمض ه

المصراع الثاني
وهان علي ما قولنا القبيح

فيها ما انصف الشرح الذي بعث الهوى ، فقضى عليك بلوعة ثم انقضى
عندي من الايام ما لو انه ، امسى بشارب مرقد ما غمضا
لا تطلبن الرزق بعد شماته ، فتروم سبعا اذا ما غيضا
ما عوض الصبر امرؤ الا راى ، ما فاته دون الذي قد عوضا
يا احمد بن ابي دواد دعوة ، ذلت بذكرك لي وكانت ريضا
لما انتضيتك للخطوب كفيتها ، والسيف لا يرضيك حتى ينتضى يقول
فيها قد كان صوح نبت كل قرارة ، حتى تروح في نداك فروضا
اورد بني العد الخسيف وقد ارى ، ابيوض الثمد البكي تبرضا
فاما قصيدة البحتري فهي ، ترك السواد للابسيه وبيضا
ونضا من الستين عنه ما نضا ، وشباه اغيد في تصرف لحظه
مرض اخل به القلوب وامرضا ، وكانه وجد الصبى وجديده
دينا دنا ميقاته ان يقتضى ، اسيان اثرى من جوى وصبابة
واساف من وصل الحسان وانفضا ، كلف يكفكف عبرة مهراقة
اسفا على عهد الشباب وما انقضى ، عدد تكامل للشباب مجيئه
واذا مضى الشي حان فقد مضى ، يقول فيها
فعفت للبخلاء اذ عوجا تهم ، وتدبره من قاصل ان ينتضى
وكفاك من حنش الصريم تهددا ، ان مد فضل لسانه او نضنضا ، وفيها
لا تنكرن من جار بيتك ان طوى ، اطناب جانب بيته او قوضا
فالارض واسعة لنقلة راغب ، عمن تنقل وده وتنقضا
لا تهتبل اغضاي اما كنت قد ، اغضيت مشتملا على جمر الغضا
لست الذي ان عارضته ملمة ، اصغى الى حكم الزمان وفوضا
لا يستفزني الطفيف ولا ارى ، تبعا لبارق خلب ان اومضا
انا من احب تحرجا وكانني ، فيما اعاين منك ممن ابغضا
اغببت سيبك كي يجم وانما ، غمد الحسام المشرفي لينتضى
وسكت الا ان اعرض قائلا ، نزرا وصرح جحدمن عرضا

العد الماء الدائم الذي لا انقطاع لمادته والخسيف البئر التي حفرت في حجارة منها ماء كثير ه

اسيان من الاسى

الاسراف هلاك المال يقال اساف الرجل اذا هلك ماله ه

النضنضة حركة الحية لسانها

الصريم جماعة نخل ه

نابل

اغاني

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى عن ابيه قال من مختار شعر بشار قوله في وصف الزمان

عتبت على الزمان واي حي ، من الاحياء اعتبه الزمان
وآمنة من الحدثان تزري ، على وليس من حدث امان
وليس بزائل يَرمي ويُرمى ، معان مرة او مستعان
متى تاب الكرامة من كريم ، فما لك عنده الا الهوان

قال وله نحوه

يا خليلي اصيبا او ذرا ، ليس كل البرق يهدي المطرا
لا تكونا كامرء صاحبه ، يترك العين ويبغي الاثرا
ذهب المعروف الا ذكره ، ربما ابكى الفتى ما ذكرا
وبقينا في زمان معضل ، يشرب الصفو ويبقي الكدرا

قال وله

قد ادرك الحاجة ممنوعة ، وتولع النفس بما لا تنال
والهم ما اسكنته في الحشا ، داء وبعض الداء لا يستقال
فاحتمل الهم على عاتق ، ان لم يساعدك العلندى الجلال

قال يحيى قوله عاتق يعني الخمر وهذا مثل قوله

رحلت عنسا من شراب بابل ، فبت من عقلي على مراحل

قال السيد قدس الله روحه وهذا الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه كانه يأمر نفسه بالتجلد والصبر عند الياس وهذا البيت له نظائر في الشعر واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون قال حدثني ابي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغنا واستحسانه مثل هذه الابيات

وراىحة للعين فيها مخيلة ، اذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات الهموم على الفتى ، خفا برقها في عصفر وعقود
حسدت عليها كل شيء يمسها ، وما كنت لولا حبها بحسود

اى ارضاه

اى اصيبا قولا صوابا

العلندى الجمل القوى والجلال الجليل

العنس الجمل القوى

اى المنكب

مخيلة علامة

اراد بالعصفر الشباب المعصفر

واصفر مثل الزعفران شربته ، على صوت صفراء الترائب رود
كان اميرا جالسا في ثيابها ، تؤمل رؤياه عيون وفود
من البيض لم تسرح على اهل ثلة ، سواما ولم ترفع حداج قعود
تميت به البابنا وقلوبنا ، مرارا وتحييهن بعد همود
اذا انطقت صحنا وصاح لنا الصدى ، صياح جنود وجهت لجنود
ظللنا بذاك الديدن اليوم كله ، كانا من الفردوس تحت خلود
ولا باس الا اننا عند اهلها ، شهود وما البابنا بشهود

قال وانشدني ابي له في وصف مغنية

لعمر ابي زوارها الصيد انهم ، لفي منظر منها وحسن سماع
تصلي له اذاننا وعيوننا ، اذا ما التقينا والقلوب دواع
وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش ، ببوس ولم تركب مطية راع
جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها ، لزوارها من مزهر ويراع
اذا قلدت اطرافها العود زلزلت ، قلوبا دعاها للوساوس داع
كانهم في جنة قد تلاحقت ، محاسنها من روضة ويفاع
يروحون من تغريدها وحديثها ، نشاوى وما تسقيهم بصواع
لعوب بالباب الرجال وان دنت ، اطيع التقى والغي غير مطاع

قال علي بن هارون الصواع المكيال يقول اذا اغنت شربوا جزافا بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون قال السيد قدس الله روحه وهذا خطأ منه وانما المراد ان غناءها وحديثها لفرط حسنه وشدة اطرابه ينشاان نشوة الخمر وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر

ويوم ظللنا عند ام محلم ، نشاوى ولم نشرب طلاء ولا خمرا

وما كان عندي ان احدا يتوهم في معنى هذا البيت ما ظنه هذا الرجل فاما قوله في القطعة الاولى

واصفر مثل الزعفران شربته ، على صوت صفراء الترائب رود

فيحتمل وجوها ثلاثة اولها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها تصفر لذلك كما قال الاعشى

بداى بالصوت

الصدى ما يرجع عليك من الصوت محاكيا لكلامك اذا تكلمت في موضع له تجاويف

المرتفع من الارض

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراد ، والعراد بهار البر وانما اراد
انها تنضمخ بالعشى بالطيب فيصفرها ومثله قول ذي الرمة ،

بيضاء في دعج كحلاء في برج ، كانها فضة قد مسها ذهب ،

وقيل في بيت قيس بن الحطيم ، فرايت مثل الشمس عند طلوعها ،
في الحسن او كدنوها لغروب ، وجهين احدهما انه اراد انها تطيب
بالعشى فتصفر لان الشمس تغيب صفراء والوجه الآخر انه اراد المبالغة
في الحسن لان الشمس احسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك ايضا قول قيس
صفراء اعجلها الشباب لذاتها ، ومثله للاعشى ،
اذا اجردت يوما حسبت خميصة ، عليها وجريال النضير الدلامصا ،
الخميصة ثوب ناعم لين شبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل
صبغ احمر وانما يعني لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه والوجه
الثاني ان يكون اراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المراة اذا كانت
صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالعشى الى الصفرة وقال المهدي بن علي
ابن مهدي الاصبهاني قال لي ابي قال لي الجاحظ زعموا ان المراة اذا كانت
صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشى الى الصفرة
واحتج في ذلك بقول الراجز ، قد علمت بيضاء صفراء الاصيل ،
وزعم ان بيت ذي الرمة الذي انشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت
الاعشى الذي انشدناه والابيات محتملة للامرين فاما الذي لا يحتمل الا
وجها واحدا فهو قول الشاعر ، وقد خنقتها عبرة فدموعها ،
على خدها حمر وفي نحرها صفر ، لانها لا تكون صفراء في نحرها الا لاجل
الطيب فاما قوله على خدها حمر فانما اراد انها تنصبغ بلون خدها والوجه
الثالث ان تكون المراة كانت صفراء على الحقيقة فان بشارا كثيرا يشبب بامراة صفراء كقوله
اصفراء لا انسى هواك ولا ودي ، ولا ما مضى بيني وبينك من عهد ،
لقد كان ما بيني زمانا وبينها ، كما كان بين المسك والعنبر الورد ، وكقوله
اصفراء كان الود منك مباحا ، ليالي كان الهجر منك مزاحا ،

الدعج سواد الحدقة والبرج سعة العين لغيوب

وكن جواري الحي اذ كنت فيهم ، قباحا فلما غبت صرن ملاحا ،
وقد روي ملاحا فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن ملاحا
يشبه قول السيد بن محمد الحميري ، واذا احضرن مع الملاح بمجلس ،
ابصرتهن وما قبحن قباحا ، فاما قوله من البيض لم تسرح سواما
فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وان اراد بالصفرة لونها لان البياض ههنا
ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس
والعرب لا تكاد تستعمل بيضاء الا في هذا المعنى دون اللون لان البياض عندهم
البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر ،
جاءت به بيضاء تحمله ، من عبد شمس صلتة الخد ، ومثله
بيض الوجوه كريمة احسابهم ، فاما قول بشار في القطعة الثانية وصفراء مثل
الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من الوجوه وان كان باللون الحقيقي اخص لقوله
كالخيزرانة لان الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء
غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة انها مثلها في التثني والتعطف ولقد
احسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم ، كان سبيكة صفراء صبت ،
عليها ثم ليث بها الازار ، برود العارضين كان فاها ،
بعيد النوم مسك مستثار ، مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن
قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء
اليه وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وخبرنا بانه يمدهم في الطغيان والعمه
وذلك بخلاف مذهبكم الجواب قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه اولها
ان يكون معنى الاستهزاء الذي اضافه تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم
في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا
وتشبيها كما يقول القائل ان فلانا ليستهزئ به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس
به وخطئوه فيه فاقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام
الاستهزاء به وانما اقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لان الاستهزاء الحقيقي
هو ما يقصد به الى عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة

والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز ان يجرى عليه اسم الاستهزاء ويشهد بذلك
قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ
بها ونحن نعلم ان الايات لا يصح عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية وانما المعنى
اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام ما قاربه
في معناه فتجرى عليه اسمه قال الشاعر ، كم اناس في نعيم عمروا ،
في ذرى ملك تعالى فبسق ، سكت الدهر زمانا عنهم ،
ثم ابكاهم دما حين نطق ، والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان
على الدهر وانما شبه تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق
وانشد الفراء ، ان دهرا يلف شملي بجمل ، لزمان يهم بالاحسان ،
ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قوله ، سألتني بأناس هلكوا ،
شرب الدهر عليهم واكل ، وانما اراد بالاكل والشرب الافناء لهم والتغيير
لاحوالهم ومنه قول الآخر ، يغبطني ان ارى باب دارها ،
وان كان باب الدار يحسبني جلدا ، والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء
المضاف اليه عز وجل ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون
ويروى عن ابن عباس قال في معنى استدراجه اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة
جدد لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم من الاستدراج
الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره يظهر
امرا ويضمر غيره فان قيل على هذا الجواب فالمسئلة قائمة واى وجه لان
يستدرجهم بالنعم الى الهلاك قلنا ليس الهلاك هاهنا هو الكفر وما اشبهه من
المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي
استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما يشاء الى وقت شاء
فكانه تعالى لما كفروا وبدلوا نعمه وعاندوا رسله لم يغير عليهم نعمه في الدنيا
بل بقاها لتكون متى نزعها عنهم وابدلهم بها نقما الحسرة منهم اعظم والضرر
عليهم اكبر فان قيل فهذا يؤدى الى تجويز ان يكون بعض ما ظاهره ظاهر
النعمة على الكفار مما لا يستحق الله به الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن

استحق

استحق العقاب وانما المنكر ان تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما تلزمه
مخالفنا الا ترى ان الحياة وما جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لا تعد
على اهل النار نعمة وان كان على اهل الجنة نعما من حيث كان الغرض فيه
ايصال العذاب اليهم والجواب الثالث ان يكون معنى استهزائه بهم انه جعل
لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة
وموارثة ومدافنة وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معدا لهم في الآخرة
اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق واستسروا به من الكفر فكانه تعالى قال ان
كنتم ايها المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه
من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزئون
فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم احكام المؤمنين ظاهرا حتى ظننتم
ان ما لكم ما لهم ثم ميز بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث اثاب المخلصين
الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب
معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه والجواب
الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان
ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا
اراد ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر
خداعه ومكره عاد اليه ولم يضررني به والجواب الخامس ان يكون المعنى
انه يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمى
الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس بعقوبة قال الشاعر ،
الا لا يجهلن احد علينا ، فنجهل فوق جهل الجاهلينا ، ومن شأن
العرب ان تسمى الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه
به اذا انكشف المعنى وامن الابهام وربما غلبوا ايضا اسم احد الشيئين على
الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما فمثال الاول قولهم للبعير

الذى يحمل المزادة راوية والمزادة المحمولة على البعير راوية فسمى البعير
باسم ما يحمل عليه قال الشاعر ، مشى الروايا بالمزاد الاثقل ، اراد
بالروايا الابل ومن ذلك انهم يقولون صرعته الكاس واستلبت عقله وقال
الشاعر ، ومازالت الكاس تغتالنا ، وتذهب بالاول الاول ، والكاس
هى ظرف الشراب والفعل الذى اضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذى
تحل الكاس الاناء يقول الكاس الاناء بما فيه من الشراب وكان الاناء
الفارغ لا يسمى كاسا وعلى هذا القول يكون اضافة اختلاس العقل والتصريع
وما يجرى مجرى ذلك الى الكاس على وجه الحقيقة لان الكاس على هذا القول
اسم للاناء وما حله من الشراب ومثال الوجه الثانى ما ذكرناه عنهم من
التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر ، اخذنا بافاق السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم الطوالع ، اراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الآخر
فقولا لاهل المكتين تحاشدوا ، وسيروا الى آطام يثرب والنخل ، تحاشدوا اى اجتمعوا
اراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب وقال الآخر ، فبصرة الازد منا والعراق لنا
والموصلان ومنا مصر والحرم ، اراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الآخر
نحن سبينا امكم مقربا ، يوم صبحنا الحيرتين المنون ، اراد المقرب التى دنت ولادتها
الحيرة والكوفة وقال الآخر ، اذا اجتمع العمران عمرو بن عامر
وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا ، والقوا مقاليد الامور اليهم ، اى تبعالهم
جميعا فما كارهين وطوعا ، اراد بالعمرين رجلين يقال لاحدهما
عمرو وللاخر بدر وقد فسره الشاعر فى البيت ومثله ،
جزانى الزهدمان جزاء سوء ، وكنت المرء يجزى بالكرامة ،
اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم وللآخر كردم فغلب وكل
الذى ذكرناه يقوى هذا الجواب من جواز التسمية للجزاء على الذنب باسمه
او لغلبته عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه والجواب
السادس وهو ما روى عن ابن عباس قال يفتح لهم وهم فى النار باب من
الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المومنون

منهم اذا راوا الابواب قد اغلقت دونهم فلذلك قال عز وجل فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فان قيل واى فائدة فى
هذا الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لان ذلك اغلظ
على نفوسهم واعظم فى مكروههم وهو ضرب من العقاب الذى يستحقونه
بافعالهم القبيحة لان من طمع فى النجاة والخلاص من المكروه واشتد
حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه
اصعب واغلظ من عذاب من لا طريق للطمع عليه فان قيل فعلى هذا الجواب
ما الفعل الذى هو الاستهزاء قلنا فى تردادهم من باب الى آخر على سبيل   تردادهم من باب
التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان اظهارا لما المراد خلافه وان لم يكن
فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضى قبحه من اللهو والعبث وما جرى مجرى ذلك
والجواب السابع ان يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه
بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب فى ذلك عادة معروفة فى
كلامها والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذه الوجوه التى ذكرناها فى الاية
يمكن ان تذكر فى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله تعالى ان
المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتامل ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم فى
طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين احدهما ان يريد انى املى لهم ليؤمنوا ويطيعوا   املى لهم اى اطيل لهم البقاء
وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والوجه الآخر ان يريد بيمدهم
انه يزكيهم من فوائده ومنحه التى يوتيها المومنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين
عقابا كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد
قدس الله روحه انى لاستحسن لبعض الاعراب قوله ،
خليلى هل يشفى من الشوق والجوى ، بذى ذو الاوطان لا بل يشوقها ،   يشفى النفوس من
وتزداد فى قرب اليها صبابة ، ويبعد من فرط اشتياق طريقها ،
وما ينفع الحران ذا اللوح ان يرى ، حياض القرى مملوة لا يذوقها ،   الحران العطشان واللوح العطش
وللآخر فى تذكر الاوطان والحنين اليها ، الا قل لدار بين اكثبة الحمى ،
وذات الغضا جادت عليك الهواضب ، احبك لا ان آتك الآن نغلبت ،

دموع اضاعت ما حفظت سواكب ، ديار تناسمت الهواء بجوها
وطاوعني فيها الهوى والحبائب ، ليالي لا الهجران محتكم بها
على وصل من اهوى ولا الظن كاذب ، وانشد ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ، باسناد نجد وهي خضر متونها
وهل اشربن الدهر من ماء مزنة ، بحومة ليلى حيث فاض معينها
بلاد بها كنا نحل فاصبحت ، خلاء ترعاها مع الادم عينها
تغيبت فيها بالشباب وبالصبى ، تميل بما اهوى على غصونها
وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي ، الا ليت شعري هل تحنن ناقتي
ببيضاء نجد حيث كان مسيرها ، فتلك بلاد حبب الله اهلها
الي وان لم يعط نصفا اميرها ، بلاد بها انضيت راحلة الصبى
وكانت لنا ايامها وشهورها ، فقد نابها الهم المكدر شربه
ودار علينا بالنعيم سرورها ، وانشد ابو محلم لسوار بن المضرب
سقى الله اليمامة من بلاد ، نوافحها كارواح الغوالي
وجو زاهر للريح فيه ، نسيم لا يروع الترب وان
بها سقت الشباب الى المشيب ، يقبح عندنا حسن الزمان
وانشد اسحاق الموصلي ، الا يا حبذا جنبات سلمى
وجاد بارضها جون السحاب ، خلعت بها العذار ودلت فيها
مناي بطاعة او باغتصاب ، اسوم بباطلي طلبات لهوى
ويعذرني به عصر الشباب ، فكل هؤلاء على ما ترى قد افصحوا بان
سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب واستظلوه من ظله
وانضوه من رواحله وانه كان يعذرهم وحسن قبائحهم فعلى اي شيء يعلو الكلام
في قول ابن الرومي ، وحبب اوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا ، اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم
عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا ، ويزعمون انه سبق الى ما لم يسبق اليه
وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم

بالكاف
حومة ليلى اسم موضع
اي بقر الوحش
تحنن
طلبات اي حاجات

اللفظ

اللفظ فلم يرد عليه ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد ممن
يعهد منه الردي كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد احسن البحتري في قوله
في هذا المعنى ، فسقى الغضا والنازليه وانهم ، شبوه بين جوانح وقلوب
وقصار ايام به سرقت لنا ، حسناتها من كاشح ورقيب
خضر تساقطها الصبى فكانها ، ورق تساقطه اهتزاز قضيب
كانت فنون بطالة فتقطعت ، عن هجر غانية ووصل مشيب
واحسن في قوله ، سقى الله اخلاقا من الدهر رطبة
سقتنا الجوى اذ ابرق الجون ابرق ، ليال سرقناها من الدهر بعدما
اضاء باصباح من الشيب مفرق ، تداويت من ليلى بليلى فما شفى
بماء الربا من بات بالماء يشرق ، ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسانه وهو
سلام ترجف الاحشاء منه ، على الحسن بن وهب والعراق
على البلد الحبيب الي غورا ، ونجدا والاخ العذب المذاق
ليالي نحن في وسنات عيش ، كان الدهر عنها في وثاق
واياما لنا وله لذاذ ، غنينا في حواشيها الرقاق
كان العهد من عفر لدينا ، وان كان التلاقي عن تلاق
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فقال كيف خاطب آدم
وحوا عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب اليهما العداوة واي
عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان
يكون الخطاب متوجها الى آدم وحوا وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية
ويتعلق بهما ويقوي ذلك قوله تعالى حاكيا عن ابراهيم واسمعيل ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وثانيها ان يكون
الخطاب لآدم وحوا عليهما السلام ولابليس اللعين وان يكون الجميع مشتركين
في الامر بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم
لابليس ذكر في قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة لانه وان لم

والغنى الحلو
غنينا اي قمنا

يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما
مما كانا فيه فجائز ان يكون الخطاب الى الجميع وثالثها ان يكون الخطاب
متوجها الى آدم وحوا والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من
المفسرين وفي هذا الوجه بُعدٌ من قبل ان خطاب من لا يفهم لا يحسُن فلا
بد من ان يكون قبيحا اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا
خطاب وانما كنى عن اهباطه لهم بالقول كما يقول احدنا قلت فلقيت الامير
وقلت فضربت زيدا وانما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف للظاهر
وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بُعدٌ من وجه آخر وهو انه لم يتقدم للحية
ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس ولا
يسبق وهم الى تعليق الكناية بغيره يكنى عنه حتى يكون ذكره كتركه ذكره في
البيان عن المعنى المقصود مثل قوله حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان
وقول الشاعر ، اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ،
، اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدرُ ، فاما بحيث لا يكون الحال على هذا
فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها ان يكون الخطاب يختص آدم وحوا
عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك ولان التثنية اول
الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد لحكم
داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
يتاول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان وقال الراعي
، اخُليدُ ان اباك ضاف وسادهُ ، همّان باتا جنبة ودخيلا ،
، طرقا فتلك هماهمي اقريهما ، قُلُصا لواقح كالقسي وحولا ،
فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فان قيل فما معنى الهبوط الذي
امروا به قلنا اكثر المفسرين على ان الهبوط هو النزول من السماء الى الارض
وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لان الهبوط كما يكون النزول من علو
الى سُفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا
فان لكم ما سألتم ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا اي حللنا قال زهير

حشرجت نفسه اذا ارتفعت الى الحلق

ضاف نزل به

الهماهم ما يحدث في نفسه وحولا جمع حائل

، ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ، ايدي المطي بهم من راكس فلقا ،
فقد يجوز على هذا ان يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل
ايضا ان يريد بالهبوط معنى غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها
كما يقولون قد هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة وانحط
الى دونها فان قيل فما معنى بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لآدم
عليه السلام وذريته فمعروفة مشهورة واما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين
من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار المارقين
عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي
تضمن ادخالها في الخطاب لبني آدم معروفة وكذلك تحذرهم منها وتجنبهم
فاما الوجه الذي تضمن الخطاب اختصاص آدم وحوا دون غيرهما فيجب ان
يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية كانه قال اهبطوا وقد
علمت من حال ذريتكم ان بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما لاجل اختصاص
بين الذرية وبين اصلها فان قيل اليس ظاهر قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض
عدو يقتضي الامر بالمعاداة كما انه امر بالهبوط وهذا يوجب ان يكون تعالى
آمرا بالقبيح على وجه لان معاداة ابليس لآدم عليه السلام قبيحة ومعاداة
الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وانما
يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فالامر يختص بالهبوط
والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري مجرى
هذه الآية في ان المراد بها الحال قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة
الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم كما اراد
تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم وكذلك القول
في الامر بالهبوط وهذا بيّن قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن مدح
السادة الكرام قول الشاعر ، ويلُ امّ قوم غدوا عنكم لطيتهم ،
، لا يكتنون غداة العلّ والنهل ، صدءُ السرابيل لا تَوكا مغانيهم ،
، مجر البطون ولا تطوى على الفضل ، قوله ويل ام قوم من الزجر المحمود الذي

امر

يقال مضى لطيته مخفف ومثقل اي لنيته وقصده

قوله مجرا اي منتفخ البطون

لا يقصد بها الشر هيثل قولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه وترحه الله ما اسمحه
وقد قيل في قول جميل ، رمى الله في عيني بثينة بالقذى ،
و في الغر من انيابها بالقوادح ، انه اراد هذا المعنى بعينه وقيل ايضا
انه دعا بالهرم وعلو السن لان الكبير يكثر قذى عينيه وتهتم اسنانه وقيل
انه اراد بعينها رقيبها وبغر انيابها سادات قومها ووجوههم والاول اشبه
بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل فاما قوله لا يكتنون غداة العلّ
والنهل فانما اراد انهم ليسوا برعاء يسقون الابل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم
ويرعى ابلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاة والرعاة وفيه وجه آخر
قيل انهم يسامحون شربهم ويؤثرونه بالسقي قبل اموالهم ولا يصولون عليه
ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف وقيل ايضا بل عنى انهم
اعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم ماء افرج الناس لها عنه لانها قد عرفت
فليس يحتاج اربابها الى الاكتناء والتعرف وقد قال قوم في قوله يكتنون انه
من قولهم كنِتَتْ يده وكنَبتْ اذا خشنت من العمل فيقول ليسوا باهل مهنة
فتكنب ايديهم وتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفيهم ذلك وقوله صدء السرابيل
فانما اراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له والمقانب هي الاوعية التي يكون
فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يستبدوا بالاوعية على ما فيها واطعموا اهل
الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة وعجر البطون من صفات
المقانب وانها لا توكا عجر البطون ولا تطوى على فضل الزاد ولبعض بني
اسد واحسن كل الاحسان ، رات صرمة لابني عبيد تمنعت ،
، من الحق لم تؤذن بحق افالها ، فقالت الا تغدو فصالك هكذا ،
، فقلت ابت ضيفانها وعيالها ، فما حلبت الا الثلاثة والثنى ،
، ولا قُبِّلت الا قريبا مقالها ، حدابير من كل العيال كانها ،
، اناضى شقر حل عنها جلالها ، شكا هذا الشاعر امراته وحكى عنها انها
رات ابلا لجيرانها لم يعط منها في حمالة ولم يعقر في حق ولم تحلب لضيف ولا
جار فهي سمان وقوله لم تؤذن افالها الا فال الصغار وتؤذن من الاذن

وهو

وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تلق بؤسا
لان البان امهاتها موفورة عليها وحكى عن امراته انها تقول له غدت انت
فصالك هكذا فقال لها تابى ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان
ثم اخبر انه لم يلتفت الى لومها وان الابل ما حلبت بعد مقالتها الا مرتين
او ثلاثا ولا قيلت من القائلة الا بقرب البيوت حتى نحرها ووهبها والحدابير
المهازيل وانما يعني فصاله وهزالها لاجل انها لا تسقى الالبان وتعقر امهاتها
والانضى جمع نضو فشبه فصاله من هزالها بانضاء خيل شقر وقوله حدابير
من كل العيال فيه معنى حسن لانه اراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا
تاكيد لان سبب هزالها هو الايثار بالبانها واختصت بالهزال من بين كل
العيال هنا هم الجيران والضيفان وانما جعلهم عيالا لكرمه وانجوده قد
الزمه مؤنتهم فصاروا كاخص عياله ومثل ذلك قول الشاعر ،
، تعيّرني الحظلان ام محلّم ، فقلت لها لا تقذفيني بدائيا ،
، فاني رايت الضامرين متاعهم ، يذم ويفنى فارضخي من وعائيا ،
، فلم تجديني في المعيشة عاجزا ، ولا حصرما خبا شديدا وكائيا ،
الحظلان المملون الممسكون البخلاء والحظل الامساك وام محلم امراته ومعنى
قوله تعيرني الحظلان اي بالحظلان تقول مالك لا تكون مثل هؤلاء الذين
يحفظون اموالهم والضامرون ايضا البخلاء فقال لها رايت البخلاء يصنون
بما عندهم وهو يفنى ويبقى الذم فارضخي من وعائي وهذا مثل اي اعطي الناس
مما عندي وهو من قولك رضخ له بشيء من عطيته والحصرم البخيل تقول
العرب حضرم قوسك اي شد وترها وقوله فلم تجديني في المعيشة عاجزا
اي انا صاحب غارات افيد واستفيد واتلف واخلف فلا تخافي الفقر وقال
مسكين الدارمي ، اصبحت عاذلتي معتلة ، قرما ام هي وحمى للصخب ،
، اصبحت تتفل في شحم الذرى ، وتظن اللوم درا ينتهب ،
، لا تلمها انها من امة ، ملحها موضوعة فوق الركب ،
يقول انها تكثر لومي فكانها قرمة في اللوم كقرم الانسان الى اللحم وهي وحمى

ترضها اي حزنه وقد
ترح هو

اي تكسر

كانه يجمع نضو النضاء ثم يجمع
النضاء الانضى فهو جمع
الجمع

في الحديث لا ثنى في
الصدقة اي لا توخذ
في السنة مرتين
٥

قرمت

بشتم الصحب والوجم بشهوة الطعام عند الحل وشتيم الذي لا يسمه واراد
المتفل فيها اي نعوذ ابلي لتزيينها في عيني وتعظم قدرها فلا اهب منها و لا
اتجشم اخبر ان اصلها من الزنج والملح الشتم وشتيم الزنج يكون على اودا كهم
واكفالهم وانشد ابو العباس محمد بن يزيد ، ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ،
ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد ، اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ،
اكيلا فاني لست آكله وحدي ، قصيا كريما او قريبا فانني ،
اخاف مذمات الاحاديث من بعدي ، واني لعبد الضيف ما دام نازلا ،
وما من صفاتي غيرها شيمة العبد ، قال ابو العباس ستثنى الكرم في
القصي البعيد ولم يستثنه في القريب لان اهله جميعا عنده كرام واراد بقوله
عبد الضيف انه يخدم الضيف هو بنفسه لا يرضى ان يخدمه عبده قال السيد
قدس الله روحه ويشبه ذلك قول المقنع الكندي ،
واني لعبد الضيف ما دام نازلا ، وما بي سواها خلة تشبه العبدا ،
وانما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت الاول والثاني ثواءه ونزوله ليعلم
ان الخدمة له لم تكن لضعة وصغر قدر بل لما يوجبه الكرم من حق الاضياف
وانه يخرج عن ان يكون مخدوما بخروجه من ان يكون ضيفا ولو قال
واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى مجلس آخر تاويل آية
ان سأل سائل فقال بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم ان المكلف
يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا
لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فان الظاهر من هذه الاية يوجب
انهم غير مستطيعين للامر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل
واذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا
وانه نفى ان يكون قادرا على الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب
ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
الجواب يقال له اول ما نقوله ان المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة
لا يصح له فيه التعلق بالسمع لان مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يمكن

اكيلا اي مواكلا

مع

مع المقام عليه من معرفة السمع بادلته وانما قلنا ذلك لان من جوز
تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح
عن الله عز وجل واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من ان يلزمه تجويز القبائح على
الله في افعاله واخباره ولا يامن من ان يرسل كذابا وان يخبر هو بالكذب
تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وان
كان كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذب وانما طرق
ذلك تجويز بعض القبائح عليه وليس لهم ان يقولوا ان امره تعالى الكافر بالايمان
وان لم يقدر عليه يحسن من حيث اتى الكافر فيه من قبل نفسه لانه تشاغل
بالكفر فترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو اضفنا ذلك اليه تعالى
على وجه يقبح وذلك لان ما قالوه اذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما
لا يطاق لم يؤثر في نفي ما الزمناه عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل الكذب
وسائر القبائح ويكون حسنة منه بان يفعلها من وجه لا يقبح منه وليس
قولهم وانا لم نضفه اليه من وجه يقبح بشيء يعتمد بل يجري مجرى قول من جوز
عليه ان يكذب ويكون الكذب منه حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع
بان يقول انني لم اضف اليه قبيحا فيلزمني فساد طريقة السمع فلما كان من
ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله
ونعود الى تاويل الآية اما قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا فليس فيه ذكر الشيء الذي لا يقدرون عليه ولا بيان
له وانما يصح ما قالوه لو بين لهم انهم لا يستطيعون سبيلا الى امر بعينه
تاما ولم يذكر ذلك فلا متعلق لهم فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم
فيجب ان يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى مفارقة الضلال قلنا
انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل فيجوز ان يريد انهم لا يستطيعون
سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من الامثال وذلك غير مقدور على الحقيقة
ولا مستطاع والظاهر بهذا الوجه اولى لانه تعالى حكى عنهم انهم ضربوا له الامثال
وجعل ضلالهم وانهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم ذكره وظاهر ذلك

ما

يوجب رجوع الامرين جميعا اليه وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لا يستطيعون
سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من المثل على انه تعالى قد اخبر عنهم بانهم ضلوا وظاهر
ذلك الاخبار عن ماضى فعلهم فان كان قوله فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه
فيجب ان يدل على انهم لا يقدرون على ترك الماضى وهذا مما لا يخالف فيه
وليس فيه ما اباه من انهم لا يقدرون فى المستقبل او فى الحال على مفارقة
الضلال والخروج عنه وتعذر تركه وبعد فاذ المريكن للاية ظاهر فلم صاروا
بان يحملوا نفى الاستطاعة على امر كلفوه باولى منا اذا احملنا ذلك على امر لم
يكلفوه او على ان اراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم وقد جرت
عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيئا انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه
ولا يتمكن منه الا ترى انهم يقولون فلان لا يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر
اليه وما اشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة فان قيل
فاذا كان لا ظاهر للاية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر
ابو على ان المراد انهم لا يستطيعون الى بيان تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا الامثال
ظنا منهم بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى ان ذلك غير مستطاع لان تكذيب
صادق وابطال الحق مما لا يتعلق به قدرة ولا تتناوله استطاعة وقد ذكر
ابو هاشم ان المراد بالاية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون
سبيلا الى الخير الذى هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس
يمكن على هذا ان يقال كيف لا يستطيعون سبيلا الى الخير والهدى وهم عندكم
قادرون على الايمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد
انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما
يكون لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ما هم عليه وقد يمكن ايضا فى معنى الاية
ما تقدم ذكره من ان المراد بنفى الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون للايمان
فقد يخبر عمن يستثقل شيئا بانه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره فاما قوله تعالى
فى قصة موسى عليه السلام انك لن تستطيع معى صبرا فظاهره يقتضى انك
لا تستطيع ذلك فى المستقبل ولا يدل على انه غير مستطيع الصبر فى الحال انه

بعقله

يفعله فى الثانى وقد يجوز ان يخرج فى المستقبل من ان يستطيع ما هو فى الحال
مستطيع له غير ان الاية تقتضى خلاف ذلك لانه قد صبر عن المسئلة اوقاتا
وان لم يصبر عنها فى جميع الاوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه فى جميع
الاحوال المستقبلة على ان المراد بذلك واضح وانه تعالى اخبر عن استثقاله الصبر
عن المسئلة عما لا يعرف ولا يقف عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا
نجد احدنا اذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه الى المسئلة
عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن التفحص عن امره فلما حدث
من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسئلة
عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فبين
ان العلة فى قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان الامر على ما ظنوا لوجب
ان يقول وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى فيكون
مقدورا لان الادراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى
على ما يقوله ابو على لكان ايضا غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم
تعالى بالقدرة عليه هذا ان اريد بالسمع الادراك وان اريد به نفس
الحاسة فهى ايضا غير مقدورة للعباد لان الجواهر وما يختص به الحواس
من البنية والمعانى ليصح به الادراك مما ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه
فالظاهر لا حجة لهم فيه فان قالوا ولعل المراد بالسمع كونهم سامعين كانه
نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد
ذلك لحملنا نفى الاستطاعة هنا على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة
المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يرانى ولا يقدر على ان يكلمنى وما
اشبه ذلك وهذا بين لمن تامله مجلس آخر ان سال سائل فقال ما
تاويل ما رواه يسار عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لى جارية
كانت ترعى غنما لى قبل احد فذهب الذئب بشاة من غنمها وانا رجل من
بنى آدم اسف كما ياسفون لكننى غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على

النبي صلى الله عليه وآله قال قلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها
فاتيته بها فقال لها اين الله فقالت في السماء قال لها من انا قالت انت رسول
الله فقال عليه السلام اعتقها فانها مؤمنة فالجواب اما قوله انا رجل من
بني آدم اسف كما ياسفون فمعناه اني اغضب كما يغضبون قال محمد بن حبيب
الاسف الغضب وانشد للراعي ، فما لحقتني العيس حتى وجدتني ،
، اسيفا على حاديهم المتجرد ، والاسف ايضا الحزن قال ابن الاعرابي
الاسف الحزن والاسف الغضب قال كعب بن زهير ،
، في كل يوم ارى فيه مبينة ، تكاد تسقط مني منة اسفا ، وقوله
لكنني غضبت فصككتها اراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله
تعالى فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن
ابي حازم يصف حمار وحش واتانا ، فيصك محجره اذا ما ساقها ،
، وجبينه بحوافر لم تنكب ، ساقها اي شمها وقوله في السماء فالسماء
هو الارتفاع والعلو فمعنى ذلك انه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه
لا يبلغ ولا يدرك يقال فلان سما يسمو سموا اذا ارتفع شانه وعلا امره قال
الله تعالى ام امنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فاخبر بعظمته وسلطانه وعلو شانه
ونفاذ امره وقد قيل في قوله امنتم من في السماء غير هذا وان المراد امنتم
من في السماء امره وآياته ورزقه وما جرى مجرى ذلك وقال امية بن
الصلت شاهدا لما تقدم ، واشهد ان الله لا شي فوقه ،
، عليا وامسى ذكره متعاليا ، وقال سليمان بن يزيد العدوي ،
، لك الحمد يا ذا الطول والعز والغنى ، تعاليت محمودا كريما وجازيا ،
، علوت على قرب بعز وقدرة ، وكنت قريبا في دنوك عاليا ،
والسماء ايضا سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماء البيت وسماوته وسراته

وصهوته وصحاوته والسماء ايضا المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم مدرارا
ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله مر على صبرة
طعام فادخل عليه السلام يده فيها فنالت اصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب
البر قال اصابته السماء يا رسول الله قال عليه السلام او لا جعلته فوق الطعام
يراه الناس من غشنا فليس منا وقال المثقب العبدي ،
، فلما اتاني والسماء تبله ، فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا ، ويقال ايضا
لظهر الفرس سماء كما يقال في حوافره انها ارض ولبعضهم في فرس ،
واحمر كالدينار اما سماؤه ، فخضب واما ارضه فمحول ، وانما اراد
انه سمين الاعلى عريان القوائم ممشوقها وكل معاني السماء التي تتصرف وتتنوع
ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي اجريت
هذه اللفظة فيها واولى المعاني بالخبر الذي سئلنا عنه ما قدمناه من معنى العزة
وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به تعالى لان العلو
بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما ولان
الخبر والآية التي تضمنت ايضا ذكر السماء خرجت مخرج المدحة ولا تمدح في
العلو بالمسافة وانما التمدح بعلو الشان والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لا نجد
احدا من العرب مدح غيره في شعر او نثر بمثل هذه اللفظة واراد بها علو المسافة
بل لا يريدون الا ما ذكرناه من معنى العلو وانما يظن في هذا الموضع خلاف
هذا من لا فطنة عنده ولا بصيرة له والحمد لله رب العالمين مجلس آخر
تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول وما امن معه الا
قليل الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه اولها انه اراد بالتنور
وجه الارض وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار وهذا قول عكرمة
وقال ابن عباس مثله والعرب تسمي وجه الارض تنورا وثانيها ان يكون المعنى
ان الماء نبع من اعالي الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة
ويروى عنه في قوله وفار التنور قال ذكر لنا انه ارفع الارض واشرفها

وثالثها ان يكون المراد بفار التنور اى برز النور وظهر وتكاثفت امارات
دخول النهار وتقضى الليل وهذا القول يروى عن امير المومنين عليه السلام
ورابعها ان يكون المراد بالتنور الذى يختبز فيه على الحقيقة وانه تنور كان
لآدم عليه السلام وقال قوم ان التنور كان فى دار نوح عليه السلام بعين
وردة من ارض الشام وقال الآخرون بل كان التنور فى ناحية الكوفة والذين
روى عنهم ان التنور هو تنور الخبز الحقيقى ابن عباس والحسن ومجاهد
وغيرهم وخامسها ان يكون معنى ذلك واشتد غضب الله تعالى عليهم وحل
وقوع نقمته بهم فذكر التنور مثلا لحضور العذاب كما تقول العرب قد حمى
الوطيس اذا اشتدت الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب
ايضا قد فارت قدر القوم اذا اشتدت حربهم وقال الشاعر
، تفور علينا قدرهم فنديمها ، ونفثؤها عنا اذا حميها غلا ، اراد
بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروى عن النبى
صلى الله عليه وآله وسلم انه نهى عن البول فى الماء الدائم يعنى الساكن ويقال
تدوم الطائر فى الهواء اذا بسط جناحيه وسكنها ولم يخفق بهما ونفثؤها
معناه نسكنها يقال قد فثات غضبه عنى وفثات الحار بالبارد اذا كسرته
به وسادسها ان يكون التنور الباب الذى يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران
الماء منه والسفينة على الارض علما على ما انذر به من اهلاك قومه وهذا
القول يروى عن الحسن واولى الاقوال بالصواب قول من حمل الكلام على
التنور الحقيقى لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولان الروايات الظاهرة تشهد
له واضعفها وابعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب
واحتداد الامر تمثيلا وتشبيها لان حمل الكلام على الحقيقة التى تعضدها
الرواية اولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية واى المعانى
اريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء منه علما لنبيه عليه السلام وآية
تدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمومنين فاما قوله تعالى
كل زوجين اثنين فقد قيل المراد به احمل من كل ذكر وانثى اثنين وانه

وردة اسم امراة نسبت العين اليها

يقال

يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج وقال الآخرون الزوجان ههنا
الضربان وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهدوا
ببيت الاعشى ، وكل زوج من الديباج يلبسه ، ابو قدامة مجبورا بذاك معا
ومعنى من سبق عليه القول منهم اى من اخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك
به والله اعلم بمراده تاويل خبر ان سال سائل عن تاويل الخبر الذى يرويه
شريك بن عمار الدهنى عن ابى صالح الحنفى عن امير المومنين عليه السلام
قال رايت النبى صلى الله عليه وآله فى المنام وانا اشكو اليه ما لقيت من
الاوَد واللدد الجواب يقال له اما الاود فهو الميل تقول العرب
لاقيمنّ ميلك وجنفك واودك ودرئك وضلعك وصدعك وظلعك
بالظاء وصغوك وصغوك وصددك كل هذا بمعنى واحد وقال ثعلب
الاود اذا كان من الانسان فى كلامه ورأيه فهو عوج واذا كان فى الشئ
المنتصب مثل عصا وما اشبهها فهو عوج هذا قول الناس كلهم الا ابا عمرو
الشيبانى فانه قال العِوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر قال ثعلب
كانه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال عصا معوجة وعود معوج وليس
فى كلامهم معوَّج واما اللدد فهو الخصومة وقال ثعلب يقال رجل الدّ وقوم
لدّ اذا كانوا اشد يدى الخصومة ومنه قوله تعالى وهو الد الخصام وقال الاموى
اللدد الاعوجاج والالد فى الخصومة الذى ليس بمستقيم اى هو اعوج
الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لدّ الصبى
وانما يلدّ فى شق فيه وليس يلدّ مستقيما فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج
وقال قد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الالد الخصام اعوج الخصام وانشد
ابو السمح لابن مقبل ، لقد طال عن دهماء لدّى وعذرتى ،
وكتمانها اكنى بام فلان ، جعلت لجهال الرجال مخاصة ،
ولو شئت قد بينتها بلسانى ، اللدّ الجدال والخصومة وقال ابو عمرو
الالد الذى لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله مخاصة يقول انهم يخوضون
فى شعرى فيطلبون معانيه فلا يقفون عليه وانشد ابو السمح ،

دهن حي من العرب

لا تفترِ الكذب القبيح فانه ، للمرء معيبة وباب لئام ،
واصدق بقولك حين تنطق انه ، للصدق فضل فوق كل كلام ،
فاذا صدقت على الرجال خصمتهم ، والصدق مقطعة على الظلام ،
واذا رماك غشوم قوم فارمه ، بالكذ مستبغر المدى عشام ،
لا تعرضن على العدو وسيلة ، واحذر عدوك عند كل مقام ،
واعلم بانه ليس يوما نافعا ، عند اللئيم وسائل الارحام ،
ما لم يخفك ويلق عند لك جانبا ، وتصيحه بكاس سمام ،
واذا احبت بماذق فاكرم به ، حتى تفرج حلبة الاطلام ،
واصبر على كرب البلاء فانه ، ليس البلاء على الفتى بلزام ،
واعلم بانك ميت ومحدث ، عما فعلت معاشر الاقوام ،
معنى قوله مستبغر المدى اى بعيد المدى وقوله لا تعرضن على العدو وسيلة
اى لا تقاربه ولا تصانعه ولا يكن بينك وبينه الا صدق العداوة وانشد
ايضا شاهدا لما تقدم ، يا وهب اشبه باطلى وجدى
اشبهت اخلاقى فاشبه مجدى ، وجد لى عند الخصوم اللد ،
قال السيد قدس الله روحه ومن حسن ما وصف به الثغر قول فضالة بن وكيع
البكرى ، تبسم عن جم اللثات كانها ، حصا برد او اقحوان كثيب ،
اذا ارتفعت عن مرقد عللت به ، من اليانع الغودى فرع قضيب ،
قضيب نحاه الركب ايام عرفوا ، لها من ذرى مال النبات خضيب ،
يعنى من يانع الاراك ومعنى نحاه اى قطعه ومثله استنحاه ايضا ومال
النبات اى ناعمه وحسنه يقال عشب مال وماد سوا اى مياد ناعم ومعنى
ايام عرفوا اى اجتنوه من عرفات وذكر انه خضيب بالطيب الذى بيدها
لادمانها استعماله وقال الاخطل يصف ثغرا ، شتيتا يرى الظمآن منه ،
اذا الجوزاء انجرت الضبابا ، الشتيت المتفرق المفلج الذى ليس
بمتراكب ومعنى قوله اذا الجوزاء انجرت الضبابا فيه وجهان احدهما انه اراد
عند سقوط الجوزاء وذلك فى شدة البرد وطول الليل اذا انجرت الضباب

من البرد وتغيرت الافواه لطول ليل الشتا يقول ثغرها حينئذ عذب
غير متغير والوجه الاخر انه اراد عند طلوع الجوزاء فى شدة الحر اذا انجحرت
الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمآن حينئذ اشد عطشا واحر غلة فريقها
يرويه ويبرد غلته وقال آخر ، فويل بها لمن تكون ضجيعه ،
اذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب ، قوله فويل لها من الزجر المحمود مثل
قوله ويل امه ما اشجعه فكانه يقول نعم الضجيع هى عند السحر اذا انحادرت
النجوم للمغيب كما قال ذو الرمة ، وايدى الثريا جنح فى المغارب ،
ومثله قول الاخر ، نعم شعار الفتى اذا برد الليل سحيرا وقفقف الصرد
وانما يعنى انها فى ذلك الوقت الذى تتغير فيه الافواه طيبة الريق عذبته
وانشد ابو العباس المبرد لام الهيثم ، وعارض كجانب العراق ،
، انبت برقا من البراق ، يذاق مثل العسل المراق ، قال ابو العباس
فى هذا قولان احدهما انه وصف ثغرا وعارضاه جانباه والعراق ما يثنى
ثم يخرز كعراق القربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا
نقص وقولها انبت برقا من البراق تعنى الثغر نفسه اى له بريق من
صفائه ورقته وشبهت الريق بالعسل لعذوبته والقول الاخر قال بعضهم
العارض ههنا الغيم وقولها كجانب العراق يعنى هذه البلاد اى هو ضخم
متكاثف قد سد الافق وقولها انبت برقا من البراق اى ما تنبت الارض
اذا امطرت من النور قال المبرد والقول الاول عندنا اصح لذكرها
العسل وانشد احمد بن يحيى لتابط شرا ، وشعب كشك الثوب شكس طريقه ، كنثل
، مجامع ضوجيه نطاف مخاصر ، تعسفته بالليل لم يهد فى له ،
، دليل ولم يحين له النعت خابر ، قال يعنى بالشعب فم جارية كشك
الثوب يعنى كف الثوب اذا خاطه الخياط والشكس الضيق يصفها بصغر
الفم وحسنه ورقة الشفتين وضوجاه جانباه و ضوج الوادى جانبه
ويعنى بالنطاف الريق والمخاصر الباردة من الخصر وقوله لم يهد فى له
دليل اى لم يصل اليه غيرى كما قال الجرير ، الا رب يوم قد شربت بمشرب

شغى الغيم لم يشرب به احد قبلى ، الغين والغيم العطش وانما يعنى
ريق جارية قال المبرد وقال آخرون بل يعنى شعبا من الشعاب مخوفا
ضيقا سلكه وحده قال ابو العباس انما كنى بالشعب عن فم جارية ثم
اخذ فى وصف الشعب ليكون الامر اشد التباسا قال السيد قدس
الله روحه ولا اشبه ان يكون اراد بالشعب شعبا حقيقيا لان تابط شرا
كان لصا وصافا للاهوال التى تمضى به وتعانيه فى تلصصه وكان كثيرا
ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضائق وقطعه المفاوز واشباه
ذلك والقطعة التى فيها البيتان كلها تشهد بان الوصف لشعب لا لفم
جارية لانه يقول بعد قوله كنك الوب ، لدن مطلع الشعرى قليل انيسه
، كان الطخا فى جانبيه معاجر ، به من نجاء الدلو بيض اقرها ،
، خبار لصم الصخر فيه قراقر ، وقردن حتى كن للماء منتهى ،
، وغادر رهن السيل فيما يغادر ، به نطف زرق قليل ترابها ،
، جلا الماء عن ارجائها فهو حائر ، وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب
دون غيره وتاول ذلك على الفم تعسف بعيد ولقد احسن كثير فى قوله يصف
الثغر ويوم الجبل قد سفرت وكفت ، رداء العصب عن رتل براد ، — بوصف / العصب برد البهي براد اي بارد
، وعن نجلاء تدمع فى بياض ، اذا دمعت وتنظر فى سواد ،
، وعن متكاوس فى العقص جثل ، اثيث النبت ذى عُذُر جعاد ،
وقال ابو تمام فى هذا المعنى ، وعلى العيس خرد يتبسمن ،
، عن الاشنب الشتيت البراد ، كان شوك السيال حسنا فاضحى ، — السيال ياسمين البر
، دونه للفراق شوك القتاد ، وقال البحترى ،
، وادنتا خدا يراح له الورد ، ونبتة حنا الفقاح ،
، وشتيتا يغض من لؤلؤ النظم ، ويزرى على شتيت الاقاحى ،
، ناضرات تحت الدجنة المترب ، وكادت تضئ للمصباح ،
، وقال ايضا ، سفرت كاسفر الربيع الطلق عن ،
، ورد يرقرقه الضحى مصقول ، وتبسمت عن لؤلؤ فى رصفه ،

، برد يرد حشاشة المتبول ، وقد جمع كل ما يوصف به الثغر فى قوله
، كانما يضحك عن لؤلؤ ، منظم او برد او اقاح مجلس آخر
تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى هل انبئكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فقال ما انكرتم ان تكون هذه
الآية دالة على انه تعالى جعل الكافر كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من عبد
الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعله كافرا الا بان يخلق كفره
الجواب يقال له قبل ان نتكلم فى تاويل الآية وما تحتمله من المعانى كيف
يجوز ان يخبرنا الله تعالى بانه جعلهم كفارا وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج
الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة فى الازراء عليهم واى مدخل لكونه
خالقا لكفرهم فى باب ذمهم واى نسبة بينه وبين ذلك بل لا شئ ابلغ فى
عذرهم وبرائتهم من ان يكون خالقا لما ذمهم من اجله وهذا يقتضى ان
يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد
ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول الا
اخبركم بشر الناس واحقهم بالذم واللوم من فعل كذا وصنع كذا وكان
على كذا وكذا فيعد من الافعال والاحوال قبائحها ولا يجوز ان يدخل
فى جملتها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذام ومن جهته حتى يقول
فى جملة ذلك ومن تشاغل فى الصناعة الفلانية التى هو اسلمه اليها وحمله — بالصناعة
عليها وان عقلاء يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد
ذمهم فى الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم فى ذلك
فكذلك يجوز ان يذمهم بجعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله
قلنا انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم وباستحقاقهم تجرى
ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك
منه بافعالهم وعبادتهم للطاغوت وان كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها
لان ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم كاللعن والمسخ ثم نعود الى تاويل

الآية فنقول لا ظاهر للآية يقتضى ما ظنوه واكثر ما تضمنته الاخبار بانه
خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة
فى انه تعالى هو خالق الكافر وانه لا خالق له سواه غير ان ذلك لا يوجب انه
خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا كما نستفيد من قوله جعل منهم القردة
والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من
عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا الطاغوت وذلك انا انما استفدنا
ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القردة قردا والخنزير
خنزيرا لا يكون الا من فعله وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصودا على فعله
تعالى بل قد دل الدليل على انه تعالى عن فعل ذلك وخلقه فافترق الامران
وفى الآية وجه اخر وهو ان لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على
القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه وتقدير الكلام
من لعنه ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة
والخنازير وهذا هو الواجب لان عَبَدَ فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو
عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا على اسم والاولى عطفه على ما
تقدم من الافعال وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا على الهاء
والميم فى منهم فكانه جعل منهم وممن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد
تحذف مَن فى الكلام قال الشاعر ؛ امن يهجو رسول الله منكم ؛
؛ ويمدحه وينصره سواء ؛ اراد ومن يمدحه ومن ينصره فان قيل فهبوا هذا
التاويل ساغ فى قراءة من قرا وعبد الطاغوت بالفتح اين انتم عن قراءة من
قرا وعَبُدَ الطاغوتِ بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن
قرا عُبُدُ الطاغوت بضم العين والباء ومن قرا عُبَّد الطاغوت بالضم
والتشديد ومن قرا عُباد الطاغوت قلنا المختار من هذه القرآت عند اهل
العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة فانه قرا عَبُد
بفتح العين وضم الباء وباقى القرآت شاذة غير ماخوذ بها قال ابو اسحاق
الزجاج فى كتابه فى معانى القرآة عَبَدَ الطاغوت نسق على من لعنه الله

قال وقد قرئت وعُبُدَ الطاغوت وعُبَّدَ الطاغوت والذى اختار وعَبَدَ
الطاغوت وروى عن ابن مسعود وعبدوا الطاغوت فهذا يقوى وعَبَدَ
الطاغوت ومن قال وعَبُدَ الطاغوتِ بضم الباء وخفض الطاغوت فانه
عند بعض اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما ان عَبُد على فَعُل
وليس هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم الطاغوت والثانى ان يكون
محمولا على وجعل منهم عَبُدَ الطاغوت ثم خرج لمن قرا وعبد وجها فقال
ان الاسم بنى على فَعُل كما تقول رَجُل حَذُرٌ اى مبالغ فى الحذر فتاويل عَبُد
انه بلغ الغاية فى طاعة الشيطان هذا كلام الزجاج وقال ابو على الحسن
ابن عبد الغفار الفارسى محتجاً لقراءة حمزة ليس عَبُد لفظ جمع الا ترى انه
ليس فى ابنية الجموع شئ على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى
ان فى الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه
الجمع كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكذلك قوله عَبُدَ الطاغوت جاء
على فَعُل لان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يَقُظ ونَدُس
فهذا كان تقديره انه قد ذهب فى عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب
قال وجاء على هذا لان عَبُد فى الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال
الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة الا ترى ان الابرق
والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسر هذا النحو عندهم من
التكسير فى قولهم ابارق واباطح لم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك
تركهم صرفه كتركهم صرف احمر ولم يجعلوا ذلك كافكل واَيْدع وكذلك عَبُد
وان كان قد استعمل استعمال الاسماء لم يخرجه ذلك عن ان يكون صفة واذا لم
يخرج عن ان يكون صفة لم يمتنع ان يُبنى بناء الصفات على فَعُل وهذا الكلام مفيد
فى الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة
وصح ايضا سائر ما روى من القرآت التى حكاها السائل كان الوجه الاول
الذى ذكرناه فى الآية يزيل الشبهة عنها ويمكن فى الآية وجه آخر على جميع القرآت
المختلفة فى عبد الطاغوت وهو ان يكون المراد بجعل منهم عَبُدَ الطاغوت

الافكل الرعدة والايدع صبغ
الاحمر وهو دم الاخوين
ص

اى نسبه اليهم وشهد عليه بكونه من جملتهم وللجعل مواضع قد تكون بمعنى
الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وكقوله وجعل لكم من الجبال
اكنانا وهى ههنا تتعدى الى مفعول واحد وقد تكون ايضا بمعنى التسمية والشهادة
كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل جعلت
البصرة بغداد وجعلتنى كافرا وجعلت حسبى قبيحا وما اشبه ذلك فهى ههنا
تتعدى الى مفعولين وللجعل مواضع اخر لا حاجة بنا الى ذكرها فكانه تعالى
قال ونسب عبد الطاغوت اليهم وشهد انهم من جملتهم فان قيل لو كانت جعل
ههنا على ما ذكرتم لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تتعد الا
الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق قلنا هذا غلط ممن توهمه لان جعل
ههنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يوم يقوم مقام المفعول الثانى
عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع فى خبر المبتدا فهى تحسن ان تقع فى موضع
المفعول الثانى لجعلت وظننت وما اشبههما وقد قال الشاعر ،
، ابالاراجيز يا ابن اللؤم توعدنى ، وفى الاراجيز خلت اللؤم والخور ،
وقد فسر هذا على وجهين احدهما على الغاء خلت من حيث توسطت الكلام
فتكون فى الاراجيز على هذا فى موضع رفع بانه خبر المبتدا والوجه الثانى على
اعمال خلت فيكون فى الاراجيز فى موضع النصب من حيث وقع موقع المفعول
الثانى وهذا بين لمن تدبره قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه
وانشد ثعلب عن ابن الاعرابى ، اما وابى للصبر فى كل خلة ،
، اقر لعينى من غنى رهن ذلة ، وانى لاختار الظما فى مواطن ،
، على بارد عذب واغنى بغلة ، واستر ذنب الدهر حتى كانه ، الغُلة العطش
، صديق ولا اغتابه عند زلة ، ولست كمن كان ابن امى مقترا ،
، فلما افاد المال عاد ابن علة ، فدابره حتى انقضى الود بيننا ،
، ولم انطق من نداه ببلة ، وكنت له عند الملمات عدة ،
، اشد بمالى دونه كل خلة ، قال المرتضى رضى الله عنه الاولى فى
هذه القطعة اطلاقها الخلة الحاجة والخلة ايضا الخصلة والخلة بالضم

المودة

المودة والخلة ايضا بالضم ما كان خلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج
من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل ايضا الفقير
وكلا الوجهين قد ذكر فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومنه حديث ابن
مسعود تعلموا القرآن فانه لا يدرى احدكم متى يختل اليه قال ابو العباس
ثعلب يكون من شيئين احدهما من الخلة التى هى الحاجة اى متى يحتاج اليه
ويكون من الخلة وهى النبات الحلو ويكون معناه متى يشتهى ما عنده مشبه بالابل
لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة واذا
ومن امثالهم جاؤا مخلين فلاقوا حمضا اى جاؤا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما
كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض والذكر الخل ويقال لجسم خل اذا كان مهزولا
قال الشاعر ، اسقنيها يا سواد بن عمرو ، ان جسمى بعد خالى لخل ، اى ضعيف
ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال الخلالة فهو خليل
ومخلول ومثله اجررته قال الشاعر ، فلو ان قومى انطقتنى رماحهم ،
، نطقت ولكن الرماح اجرت ، اى لم يعملوا فى الحرب شيئا فكنت افتخر
بهم وقوله اقر لعينى من غنى رهن ذلة يقول احتمال الصيانة مع الفقر احب
الى من الغنى مع الذل ومثله ، اذا كان باب الذل من جانب الغنى ،
، سموت الى العليا من جانب الفقر ، صبرت وكان الصبر منى سجية ،
، وحسبك ان الله اثنى على الصبر ، وقوله واستر ذنب الدهر حتى كانه
صديق اراد انى لا اشكو ما يمسنى به الدهر من خصاصة بل استر ذلك واظهر
التجمل حتى لا اسوء الصديق واسر العدو وهذا المعنى اراد بقوله ولا اغتابه
عند زلة وقوله فلما افاد المال عاد ابن علة فالعرب تقول هم بنو الاعيان
اذا كان ابوهم واحدا وامهم واحدة فاذا كان ابوهم واحدا وامهاتهم شتى
قيل اولاد علات ومنه الحديث الماثور عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال
الانبياء اولاد علات اى امهاتهم شتى وابوهم واحد وكنى الشاعر بذلك
عن التباعد والتقالى والتقاطع لان الاكثر فى بنى العلات ما ذكرناه وقوله
دابرته اى قاطعته وقوله لم انطق من نداه ببلة فالتمطق يكون بالشفتين

والتلفظ باللسان وكفى بذلك انه لم يصب من خيره شيئاً وصان نفسه عنه

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وما الذى اثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم ههنا بالعلم لوصفهم بالجهل فى قوله تعالى قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم صنوف النعم التى ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الى آخر الآية ونبه فى آخرها على وجوب توحيده والاخلاص له وان لا يشرك به شئ بقوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الارض فراشا اى يمكن ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل ابو على بذلك وبقوله تعالى جعل لكم الارض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل وهذا القدر لا يدل على انه يكفى فى النعمة علينا ان تكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب ان تكون جميعا كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان تكون فى الارض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الى ان جملتها شكل الكرة وليس له ان يقول قوله جعل لكم الارض فراشا يقتضى الاشارة الى جميع الارض وجملتها لا الى مواضع منها لان ذلك تدفعه الضرورة من حيث انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس ببساط ولا فراش ولا شبهة فى ان جملة السماء على ما هى عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا وكذلك انزاله منها الماء الذى هو المطر الذى تظهر به الثمرات فتنتفع بنيلها والاغتذاء بها فاما قوله تعالى فلا

تجعلوا

تجعلوا لله اندادا فان الند هو المثل والعدل قال حسان

اتهجوه ولست له بند ، فشركما لخيركما الفداء

فاما قوله تعالى وانتم تعلمون فيحتمل وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد التى هى الاصنام وما جرى مجراها التى تعبدونها من دون الله لم تنعم عليكم بهذه النعم التى عددها ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم ان المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله ولا معه تعالى فالوصف ههنا بالعلم انما هو لتاكيد الحجة عليهم ويصح لزومها لهم لانهم مع العلم بما ذكرناه يكون اضيق عذرا والوجه الثانى ان يكون المراد بقوله وانتم تعلمون اى تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتاتون وتذرون لان من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره فى التخلف عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب وانما يخشى الله من عباده العلماء والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل الكتابين التوراة والانجيل خاصة ومعنى وانتم تعلمون اى انكم تعلمون انه الله واحد فى التوراة والانجيل فعلى الوجهين الاولين لا تنافى بين هذه الآية وبين قوله تعالى قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون لان علمهم تعلق بشئ وجهلهم بغيره على الوجه الآخر اذ اجعل الآية التى سئلنا عنها مختصة باهل الكتاب امكن ان تجعل الآية التى وصفوا بها بالجهل تتناول غير هولاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان التوحيد وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد قدس الله روحه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول محتمل للكل قول امرء القيس

وقد اغتدى ومعى القانصان ، وكل بمرباة مقتفر
فيدركنا فغم داجن ، سميع بصير طلوب نكر
الص الضروس حنى الضلوع ، تبوع اريب نشيط اشر
فانشب اظفاره فى النسا ، فقلت هبلت الا تنتصر

، فكرّ اليه بمبراته ، كما خلّ ظهر اللسان المجرّ ، فظلّ يرنّح في غيطل ،
، كما يستدير الحمار النعر ، قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمرباة
الموضع المرتفع يُربأ فيه والمقتفر الذي يقتفر آثار الوحش وقال غيره
القانصان البازي والصقر والقغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما
اشدّ قغمه اي ما اشدّ حرصه قال الاعشى ، تؤم ديار بني عامر
، وانت بآل عقيل فغم ، اي مولع والداجن الذي يألف الصيد والسميع
الذي اذا سمع حسًّا لم يفته والبصير الذي اذا رأى شيئا من بعد لم يكذبه
بصره والتبوع الذي اذا اتبع الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر
الحاذق بالصيد ويروى نكر بالضم وقال ابن السكيت وغيره في قوله فانشبت
اظفاره في النسا اي فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في
الفخذ معروف فقلت هُبلتَ اي فقلت للثور هُبلتَ الا تنتصر من الكلب
قالوا وهذا تهكّم منه بالثور واستهزاء به والاصل في التهكم الوقوع على الشيء
يقال تهكّم النبت اذا وقع بعضه على بعض ومعنى فكرّ عليه بمبراته اي بقرنه
قال ابن السكيت وغيره يقال كرّ اليه الثور بمبراته اي بقرنه ومعنى كما خلّ
ظهر اللسان المجرّ اي طعنه به كما يجرّ الرجل لسان الفصيل وهو ان يقطع طرف
لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف امه وذلك اذا اكبر واستغنى
عن الشرب ومعنى فظلّ يرنّح في غيطل اي ظلّ الكلب يرنّح اي يميد ويتمايل
كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون ايضا الجلبة والصياح وقوله كما
يستدير الحمار النعر فالنعر الذي يدخل في راسه ذباب ازرق او اخضر فيطمح
براسه ويترو فشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر قال ابن مقبل
، ترى النعرات الزرق تحت لبانه ، احاد ومثنى اصعقتها صواهله ،
وقال احمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والحجة في ان الفرس يسمى
قانصا قول عدي بن زيد ، تقتنص الخيل ونصطاد الطير ولا نتبع لهو القنيص
اي لا تمنع منه ويقال لا تنغّص قال وقوله فانشب اظفاره في النسا معناه
فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور ففعلت لصاحب الفرس وغلامي المهلك

للفرس

للفرس هُبلتَ الا تدلوا الى الثور فتطعنه فقد امسكه عليك الكلب قال ويحتمل
ان يكون امرؤ القيس اغرى الثور بقتل كلبه لان امرأ القيس يفخر بالصيد
ويصف في اكثر شعره انه مرزوق منه مظفر فيه كقوله ،
، اذا ما خرجنا قال ولدان اهلنا ، تعالوا الى ان ياتي الصيد نحتطب ،
وكقوله ، مطعم للصيد ليس له ، غيره كسب على كبره ، فمحال على هذا
ان يغري الثور بقتل كلبه قال وتاويل الا تنتصر الا تدنو من الثور والدليل
على ان تنتصر بمعنى تدنو قول الراعي ، وافرغن في وادي جلاميد بعدما
، علا البيد ساق اليقظة المتناصر ، اي المتداني وقال المضرّس بن ربعي
، وانك لا تعطي امرأ حظ غيره ، ولا يملك الشق الذي الغيث ناصره ،
اي دان منه ومعنى الكمّ المضروس اي بعض اسنانه ملتصق ببعض وجنحا
الضلوع اي مشرف الضلوع عاليها ويروى حنق الضلوع بالنون اي منحنيها
ويقال ان الضلوع اذا انقوست كان اوسع لجوفه واقوى له ويروى خفي
الضلوع اي ضلوعه خفية داخلة في جنبيه ومعنى فظل يرنح اي ظل الثور
يرنّح في غيطل لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز ان يكون رنّح الثور
بظفر الكلب به ولانه انشب اظفاره به وكل ذلك محتمل ومما يحتمل ايضا على
وجوه مختلفة قول امرئ القيس ، فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ،
، لما نسجتها من جنوب وشمال ، قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج
هاتين الريحين فقط بل درست لتتابع الرياح والامطار والدليل على هذا
قوله في البيت الآخر ، فهل عند رسم دارس من معوّل ، وقال آخرون
معنى لم يعف اي لم يدرس فالرسم على هذا القول هو باق غير دارس اي
فهل عند رسم دارس في المستقبل وان كان الساعة موجودا غير دارس
وقال آخرون معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني انه لم يدرس اثرها لما
نسجتها بل هي بواق ثابتة فنحن نحزن لها ونجزع عند رؤيتها ولو عفت
وامحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن احمر ، الا ليت المنازل قد بلينا
، فلا يبكين ذا شجن حزينا ، ومثل قول الآخر ، ليت الديار التي تبقى لتحزننا

كانت تبين اذا ما اهلها بانوا، وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس كتابك اى ذهب بعضه وبقى بعض وقال ابو بكر العبدى معناه لم يعف رسمها من قلبى وهو دارس الموضع فلم يتناول قوله لم يعف ما اثبتنا وله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام وقال آخرون اراد بقوله لم يعف لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير، قف بالديار التى لم يعفها القدم، بلى وغيرها الارواح والديم، وكما قال الآخر، فلا تبعدن يا خير عمرو بن مالك، بلى ان من زار القبور ليبعدا، اراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير ليس يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه فى احد الوجوه المتقدمة من انه اراد ان رسمها لم يعف ولم يبطل كله وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت فى بعض فاما البيت الثانى فلا حجة فيه لانه لم يتضمن اثباتا ونفيا وايماء على انه لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى به غير واجب ولا ثابت فكيف ينافى الاثبات الثانى ويمكن فى البيت وجه آخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اى لم يزد ويكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتبينه المتامل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس له فى كلا الموضعين ولا شبهة فى ان عفا من حروف الاضداد التى تستعمل تارة فى الدروس واخرى فى الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اى كثروا ويقال قد عفا الشعر اذا كثر قال الشاعر، ولكنا نعض السيف منها، باسوق عافيات اللحم كوم، اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بان تحفى الشوارب وان تعفى اللحى اى توفر وهذا الوجه اشبه عندى مما تقدم مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى يا اخت هارون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فقال

من هارون الذى نسبت اليه مريم الى انها اخته ومعلوم انها لم تكن اختا لهارون اخى موسى عليهما السلام وما معنى من كان فى المهد صبيا ولفظة كان تدل على ما مضى من الزمان وعيسى عليه السلام فى حال قولهم ذلك كان فى المهد الجواب قلنا هارون هذا الذى نسبت اليه مريم قد قيل فيه اقوال منها ان هارون المذكور فى الآية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هى مبرأة منه من الشر نسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هارون فى فسقه وقبيح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هارون هذا كان اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وقيل انه كان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتاله وقيل انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من قومها وانه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون من بنى اسرائيل فلما انكروا ما ظهر من امرها قالوا يا اخت هارون اى يا شبيهته فى الصلاح ما كان هذا معروفا فيك ولا كان والدك ممن يفعل القبيح ويتطرق عليه الريب وعلى قول من قال انه كان اخاها يكون معنى قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك لم يكن امرء سوء ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هارون المعروف بالصلاح والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوى هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما ارسلنى رسول الله صلى الله عليه وآله الى اهل نجران قال لى اهلها اليس نبيكم يزعم ان هارون اخو موسى وقد علم الله ما كان بين عيسى وموسى من السنين فلم ادر ما ارد عليهم حتى رجعت الى النبى صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك فقال لى فهلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين قبلهم ومنها ان يكون معنى قوله يا اخت هارون يا من هى من نسل هارون اخى موسى كما يقال للرجل يا اخا بنى تميم ويا اخا بنى فلان وذكر مقاتل بن سليمان فى قوله يا اخت هارون

قال روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال هارون هذا الذى ذكروه
هو هارون اخو موسى عليهما السلام قال مقاتل وتاويل يا اخت هارون يا
من هى من نسل هارون كما قال تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم
صالحا يعنى باخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه الاقوال قد
اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان فى المهد صبيا فهو كلام مبنى
على الشرط والجزاء مقصود بهما والمعنى من يكن فى المهد صبيا فكيف نكلمه
ووضع فى ظاهر اللفظ الماضى موضع المستقبل لان الشرط لا يشرط الا فيما
يستقبل فيقول القائل ان زرتنى زرتك يريد ان تزورنى ازرك قال الله تعالى
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعنى ان يشا يجعل لك وقال قطرب معنى كان
ههنا معنى صار فكان المعنى كيف نكلم من صار فى المهد صبيا ويشهد بذلك قول
زهير ، اجزت اليه حرة رجبية ، وقد كان لون الليل مثل الارندج ،
وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد كما قالت العرب كان البرد وكان الحر
بمعنى وجدا وحدثا وقال قوم لفظة كان وان اريد بها الماضى فقد يراد بها
الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اى انتم كذلك
وقوله عز وجل هل كنت الا بشرا رسولا وقوله وكان الله عليما حكيما وان كان
قد قيل فى هذه الاية الاخيرة غير ذلك قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه
تعالى وحكمته ما شاهدوا فاخبرهم انه لم يزل عليما حكيما اى فلا تظنوا انه
استفاد علما وحكمة بكن عليهما ومما يقوى مذهب من وضع لفظة الماضى موضع
الحال والاستقبال قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم وقوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار وقولهم فى الدعاء غفر الله لك واطال بقاءك وما
جرى مجرى ذلك ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا انه لما امن من اللبس
وضع لفظ الماضى فى موضع المستقبل قال الشاعر ،
، فادركت من قد كان قبلى ولم ادع ، لمن كان بعدى فى القصائد مصعدا ،
اراد لمن يكون بعدى ومما جعلوا فيه المستقبل موضع الماضى قول الصلتان
العبدى يرثى المغيرة بن المهلب ، قل للقوافل والغزاة اذا غزوا ،

الارندج جلد كود

والباكرين

، والباكرين وللمجد الرائح ، ان الشجاعة والسماحة ضمنا ،
، قبرا بمرو على الطريق الواضح ، فاذا مررت بقبره فاعقر به ،
، كوم الجلاد وكل طرف سابح ، وانضح جوانب قبره بدمائها ،
، فلقد يكون اخادم وذبائح ، معناه فلقد كان كذلك تاويل خبر
ان سال سائل كيف يطابق ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال
لا عدوى ولا هامة ولا طيرة وانه قيل له ان النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب
لذلك الابل فقال عليه السلام فما اعدى الاول لما روى عنه عليه السلام من قوله
لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد وان
رجلا مجذوما اتاه ليبايعه بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وامره بالانصراف
ولم ياذن عليه السلام له وروى عنه عليه السلام انه قال الشوم فى المراة
والدار والدابة وظواهر هذه الاخبار متنافية متناقضة فبينوا وجه الجمع بينها
الجواب قلنا ان ابن قتيبة سال نفسه عن اختلاف هذه الاخبار واجاب عن
ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فانه خلط واتى بما ليس بمرضى
قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعا فاذا وضع موضعه زال الاختلاف
قال والعدوى جنسان احدهما عدوى الجذام فان المجذوم تشتد رائحته
حتى تسقم فى الحال مجالسيه ومواكليه وكذلك المراة تكون تحت المجذوم
فتضاجعه فى شعار واحد فيوصل اليها الاذى وربما جذمت وكذلك ولده
ينزعون فى الكبر اليه وكذلك من كان به سل ودق والاطباء تامر بان لا
يجالس المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون
بذلك تغير الرائحة وانها قد تسقم من اطال اشتمامها والاطباء ابعد الناس
من الايمان بيمن او شوم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهى جرب رطب
فاذا خالط الابل وحاكها اوصل اليها بالماء الذى يسيل منه نحوا مما به فهذا هو
المعنى الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يوردن ذو عاهة
على مصح وقد ذهب قوم الى انه اراد بذلك ان لا يظن الذى نال ابله من
ذوات العاهة فيأثم قال وليس لهذا عندى وجه لانا نجد الذى يخبرنك

برعيانا قال واما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج
منه خوفا من الطاعون وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من
الطاعون فركب حمارا ومضى باهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه
وهو يقول ، لن يسبق الله على الحمار ، ولا على ذي منعة مطار ،
او ياتي الحتف على مقدار ، قد يصبح الله امام السارى ، وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله اذا كان بالبلد الذى انتم فيه الطاعون فلا تخرجوا منه
وقال ايضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان
فيه كانكم تظنون ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله اذا كان ببلد
فلا تدخلوه ان مقامكم بالبلد الذى لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب
لعيشكم قال ومن ذلك المراة تعرف بالشوم والدار فينال الرجل مكروه
او جائحة فيقول اعدتنى بشومها قال فهذا هو العدوى الذى قال النبي عليه
السلام لا عدوى فاما الحديث الذى رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وآله انه قال الشوم فى المراة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على
ابى هريرة وانه سمع فيه شيئا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعه وروى
ابن قتيبة خبرا رفعه الى ابى الحسن الاعرج ان رجلين دخلا على عائشة فقالا
ان ابا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انما الطيرة فى المراة
والدار والدابة فطارت شفقا ثم قالت كذب والذى انزل الفرقان على
ابى القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وانما قال رسول
الله صلى الله عليه وآله كان اهل الجاهلية يقولون الطيرة فى المراة والدار
والدابة ثم قرات ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب
من قبل ان نبراها وروى خبرا يرفعه عن انس بن مالك قال جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت
فيها اموالنا ثم تحولنا منها الى اخرى فقلت فيها اموالنا وقل عددنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله ذروها وهى ذميمة قال ابن قتيبة ليس هذا
ينقض الحديث الاول وانما امرهم بالتحول منها لانهم كانوا مقيمين فيها على

استثقال

استثقال ظلها واستيحاش لما نالهم فيها فامرهم بالتحول عنها وقد جعل الله فى
غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان كان لا سبب له فى
ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على
يده الشر لهم وان لم يردهم به قال السيد قدس الله روحه ما وجدنا ابن قتيبة
عمل شيئا اكثر من انه لما اعجزه تاويل الاخبار التى سال نفسه عنها والمطابقة
بينها وبين قوله عليه السلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره
العموم وخص العدوى بشئ دون آخر وكلاهما سواء واورد تاويلا يدفعه
نص قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه عليه السلام لما سئل عن النقبة
تقع بمشفر البعير فيجرب لذلك الابل قال فما اعدى الاول تكذيبا بالعدوى
هذه النقبة وتاثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدى ويوثر
فى المخالط والمواكل وعول فى ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول
صلى الله عليه وآله ومن طريف امره انه قال ان الاطباء ينهون عن مجالسة
المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير
الرائحة وانها تسقم من ادمن اشتمامها وهذا غلط منه لان الاطباء انما نهى
عن ذلك خوفا من العدوى وسبب العدوى عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال
اجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم ما يوجب
الا يكون هذا ايضا من العدوى ولما حكى عن غيره تاويلا صحيحا فى قوله
لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفعه واى عيان معه
ونحن نجد كثيرا ممن يخالط الجربى فلا يجرب ونجد الاصحاء يخالط ذوى
العاهات فلا يصيبها شئ من ادوائها وكانه انما يدعى ان العيان يدفع قول
النبي صلى الله عليه وآله فما اعدى الاول والوجه عندنا فى قوله عليه السلام
لا يوردن ذو عاهة على مصح انه عليه السلام انما نهى عن ذلك وان لم
يكن موثرا على الحقيقة لان فاعله كالمدخل الضرر على غيره لان من اعتقد ان
ذلك يعدى ويوثر فاورد على ابله فلا بد من ان يلحقه لما تقدم من اعتقاده
ضرر وغم ولا بد من ان يذم من عامله بذلك فكانه عليه السلام نهى عن

اذى الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره
مما لم يرتضه من انهم متى ظنوا ذلك اثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما
يؤثم ولو نقل ابن قتيبة ما قاله عليه السلام فى الطاعون اذا كان ببلد فلا
تدخلوه وامره لمن شكا اليه ما لحقه فى الدار بالتحول منها كان قد اصاب لانه
حمل ذلك على ان تجنب البلد اسكن للنفس واطيب للعيش وكذلك الدار وهذا
يمكن فى قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه فاما قوله فر من المجذوم
فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى وقد يمكن ان يكون لاجل
نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس عنه ولان ذلك ربما دعا الى تعييره
والازراء عليه وامتناعه عليه السلام من ادخال المجذوم عليه ليبايعه يجوز
ان يكون الغرض فيه غير العدوى بل بعض الاسباب المانعة التى ذكرنا بعضها
واما حديث الطاعون فالقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله لما عول فى
عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء ان يرجع ايضا الى اقوالهم فى الطاعون
لانهم يقولون ان الطاعون الذى يعرض من تغير الاهوية وما جرى مجراها
يعدى كعدوى الجرب والجذام والعيان الذى دعاه ليس هو اكثر من وجوده
من يجرب او يجذم بمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود فى
الطاعون فاما نرى عمومه لمن يسكن البلد الذى يكون فيه ويطرأ اليه فاما
الخبر الذى يتضمن ان الشوم فى المراة والدار والدابة فالذى ذكره من الرواية
فى معناه يزيل الشبهة به على انه لو لم تكن هذه الرواية فى تاويله جاز ان يحمل على
ان الذى يتطير به المتطيرون ويدعون ان الشوم فيه هو المراة والدار
والدابة ولا يكون ذلك اثباتا للطيرة والشوم فى هذه الاشياء بل على طريق
الاخبار بان الطيرة الثابتة انما هى فيها لقوة امرها عند اصحاب الطيرة وما
ذكره بعد ذلك فى الدار وامره عليه السلام بانتقاله عنها تاويله قريب وكان
يجب ان يهتدى اليه فيما تقدم وما التوفيق الا من عند الله تعالى **مجلس آخر**
تاويل آية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه علي

حكيم

حكيم او ليس ظاهر هذا الكلام يقتضى جواز الحجاب عليه وانتم تمنعون
من ذلك **الجواب** قلنا ليس فى الآية اكثر من ذكر الحجاب وليس فيها انه
حجاب له تعالى او لمحل كلامه او لمن يكلمه واذا لم يكن فى الظاهر شئ من ذلك
جاز صرف الحجاب الى غيره عز وجل مما يجوز انه يفعل كلاما فى جسم محتجب
عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف
محله على سبيل التفصيل فيقال على هذا هو مكلم من وراء حجاب وروى عن
مجاهد فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قال هو داود عليه
السلام اوحى فى صدره فزبر الزبور او من وراء حجاب وهو موسى او يرسل
رسولا وهو جبريل ارسل الى محمد صلى الله عليه وآله فاما الجبائى فانه ذكر
ان المراد بالآية وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بمثل ما يكلم به عباده من الامر
بطاعته والنهى لهم عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخواطر
او المنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحى قال وانما سمى الله تعالى ذلك وحيا لانه
خاطر وتنبيه وليس هو كلاما على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه
اذا خاطبه والوحى فى اللغة انما هو ما جرى مجرى الايماء والتنبيه على شئ
من غير ان يفصح به فهذا هو ما ذكره الله تعالى فى الآية قال وعنى بقوله او من
وراء حجاب ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو
كلامه تعالى لموسى عليه السلام لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى
عليه السلام وحده فى كلامه اياه اولا واما كلامه له فى المرة الثانية فانه انما
سمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه وحجب عن جميع الخلق سواهم
فهذا معنى قوله تعالى او من وراء حجاب لان الكلام هو الذى كان محجوبا عن
الناس وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام الذى اقام الكلام فيه فلم
يكونوا يدرون من اين يسمعونه لان الكلام عرض لا يقوم الا فى جسم ولا يجوز
ان يكون اراد بقوله او من وراء حجاب ان الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم
عباده لان الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة قال وعنى بقوله او يرسل
رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ارساله ملائكته بكتبه وبكلامه الى انبيائه عليهم السلام

ليبلغوا ذلك عنه عباده على سبيل انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وآله
وانزاله سائر الكتب على انبيائه فهذا ايضا ضرب من الكلام الذى يكلم الله تعالى
به عباده ويامرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير ان يكلمهم على
سبيل ما كلم به موسى وهذا الكلام هو خلاف الوحى الذى ذكر فى اول الآية
لانه قد افصح لهم فى هذا الكلام بما امرهم به ونهاهم عنه والوحى الذى ذكره
فى اول هذه الآية انما هو تنبيه وخاطر وليس فيه افصاح وهذا الكلام
الذى ذكره ابو على سديد والكلام محتمل لما ذكره ويمكن فى الآية وجه آخر
وهو ان يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفى الظهور وقد تستعمل العرب
لفظة الحجاب فيما ذكرناه يقول احدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته
بينى وبينك حجاب ويقول فى الامر الذى يستبعده ويستضعف طريقه بينى
وبين هذا الامر حجب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية
انه تعالى لا يكلم البشر الا وحيا بان يخطر فى قلوبهم او بان ينصب لهم ادلة تدلهم
على ما يريده او يكرهه منهم فيكون من نصبها الدلالة على ذلك والارشاد
اليه مخاطبا او مكلما للعباد بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب
من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول صلى الله عليه وآله ولا
ظاهرا معلوما لكل من ادركه كما ان اقوال الرسل المودين عنه تعالى من الملائكة
بهذه الصفة فصار الحجاب ههنا كناية عن الخفاء وعبارة عما تدل عليه الدلالة
وليس لاحد ان يقول ان الذى تدل عليه الاجسام من صفاته تعالى واحواله
ومراده ولا يقال انه تعالى مكلم لنا به وذلك انه غير ممتنع على سبيل التجوز ان
يقال فيما يدل عليه الدليل الذى نصبه ليدل على مراده ويرشد اليه انه
مكلم لنا ومخاطب به ولا يمتنع المسلمون ان يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه
الادلة العقلية وامرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما اراده وهكذا
يقولون فيمن فعل فعلا يدل على امر من الامور وقد خاطبنا فلان بما فعل
من كذا وكذا وقال لنا وامرنا وزجرنا وما اشبه ذلك من الالفاظ التى تجرونها
على الكلام الحقيقى وهذا الاستعمال اكثر واظهر من ان تورد امثلته ونظائره

قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل فى الذئب قول اسماء
ابن خارجة بن حصن الفزارى

ولقد الم بنا لنقريه … بادى الشقا محارف الكسب
يدعو الغنى ان نال علقته … من مطعم غبا على غب
وطوى ثميلته والحقها … بالصلب بعد لدونة الصلب
يا ضل سعيك ما صنعت بما … جمعت من شب الى دب
لو كنت ذا لب تعيش به … لفعلت فعل المرء ذى اللب
وجمعت صالح ما احترفت به … وجمعت من نهب الى نهب
واظنه شغبا تدل به … فلقد منيت بغاية الشغب
او كان غيرنا اصل لعصى … مشحوذة وركاب الركب
فاعمد الى اهل الوقير فما … يخشاك غير مقرمص الزرب
احسبتنا ممن تطيف به … فاخترتنا للامن والخصب
وبغير معرفة ولا سبب … انى وشعبك ليس من شعبى
لما راى ان ليس نافعه … جد تهاون صادق الارب
والح الحاحا بحاجته … شكوى الضرير وزجر الكلب
بادى التلحلح يشتكى سغبا … وانا ابن قاتل شدة السغب
فرايت ان قد نلته باذى … من عذم مثلبة ومن سب
ورايت حقا ان اضيفه … اذ ام سلمى واتقى حربى
فوقفت معتاما ازاولها … بمهند ذى رونق عضب
فعرضته فى ساق اسمنها … فاجتاز بين الحاذ والكعب
فتركته لعيا له جزرا … عمدا وعلق رحلها صحبى

ذكره بما طرقه ليلا وقوله محارف الكسب مثل ضربه لا يبقى له نشب الا
نشب يكسبه وقوله يدعو الغنى ان نال علقته اى ان وجد ما يتعلق به من
مطعم غبا اى بين يومين فذلك عنده الغنى والثميلة ما يبقى فى البطن من
طعام او علف ومعنى طوى ثميلته ذهب بها واراد انه لم يبق فى بطنه ما

بمسكه والدونة الليّن والدُن اللبّن فاراد انه الحق بقية طعامه بصلبه
بعدان لان ما صلب منها ثم اقبل على الذئب كالعاذل له فقال ما صنعت بما
جمعت من شبّ الى دُب وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان ولا يلفظ
بهما الا هكذا والمعنى فيهما هو منذ كنت شابا حتى دببت على العصا ثم قال لو
كنت ذا لُب لجمعت ما تصيبه ومعنى احترفت اكتسبت ومعنى من نهب الى نهب
اى من عدو تدل على الغنم الى العدوة الاخرى ثم قال انك ان تعرضت لنا
شغبا علينا فقد نشبت بغاية الشغب اى هو يناوئك ويقابلك وليس ههنا ما
نغير عليه وانما معنى مناصل اى سيوف مشحوذة ودكا بينا التى نخطيها فاعمد
الى اهل الوقير والوقير القطيع من الغنم ولا يسمى وقيرا الا اذا كان فيه حمار
يقول فعليك بمواضع الغنم فانما يختانك الراعى والمقرمص الذى يتخذ القرموصة
واصله المكان الضيق وهو ههنا حفرة يحفرها الراعى فى الرمل فى شدة
الحر للشاة الكريمة الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها فى القرموصة ومعنى
شعبك ليس من شعبى اى لست من جنسى ولا من شكلى والازب الخديعة عند الحاجة
وشكوى الضرير الذى قد مسه الضر ومزجر الكلب اى هو منا قريب المكان
بقدر مزجر الكلب اذا اخسأته والسغب الجوع واراد بقوله وانا ابن قاتل شدة
السغب اى ابن من كان يقرى ويطعم ثم رجع الى كرمه فقال وانا بعدان حبسته
وعضضته بالاذى والعزم ان اضيفه واقربه لانه ضيف وان كان ذئبا وقد ضمنت
انظر فى ركابى واختار اسمنها والاعتيام الاختيار واذا اولها الابيات والحاذات
حد الفخذين اللذان يليان الذنب وخبر ان رحل المطية التى عقرها ملقه
بعض اصحابه على مطية اخرى وقال النجاشى يذكر ذيبا ،
، وماء كلون الغسل قد عاد آجنا ، قليل به الاصوات فى بلد محل ،
، وجدت عليه الذئب يعوى كانه ، خليع خلا من كل مال ومن اهل ،
، فقلت له يا ذئب هل لك فى فتى ، يواسى بلا من عليك ولا بخل ،
، فقال هداك الله للرشد انما ، دعوت لما لم يأته سبع قبلى ،
، فلست بآتيه ولا استطيعه ، ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل ،

فقلت

، فقلت عليك الحوض انى تركته ، وفى صفوه فضل القلوص من السجل ،
، فطرب يستعوى ذيابا كثيرة ، وعديت كل من هواه على شغل ،
وروى ان الفرزدق نزل بالغريين فرآه باعلى ناره ذئب فابصره مقعيا صا، اى صاح ونحو
يصيئ ومع الفرزدق مسلوخة فرمى اليه بيد فاكلها فرمى اليه بما بقى فاكله
فلما شبع ولى عنه فقال ، وليلة بتنا بالغريين ضافنا ،
، على الزاد موشى الذراعين اطلس ، تلمسنا حتى اتانا ولم يزل ،
، لدن فطمته امه يتلمس ، فلو انه اذ جاءنا كان دانيا ،
، لالبسته لو انه كان يلبس ، ولكن تنحى جنبة بعد ما دنا ،
، فكان كقاب القوس وهو انفس ، فقاسمته نصفين بينى وبينه ،
، بقية زادى والركائب نعس ، وكان ابن ليلى اذ قرى الذئب زاده ،
، على طارق الظلماء لا يتعبس ، ولابن عنقاء الفزارى واسمه قيس
ابن بجرة وقيل بجرة بالضم الابيات المشهورة فى الذئب وهى ،
، واعوج من آل الصريح كانه ، بذى الشث سيد آبه الليل جائع ،
، بغى كسبه اطراف ليل كانه ، وليس به ظلع من الخمص ظالع ،
، فلما اتاه الرزق من كل وجهة ، جنوب الملا وآيسته المطامع ،
، طوى نفسه طى الحرير كانه ، حوى حية فى ربوة فهو هاجع ،
، فلما اصابت متنه الشمس حكه ، باعصل فى انيابه السم ناقع ،
، ونكل لحييه فلما تعادنا ، صأى ثم اقعى والبلاد بلاقع ،
، وهم بامر ثم ازمع غيره ، وان ضاق رزق مرة فهو واسع ،
، وعارض اطراف الصبا وكانه ، رجاع غدير هزه الريح رائع ،
، ولآخر فى الذئب ، فقلت تعلم اننى غير نائم ،
، الى مستقل بالخيانة انيبا ، بعيد المطاف لا يفيد على الغنى ،
، ولا يأتلى ما استطاع ان يتكسبا ، معنى انيب اى غليظ الناب لا انام
اليه اى لا اثق به من ذلك استنمت الى فلان اى اطمانت اليه ومعنى لا يفيد
على الغنى اى لا يلتمس طعاما وهو شبعان ولحميد بن ثور فى الذئب ،

فظل يراعي الجيش حتى تغيبت ، حُباشِ وحالت دونه الاجارع
اذا ما غدا يوما رأيت غيابة ، من الطير ينظرن الذى هو صانع
خفيف المعا الا مصيرا يبلّه ، دم الجوف او سؤر من الحوض ناقع
هو البعل الدانى من الناس كالذى ، له صحبة وهو العدو المنازع
ينام باحدى مقلتيه ويتّقى ، باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

غيابة اى قطعة

وصف ذئبا يتبع الجيش طمعا فى ان يتخلف رجل فيثب عليه لانه من بين السباع لا يرغب فى القتلى ولا يكاد ياكل الا فريسه وحُباش اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف ان حُباش اسم من اسماء الشمس واخبر ان الطير تتبعه لتصيب مما يقتل والمصير المعا والبعل الدهش مجلس اخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين فقال ما تنكرون ان تكون هذه الاية دالة على جواز الرؤية عليه عز وجل لانها لو لم تجز لم يجز ان يسالها موسى عليه السلام كما لا يجوز ان يساله اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت ايضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها ايضا بامر يصح ان يقع وهو استقرار الجبل فاذا علمنا استقرار الجبل فى موضعه فيجب ان تكون الرؤية ايضا صحيحة وفى حكم ما عُلقت به وقوله فلما تجلى ربه للجبل يقتضى جواز الحجاب عليه لان التجلى والظهور لا يكون الا بعد احتجاب واستتار الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس فى مسئلة الشيء دلالة على صحته وقوعه ولا جوازه لان السائل يسال عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد العلم لاغراض مختلفة فلا دلالة فى ظاهر مسئلة الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن هذه الاية اجوبة اولها وهو الاولى والاقوى ان يكون موسى عليه السلام لم يسال الرؤية لنفسه وانما سالها لقومه فقد روى انهم طلبوا ذلك منه والتمسوه واجابهم بانه لا يجوز عليه تبارك وتعالى فلم يقنعوا بجوابه وآثروا ان يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم بذلك وغلب فى ظنه ان الجواب اذا ورد

من

الميقات

من جهته عز وجل كان احسم للشبهة وابلغ فى دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسال واجيب بما يدل على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوى هذا الجواب اشياء منها قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان اضافة ذلك الى السفهاء تدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم وانما سالوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة فى الرؤية وهى لا تليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوى ان الطلب لم يكن للعلم الضرورى على ما سنذكره فى الجواب الثانى ومنها قوله انظر اليك لانا اذا حملنا الاية على طلب الرؤية لقومه امكن ان يحمل قوله انظر اليك على حقيقته واذا حملت الاية على طلب العلم الضرورى احتيج الى الحذف فى الكلام ويصير تقديره ارنى انظر الى الآيات التى عندها اعرفك ضرورة ويمكن فى هذا الوجه الاخير خاصة ان يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم هو ان النظر فى الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله انظر اليك على حقيقته فى جواب من حمل الاية على طلب الرؤية لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكونوا التمسوا الرؤية التى معها يكون النظر والتحديق الى الجهة فسال على حسب ما التمسوا قيل لكم هذا ينقض فرقكم فى هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى الجسمية بان تقولوا الشك فى الرؤية لا يمنع من صحة معرفة السمع والشك فى جميع ما ذكر يمنع من ذلك لان الشك الذى لا يمنع من معرفة السمع انما هو فى الرؤية التى لا يكون معها نظر ولا تقتضى التشبيه فان قلتم يحمل ذكر النظر على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب ان يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه ودانا قلنا فكانكم عدلتم عن

بجاز الى مجاز فلا قوة فى هذا الوجه والوجوه التى ذكرناها فى تقوية هذا
الجواب المتقدمة اولى وليس لاحد ان يقول لو كان عليه السلام انما ساله الرؤية
لقومه لم يضف السوال الى نفسه فيقول ارنى انظر اليك ولا كان الجواب مختصا
به وهو قوله تعالى لن ترانى وذلك انه غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه
مع ان المسئلة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس
وتزيل الشبهة فلهذا يقول احدنا اذا شفع فى حاجة غيره للمشفوع اليه اسالك
ان تفعل بى كذا وتجيبنى الى كذا ويحسن ان يقول المشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك
وما جرى ذلك مجراه وانما يحسن هذا لان للسائل فى المسئلة غرضا وان رجعت
الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه اذا اختصه ولم يتعده فان قيل كيف يجوز
منه عليه السلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى ان يسال فيها لقومه ولئن
جاز ذلك ليجوزن ان يسال لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما [illegible]
متى شكوا فيه قلنا انما صح ما ذكرناه فى الرؤية ولم يصح ما سالت عنه لان مع
الشك فى جواز الرؤية التى لا تقتضى كونه جسما يمكن معرفة السمع وانه حكيم
صادق فى اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما
شكوا فى صحته وجوازه ومع الشك فى كونه جسما لا تصح معرفة السمع فلا يقع
بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال بعض من تكلم فى هذه الاية قد كان جايزا ان
يسال موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت
قبل معرفته متى كان المعلوم ان فى ذلك صلاحا للمكلفين فى الدين وان ورود
الجواب يكون لطفا لهم فى النظر فى الادلة واصابة الحق منها غير ان من اجاب
بذلك شرط ان يبين النبى عليه السلام فى مسالته علمه باستحالة ما سال عنه وان
غرضه ورود الجواب ليكون لطفا والجواب الثانى فى الاية ان يكون موسى
عليه السلام انما سال ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الاخرة
التى تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعى والشكوك والشبهات ويستغنى
عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سال ابراهيم عليه السلام ربه ان يريه
كيف يحيى الموتى طلبا لتخفيف المحنة وان كان قد عرف ذلك قبل ان يراه والسوال

وان

وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر وذلك
اظهر من ان ندل عليه او نستشهد عليه فقال له عز وجل لن ترانى اى لن تعلمنى
على هذا الوجه الذى التمسته منى ثم اكد ذلك بان اظهر فى الجبل من آياته
وعجائبه ما دل بها على ان اظهار ما تقع به المعرفة الضرورية فى الدنيا مع التكليف
وثباته لا يجوز وان الحكمة تمنع منه والوجه الاول اولى لما ذكرناه من الوجوه
لانه لا يخلو موسى عليه السلام من ان يكون شاكا فى ان المعرفة الضرورية لا
يصح حصولها فى الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على الانبياء
عليهم السلام لان الشك فيما رجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا
يجوز عليهم ولا سيما ان يعلم الله ذلك على حقيقته بعض امتهم فيزيد عليهم فى
المعرفة وهذا ابلغ فى التنفير عنهم من كل شى يمنع منه فيهم وان كان عالما
فلا وجه لسواله الا ان يقال انه سال لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول
والجواب الثالث فى الاية ما حكى عن بعض من تكلم فى هذه الاية من اهل
التوحيد وهو انه قال يجوز ان يكون موسى عليه السلام فى وقت مسالته ذلك
كان شاكا فى جواز الرؤية على الله تعالى فسال عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه ام لا
وقال وليس شكه فى ذلك بمانع من ان يعرف الله تعالى بصفاته بل يجرى مجرى
شكه فى جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض فى انه غير مخل بما يحتاج
اليه فى معرفته تعالى فلا يمتنع ان يكون غلطه فى ذلك ذنبا صغيرا وتكون التوبة
الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل ان الشك فى جواز الرؤية
التى لا تقتضى تشبيها وان كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك فى
ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من يبعثوا اليه
ان يعرف ذلك على حقيقته فيكون النبى شاكا وغيره عارفا به مع رجوعه الى
المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليها فلا يجوز عليهم وهذا اقوى فى التنفير وزائد
على كل ما يوجب ان تجنبه الانبياء عليهم السلام فان قيل فمن اى شى كانت
توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان المسئلة
كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان سال على لسان قومه ما لم

يؤذن له فيه وليس للانبياء عليهم السلام ذلك لانه لا يؤمن ان يكون الصلاح
فى المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفرا عنهم ومن ذهب الى انه سال المعرفة
الضرورية يقول انه تاب من حيث سال معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى جميع
الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب والذم والاولى
ان يقال فى توبته عليه السلام انه ليس فى الآية ما يقتضى ان تكون التوبة وقعت
من المسئلة او من امر يرجع اليها وقد يجوز ان يكون سال عن ذلك لما الذنب
صغير تقدم تلك الحال او تقدم النبوة فلا يرجع الى المسئلة وقد يجوز ان
يكون ما اظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع اليه
والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف وقد يجوز ان يكون الغرض
فى ذلك مضافا الى ما قلناه تعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد
ونزول الاهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية
المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا فقد
يقع من غيرهم ويحتاج من وقع ذلك منه الى التوبة والاستقالة فاما قوله تعالى
فلما تجلى ربه للجبل فالتجلى ههنا التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضى
المعرفة كقولهم هذا كلام جلى اى واضح وكقول الشاعر
تجلى لنا بالمشرفية والقنا ، وقد كان عن وقع الاسنة نائيا ، اراد ان
تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائيا عن وقع الاسنة فاقام ما
ظهر من دلالة فعله عليه مقام مشاهدته وعبر عنه بانه تجلى منه وفى قوله
للجبل وجهان احدهما ان يكون لاهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال
واسال القرية وقوله فما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا انه بما اظهره
من الآيات انما دل من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة والوجه الآخر
ان يكون معنى للجبل اى بالجبل فاقام اللام مقام الباء كما قال امنتم له قبل
ان اذن لكم اى به وكما يقولون اخذتك لجرمك وبجرمك ولما كانت الآية
الدالة على منع ما سئل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف التجلى
اليه وقد استدل بهذه الآية كثير من علماء الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار

من حيث نفى الرؤية نفيا عاما بقوله لن ترانى ثم اكد ذلك بان علق الرؤية
باستقرار الجبل الذى علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة للعرب فى تبعيد الشئ
لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون كقولهم لا كلمتك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس
وكقول الشاعر ، اذا شاب الغراب اتيت اهلى ، وصار القار كاللبن الحليب
وما يجرى مجرى هذا قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط
يجرى هذا المجرى
وليس لاحد ان يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك فى مقدوره
فيجب ان تكون الرؤية المعلقة به ايضا فى مقدوره لانه لو كان الغرض بذلك
التبعيد لعلقه بامر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل
فى سم الخياط وذلك ان تشبيه الشئ بغيره لا يجب ان يكون من جميع الوجوه
ولما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وقد علم انه لا يستقر علم نفى الرؤية وما
عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها
يخرج عما هو الغرض فى التشبيه على انه انما علق جواز الرؤية باستقرار الجبل
فى تلك الحال التى جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى
مجرى جواز الرؤية فى الاستحالة وليس يجب فى كل ما علق بغيره ان يجرى
مجراه فى سائر وجوهه حتى اذا كان احدهما مع استحالته مستحيلا كان الآخر
بمثابته لان تعلق دخول الكفار الجنة انما علق بولوج الجمل فى سم الخياط
وولوج الجمل فى سم الخياط مستحيل ومعلوم ان الاول فى المقدور وان كان
لا يحسن والثانى ليس فى المقدور وهذه جملة كافية فى تاويل هذه الآية
وبيان ما فيها والحمد لله قال السيد قدس الله روحه وانى لاستجيد قول ابى
العيص بن حزام بن عبد الله بن قتادة بن جابر بن ربيعة بن حارثة المازنى

وكم من صاحب قد بان عنى ، رميت بفقده وهو الحبيب ،
فلم ابد الذى تحنو ضلوعى ، عليه وانى لانا الكئيب ،
مخافة ان يرانى مستكينا ، عدو او يساء به قريب ،
فيشمت كاشح ويظن انى ، جزوع عند نائبة تنوب ،
فبعدك شدت الاعداء طرفا ، الى ورابنى دهر يريب ،

معنى شدت الاعداء طرفا اي نظرت الي نظرا شزرا واظهر الغضب في عيونها

وانكرت الزمان وكل اهلي ، وهرّتني لغيبتك الكليب

يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد ، وكنت تقطع الابصار دوني

وان وغرت من الغيظ القلوب ، وتمنعني من الاعداء ان الوغر الضغن

وان دعموا المخشي مهيب ، فلم ار مثل يومك كان يوما

بدت فيه النجوم فما تغيب ، وليل ما انام به طويل

كاني للنجوم به رقيب ، وما يك جائيا لا بدّ منه

اليك فسوف يجلبه الجلوب ، مجلس آخر تاويل آية ان سال

سائل عن قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون

فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقال

كيف ذكر هذا بعد ذكره البقرة والامر بذبحها وقد كان ينبغي ان يتقدمه لانه

انما امر بذبح البقرة ليكشف امر القاتل فكيف اخر ذكر السبب عن المسبب

وبنى الكلام بناء يقتضي انه كان بعده ولم قال واذ قتلتم نفسا والرواية وردت

بان القاتل كان واحدا فكيف يجوز ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من

بينها واحد والى اي شيء وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى

الجواب قيل له اما قوله تعالى واذ قتلتم نفسا ففيه وجهان اولهما ان تكون هذه

الآية وان تاخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة ويكون

التاويل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسالتم موسى فقال لكم ان الله يامركم

ان تذبحوا بقرة فاخر المقدم وقدم المؤخر ومثل هذا في القرآن وكلام العرب

كثير ومثله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال

الشاعر ، ان الفرزدق صخرة ملمومة ، طالت فليس تنالها الاوعالا ، ملمومة اي مدورة

اراد طالت الاوعال فليس تنالها وقوله ، طاف الخيال واين منك لماما

، فارجع لزورك بالسلام سلاما ، اراد طاف الخيال لماما واين هو

منك والوجه الثاني ان يكون وجه تاخير قوله تعالى واذ قتلتم نفسا انه متعلق بما

هو متاخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فقلنا اضربوه

بعضها

ببعضها كذلك يحيي الله الموتى لان الامر بضرب المقتول ببعض البقرة انما هو

بعد الذبح فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولانكم قتلتم نفسا فادارأتم

فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها ليكشف امره فاما اخراج الخطاب مخرج ما

يتوجه الى الجميع مع ان القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الابناء بخطاب

الاباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فيقول احدهم فعلت

بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلانا وان كان الفاعل او القاتل واحدا من

بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون بتقديم

المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي وابي العباس ثعلب والمعنى

فيقتل بعضهم ويقتلون وهو ابلغ في وصفهم وامدح لهم لانهم اذا قاتلوا وقتلوا

بعد ان قتل بعضهم كان ذلك ادل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم

وقد قيل انه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما وان الخطاب جرى عليهم بلفظ

الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه

الاول اولى واقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له ولان اكثر اهل العلم على ان

القاتل كان واحدا ومعنى فادارأتم فتدارأتم اي تدافعتم والقى بعضكم القتل

على بعض يقال دارأت فلانا اذا دافعته وداريته اذا لاينته ودريته اذا

ختلته ويقال ادرأ القوم اذا تدافعوا والهاء في فادارأتم فيها تعود على النفس

وقيل انها تعود على القتلة اي اختلفتم في القتلة لان قتلتم يدل على المصدر والقتلة

من المصادر التي تدل على الافعال ورجوع الهاء الى النفس اولى واشبه بالظاهر

فاما قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فالاشارة وقعت به الى قيام المقتول عند

ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال

قتلني فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما انكره

مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا ائذا كنا عظاما

ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله تعالى بان الذي انكروه واستبعدوه

هين عليه غير متعذر في اتساع قدرته وكان مما ضرب لهم من الامثال ونبههم عليه

من الادلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حيا واراد تعالى انني اذا

كنتُ قد اجبت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة و ياس قومه من عوده و نطوا
خبر كيفية قتله عنهم ورددته حيًّا مخاطبا باسم قائله فكذلك فاعلموا ان احيا
جميع الاموات عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر علىّ وهذا بيّن لمن تامله قال
السيد قدس الله روحه ومن الشعر المشهود بالجودة في ذم الدنيا والتذكر
بمصائبها ونوائبها قول متمم بن جري بن في اخاه مالكا

ذكرنا اخي المحمول بعد ياس … فهاج علىّ ذكراه اشتياقي
فلا انسى اخي ما دمتُ حيًّا … واخواني بابرقة العناق
يجرّون الفصال الى الندامى … بروض الحزن من كنفي اباق
ويغلون السباء اذا انوه … بضمر الخيل والشول الحقاق
اذا افتضلوا وقالوا يال عوث … وراحوا في المحبرة الرقاق
اجابك كل اروع شمّري … رخي البال منطلق الخناق
اناس صالحون نشات فيهم … فاودوا بعد الف واتساق
مضوا لسبيلهم ولبثت عنهم … ولكن لا محالة من لحاق
كذا الا الف الذي ادلجن عنه … فحن ولا يتوق الى متاق
ارى الدنيا ونحن نعيث فيها … مولّية نهيبًا لا انطلاق
اعاذل قد بقيت بقاء قيس … وما حي على الدنيا بباق
هبطت السيلحين وذات عرق … واوردت المطي على حذاق
كان الشيب والاحداث تجرى … الى نفس الفتى فرسا سباق
فاما الشيب يدركه واما … يلاقي حتفه فيها يلاقي
فان تك لمتي بالشيب امست … شميط اللون واضحة المشاق
فقد اغدو بداجية اراني … بها المتطلعات من الرواق

الداجية اللمة السوداء واراني افاعل من المراناة

الى كاهن ظباء قفر … برهبي اوبنا محجة فناق
يرامضن الحبال لغير وصل … وليس حبال وصلي بالرماق
وعهد الغانيات كعهد قين … ونت عنه الجعائل مستذاق

افرية الكناني اسم موضع

الفتى

القين الحداد والجعائل جمع جعالة وهي اجرته واراد ان القين اذا عدم
الجعالة رحل ولم يستقر في مكان كجُلُب السوء يعجب من رآه

ولا يشفي الحوائم من لماق … الجُلُب الغيم الذي لا مطر معه والحوائم
العطاش ولماق شيء قليل … فلا يبعد مضاي في مواحي
واسرائي العلانية وانطلاقي … وغبراء القتام جلوت عني
بعجلى الطرف سالمة المآقي … وقد طوفت في الآفاق حتى
سئمت النقض بالقلص العتاق … وكم فاسيت من سنة جماد
تعض اللحم ما دون العراق … اذا افنيتها بدلت اخرى
اعد شهورها عدّ الاواقي … فافنتني الشهور وليس تفنى
وتعداد الاهلّة والمحاق … وما سبق الحوادث ليث غاب
بجر لعرسه جُدد الرفاق … ولا بطل تعادي الخيل منه
فرار الطير من برد بعاق … واحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله
يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا … الا وللموت في آثارهم حادي
يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت … الا تقرب آجالا لميعاد
ولابي العتاهية في هذا المعنى … اذا انقطعت عني من العيش مدتي
فان بكاء الباكيات قليل … سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتي
ويحدث بعدي للخليل خليل … احلك قوم حين صرت الى الغنى
وكل غني في العيون جليل … وليس الغنى الا غنى زين الفتى
عشية يقري او غداة ينيل … ولم يفتقر يوما وان كان معدما
جواد ولم يستغن قط بخيل … اذا مالت الدنيا الى المرء رغبت
اليه ومال الناس حيث يميل … ارى علل الدنيا علىّ كثيرة
فصاحبها حتى الممات عليل … واني وان اصبحت بالموت موقنا
فلي امل دون اليقين طويل … وقد احسن البحتري في قوله هذا المعنى
اخيّ متى خاصمت نفسك فاحتشد … لها ومتى حدثت نفسك فاصدق
ارى علل الاشياء شتى ولا ارى … التجمع الا علة للتفرق

العُراق العظام التي يقشر عنها اللحم ويبقى عليها بقيه جمع او فيه وهي الغرق درهما

بعاق هو السحاب الذي ياتي بالمطر

قوله سق اى تحاق

اری العیش ظلا یوشك الشمس نقله ... فکیس فی ابتغا العیش کیس اومق

اری الدهر غولا للنفوس وانما ... یقی الله فی بعض المواطن من یقی

فلا تتبع الماضی سوالك لم مضی ... وعرج عن الباقی فسائله لم بقی

ولم ار کالدنیا خلیلة صاحب ... محب متی یحسن بعینیه تعنق

تراها عیانا وهی صنعة واحد ... فتحسبها صنعی لطیف واخرق

وقد قیل ان السبب فی خروج البحتری عن بغداد فی آخر ایامه کان هذه الابیات لان بعض اعدائه شنع علیه بانه ثنوی من حیث قال فتحسبها صنعی لطیف واخرق وکانت العامة حینئذ غالبة علی البلد فخاف علی نفسه فقال لابنه ابی الغوث قم یا بنی حتی نطفی عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فیها ببلدنا و نعود فخرج ولم یعد واحسن ایضا غایة الاحسان فی قوله ... اغشی الخطوب فاما جئن مأربتی

فیما اسیّر واحکمن تأدیبی ... ان تلتمس تمر اخلاف الخطوب وان

تلبث مع الدهر تسمع بالاعاجیب ... وفی قوله

متی تستزد فضلا من العمر تغترف ... بسجلیك من شهد الخطوب وصابها

تشذبنا الدنیا باخفض سعیها ... وغول الافاعی بلة من لعابها

نیسّر بعمران الدیار مضلّلا ... وعمرانها مستانف من خرابها

ولم ارتض الدنیا اوان مجیئها ... فکیف ارتضائیها اوان ذهابها

اقول لمکذوب عن الدهر زاغ عن ... تخیر آراء الحجی وانتخابها

سیردیك او یثویك انك مخلس ... الی شقة یاتیك بعد مآبها

وهل انت فی مرسومة طال اخذها ... من الارض الا حفنة من ترابها

تشذبنا اى تفرقنا

ووجدت الآمدی یروی هذا البیت انك مخبس بالباء وتفسیره لك ان المعنی انك موقوف الی ان تصیر الی هذا من قولك احبست فرسا فی سبیل الله واحبست دارا ای اوقفتها والروایة المشهورة انك مخلس باللام والمعنی انك منتهی ومتخذ حلسا والحلس هو الکساء الذی یوضع تحت الرحل وهذا اشبه بالمعنی الذی قصده البحتری واولی بان یختاره مع دقة طبعه وسلاسة الفاظه مجلس آخر

تاویل آیة ان سال سائل عن قوله تعالی هو الذی خلقکم من نفس واحدة وجعل

منها زوجها لیسکن الیها فلما تغشاها حملت حملا خفیفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتیتنا صالحا لنکونن من الشاکرین فلما آتاهما صالحا جعلا له شرکاء فیما آتاهما فتعالی الله عما یشرکون فقال الیس ظاهر هذه الآیة یقتضی جواز الشرك علی الانبیاء لانه لم یتقدم الا ذکر آدم وحوا علیهما السلام فیجب ان یکون قوله جعلا له شرکاء فیما آتاهما یرجع الیهما الجواب قلنا کما ان ذکر آدم وحوا قد تقدم فقد تقدم ذکر غیرهما فی قوله تعالی هو الذی خلقکم ومعلوم ان المراد بذلك جمیع ولد آدم وقد تقدم ذکر ولد آدم فی قوله فلما آتاهما صالحا والمعنی فلما آتیهما ولدا صالحا والمراد بهذا الجنس دون الواحد وان کان اللفظ لفظ واحد والمعنی فلما آتیهما جنسا من الاولاد صالحین واذا کان الامر علی ما ذکرناه جاز ان یرجع قوله جعلا له شرکاء الی ولدهما وقد تقدم ذکرهما فان قیل انما وجب رده الی آدم وحوا لاجل التثنیة فی الکلام ولم یتقدم ذکر اثنین الا ذکرهما قلنا ان جعل هذا ترجیحا فی رجوعه الیهما جاز ایضا ان نجعل قوله فی آخر الآیة فتعالی الله عما یشرکون وجها مقویا لرجوع الکلام الی الجملة الاولاد ویجوز ان یکون انما ثنّی فی التثنیة الی الذکور والاناث من ولد آدم او الی جنسین منهم فحسنت التثنیة لذلك علی انه اذا تقدم فی الکلام امران ثم تلاهما حکم من الاحکام علم بالدلیل استحالة تعلقه باحد الامرین وجب رده الی الآخر واذا علمنا ان آدم علیه السلام لا یجوز علیه الشرك لم یجز عود الکلام الیه فوجب عوده الی المذکورین من ولده وذکر ابو علی الجبائی مما نحن نورده علی وجه قال انما عنی الله تعالی بها انه خلق بنی آدم من نفس واحدة لان الاضمار فی قوله تعالی خلقکم انما عنی به آدم والنفس الواحدة التی خلقهم منها هی آدم لانه خلق حوا من آدم ویقال انه خلقها من ضلع من اضلاعه فرجوا جمیعا الی انهم خلقوا من آدم وبین ذلك بقوله وخلق منها زوجها لانه عنی به انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حوا وعنی بقوله فلما تغشاها حملت حملا خفیفا وحملها هو حبلها منه فی ابتداء الحمل لانه فی ذلك الوقت خفیف علیها

ومعنى بقوله فمرت انه مرورها بهذا الحمل وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته
فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله اثقلت وثقل عليها عنده
ذلك المشي والحركة وعنى بقوله دعوا الله ربهما انهما دعوا عند كبر الولد
في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا رب نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك
علينا لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يونسونهما في الموضع الذي كانا فيه
لانهما كانا فردين مستوحشين فكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر
مستوحشا بلا مونس فلما آتاهما نسلا صالحا معافى وهم الاولاد الذين كانوا
يولدونهما لان حوا كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فيقال انها حملت به
بطن الف ولد وعنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما اي
ان هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركا فيما اتاهما من نعمه
واضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عز وجل من الاصنام والاوثان
ولم يعن بقوله جعلا آدم وحوا عليهما السلام لان آدم لا يجوز عليه الشرك
بالله لانه نبي من انبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الانبياء عليهم السلام لما
جاز ان يثق احدنا بما تؤديه الانبياء اليه عن الله عز وجل لان من جاز عليه
الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يوثق باخباره فصح بهذا
ان الاضمار في قوله جعلا انما يعني النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية
لانهم كانوا ذكرا وانثى فلما كانوا صنفين جاز ان يجعل اخباره عنهما كالاخبار
عن الاثنين اذ كانا صنفين وقد دل على صحة تاويلنا هذا قوله تعالى في آخر
الآية فتعالى الله عما يشركون فبين ان الذين جعلوا له شركا هم جماعة فلهذا
جعلوا اضمارهم اضمار الجماعة فقال يشركون مضى كلام ابي علي وقد قيل
في قوله فلما آتاهما صالحا مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه اراد بالصلاح
الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو انه لو اراد الصلاح
في الدين لكان الكلام ايضا مستقيما لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر
بعد صلاحه فيكون في حال صالحا وفي الآخر مشركا وهذا لا يتنافى وقد استشهد
في جواز الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى غير مذكور

سواه

سواه ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحوا الى ولدهما
بقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله فانصرف
عن مخاطبة الرسول عليه السلام الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال وتعزروه
وتوقروه يعني الرسول عليه السلام ثم قال وتسبحوه وهو يعني مرسل الرسول
فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول
الهذلي ، يا لهف نفسي كان جدة خالد ، وبياض وجهك للتراب الاعفر ،
ولم يقل بياض وجهه وقال كثير ، اسيئي بنا او احسني لا ملومة ،
لدينا ولا مقلية ان تقلت ، فخاطب ثم ترك الخطاب وقال آخر ،
فدى لك ناقتي وجميع اهلي ، ومالي انه منه اتاني ، ولم يقل منك
اتاني ووجدت ابا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على ان الخطاب في جميعها
غير متعلق بآدم وحوا ويجعل الها في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما
وآتاهما راجعين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحوا من الخطاب الا قوله
خلقكم من نفس واحدة لان الاشارة في قوله خلقكم من نفس واحدة الى
الخلق عامة وكذلك في قوله تعالى وجعل منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما
قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب البحر بقوله
وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه الآية اخبرت عن جملة امر البشر وانهم
مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء عليهما السلام ثم عاد
الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعى الشركاء في عطيته
قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين
خصوصا اذ كل بني آدم مخلوق من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان يكون
المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا
يجيء كثيرا في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم
ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة اي فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين
جلدة وقال عز وجل ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها

فدى وفداء كلاهما صحيحان
فاذا افتحت فدى فهو
مصدر من الممدود
ه

فلكل نفس زوج هو منها اى من جنسها فلما تغشّاها اى فلما تغشّى كل نفس زوجها
حملت حملا خفيفا وهو ما النطفة فمرّت به اى مارت به والمور التردد والمراد
تردد هذا الماء فى رحم هذه الحامل فلما اثقلت اى ثقل حملها بمصيرة ذلك الماء
لحما ودما وعظما دعوا الله ربهما اى الرجل والمراة لما استبان حمل المراة فقالا لا
لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا اى اعطاهما ما سالاه
من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون وقال قوم
معنى جعلا له شركاء اى طلبا من الله امثالا للولد الصالح فشركا بين الطلبتين
وتكون الهاء فى قوله له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجرى مجرى قول القائل
طلبت منى درهما فلما اعطيتك شركته باخر اى طلبت آخر مضافا اليه وعلى
هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله جعلا والخطاب كله متوجها الى آدم وحواء
عليهما السلام **مجلس آخر** تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى قال اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فقال اليس ظاهر هذا القول يقتضى انه
خالق لاعمال العباد لان ما ههنا بمعنى الذى فكانه قال خلقكم وخلق اعمالكم
الجواب قلنا قد حمل اهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله وما تعملون اى
وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها
قالوا وغير منكر ان يريد بقوله وما تعملون ذلك كما انه قد اراد بما ذكرناه
بقوله اتعبدون ما تنحتون لانه لم يرد انكم تعبدون نحتكم الذى هو فعل
لكم بل اراد ما تفعلون فيه النحت كما قال تعالى فى عصى موسى عليه السلام
تلقف ما يافكون وتلقف ما صنعوا وانما اراد ان العصى تلقف الحبال التى
اظهروا سحرهم فيها وهى التى حلتها صنعتهم وافكهم فقال ما صنعوا وما يافكون
واراد ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله قوله تعالى يعملون له ما يشاء من
محاريب وتماثيل وجفان وانما اراد المعمول فيه دون العمل وهذا ايضا سائغ
شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وفى الخلخال هذا من عمل الصائغ
وان كانت الاجسام التى اشيرا ليها ليست اعمالا لهم وانما عملوا فيها فحسن
اجراء هذه العبارة فان قيل كل الذى ذكرتموه وان استعمل فعلى وجه

المجاز والاتساع لان العمل فى الحقيقة لا يجرى الا على فعل الفاعل دون ما
يفعل فيه وان استعير فى بعض المواضع قلنا ليس بمسلم لكم ان الاستعمال
الذى ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذى لا يستفاد سواه لان
القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا
احدا قط يقول فى الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حلّه عمل
فلان فالاول اولى بان يكون حقيقة وليس ينكر ان يكون الاصل فى الحقيقة
ما ذكروه ثم انتقل بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار اخص به وبما لا
يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت الفاظ كثيرة على هذا الحد ولا اعتبار بالمفهوم
من الالفاظ الا ما استقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه فى الاصل فوجب
ان يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه على انا لو سلمنا ان ذلك
مجاز وجب المصير اليه من وجوه فيها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا
يسوغ سواه وفيها ما تقتضيه الادلة القاطعة الخارجة عن الآية فمن ذلك انه
تعالى اخرج الكلام مخرج التهجين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم
فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ومتى لم يكن قوله وما
تعملون المراد به تعملون فيه يصير تقدير الكلام اتعبدون الاصنام التى تنحتونها
والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التى تعملون فيها التخطيط والتصوير لم يكن
للكلام معنى ولا مدخل فى باب التوبيخ ويصير على ما يذكروه المخالف كانه
قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم فاى وجه للتقريع وهذا
الى ان يكون عذرا اقرب من ان يكون لوما وتوبيخا واذا خلق عبادتهم للاصنام
فاى وجه للوم عليها وتقريعهم بها على ان قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون
بعد قوله اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره
تعالى فلا بد من ان يكون متعلقا بما تقدم من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا
فى المنع من عبادة غير الله فلو افاد قوله ما تعملون نفس العمل الذى هو النحت
دون المعمول فيه لكان لا فائدة فى الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت
وانما كانوا يعبدون محل النحت ولانه كان لا حظ فى الكلام للمنع من عبادة

الاصنام وكذلك ان حمل قوله تعالى ما تعملون على اعمال اخر ليست بنحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان اظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق الا انه اراد انه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم فان قيل لم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك كما ان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذي تحق له العبادة وغير القديم كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تاثير قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل للاول والموثر في المنع من العبادة فلان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه اولى من ان ينصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه وانه لا شيء ادل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج عليهم تعالى في المنع من عبادة الآلهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضرا ولا عنهم وهذا واضح على انه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله على ما ادعوه لان فيه عذرا لهم في الفعل الذي عُنّفوا به وقُرّعوا من اجله وقبيح ان يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم بما ينزههم على ما تقدم على انا لا نسلم ان من يفعل افعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم القبائح ومن فعل القبائح لا يكون الها ولا تحق العبادة له فخرج ما ذكروه من ان يكون موثرا في انفراده بالعبادة على ان اضافة العمل اليهم بقوله تعملون يبطل تاويلهم الآية لانه لو كان خالقا له لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم والله خلقه وهذه مناقضة لهم فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله وما تعملون يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى اني خالق للمعدوم فانه

قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكانه قال والله خلقكم وما عملتم قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به ولستم انتم بان تعدلوا عنه باولى منا بل نحن احق لانا نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون بغير حجة فان قالوا فانتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا الى ذلك لانا اذا حملنا قوله وما تعملون على الاصنام المعمول فيها ومعلوم ان الاصنام موجودة قبل عملهم فيها لجاز ان يقول تعالى اني خلقتها ولا يجوز ان يقول اني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه لو اراد بذلك اعمالهم لا ما عملوا فيه على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخلق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره اذا قدره ودبره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها وما به يستحق عليه من الجزاء وليس يمتنع ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الايهام وفهم المراد وهذا كله ما يقتضيه الآية ولو لم يكن في الآية شيء مما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله وما تعملون على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه للادلة العقلية الدالة على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمالنا وان تصرفنا محدث بنا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد قدس الله روحه واني لاستحسن لبعض نساء بني اسد قولها

الم تر انا غبنا ما آونا ... زمانا فظلنا نكدّ البئارا
فلما عدا الماء اوطانه ... وجفّ الثماد فصارت جرارا ... جمع جرة وهي حجارة سود
وضجت الى ربها في السماء ... رؤوس العضاة تناجي السرارا
وفتحت الارض افواهها ... عجيج الجمال وردن الجفارا ... اي الغدران
لبسنا لداعطن لبسة ... على اليأس اثوابنا والخمارا
وقلنا اعيروا الذي حقه ... وصب الحفائظ ومونوا جوارا ... اي عطاشا

فان الندى لعسنى مرة ، يرد الى اهله ما استعارا
فبتنا نوطن احشاءنا ، اضاء لنا عارض فاستطارا
نغنى ونضحك حافاته ، خلال الغمام ونبكى مرارا
كانا نضئ لنا حرة ، تشد ازارا وتلقى ازارا
فلما خشينا بان لا نجاء ، وان لا يكون قرار قرارا
اشار له آمر فوقه ، هلم فام اليها امنارا
وانشد ابو هفان لوادة المهزمية ، لولا اتقاء الله قمت بمفخر
لا يبلغ الثقلان فيه مقامى ، بابوة فى الجاهلية سادة
بذوا العلى امراء فى الاسلام ، جادوا واشادوا واما نعين اذاهم
لنداهم بذل لدى الاقوام ، قد انجبوا فى السوددين وانجبوا
بنجابة الاخوال والاعمام ، قوم اذا سكتوا تكلم مجدهم
عنهم فاخرس دون كل كلام ، وقالت امراة من بنى سعد بن بكر
ابا اخوى الملزمى ملامة ، اعيذكما بالله من مثل ما بيا
سالتكما بالله الا جعلتما ، مكان الاذى واللوم ان تاويا ليا
ابا امتاح الهلال فاتلى ، سطون النوى يحتل غرضا يمانيا
انتم كغصن البان جعد مرجل ، شغفت به لو كان احرا مدانيا
فان لم او تسد ساعدى بعد هجعة ، فلا ما هلا ليا فشل بنا نيا
تكلت ابى ان كنت ذقت كريقه ، لشئ ولا ماء الغمامة غاديا
ولضاحية الهلالية ، الم تر كبر لمة ثم شمرت
به جلة يطلبن برقا يمانيا ، الا ليتنا والنفس تشكى المنى
ولها ، يمانون ان امسى الحبيب يمانيا
وانى لاهوى القصد ثم يردنى ، عن القصد ميلات الهوى فاميل
وما وجد مسجون بصنعاء موثق ، بساقيه من حبس الامير كبول
وما ليل مولى مسلم بجريرة ، له بعد ما نام العيون عويل
باكثر منى لوعة يوم راعنى ، فراق حبيب ما اليه سبيل

اى تى

اراد بالجعد السخى الكريم وهو من الاضداد قال الثانى الرجل الجعد الذى يعرفوفه خشانش كراس الكنه المنوقد

كثيرة

الجلة الابل المسان وبجوز ان يريد بها الجلبانة

ولعمرة

ولعمرة بنت العجلان اخت عمرو ذى الكلب بن العجلان الكاهلى ترثى اخاها عمرا وكان فى بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فوجدت فهم سلاحه عليه فادعت قتله
سالت بعمرو اخى صحبه ، فافظعنى حين ردوا السؤالا
فقالوا اتيح له نائما ، اعز السماح عليه احالا
اتيح له نمرا اجبل ، فنالا لعمرك منه منالا
فاقسمت يا عمرو لو نبهاك ، اذن نبها منك امرا عضالا
اذن نبها ليث عريسة ، مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
هزبرا فروسا لاعدائه ، هصورا اذا لقى القرن صالا
هما مع تصرف ريب المنون ، من الارض ركنا ثبيتا اما لا
هما يوم حم له يومه ، وقال اخوفهم بطلا وقالا
يعنى قال الخطا يقال رجل قائل الراى ، وقالا افتلناه فى غاده
بآية ما ان ورثنا النبالا ، كانها تهزأ بهم وتكذبهم اى بعلامة
ان ورثتم النبال ، فهلا ومن قبل ريب المنون
فقد كان رجلا وكنتم رجالا ، يقال رجل ورجل
وقد علمت فهم يوم اللقاء ، بانهم لك كانوا نفالا
كانهم لم يحسوا ابه ، فيخلوا النساء له والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين ، به فيكونوا عليه عيالا
وقد علم الضيف والمجتدون ، اذا اغبر افق وهبت شمالا
وخلت عن اولادها المرضعات ، ولم تر عين لمزن بلالا
بانك كنت الربيع المغيث ، لمن يعتريك وكنت الثمالا
وخرق تجاوزت مجهوله ، بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه ، وكنت دجى الليل فيه الهلالا
وخيل سمت لك فرسانها ، فولوا ولم يستقلوا قبالا
وكل قبيل وان لم تكن ، اردتهم منك باتوا رجالا
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحى ان اردت

اى اقبل

النفال الغنائم

ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال اليس
ظاهر هذه الآية يقتضى ان نصح النبى عليه السلام لم ينفع الكفار الذين اراد
الله بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم الجواب قلنا ليس فى هذه الآية
ما يقتضى خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية واراد ها وانما اخبر
ان نصح النبى عليه السلام لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك
او جواز وقوعها لا دلالة عليه فى الظاهر على ان الغواية ههنا الخيبة وحرمان
الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه فى هذه اللفظة قول الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ، ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

فكانه تعالى قال ان كان الله يريد ان يعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس
ينفعكم نصحى ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله
تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه وان
القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين
ولا ينفعكم نصحى الآية فاخبرهم ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان ينزل به العذاب
ولا يغنى عنه شيئا وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعلق بانه كان فى قوم نوح
طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم وقال لهم على
طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من ان الله
يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحى فلا تطلبوا منى نصحا فانتم على قولكم
لا تنتفعون به وهذا جيد وروى عن الحسن فى هذه الآية وجه صالح وهو انه
قال المعنى فيها ان كان الله يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحى عند نزول العذاب
بكم وان قبلتموه وآمنتم به لان من حكم الله تعالى بان لا يقبل الايمان عند نزول
العذاب وكل هذا واضح فى زوال الشبهة فى الآية قال السيد قدس الله روحه
ومن مستحسن ما قيل فى صفة المصلوب قول ابى تمام الطائى فى قصيدة
يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين وصلبه وحرقه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه ، حتى اصطلى سر الزناد الوارى

العقاب

الافشين الاكاف بناء العربية

سر الزناد النار المخبوءة فيها

نارا

نارا يساور جسمه من حرها ، لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها ، اركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل ، وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لاعظم مشرك ، ما كان يرفع ضوءها للسارى
صلى لها حيا وكان وقودها ، ميتا ويدخلها مع الكفار
وكذاك اهل النار فى الدنيا هم ، يوم القيمة جل اهل النار
يا مشهدا صدرت بفرحته الى ، امصارها القصوى بنو الامصار
رمقوا اعالى جذعه فكانما ، رمقوا الهلال عشية الافطار
واستنشقوا منه قتارا نشره ، من عنبر ذفر ومسك دارى
وتحدثوا عن هلكه كحديث من ، بالبدو عن متتابع الامطار
قد كان بوأه الخليفة جانبا ، من قلبه حرما على الاقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرد ، وانامه فى الامن غير غرار
ولقد شفا الاحشاء من برحائها ، ان صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن ، لاثنين ثان اذ هما فى الغار
وكانما انتبذا لكيما يطويا ، عن ناطس خبرا من الاخبار
سود اللباس كانما نسجت لهم ، ايدى السموم مدارعا من قار
بكروا واسروا فى متون ضوامر ، قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ، ابدا على سفر من الاسفار
كادوا النبوة والهدى فتقطعت ، اعناقهم فى ذلك المضمار
وله ايضا يذكر صلب بابك ، لما قضى رمضان منه قضاءه
شالت به الايام فى شوال ، ما زال مغلول العزيمة سادرا
حتى غدا فى القيد والاغلال ، مستنبلا للباس طوقا من دم
لما استبان فظاظة الخلخال ، اهدى لمتن الجذع متنيه كذى
من عاف متن الاسمر العسال ، لا كعب اسفل موضعا من كعبه
مع انه عن كل كعب عال ، سام كان العز يجذب ضبعه

الذى حسن

متحيرا

مستنبلا من البسالة اى متشجعا

وسموه من ذله وسفال ، متفرغ ابدا وليس بفارغ

من لا سبيل له الى الاشغال ، قال السيد قدس الله روحه ومن عجيب

الامور ان ابا العباس احمد بن عبيد الله بن عمار ينشد هذه الابيات المفرطة فى

الحسن فى جملة مقابح ابى تمام وما خرجه بزعمه من غلطه وسقطه ويقول فى

عقبها ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب اغث من هذا الوصف واين كان عن

مثل قول ابراهيم بن المهدى يصف ام بابك فى قصيدة يمدح بها المعتصم

ما زال يعنف بالنعمى فيغمرها ، عنه العنوط وافنته الاراصيد

حتى علا حيث لا يحط مجتمعا ، كما علا ابدا ما اورق العودُ

يا بقعة ضُربت فيها علاوته ، وعينه وذوت اغصانه الميد

بوركتِ ارضا واوطانا مباركة ، ما عنك فى الارض للتقديس تغريد

لو تقدر الارض حجتك البلاد فلا ، يبقى على الارض الا حج جلمود

لم يبك ابليس الا حين ابصره ، فى ذبه وهو فوق النخل مصفود

كناقة النحر تزهى تحت زينتها ، وحد شفرتها النحر محدود

ما كان احسن قول الناس يومئذ ، ايوم بابك هذا ام هو العيد

صيرت جثته جيداً لباسقة ، جرداء والراس منه ماله جيد — اي الجود

فآض تكبه هوج العاصفات به ، على الطريق صليبا طرفه عودُ

كانه شلو كبش والهواء له ، تنور شاويه والجذع سفود — قاض رجع وقوله هوج جمع هوجاء وهي المضطربة

وهكذا ينبغى ان يطعن على ابيات ابى تمام من يستجيد هذه الابيات ويفرط فى

تقريظها وليت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك اولى

به وابيات ابى تمام فى نهاية القوة وجودة المعانى والالفاظ وسلامة السبك

واطراد النسج وابيات ابن المهدى مضطربة الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة

الكلام وما فيها شئ يجوز ان يوضع عليه اليد الا قوله حتى علا حيث لا يحط مجتمعا

كما علا ابدا ما اورق العود ويعده البيت الاخير وان كان بارد الالفاظ وقد

احسن مسلم بن الوليد فى قوله ، ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها

حتى استقل به عود على عود ، نصبته حيث ترتاد الرياح به

وتحسد

وتحسد الطير فيه اضبع البيد ، وللبحترى فى هذا المعنى من قصيدة يمدح فيها

ابا سعيد اولها ، لا دمنة بلوى خبت ولا طلل ، يرد قولا على ذى لوعة يسل

ان عز دمعك فى اى الرسوم فلم ، يصب عليها فعندى ادمع ذلل

هل انت يوما معيرى نظرة فترى ، فى دمل بين عيراسيرها رمل

حثوا النوى بحداة مالها وطن ، غير النوى وجمال مالها عقل

تحمله البرد من اقصى الثغور الى ، وادى العراق سراعا دينها الجمل

بسر من راء منكوسا تجاذبه ، ايدى الشمال فضولا كلها فضل

امسى برد حريق الشمس جانبه ، عن بابك وهى فى الباقين تشتعل

تفاوتوا بين مرفوع ومنخفض ، على مراتب ما قالوا وما فعلوا

رد الهجير لجاهم بعد شغلتها ، سودا افعادوا شبابا بعدما اكتهلوا

سما له حابل الآساد فى لمة ، من المنايا فامسى وهو محتبل

حالى الذراعين والساقين لو صدقت ، له المنى لتمنى انها عطل

من تحت مطبق باب الشام فى نفر ، اسرى يودون ردا انهم قتلوا

غابوا من الارض انأى غيبة وهم ، فيها فلا وصل الا الكتب والرسل

وله فى المعنى ، ما زلت تقرع باب بابك بالقنا

وتزوره فى غارة شعواء ، حتى اخذت بنصل سيفك عنوة

منه الذى اعيا على الاحراء ، اخليت منه البذ وهو قراره

ونصبته علما بسامراء ، لم يبق فيه خوف باسك مطمعا

للطير فى عود ولا ابداء ، فتراه مطردا على اعواده

مثل اطراد كواكب الجوزاء ، مستشرفا للشمس منتصبا لها

فى اخريات الجذع كالحرباء ، مجلس آخر تاويل آية ان سال

سائل عن قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس

وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف اخبر

تعالى بانه انزل فيه القرآن وقد انزله فى غيره من الشهور على ما جاءت به

الرواية والظاهر يقتضى انه انزل الجميع فيه وما المعنى فى قوله فمن شهد

منكم الشهر فليصمه وهل اراد الاقامة والحضور الذين هما ضد الغيبة
او اراد المشاهدة والادراك الجواب قلنا اما قوله تعالى انزل فيه القرآن
فقد قال قوم ان المراد به انه تعالى انزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا
فى شهر رمضان ثم فرق انزاله بعد ذلك على نبيه صلى الله عليه وآله بحسب
ما تدعو الحاجة اليه وقال آخرون المراد بقوله انزل فيه القرآن انه انزل
فى فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى فى فرضه كما يقال
انزل الله فى الزكاة كذا وكذا يريد فى فرضها وانزل الله فى الخمر كذا وكذا يريد
فى تحريمها وهذا الجواب انما هرب متكلفه من شئ وظن انه قد اعتصم بجوابه
عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لان قوله القرآن اذا كان يقتضى ظاهره
انزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب ان يكون قد انزل فى فرض الصيام
جميع القرآن ونحن نعلم ان قليلا من القرآن يتضمن ايجاب صوم شهر
رمضان وان اكثره خال من ذلك فان قيل المراد بذلك انه انزل فى فرضه
شيئا من القرآن وبعضا منه قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على انه
تعالى انزل شيئا من القرآن فى شهر رمضان ولم يحتج الى ان يجعل لفظة فيه
بمعنى فى فرضه وايجاب صومه والجواب الصحيح ان قوله تعالى القرآن فى هذا
الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق
فكانه تعالى قال شهر رمضان الذى انزل فيه هذا الجنس من الكلام فاى شئ
نزل منه فى الشهر فقد طابق الظاهر وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام
ههنا الا يكونان الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة
العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب ان يكون ههنا بهذه الصفة
لان هذه اللفظة قد تستعمل فى مواضع كثيرة من الكلام ولا يفاد بها اكثر من
الاشارة الى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم
بها على خصوص او عموم كالمناقض لغرضه والمنافى لمراده الا ترى ان القائل
اذا قال فلان ياكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اللصوص اليوم وخاطب
الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير خصوص ولا عموم

يقول القائل

حتى

حتى لو قيل له فلان ياكل جميع اللحم او يشرب جميع الخمر او بعضها لكان جوابه
انى لم ارد عموما ولا خصوصا وانما اريد انه ياكل هذا الجنس من الطعام
ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامى العموم او الخصوص فهو بعيد
من فهم مرادى وارى كثيرا من الناس يغلطون فى هذا الموضع فيظنون ان
الاشارة الى الجنس من غير ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى يحملوا
قول من قال اردت الجنس فى كل موضع على العموم وهذا ابعد ممن يظنه لانه كما
ان العموم والخصوص مفهومان فى بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك الاشارة
الى الجنس والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة متميزة وقد
ذكرنا امثلة ذلك فاما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاكثر المفسرين
حملوه على ان المراد بمن شهد من كان مقيما فى بلد غير مسافر وابو على حمله على
ان المراد به فمن ادرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل الشروط فليصمه
ذهب فى معنى شهد الى معنى الادراك والمشاهدة وقد طعن قوم على تاويل
ابى على وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الامر على ما ظنوه
لان الكلام يحتمل الوجهين معا وان كان للقول الاول ترجيح ومزية على
الثانى من حيث يحتاج فى الثانى من الاضمار الى اكثر مما يحتاج اليه فى الاول
لان على القول الاول لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع السفر لان قوله
فمن شهد يقتضى الاقامة وانما يحتاج الى اضمار باقى الشروط من الامكان
والبلوغ وغير ذلك وفى القول الثانى يحتاج مع كل ما اضمرناه فى القول الاول
الى اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شاهد الشهر وهو مطيق مقيم بالغ
الى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الاول اقوى وليس لاحد ان يقول
ان شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على اقامة وذلك ان الظاهر من قولهم
فى اللغة فلان شاهد اذا اطلق ولم يضف افاد الاقامة فى البلد وهو عندهم
ضد الغائب والمسافر وان كانوا ربما اضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد
فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففى اطلاق شهد دلالة على الاقامة من
غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله قال السيد قدس الله روحه

ووجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابى تمام قوله

لما استحر الوداع المحض وانصرمت ، اواخر الصبر الا كاظما وجما

رايت احسن مرئى واقبحه ، مستجمعين لى التوديع والعنما

قال ابو العباس وهذا قد ذم مثله من شاعر متقدم وهو انه جمع بين كلمتين احداهما لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت . وقد رأينا بها حورا منعمة

رودا تكامل فيها الدل والشنب ، فقيل له اخطات وباعدت بقولك

الدل والشنب الا قلت كقول ذى الرمة ، بيضاء فى شفتيها حوة لعس

وفى اللثات وفى انيابها شنب ، قال فقال الطائى مستجمعين لى

التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته وهى الفراق وجعل المنظر الحسن الخضاب وشبهه بالعنم ولم يذكر الانامل

المخضبة وانما سمع قول المجنون ، ويبدى الحصا منها اذا قذفت به

من البرد اطراف البنان المخضب ، قال وهذا هو الاصل استعاده الناس من بعد فقال الشاعر ، المنشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم

واغرب ابو نواس فى قوله ، تبكى فتذرى الدر من نرجس

وتلطم الورد بعناب ، قال فلم يحسن هذا العلج ان يستعير شيئا من محاسن القايلين قال السيد قدس الله روحه وهذا اغلظ من ابن عمار وسقطة على ابى تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب وهو برد الاسنان وتطرق عليه بذلك بعض لعيب وابو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما اشاربه الى ما اشارت ليه باصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك اصابعها بالعنم والعنم نبت اغصانه غضة رقاق تشبه الاصابع وقيل ان العنم واحدة عنمة وهى العظاية الصغيرة البيضاء وهى اشبه شئ بالاصبع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر تشبه به الاصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصبع التى تشبه العنم فجمع بينهما لذلك فلا حاجة به الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظنه ابو العباس بل ذكر المشبه

اللعس مثل الحوة الا انه احسن منها فلذلك الذ نبه

به احسن وافصح من ان يقول التوديع والانامل التى تشبه العنم فاما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة للشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب لا محالة انه مكروه مستقبح وقوله مستقبح عاقبته صحيح الا ان ما يعقبه ويتبرم لما كان عند حضوره متيقنا مذكورا عاد الاستكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس يكرهون ويستقبحون تناول الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ان فى عواقبها من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم واعلم بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذا فى الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهيتها للوداع وهربها منه لما يتصور فيه من الم الفرقة وغصص الوحشة وهذا مشهور معروف وقد قال ابو تمام

ايا لفة النحيب كم افتراق ، اظل فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الاوبات الا ، لموقوف على ترح الوداع

فجعل للوداع ترحا يقابل روح الاياب وهذا صحيح فاما قول جرير

اتنسى اذ تودعنا سليمى ، بفرع بشامة سقى البشام ، فانه دعاء

للبشام وهو شجر يستاك به لانها ودعته عنه فسر بتوديعها وقول الشاعر

من يكن يكره الفراق فانى ، اشتهيه لموضع التسليم

ان فيه اعتناقة لوداع ، وانتظار اعتناقة لقدوم

فمن شان الشعراء ان يتصرفوا فى المعانى بحسب اغراضهم وقصودهم فاذا اراد احدهم مدح شئ قصد الى احسن اوصافه فذكرها واشاد بها حتى كانه لا وصف له غير ذلك الوصف الحسن واذا اراد ذمه قصد الى اقبح احواله فذكره حتى كانه لا شئ فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى احدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان العمر معه اطول وما اشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف ما فيه من الادناء الى الاجل وانه اخر الالوان وابغضها الى النساء وما اشبه ذلك وهذه سبيلهم فى كل شئ وصفوه ولمدحهم

موضعه ولذمهم موضع فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الديار فقد ذهب مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من قرب المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان يسيرا فقد ذهب ايضا مذهبا صحيحا ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد ان انشد شعر المجنون قال وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر ، النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم ، وهذا البيت للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل ابن ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة **مجلس آخر** تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وانما اختص به محمد صلى الله عليه وآله **الجواب** قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة فلا يكون ههنا اسما للفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته للفظه كما قال تعالى الكتاب والحكمة وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة ،

، فما لي اراني وابن عمي مالكا ، متى ادن منه ينأ عني ويبعد ، فنسق يبعد على ينأى وهو هو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين وقال عدي بن زيد ، وقددت الاديم لراهشيه ، والفى قولها كذبا ومينا ، والمين الكذب وثانيها ان يكون الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اوتيه موسى عليه السلام وثالثها ان يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام او الفرق بين موسى واصحابه المومنين وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى قد فرق بينهم في امور كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق اولئك ورابعها ان يكون الفرقان المراد به القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله ويكون المعنى في ذلك وآتينا موسى التوراة والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان موسى عليه السلام كان مومنا بمحمد صلى الله عليه

(في الهامش: موسى)

(في الهامش: يعني الزناد وحديد والراهشان العرقان في الذراعين والاديم النطع يصف قتلها اياه)

وآله

وآله بما جاء به ومبشرا ببعثته وساغ حذف القبول والايمان والتصديق وما جرى مجراه واقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالى واسئل القرية وهو يريد اهل القرية وخامسها ان يكون المراد بالفرقان القرآن ويكون تقدير الكلام واذ آتينا موسى الكتاب الذي هو التوراة وآتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله ، تراه كان الله يجدع انفه ، وعينيه ان مولاه كان له وفر ، اراد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون بالعين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الآخر ، تسمع للاحشاء منه لغطا ، ولليدين جسأة وبددا ، اي وترى لليدين لان الجساة والبدد لا يسمعان وانما يريان وقال الآخر ، علفتها تبنا وماء باردا ، حتى شتت همالة عيناها ، اراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت وقال الآخر ، يا ليت بعلك قد غدا ، متقلدا سيفا ورمحا ، اراد وحاملا رمحا ووجدت ابا بكر بن الانباري يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات على هذا الوجه لا يجوز لان الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون اسم والامر وان كان على ما قاله في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف تعويلا على ان المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف اسما لان اللبس قد زال والشبهة قد امنت في المراد بها فحسن الحذف لان الفرقان اذا كان اسما للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله دون موسى عليه السلام استغنى عن ان يقال وآتينا محمدا الفرقان كما استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين جسأة وبددا وما شاكل ذلك الا انه يمكن ان يقال فيما استشهد به في جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال مثله في الآية وهو انه يقال لا محذوف فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله يجدع انفه وكان معنى الجدع هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى

(في الهامش: البدد تباعد ما بين الاليتين وجسأة يبسا)

الحال وعينيه فكانه قال نراه كان الله يفسد انفه ويشوهه ثم قال وعينيه
وكذلك لما كان السامع للغط من الاحشاء عالماً به عطف على المعنى فقال
وللبيد بن جسأة وبدداي انه يعلم هذا وذاك معاً وكذلك لما كان في علفت
معنى غذيت عطف عليه الماء لانه مما يغتذي به وكذلك لما كان المتقلد للسيف
حاملاً له جاز ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اولى في الطعن على الاستشهاد
بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري اخبرنا ابو الحسين علي بن محمد الكاتب قال
اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال اخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال اخبرنا
احمد بن محمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد ... الاهتم
ابن صفوان الاهتمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن
عبد الله القسري قال فالفيته جالساً على كرسي في بركة ماؤها الى الكعبين
فدعا لي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان اوطأ
بقلبي واحب الي منك فقلت يا امير المومنين ان حلمك لا يضيق عنه فلو
صفحت عن جرمه فقال يا خالد ان خالداً ادل فامل واوجف فاعجف ولم يدع
لراجع مرجعاً ولا لعودة موضعاً ثم قال الا اخبرك عنه يا ابن صفوان قلت
نعم قال اما انه ما بدأني بسوال حاجة مذ قدم العراق حتى اكون انا الذي
ابدأه بها قال خالد فقلت له ذلك احرى ان ترجع له فقال متمثلاً

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... اليه بوجه آخر الدهر تقبل

ثم قال لي حاجتك يا ابن صفوان فقلت تزيد في عطائي عشرة دنانير فاطرق
ثم قال ولم وفيم العبادة احدثتها فنعينك عليها ام لبلاء حسن ابليته امير
المومنين ام لماذا يا ابن صفوان اذن يكثر السوآل فلا يحتمل ذلك بيت المال قال
فقلت يا امير المومنين وفقك الله وسددك انت والله كما قال اخو خزاعة

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... قرابة قربى او صديق توامقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ... ولم يفتلذك المال الا حقائقه ... ای لم یقطع لک

فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الامساك له قال احببت
ان يمنع غيري فيكثر من يلومه قال السيد قدس الله روحه وكان خالد مشهوراً

بالبلاغة وحسن العبارة وبالاسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص
ابن معاوية بن عمرو الغلابي قلت لخالد يا ابا صفوان اني لاكره ان تموت وانت
من ايسر اهل البصرة فلا يبكيك الا الاماء قال فابغني امراة قلت صفها لي اطلبها
لك قال اريد بكراً كثيب او ثيباً كبكر لا ضرعاً صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ ... ضعيفة
المحن ولم تفت فنهجن قد نشأت في نعمة وادركتها خصاصة فادبها الغنى ... من الفتوة
واذلها الفقر حسبي من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي ... الفخامة في الوجه نبله وامتلاؤه مع الجمال والمهابة والمراد بها ههنا الضخم ٥
من حسبها ان تكون واسطة في قومها ترضى مني بالسنة ان عشت اكرمتها وان
مت ورثتها لا ترفع راسها الى السماء بطراً ولا تضعه الى الارض سقوطاً فقلت
يا ابا صفوان ان الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها
وكان يقول ان المروة لو خف محملها وقلت مونتها ما ترك اللئام فيها للكرام
بينة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مونتها فاجتنبها الكرام وحاد عنها اللئام
وكان خالد من اشح الناس وابخلهم كان اذا اخذ جائزة او غيرها قال للدرهم
اما والله طالما اغربت في البلاد وانجدت والله لاطيلن ضجعتك ولاديمن
صرعتك وساله رجل من بني تميم فاعطاه دانقاً فقال يا سبحان الله اتعطي مثلي
دانقاً فقال انه لو اعطاك كل رجل من بني تميم مثل ما اعطيتك لرحت ذا مال
عظيم وساله رجل فاعطاه درهماً فاستقله فقال يا احمق اما علمت ان الدرهم
عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم
وكان يقول والله ما تطيب نفسي بانفاق درهم الا درهماً قرعت به باب الجنة
او درهماً اشتريت به موزاً وقال لان يكون لي ابن يحب الخمر احب الي من ان
يكون لي ابن يحب اللحم لانه متى طلب لحماً وجده والخمر يتعب احياناً وكان يقول
من كان ماله كفافاً فليس بغني ولا فقير لان النائبة اذا نزلت اجحفت بكفافه
ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني
وكان يقول لان يكون لاحدكم جار يخاف ان ينقب عليه بيته خير له من ان
يكون له جار من التجار لا يشاء ان يعطيه مالاً ويكتب به صكاً الا فعل مجلس آخر
تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم

لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف يخبر عنهم بانهم لا
يكذبون نبيه ومعلوم منهم اظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة
والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يجحدون وهل
الجحد بآياته الا تكذيب نبيه عليه السلام الجواب قلنا في هذه الآية وجوه
اولها ان يكون انما نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وان كانوا يظهرون
بافواههم التكذيب لانا نعلم انه قد كان في المخالفين له عليه السلام من يعلم
صدقه ولا يكذبه بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد
قال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من
طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله
صلى الله عليه وآله لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له اتصافح هذا الصبي
فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله تعالى
الآية وفي خبر آخر ان الاخنس بن شريق خلا بابي جهل فقال له يا ابا الحكم
اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هاهنا من قريش احد غيري
وغيرك يسمع كلامنا فقال له ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب
قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة
ماذا يكون لسائر قريش والوجه الثاني ان يكون معنى الكلام فانهم لا يكذبونك
اي لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان وانما
يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لان القائل يقول
فلان لا يستطيع ان يكذبني ولا يدفع قولي وانما يريد انه لا يتمكن من اقامة
دليل على كذبه وحجة في دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه
فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به وروي
عن امير المؤمنين عليه السلام انه كان يقرأ هذه الآية بالتخفيف فانهم لا
يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا يأتون بحق هو احق من حقك وقال
محمد بن كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يديك وكل ذلك يقوي هذا
الوجه وسنبين ان معنى هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة

والوجه

ذكره
اخبرنا محمد بن الحسين بن دريد عن اهل ... ابن صبي العكلي انه وفد مالك بن
عوف لعبد السلام الى النبي صلى الله
عليه وسلم وانشده
ان رايت ولا سمعت بواحد
في الناس كلهم بمثل محمد
اوفى واعطى للجزيل بجتدي
ومتى تشاء يخبرك عما في غد
واذا الكتيبة عردت انيابها
بالسمهري وضرب كل مهند
فكانه ليث على اشباله
وسط الاباءة خادر في مرصد
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا
وكساه حلة والاكثار ... العضب
اي الصباح ... الندوة المشورة
فانهم لا يكذبونك اي لا يأتون بحق
يبطلون به حقك ... القول عن الصادق
عليه السلام

والوجه الثالث ان يكون معنى الآية انهم لا يصادفونك كاذبا ولا يلقونك
منقولا كما يقولون قاتلته فما اجبنته اي ما وجدته جبانا وحدثته فما اكذبته
اي لم القه كاذبا وقال الاعشى ، اثوى وقصر ليلة ليزودا
فمضى واخلف من قتيلة موعدا ، اراد انه صادف منها خلفا للوعد ومثله
اصممنا القوم اذا اصادفناهم صما واخليت الموضع اذا اصادفته خاليا قال الشاعر
، اتيت مع الحداث ليلى فلم ابن ، فاخليت فاستعجمت عند خلائي ،
اي اصبته مكانا خاليا ومثله لهمبان بن ابي قحافة ،
، تبين انيابا باله لواحجا ، اوسعن من اشداقه المضارجا ، يعني
باوسعن اصبن منابت واسعة فبتن فيها وقال عمرو بن براقة ،
، تخالف اقوام على ليسمنوا ، وجروا على الحرب اذا انا سالم ، يقال
اسمن بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوها سمانا قال ابو النجم ،
، مستاسدا ذبابه في غيطل ، يقلن للرائد اعشبت انزل ، اي
اصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة ، تريك بياض لبتها ووجها
، كقرن الشمس افتق ثم زالا ، اي وجد فتقا من السحاب وليس لاحد
ان يجعل هذا الوجه مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لان في الوجهين
معا يمكن هذا الجواب لان افعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وافعلت
بالتخفيف هو الاصل في الفعل ثم شدد تاكيدا وافادة لمعنى التكرار وهذا
مثل اكرمت وكرمت واعظمت وعظمت واوصيت ووصيت وابلغت وبلغت
وهو كثير قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا الا ان التخفيف اشبه بهذا
الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى اكثر والوجه الرابع ما
حكى الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانه كان
عندهم امينا صادقا لم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ما اتى به ويدعون
انه في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه وان القوم كانوا يكذبون
ما اتى به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
وبقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وهو الحق

المصابيح خفقان الشباب كالمعاوز كانه شبه فضول الشدق بها

الجلبة والصوت

وكان الكسائي يقرا فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة
والباقون على التشديد ويزعم ان بين اكذب وكذب فرقا وان معنى اكذبت
الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب في كل حديثه وهذا غلط وليس
بين فعلت وافعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرناه من ان
التشديد يقتضي التكرار والتاكيد ومع هذا لا يجوز ان يصدقوه في نفسه
ويكذبوا بما اتى به لان من المعلوم انه صلى الله عليه وآله كان يشهد بصحة ما اتى
به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز
ان يكون صادقا في خبره وكان الذي اتى به فاسدا بل ان كان صادقا في خبره
فالذي اتى به حق صحيح وان كان الذي اتى به فاسدا فلا بد ان يكون في نفسه
من ذلك كاذبا وهذا تاويل من لا يحقق المعاني والوجه الخامس ان يكون
المعنى في قوله فانهم لا يكذبونك ان تكذيبك راجع الى وعائد علي ولست
المختص به لانه رسول الله فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهو
كما يقول احدنا لرسوله امض في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد
دفعني وذلك من الله تعالى على سبيل التسلية لنبيه عليه السلام والتعظيم والتغليظ
لمكذبيه والوجه السادس ان يريد فانهم لا يكذبونك في الامر الذي توافق
فيه كتبهم وان كذبوك في غيره ويمكن في الآية وجه سابع وهو ان يريد ان
جميعهم لا يكذبونك وان كذبك بعضهم وهم الظالمون الذين ذكر في اخر الآية
انهم يجحدون بآيات الله لان الله تعالى انما سلى نبيه عليه السلام بهذا القول
وعزاه فلا ينكر ان يكون عليه السلام لما استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم
اياه بالرد وظن انه لا متبع له منهم ولا ناصر لدينه فيهم اخبره الله تعالى
بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك بارشادك وهدايتك
وهذا واضح والمنة لله قال السيد قدس الله روحه ومن جيد الشعر قول
مطرود بن كعب الخزاعي

يا ايها الرجل المحول رحله ، الا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت عليهم ، ضمنوك من جوع ومن اقراف
الاخذون العهد من آفاقها ، والراحلون لرحلة الايلاف

اي عيب

والراحلون

والراحلون لرحلة الايلاف ، والمطعمون اذا الرياح تناوحت
ورجال مكة مسنتون عجاف ، والمفضلون اذا المحول ترادفت
والقائلون هلم للاضياف ، والخالطون غنيهم بفقيرهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي ، كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف ،

اما قوله والراحلون لرحلة الايلاف
فكان هاشم صاحب ايلاف الرحلتين واول من سنهما فالفوا الرحلتين في الشتاء
الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الى الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ، ورجال مكة مسنتون عجاف
وهو الذي سن الرحيل لقومه ، رحل الشتاء ورحلة الاصياف

فاما المسنتون فهم الذين اصابتهم السنة المجدبة الشديدة وقوله والخالطون
غنيهم بفقيرهم من احسن الكلام واحضره وانما اراد انهم يفضلون على الفقير
حتى يعود غنيا ذا ثروة ولاحمد بن يوسف ابيات على هذا الوزن والروي
يمدح بها ولد سعيد بن سلم وكان لهم صديقا

ابني سعيد انكم من معشر ، لا يعرفون كرامة الاضياف
قوم لباهلة بن اعصر ان هم ، نسبوا حسبتهم لعبد مناف
قربوا العشاء الى العشاء وقربوا ، زادا لعمر ابيك ليس بكاف
وكانني لما حططت اليهم ، رحلي نزلت بافرق العزاف
بينا كذلك اذ اتى كبراؤهم ، يلحون في التبذير والاسراف

اراد بقوله قربوا العشاء الى العشاء من بخلهم واقتصادهم واختصارهم في
المطعم والمشرب ويقال ان هذا الشعر حفظ وصار اكثر ما يسبون به ويسب
قومهم ولربما خرج حرجا وعثرة الشعر لا تستقال والشعر يسير بحسب
جودته ولقد احسن دعبل في قوله

نقولي ولما يعني غير شامت ، وغير عدو قد اصيبت مقاتله
يقولون ان ذاق الردى مات شعره ، وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سامضي ببيت يحمد الناس امره ، ويكثر من اهل الرواية حامله
يموت ردي الشعر من قبل ربه ،

افرق مفازة
العزاف اسم موضع

كانه نهاه عن معارضة الشعراء
ويقول انهم راموا الكلام
انتبوه فار
ه

اذا

وجيده يبقى وان مات قائله ، ولآخر في هذا المعنى ،
لا تعرضن بمزح لامرئ فطن ، ما راضه قلبه اجراه في النكت ،
فرب قافية بالمزح جارية ، مشئومة لم يرد انماؤها نمت ،

مجلس آخر ان سال سائل عن قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وعن قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقال كيف يقع من اهل الآخرة نفي الشرك عن انفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون ومع ذلك عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولانهم ملجئون هناك الى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني لانهم تمنوا ولم يخبروا الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع في الآخرة دون الدنيا واذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز ان يكون الاخبار تناول لحال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لاحد ان يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وانه عقب ذلك بقوله ثم لم تكن فتنتهم فيجب ان يكون الجميع مختصا بحال الآخرة لانه لا يمتنع ان تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم تتلوها آية تتناول ما جرى في الدنيا لان مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجب وقوله ثم لم تكن فتنتهم لا يدل ايضا على ان ذلك يكون واقعا بعد ما خبر عنه في الآية الاولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الآخرة ونقول اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد به انا ما كنا عند نفوسنا مشركين

بل

بل كنا نعتقد انا على الحق والهدى وقوله تعالى من بعد انظر كيف كذبوا على انفسهم لم يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل اراد انهم كذبوا على انفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل الآخرة لا يجوز ان يكذبوا لانهم ملجئون الى ترك القبائح فاما قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا نرد وقوله انهم لكاذبون فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف قوله وانهم لكاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لان التمني الصدق والكذب وانما يدخلان في الاخبار المحضة لان قول القائل ليت الله رزقني ولدا وليت فلانا اعطاني مالا افعل به كذا وكذا لا يكون كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز على هذا ان يكون قوله تعالى وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا فكانه قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة والاعتقاد الحق او يريد انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ايضا ان يحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن تمنى ما لا يدرك كذب املك واكدى رجاؤك وما جرى مجرى ذلك قال الشاعر ، كذبتم وبيت الله لا تاخذونها ، مراغمة ما دام للسيف قائم ، وقال الآخر ، كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ، بني شاب قرناها تصر وتحلب ، ولم يرد الكذب في الاقوال بل في التمني والامل وليس لاحد ان يقول كيف يجوز من اهل الآخرة مع معارفهم الضرورية وانهم عالمون ان الرجوع الى الدنيا لا سبيل اليه ان يتمنوه وذلك انه غير ممتنع ان يتمنى المتمني ما يعلم انه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني بان لا يكون ما قد كان لقوة اختصاص التمني بما يعلم انه لا يكون غلط قوم

قوله بني شاب قرناها اراد انها راعية

فجعلوا ارادته ما علم المريد انه لا يكون تمنيا لهذا الذي ذكرناه وجه من تاويل الآية وفي الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا ويعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا فكان تقدير الآية يا ليتنا نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعد فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا اكذبهم وكل هذا واضح بحمد الله اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا احمد ابن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا ابو مسعر رجل منا من بني غنم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابي حفصة صديقا لي على اني كنت ابغضه وامقته في الله فشكا الي قال دخل اليوم علينا رجل اظنه شاميا وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند الرشيد فاذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد فجلس قال فاوجست منه خوفا فقلت يا نفس انا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني وهذا شامي افتراه اشعر مني قال فجعلت ارفق نفسي الى ان استنهض هارون فاذا هو والله من افصح الناس فدخلني له حسد قال فانشد قصيدة تمنيت انها لي وان علي غرمها قال فقلت له ما هي فقال احفظ منها ابياتا وهي

امير المؤمنين اليك خضنا ، غمار الموت من بلد شطير
بخوص كالاهلة جانفات ، تميل على السرى وعلى الهجير
حملن اليك آمالا عظاما ، ومثل الصخر والدر النثير
فقد وقف المديح بمنتهاه ، وغايته وصار الى المصير
الى من لا تشير الى سواه ، اذا ذكر الندى كف المشير

قال مروان فوددت انه اخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد امير المؤمنين عليه السلام فاحسن التخلص ورايت هارون يعجب بذلك فقال

يد لك في رقاب بني علي ، ومن ليس بالمن اليسير

فان

لعله استنشد

البعيد المنزد

فان شكروا فقد انعمت فيهم ، والا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى ، وقد كان الحتوف على شفير
وقد سخطت لسخطتك المنايا ، عليه فهي حائمة النسور
ولو كافات ما اجترحت يداه ، دلفت له بقاصمة الظهور
ولكن جل حلمك واجتباه ، على العفوات عفو من قدير
فعاد كانما لم يجن ذنبا ، وكان قد اجتنى حسك الصدور
وانك حين تبلغهم اذاة ، وان ظلموا لمحترق الضمير

وان الرشيد قال لما سمع هذا البيت منه هذا والله معنى كان في نفسي وادخله بيت المال فحكمه فيه عدنا الى الخبر قال مروان وكان هارون يبسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم اوما الى ان انشد فانشدته قصيدتي التي اقول فيها

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم ، حطم المناكب كل يوم زحام

حتى اتيت على اخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل بشعري ولا حفل به قال وانشد منصور يومئذ

ان لهارون امام الهدى ، كنزين من اجر ومن بر
يريش ما تبري الليالي ولا ، تريش ايديهن ما تبري
كانما البدر على رحله ، ترميك منه مقلتا صقر

قال وانشد ايضا

ولمن اضاع لقد وجدتك حافظا ، لوصية العباس بالاخوال

قال مروان واخلق به ان يغلبني وان يعلو علي عندك فاني ما رايت احسن من تخلصه اذا ذكر الطالبيين اخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمان الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ويريه انه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك امير المؤمنين علي عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه وآله انت مني بمنزلة هارون من موسى الى ان وشى به عنده بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين هو والله الذي يقول

متى يشفيك دمعك من همول ، ويبرد ما بقلبك من غليل

وانشد ايضا

دلفت بمعنى مشيت

[illegible]

شنأٌ من الناس راتع هامل ، يعللون النفوس بالباطل ، ومنصور

يصرح بهتك الفسقة بالعجائب فوجد الرشيد برجل من بني فزارة وامر ان

يضرب عنق منصور حيث فقع عينه عليه فقدم الرجل راي عين بعد موت

منصور بايام فلاذن قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النمري كان

يذكر هارون في شعره ويعني به امير المؤمنين عليه السلام ما انشد محمد بن

الحسن بن دُريد للنمري ، آل الرسول خيار الناس كلهم ، وخير آل رسول الله هارون

، رضيت حكمك لا ابغي به بدلا ، لان حكمك بالتوفيق مقرون ، وروى

ان ابا عصمة الشعبي لما اوقع باهل ديار ربيعة اوفدت ربيعة وفدا الى الرشيد

فيهم منصور النمري فلما صار بباب الرشيد امرهم باختيار من يدخل عليه فاختار

عدد ابجد عدد الى ان اختار وارجلين النمري احدهما ليدخلا ويتكلما بحجتهما

وكان النمري مؤدبا لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو

وصاحبه بين يدي الرشيد قال لهما قولا ما تريدان فاندفع النمري فانشده

، ما تنقضي حسرة مني ولا جزع ، فقال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا

فقال ، اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع ، وانشد القصيدة حتى اتى الى قوله

، ركب من النمر عادوا بابن عمهم ، من هاشم ان الح الازلم الجذع ،

، مُتوا اليك بقربى منك تعرفها ، لهم بها في سنام المجد مطلع ،

، ان المكارم والمعروف اودية ، احلك الله منها حيث تجتمع ،

، اذا رفعت امرأً فالله رافعُه ، ومن وضعت من الاقوام متضع ،

، نفسي فداؤك والابطال معلمة ، يوم الوغا والمنايا بينهم قرع ،

حتى اتى على آخرها فقال ويحك قل حاجتك فقال يا امير المؤمنين أُخربت الديار

وأُخذت الاموال وهتك الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وامر له بثلاثين الف

درهم واحتبسه عنده وشخص اصحابه بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى

استاذنه في الانصراف فاذن له فانصرف ثم اتصل بالرشيد قوله ،

، شنأٌ من الناس راتع هامل ، يعللون النفوس بالباطل ،

، تقتل ذرية النبي ويرجو ، ن خلود الجنان للقاتل ،

قال الشنأ من الهمل يعني المتفرق من النعم واحدهم هامل مثل حارس وحرس وطالب وطلب

ما

، ما الشك عندي في كفر قاتله ، لكنني قد اشك في الخاذل ، فاتفق

الرشيد وانفذ من يقتله فوجد في بعض الروايات ميتا وفي الاخرى عليلا

لما به فسال الرسول ان لا ياتم فيه وان ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي

وعاد بخبر موته الى هارون وللنمري ، لو كنت اخشى معادي حق خشيته ،

، لم تسم عيني الى الدنيا ولم تنم ، يحاولون دخولي في سوادهم ،

، لقد اطافوا بصدع غير ملتئم ، لكنني عن طلاب الدين محتبل ،

، والعلم مثل الغنى والجهل كالعدم ، ما يغلبون النصارى واليهود على ،

، حب القلوب ولا العباد للصنم ، مجلس آخر تاويل آية ان سال

سائل عن قوله تعالى واذا الموؤدة سُئلت باي ذنب قتلت فقال كيف يصح ان

يسال من لا ذنب له ولا عقل واي فائدة في سوالها عن ذلك وما وجه الحكمة

فيه وما الموؤدة ومن اي شيء اشتقاق هذه اللفظة الجواب قلنا اما معنى

سُئلت ففيه وجهان احدهما ان يكون المراد ان قاتلها طولب بالحجة في قتلها وسُئل

من قتله لها وباي ذنب كان على سبيل التعنيف والتوبيخ واقامة الحجة فالقتلة

ههنا هم المسؤولون على الحقيقة لا المقتول له وانما المقتولة مسؤول عنها ويجري

هذا مجرى قولهم سالت حقي اي طالبت به ومثله قوله تعالى واوفوا بالعهد ان

العهد كان مسؤلا اي مطالبا به ومسؤلا عنه والوجه الآخر ان يكون السؤال

توجه اليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له وللتنبيه على انه

لا حجة في قتلها ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام ءانت قلت للناس

اتخذوني وامي الهين من دون الله على طريق التوبيخ لقومه واقامة الحجة

عليهم فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويُسال من لا عقل له ولا فهم

والجواب ان في الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل

وتهجينه وادخال الغم عليه في ذلك الموقف على طريق العقاب لم يمتنع ان

يقع وان لم يكن من الموؤدة فهم له لان الخطاب وان علق عليها وتوجه اليها

فالغرض في الحقيقة غيرها وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلا من ولده

واقبل على ولده يقول لم ضربت وما ذنبك وباي شيء استحل هذا منك وغرضه

في الحديث عليكم بالسواد الاعظم قيل هو جماعة الناس التي تجمعت على طاعة الامام وهو السلطان

تبكيت الظالم لاخطاب الطفل فالاولى ان يقال فى هذا ان الاطفال وان كان
من جهة العقول لايجب فى وصولهم الى الاعواض المستحقة ان يكونوا كاملى العقول
كما يجب مثل ذلك فى الوصول الى الثواب فان الخبر متظاهر والامة متفقة على
انهم فى الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على اكمل الهيآت وافضل الاحوال
وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى الموؤدة لانها تكون
فى تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله وان كان الغرض فيه التبكيت للقاتل
واقامة الحجة عليه وقد روى عن امير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ويحيى
ابن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وابى الضحى ومروان وصالح وجابر بن زيد
انهم قرأوا سألت بفتح السين والهمزة واسكان التاء باى ذنب قتلتُ باسكان
اللام وضم التاء الثانية على ان الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول باى ذنب
قتلتُ وروى القطعى عن سليمان الاعمش عن حفص عن عاصم قتلت بضم التاء
الثانية وفى سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروى عن ابى جعفر المدنى
قُتّلت بالتشديد واسكان التاء الثانية وروى عن بعضهم واذا المودّة بفتح
الميم والواو فاما من قرأ بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من
ان الله تعالى اكملها فى تلك الحال واقدرها على النطق والوجه الآخر ان يكون معنى
سألت اى سُئل لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكأنها هى السائلة تجوزا
واتساعا ومن قرأ بفتح السين من سألت وبضم التاء الثانية من قتلتُ فعلى
انها هى المخاطبة بذلك ويجوز على هذا الوجه ايضا قتلت باسكان التاء الاخيرة
كقراءة الجماعة لانه اخبار عنها كما يقال سأل زيد باى ذنب ضُرب وباى ذنب
ضربتُ ويقوى هذه القراءة فى سألت ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله من
قوله يجئ المقتول ظلما يوم القيمة واوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح
ريح المسك متعلقا بقاتله يقول رب سل هذا فيم قتلنى فاما القراءة المأثورة
عن حفص عن عاصم فى ضم التاء الاخيرة من قتلت مع ضم السين من سئلت
فمعناها واذا الموؤدة سئلت ما شئى فقالت باى ذنب قتلت فاضمر قولها والعرب
قد تضمر مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى

فيم

اى اى شئ هى

واذ

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم اى ويقولان ذلك ونظائره فى القرآن كثيرة جدا فاما قراءة من قرأ
قتّلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل والموؤدة وان كان لفظها لفظ واحدة
فالمراد بها الجنس وارادة التكرار جائزة فاما من قرأ المودّة بفتح الميم والواو
فعلى ان يكون المراد الرحم والقرابة وانه يسأل قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها
قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم فاما
الموؤدة فهى المقتولة صغيرة وكانت العرب فى الجاهلية تئد البنات بان يدفنوهن
احياء وهو قوله تعالى ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب وقوله تعالى قد خسر
الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لامرين
احدهما انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات بالله فهو احق
بالبنات والامر الآخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم قال السيد المرتضى علم الهدى قدس
الله روحه وجدت ابا على الجبائى وغيره يقولون انما قيل لها موؤدة لانها ثقلت
بالتراب الذى طرح عليها حتى ماتت وفى هذا بعض النظر لانهم يقولون
من الموؤدة وأدْتُ أئِدُ وأداً والفاعل وائد والفاعلة وائدة ومن الثقل
يقولون آدنى الشئ يؤدنى اى اثقلنى أوْداً وروى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه سُئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفى وقد روى عن جماعة من الصحابة
كراهية ذلك وقال قوم فى الخبر الذى ذكرناه انه منسوخ بما روى عنه عليه
السلام انه قيل له ان اليهود يقولون فى العزل هى الموؤدة الصغرى فقال
كذبت يهود لو اراد الله تعالى ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز ان
يكون قوله عليه السلام ذاك الوأد الخفى على طريق تأكيد الترغيب فى طلب
النسل وكراهية العزل لا على انه محظور محرم وصعصعة بن ناجية بن عقال
جد الفرزدق بن غالب كان ممن فدى الموؤدات فى الجاهلية ونهى عن قتلهن
ويقال انه احيا الف موؤدة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا فى قوله
ومنا الذى منع الوائدا ، ت واحيا الوئيد فلم توئد ، وفى قوله

ومنا الذى احيا الوئيد وغالب ، وعمرو ومنا حاجب والاقارع

وفى ذلك يقول ايضا ، انا ابن عقال وابن ليلى وغالب

وفكاك اغلال الاسير المكفر ، ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفيان ابن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية بن عقال والمكفر الذى قد كفر وكبّل بالحديد

وكان لنا شيخان ذوا القبر منهما ، وشيخ اجار الناس من كل مقتر

ذو القبر غالب وكان يُستجار بقبره وهو الذى اجار الناس من المقتر واحيا الوئيد صعصعة على حين لا تحيى البنات وإذ هم ، عكوف على الاصنام حول المدوّر

انا ابن الذى ردّ المنية فضلهُ ، وما حَسَبٌ دافعت عنه بمعور

ابى احد الغيثين صعصعة الذى ، متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر

اجار بنات الوائدين ومن يجر ، على القبر يعلم انه غير مخفر

وفارق ليل من نساء انت به ، تغالج ريحا ليلها غير مسقر

فارق يعنى امرأة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهى الناقة يضربها المخاض فتفارق الابل وتمشى على وجهها حتى تضع ، فقالت اجرلى ما ولدت فاننى

اتيتك من هزلى الحمولة مقتر ، راى الارض منها راحة فرمى به

الى جدد منها وفى شر محفر ، فقال لها نامى انى بذمتى

لبنتك جار من ابيها القنوّر ، واخبرنا المرزبانى قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابى عن العباس بن بكار الضبى عن ابى بكر الهذلى قال الصولى وحدثنا القاسم بن اسمعيل عن ابى عثمان المازنى عن ابى عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله فى وفد من بنى تميم وكان صعصعة منع الوئيد فى الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدى فى بعض الروايات اربعمائة جارية وفى الرواية الاخرى ثلاثمائة فقال للنبى صلى الله عليه وآله بابى انت وامى اوصنى قال اوصيك بامك وابيك واختك واخيك وادانيك ادانيك فقال زدنى يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال صلى الله عليه وآله ما شئ بلغنى عنك فعلته فقال يا

مقتر

المدور صنم يدورون حوله

القنوّر البنى الخلق

رسول الله رايت الناس يموجون على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير انى علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت ان ربهم عز وجل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفى رواية اخرى ان صعصعة لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله فسمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبى ما ابالى ان لا اسمع من القرآن غير هذا ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوما عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق انا ابن محيى الموتى فقال له سليمان انت ابن محيى الموتى فقال ان جدى احيا الموؤدة وقد قال الله عز وجل ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد احيا جدى اثنين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان وقال انك مع شعرك لفقيه تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه نهى ان يصلى الرجل وهو زناء الجواب قلنا الزناء هو الحاقن الذى قد ضاق ذرعا ببوله يقال ازنا الرجل ببوله فهو يُزنيه إزناءً وزنا بوله يزنا زناً قال الاخطل ، فاذ ادفعتها الى زناء قعرها

غبراء مظلمة من الاحفار ، يعنى ضيق القبر ويقال لانات فلانا فان منزله زناء فيجوز ان يكون ضيقا ويجوز ان يكون عسر المرتقى وكلاهما يؤول الى المعنى الواحد ويقال موضع زناء اذا كان ضيقا صعبا من ذلك قول ابى زبيد يصف اسدا ، اين عرينة غنابها اشب ، ودون غابتها مستورد شرع

شاس الهبوط زناء الحاميين متى ، يشغ بواردة يحدث لها فزع

يعنى بزناء الحاميين انه ضيق جانبى الوادى وقوله متى يشغ بواردة اى يضيق بجماعة من يرده وانما يحدث لها فزع من الاسد والشاس الغليظ يقال مكان شاس اذا كان غليظا ومن ذلك قولهم زنا فلان فى الجبل اذا كابد الصعود وهو يزنا فى الجبل زنا وروى ابو زيد ان قيس بن عاصم المنقرى اخذ صبيا له يرقصه وام ذلك الصبى منفوسة وهى بنت زيد الفوارس ابن ضرار الضبى فجعل قيس يقول له ، اشبه ابا امك او اشبه عمل

ولا تكونن كهلوف وكل ، يريد على والوكل الجبان والهلوف الهرم

يروى

جمع حفر وهو المحفور

فابنها

المسن وهو ايضا الكبير اللحية وانما اراد به ههنا الجبان وارق الى الخيرات
زناً في الجبل فاخذته امه فجعلت ترقصه وتقول ، اشبه اخي او اشبهن اباكا
، اما ابي فلن تنال ذاكا ، تقصر عن مناله يداكا **مجلس آخر** تاويل
آية ان سال سائل عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة
وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا
مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة
عليهم نار موصدة فقال ما تاويل هذه الآيات وما معنى ما تضمنته **الجواب**
اما ابتداء الآية فتذكير بنعم الله تعالى عليهم وما ازاح به علتهم في تكاليفهم وما
تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويندفعون بها
المضار عنهم لان الحاجة ماسة في اكثر المنافع الدينية والدنياوية الى العين
للروية واللسان للنطق والى الشفتين لحبس الطعام والشراب ومسكهما في
الفم وللنطق ايضا واما النجد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض
والغور الهابط منها وانما سمي الموضع من ارض العرب نجدا لارتفاعه واختلف
اهل التاويل في المراد بالنجدين فذهب قوم الى ان المراد بهما طريقا الخير والشر
وهذا الوجه يروى عن امير المومنين عليه السلام وابن عباس وابن مسعود
وعن الحسن وجماعة من المفسرين وروي انه قيل لامير المومنين عليه السلام ان
ناسا يقولون في قوله تعالى وهديناه النجدين انهما الثديان فقال عليه السلام
لا بل هما الخير والشر وروي عن الحسن انه قال بلغني ان رسول الله صلى الله
عليه وآله قال ايها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر
احب اليكم من نجد الخير وروي عن قوم آخرين ان المراد بالنجدين ثديا الام ما الاستفهام
فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ومعلوم انه لا شرف ولا
رفعة في الشر قلنا يجوز ان يكون انما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف
اجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعا باديان ظاهران للمكلفين ويجوز ايضا
ان يكون سمى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والعدول

عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لان الثواب
الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير وقال قوم انما
اراد بالنجدين انا بصّرناه وعرّفناه ما له وعليه وهديناه الى طريق استحقاق
الثواب وثنى النجدين على عادة للعرب في تثنية الامرين اذا اتفقا في بعض
الوجوه واجرى لفظ احدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران قال
الفرزدق ، لنا قمراها والنجوم الطوالع ، ولذلك نظائر كثيرة فاما قوله تعالى
فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان احدهما ان يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم اي
فلم يقتحم العقبة واكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال تعالى فلا صدق
ولا صلى اي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة ، وان كانت النعماء فيهم جزوا بها
، وان انعموا لا كدروها ولا كدّوا ، وقلما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير
لفظ لا لانهم لا يقولون لا جئتني وزرتني ويريدون ما جئتني فان قالوا لا جئتني
ولا زرتني صلح الا ان في الآية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله
تعالى ثم كان من الذين امنوا فكانه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فمعنى التكرار
حاصل والوجه الآخر ان يكون لا جارية مجرى الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم
ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم العقبة اي فهلا اقتحم العقبة او افلا اقتحم العقبة
قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر ولو كان
اراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لان قوله فلا خال من
لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على
عمر بن ابي ربيعة قوله ، ثم قالوا تحبها قلت بهرا ،
، عدد القطر والحصى والتراب ، فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به
النفي لم يتصل فقد بينا انه متصل مع ان المراد به النفي لان قوله ثم كان من الذين
امنوا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة اي فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين
امنوا والمعنى انه ما اقتحم ولا آمن على ما بيناه فاما المراد بالعقبة فاختلف
فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال ان امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وانا

المثقلون اي المثقلين الذنوب
والمثقلون اصحاب
الاثقال
ه

اريد ان تحقق لك العقبة وروى عن ابن عباس انه قال هي عقبة كؤود
فى جهنم وروى ايضا انه قال العقبة هى النار نفسها فعلى هذا الوجه يكون
التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يودى الى اقتحام هذه العقبة
ويكون سببا لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك ليس
هو النار نفسها ولا موضعا منها وقال آخرون بل العقبة ما ورد مفسرا لها
من فك الرقبة والاطعام فى يوم المسغبة وانما سمى ذلك عقبة لصعوبته على
النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذى ذكرناه فى معنى
قوله فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعاء لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق
ولا يجوز ان يدعى على احد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام
المذكور من الطاعات فكيف يدعى على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه يطابق
ان تكون العقبة هى النار نفسها او تكون عقبة فيها وقد اختلف الناس فى قراءة
فك رقبة فقرأ امير المومنين عليه السلام ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجاء
العطاردى وابو عمرو والكسائى فك رقبة بفتح الكاف ونصبا لرقبة وقرأوا
او اطعم على الفعل دون الاسم وقرأ اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة
ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمى فك بضم الكاف وبخفض رقبة او اطعام
على المصدر وتنوين الميم وضمها فمن قرأ على الاسم ذهب الى ان جواب الاسم
بالاسم اكثر فى كلام العرب واحسن من جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى
ما ادراك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة او اطعام وذلك هو احسن من
ان يقال هو فك رقبة او اطعم ومال الفراء الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها
بقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لانه فعل فالاولى ان يتبع فعلا وليس يمتنع
ان يفسر اقتحام العقبة وان كان اسما بفعل يدل على الاسم وهذا مثل قول
القائل ما ادراك ما زيد ثم يقول مفسرا انه يصنع الخير ويفعل المعروف
وما اشبه ذلك فيأتى بالافعال والسغب الجوع وانما اراد انه يطعم فى يوم
مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه يتيما ذا قربى من
قرابة النسب والرحم وهذا حض على تقديم ذوى القرابة المحتاجين على

الاجانب فى الافضال والمسكين الفقير الشديد الفقر والمتربة مفعلة
من التراب اى هو لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجرى هذا الاشتقاق
مجرى قولهم فى الفقير مدقع وهو ماخوذ من الدقعاء وهى الارض التى لا
شئ فيها وقال قوم ذا متربة اى ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل
انه ماخوذ من الرحم وقد يمكن فى مقربة ان يكون ماخوذة من القرابة والقرب
بل هو من القرب الذى هو الخاصرة فكان المعنى انه يطعم من انطوت
خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر وهذا اعم من المعنى الاول واشبه
بقوله ذا متربة لان كل ذلك مبالغة فى وصفه بالضر وليس من المبالغة
فى الوصف بالضر ان يكون قريب النسب والله اعلم بمراده قال السيد المرتضى
علم الهدى قدس الله روحه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر

وكانه من وفد عند القرى ، لولا مقام المدح المتكلم
وكانه احدى الندى ببنانه ، لولا مقالته اطب لمودم

ويقارب ذلك فى المعنى قول محمد بن خارجة

سهل الفناء اذا حللت ببابه ، طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رايت صديقه وشقيقه ، لم تدر ايهما اخو الارحام

ومثله لابى الهندى

نزلت على آل المهلب شاتيا ، غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى اكرامهم وافتقادهم ، والطافهم حتى حسبتهم اهلى

وقال ابن القرعاء يمدح عقبة بن سنان الحارثى

المرء فى شكرت ابا سعيد ، بنعماه وقد كفر الموالى
ولم اكفر سحائبه اللواتى ، مطرن على واهية العزالى
فمن يك كافرا نعماه يوما ، فانى شاكر اخرى الليالى
فتى لم تطلع الشعرى من افق ، ولم تعرض يمينى او شمالى
على بد له ان عد مجد ، ومكرمة واتلاف لمال
واصبر فى الحوادث ان الم ، واسعى للمحامد والمعالى
فتى عم البرية بالعطايا ، فقد صار والدا فى العيال ، قال وممن

الندى والندى المجلس ويقال ندوت الى النادى للاصحاب

الندى ببنانه

اى داخلا فى الشتاء

اى الاقرباء

تعرض

لم اقض من صحبة زيد اربى ، فتى اذا اغضبته لم يغضب
موكل النفس بحفظ الغيب ، اقصى الرفيقين له كالاقرب

فانه لم يرد ان الضعيف السبب المودة كالقوى السبب وانما اراد انه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب وحفظه ما يرعاه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوى عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت معًا بخلاف ما عليه اكثر الناس من مراعاة الحاضر القريب واهمال حق البعيد

هذا آخر مجلس املاه السيد المرتضى
ذو المجدين قدس الله روحه ثم تشاغل
بامور الحج والحمد لله رب العالمين
والصلاة على نبيه محمد
وآله الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الشريف الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم على بن الحسين
الموسوى رضى الله عنه انه لا يزال المتكلمون يخالفون النحويين فى ان للفعل
ثلاثة احوال ماض وحاضر ومستقبل ويقول المتكلمون للفعل حالان بغير
ثالث لان كل معلوم من الافعال لا يخلو من ان يكون موجودا او معدوما
وبالوجود قد صار ماضيا والمعدوم هو المنتظر ولا حال ثالثة فلا المتكلمون
يحسنون العبارة عما حصلوه وارادوه حتى يزول الخلاف فى المعانى التى هى
المهم ولا اعتبار بالعبارات ولا النحويون يفطنون لافهام ما قصدوه بلفظ
غير مشتبه ولا محتمل فكم من معنى كاد يضيع بسوء العبارة عنه وقصور الاشارة
اليه واعلم ان المواضعات مختلفة والعرف يختلف باختلاف اهله بحسب عاداتهم
وقولنا فعل فى عرف المتكلمين ليس هو الذى يعرفه النحويون لان الفعل فى
عرف اهل الكلام هو الذات الحادثة بعد ان كانت معدومة بقادر وهذا الحد
يقتضى ان يكون كل موجود من الذوات غير الله تعالى وحده فعلا فزيد فعل
والسماء كذلك والحرف الذى فرق النحويون بينه وبين الاسم فعل ايضا والفعل
ايضا على هذا الحد فعل لان الحرف صوت يقطع على وجه مخصوص والاصوات
كلها افعال غير ان المحقق من عرف القوم ان النحويين ما فصلوا بين الاسم
والفعل والحرف من حيث نفى الاشتراك فى الحدوث والفعلية بل فصلوا بينها
مع اشتراكها فى معنى الفعلية التى يذهب اليها المتكلمون لما بينها من الفصل فى
احكام اخر يختص بها بعضها دون بعض فقالوا الاسم ما دل على معنى لا
يقترن بزمان والفعل ما اقتضى معنى مقترنا بزمان غير مخصوص والحرف
ما خلا من هاتين العلامتين فكانهم قصدوا الى ما هو فعل حادث على المتكلمين
فصنفوه ونوعوه وسموا بعضه اسما وبعضه فعلا وبعضه حرفا لاختلاف
الاحكام التى عقلوها فلا لوم فى ذلك عليهم ولا مناظرة فيه وبالمناظرة
الصحيحة تزول الشبهات وتنحسم التبعات والذى يجب تحصيله والتعويل عليه
ان الفعل الحادث فى اول احوال وجوده يسمى فعل الحال فانقضى وعدم

صار

صار ماضيا والفعل المستقبل هو المنتظر المتوقع الذى هو الآن معدوم
فان فرضنا ان الفعل الحادث الذى فرضنا انه متى تقضى وعدم صار
ماضيا بقى ولم ينقض اما على مذهب من يقطع على بقاء الاعراض او على
مذهب من يتوقف عن القطع فيها على بقاء او فناء فالواجب ان يكون
استمراره لا يخرجه من استحقاق الوصف بانه فعل الحال لان من هو عليه
لم يتغير الحال التى وجبت له عنه ولا خرج عنها الا ترى انا لو فرضنا انه
تقضى وعدم وخلفه مثل له لكان ذلك الخالف له يستحق الوصف بانه
للحال وكذلك ما قام مقامه واوجب مثل ما يوجبه لانه لا فرق فى التسمية
للجلوس بانه فعل حال بين ان يكون المنتج بالحدوث من اجزاء الجلوس
بقى واستمر وبين ان يكون تجدد امثاله والاول باق او معدوم بعد ان
تكون الحالة المخصوصة ما تغيرت ولا تبدلت ولا فرق ايضا بين ان
يكون ذلك الفعل يوجب حالا مخصوصة كالالوان او حكما مخصوصا
كالاعتمادات وما اشبهها فى ان الذى انت فيه ولم تخرج عنه هو المنعوت
بانه فعل الحال وما خرجت عنه فهو الماضى فان قيل كيف قولكم فيما مضى وتقضى
من الافعال ووصفتموه بانه ماض لتقضيه وعدمه ايجوز ان يكون مستقبلا
على وجه من الوجوه او لا يكون من الافعال مستقبلا الا ما لم يدخل فى الوجود
قط قلنا اما ما عدم وتقضى من الاعراض المقطوع على انها غير باقية فى
نفوسها كالادراكات والاصوات وما اشبه ذلك فلا شبهة فى ان الماضى
منه لا يصح ان يكون مستقبلا من فعل قديم او محدث واما ما يبقى من اجناس
الاعراض عند من قطع على بقائها او شك فى حالها بين جواز البقاء عليها
ونفيه فنحن لا نقدر على اعادته والقديم تعالى قادر على اعادته الى الوجود
فهذا الضرب من فعله تعالى لا يمتنع تسميته بانه مستقبل لانه متوقع منتظر
فاما الجواهر المعدومة فلا شبهة فى انها ماضية من حيث عدمت ومستقبلة من
حيث كان وجودها مستانفا متوقعا لان الله تعالى لا بد من ان يعيد المكلفين
للثواب او العقاب والمكلف انما هو مولف من الجواهر فان قيل هذا تقضى

ان يجتمع في الشئ الواحد ان يكون ماضيا مستقبلا و هذا كالمتناقض قلنا
لا تناقض في ذلك لان الجوهر الماضي يستحق الوصف بانه ماض اذا عدم
وكذلك الماضي من افعال الله تعالى اذا علم وان جاز من حيث صح وجود
ذلك مستانفا ان يوصف بانه مستقبل لان معنى المستقبل هو المعدوم الذي
يصح وجوده فلا تنافي بين الامرين ولو ثبت بينهما عرف في انهما لا يجتمعان
وذلك ليس بثابت لجاز ان يجعل حد المستقبل هو المعدوم الذي يصح
وجوده مستقبلا من غير ان يكون الوجود حصل له في حالة من الاحوال
فلا يلزم على ذلك ان يجتمع الوصفان في فعل واحد وقد كنا قديما املينا
مسئلة في تحقيق الفرق بين الفعل الحال والماضي والمستقبل وهذا التلخيص
الذي ذكرناه ههنا اشرح واسبغ منها وتكلمنا هناك على ما كان ابو علي الفارسي
اعتمد وعول عليه من قوله تعالى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وقول الشاعر، واعلم ما في اليوم والامس قبله ، ولكنني عن علم ما في غد عمي
ومن طريقة اخرى في اعتبار تاثير الظروف في الاحوال المختلفة واستيفا، واستوفينا
الكلام على هذه الشبهة فلا طائل في اعادة ذلك ههنا والجمع بين المسئلتين
يغني عنه وما التوفيق الا بالله تعالى مسئلة قال رضي الله عنه لا معنى لقوله
تعالى وما تتلو منه من قران على ما قاله النحويون انه للتاكيد لما بينا ان التاكيد
اذا لم يفد غير ما يفيده المؤكد لم يصح وقد علمنا بقوله تعالى من قرآن انه
من جملة القرآن فاي معنى لقوله منه وتكراره قال رضي الله عنه والصحيح
ان معنى منه اي من اجل الشان والقصة من قرآن فيحمل على الشان والقصة
ليفيد معنى آخر وقال ايضا في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا قال لا يجوز ان يحمل قوله فبذلك فليفرحوا على ما تقدم من فضل
الله ورحمته ولا معنى له على ما يقوله النحويون انه للتاكيد كما لا معنى لقول
قائل زيد وعمرو فهما يريد بهما زيدا وعمرا فالصحيح ان نقول في هذا ان
معناه قل بفضل الله ومعونة الله ورحمته لان معونة الله وفضل الله ورحمته
تؤثر في القول فيقول بفضل الله ومعونته يفرح فيرد قوله بفضل الله

الى القول اي قل بفضله ومعونته هذا القول فان بهذا القول ومعونته
ورحمته يفرحون فيكون قوله فبذلك راجعا الى الفرح بالفضل والرحمة
حتى يكون قد افاد كل واحد من اللفظين فائدة مسئلة رسمت الحضرة
العالية الوزيرية ادام الله سلطانها واعلا ابدا شانها ومكانها ان اذكر
ما عندي في ادخال لفظة كان في كونه تعالى عالما في مواضع كثيرة من القرآن
وقالت حرسها الله عزها لفظة كان اذا كانت للماضي فكيف دخلت على ما
هو ثابت في الحال ومستمر دائم وما الوجه في حسن ذلك والجواب المزيل
للشبهة ان الكلام قد تدخله الحقيقة والمجاز ويحذف بعضه وان كان مرادا
ويختصر حتى يختصر ولو بسط لكان طويلا وفي هذه الوجوه التي ذكرناها
تظهر فصاحته وتقوى بلاغته وكل كلام خلا من مجاز وحذف واختصار
واقتصار بعد عن الفصاحة وخرج من قانون البلاغة والادلة لا يجوز
فيها مجاز ولا تخالف الحقيقة وهي القاضية على الكلام والتي بناؤه عليها
والفروع ابدا تبنى على الاصول فاذا ورد عن الله تعالى كلام ظاهره يخالف
ما دلت عليه ادلة العقول وجب صرفه عن ظاهره ان كان له ظاهر وحمله
على ما يوافق الادلة العقلية ويطابقها ولهذا رجعنا في ظواهر كثيرة من كتاب
الله تعالى اقتضى ظاهرها الاجبار والتشبيه او ما لا يجوز عليه تعالى ولو سلمنا
تبرعا وتطوعا ان دخول كان على العلم والقدرة يقتضي ظاهرها الماضي
دون المستقبل لحملنا ذلك على ان المراد به الاحوال كلها لان الادلة العقلية
تقضي على ما يطلق من الكلام ولا يقضي الكلام على الادلة غير انا نبين ان
دخول كان على العلم والقدرة لا يقتضي ظاهرها الاختصاص بالماضي
دون المستقبل فان لاهل العربية في ذلك مذهبا معروفا مشهورا لان احدهم
يقول كنت العالم وما كنت الا عالما وعليما خبيرا وما كنت الا الشجاع والا
الجواد ويريدون بذلك كله الاخبار عن الاحوال كلها ماضيها وحاضرها
ومستقبلها ولا يفهم من كلامهم سوى ذلك واذا كانت هذه عبارة عما ذكرناه
فصيحة بليغة والقرآن نزل بافصح اللغات وابلغها وابرعها وجب حمل لفظة

كان اذا دخلت فى كونه عالما وقادرا على ما ذكرناه وما يستشهد به على
ذلك قول زياد الاعجم يرثى المغيرة بن المهلب بن ابى صفرة

مات المغيرة بعد طول تعرض ، للقتل بين اسنة وصفائح
الا ليالى فوقه برافة ، يغشى الاسنة فوق نهد قارح
فاذا مررت بقبره فاعقر به ، كوم المطى وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ، فلقد يكون اخادم وذبائح

فقال فى ميت قد مضى سبيله فلقد يكون وانما اراد فلقد كان فعبر بيكون
عن كان كذلك جاز ان يراد بلفظة كان الاحوال المستقبلة ووجه آخر
وهو انه تعالى لما اراد ان يخبر عن كونه عالما فى الاحوال كلها لم يجز ان يقول
هو عالم فى الحال او فى المستقبل لان ذلك لا ينبئ عن كونه عالما فيما مضى
فعدل عن ذلك الى ادخال لفظة كان الدالة على الازمان الماضية كلها
ومن كان عالما فيما لم يزل من الاحوال فلا بد من كونه عالما لنفسه وذاته لان
الصفات الواجبة فيما لم يزل لا تكون الا نفسية والصفات النفسية يجب ثبوتها
فى الاحوال كلها الماضية والحاضرة والمستقبلة فصار دخول كان فى العلم
او القدرة مطابقا للغرض وموجبا لثبوت هذه الصفة فى جميع هذه الاحوال
وليس كذلك لو علق العلم بالحال او المستقبل وهذا وجه جليل الموقع ووجه
آخر وهو انا اذا سلمنا ان لفظة كان تختص الماضى ولا تتعداه لم يكن فى
ادخالها فى العلم الا انه تعالى عالم فيما مضى من الاحوال وهو كذلك لا محالة
اللهم الا ان يدعى ان تعليقها بالماضى يقتضى نفى كونه تعالى عالما فى المستقبل
وليس الامر على ذلك لان هذا قول بدليل الخطاب وهو غير صحيح على ما
بينا فى مواضع من كتبنا لان تعليق الحكم بصفة او اسم لا يدل على انتفاء
تلك الصفة او الاسم وبينا ان قوله عليه السلام فى سائمة الابل الزكاة لا
يدل على ان العاملة والمعلوفة لا زكاة فيهما وقد يقول القائل كان زيد
عندى بالامس وان كان عندى فى الحال وضربت من غلمانى فلانا وان كان
قد ضرب سواه فكانه تعالى اذا سلمنا هذا الاصل الذى قد بينا انه غير صحيح

اراد

اراد ان يثبت بهذا القول كونه تعالى عالما فيما لم يزل وكلنا فى انه عز وجل عالم
فى جميع الاحوال الى الادلة العقلية الدالة على ذلك والى اخباره تعالى عن
كونه عالما فى سائر الاوقات بقوله جل وهو بكل شىء عليم وما شاكل ذلك
من الالفاظ الدالة على الحال والاستقبال **تاويل آية** قال رحمه الله سئلت
عن املاء تفسير قوله تعالى الم تر ان الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله
ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد
فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب
الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار **فاجبت** الى ذلك
اما قوله تعالى الم تر فالمراد الم تعلم وان كان هذا اللفظ مشتركا بين الادراك
والعلم وانما اختص هنا بالعلم دون الادراك لان اضافة اجزاء السحاب
وتاليفه وجميع ما ذكر فى الآية الى الله تعالى مما لا يستفاد بالادراك وانما يعلم
بالادلة فاما قوله تعالى يزجى سحابا فمعناه يسوق ولا بد ان يلحظ فى هذا الموضع
السوق الضعيف الرفيق يقال منه ازجى يزجى ازجاء وزجى يزجى تزجية
اذا ساق ومنه ازجاء الكسير من الابل اذا اسقته سوقا رفيقا حتى يسير ومنه
قوله تعالى ببضاعة مزجاة اى مسوقة شيئا بعد شىء على ضعف وقلة قال عدى بن
الرقاع ، تزجى اغن كان ابرة روقه ، قلم اصاب من الدواة مدادها ،
وقال الاعشى ، الواهب المائة الهجان وعبدها ،
عوذا تزجى خلفها اطفالها ، اراد بالعوذ الحديثة النتاج ومعنى
تزجى اى تسوق اطفالها وراءها سوقا رفيقا لانها تحن فتتبع اطفالها قال
مالك بن الريب المازنى ، الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة ،
بوادى الغضا ازجى القلاص النواجيا ، والسحاب جمع سحابة ولهذا قال
يؤلف بينه اى بين كل سحابة واخرى ولو كان ههنا ايضا اسما للجنس لجاز
لان الجنس يوصل بعضه ببعض ويؤلف بعضه ببعض وانما لا يصح ذلك
فى العين الواحدة فاما الركام فهو الذى جعل بعضه فوق بعض ومنه قوله تعالى
سحاب مركوم وقوله تعالى فيركمه جميعا فاما الودق فهو المطر يقال ودق يدق

ودقا وكل ما قطر منه ماء او رشح فهو وادق ويقال استودقت الفرس
والاتان اذا احبت الى الفحل واستدعت ماءه ويقال ايضا اودقت واتان
وديق وودوق اذا ارادت انزال الفحل الماء فيها وخلال الشيء خروقه وفروجه
وقد قرئ من خلله بغير الف فاما قوله تعالى ينزل من السماء من جبال فيها من
برد فانني وجدت جميع المفسرين على اختلاف عباراتهم يذهبون الى انه اراد
ان في السماء جبالا من برد وفيهم من قال ما قدره قدر جبال قال يراد به
مقدار جبال من كثرته وابو مسلم بن بحر الاصبهاني خاصة انفرد في هذا الموضع
بتاويل طريف وهو ان قال الجبال ما جبل الله من برد وكل جسم شديد
مستحجر فهو من الجبال الم تر الى قوله تعالى في خلق الامم واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين والناس يقولون فلان مجبول على كذا ووجدت ابا بكر
محمد بن الحسن بن مقسم النحوي يقول في كتابه المعروف بالانوار واما من
الاولى والثانية فمعنى حد التنزيل ونسبته الى الموضع الذي نزل منه كما
يقال جئتك بكذا ومن بلد كذا واما الثالثة فمعنى التفسير والتمييز لان الجبال
تكون انواعا في ملك الله تعالى فجاءت من لتمييز البرد من غيره وتفسير معنى
الجبال التي انزل منها وقد يصلح في مثل هذا الموضع من الكلام ان يقال فيها
برد بغير من يترجم بَرَدٍ من جبال لانها مخلوقة من برد كما يقال الحيوان من
لحم ودم والحيوان لحمٌ ودمٌ بمن وبغير من ووجدت علي بن عيسى الرماني
يقول في تفسيره ان معنى من الاولى لابتداء الغاية لان السماء ابتداء الانزال
والثانية للتبعيض لان البرد بعض الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين
الجنس لان جنس الجبال جنس البرد وهذه التفاسير على اختلافها غير شافية
ولا كافية وانا ابين ما فيها من خلل ثم اذكر ما عندي انه الصحيح اما من جعل
في السماء جبال برد او ما مقداره مقدار الجبال على اختلاف عباراتهم فيدخل
عليه ان يبقى قوله تعالى وينزل بغير مفعول وما يتعلق به لان تقدير الكلام على
هذه التفاسير وينزل من جبال برد في السماء فما الشيء الذي انزل فما نراه
مذكورا في الاية والكلام كله خال منه على هذا التاويل فاما ابو مسلم فيلزمه

هذا الكلام بعينه ويلزمه زائدا عليه انه جعل الجبال اسما للبرد نفسه من حيث
كان مجبولا مستحجرا وهذا غلط لان الجبال وان كانت في الاصل مشتقة من
الجبل والجمع فقد صارت اسما لذي هيئة مخصوصة ولهذا لا يسمي احد من
اهل اللغة كل جسم ضم بعضه الى بعض مع استحجار او غير استحجار بانه جبل
ولا يخصون بهذا اللفظ الا اجساما مخصوصة وليس يمتنع في اللغة هذا لان
اسم الدابة وان كان مشتقا في الاصل من الدبيب فقد صار اسما لبعض ما دب
ولا يعم كل ما وقع منه الدبيب وليس يعترض على هذه التاويلات التي
ذكرناها ما يظنه بعض الناس من انه لا يجوز ان يكون في السماء جبال برد
واما قدره قدر الجبال من البرد لان ذلك غير ممتنع ولا مستحيل فان قالوا
كيف لا تهوي تلك الجبال من البرد قلنا يمسكها الله تعالى ويسكنها كما يمسك الارض
والفلك وانما ينكر هذا اصحاب الطبائع الذين لا يقرون بالخالق جلت عظمته
فيذكرون في سبب وقوف الارض المركز وهو لا يعقل ولو اثبتوا الصانع جلت
عظمته نسبوا سكون الارض اليه واستغنوا عن تكلف ما لا يعقل ولا يفهم
والاولى في تفسير هذا الموضع ان تكون من الاولى والثانية لابتداء الغاية
والثالثة زائدة لا حكم لها ويكون تقدير الكلام وينزل من جبال في السماء بردا
فزاد من كما يزاد في قولهم ما في الدار من احد وكم اعطيتك من درهم وما لك
عندي من حق وما اشبه ذلك وعلامة زيادتها في هذه المواضع انك اذا
اخرجتها والغيتها كان الكلام مستقلا لا يتغير معناه وجرى قوله تعالى وينزل من
السماء من جبال فيها من برد مجرى قول القائل كم حملت لك من الكوفة من
سوقها من ثوب والمعنى كم حملت لك من سوق الكوفة ثوبا والاولى ان يريد
بلفظة السماء هنا ما علا من الغيم وارتفع فصار سماء لنا لان سماء البيت
وسماوته ما ارتفع منه ولان السحاب لا يكون في السماء التي هي الفلك للكواكب
وانما هو تحته واراد بالجبال التشبيه لان السحاب المتراكب المتراكم تشبهه
العرب بالجبال والجمال وهذا شائع في كلامها كانه تعالى قال وينزل من السحاب
الذي يشبه الجبال في تراكمه بردا فقد ظهر على هذا التاويل مفعول صحيح لينزل

ولا مفعول لهذا الفعل على التأويلات المتقدمة فان قيل اذا جاز ان تجعلوا
من الاخيرة زائدة حتى يكون المنزل هو البرد فهلا جعلتم من الثانية هي
الزائدة ويكون تقدير الكلام وينزل من السماء جبالا من برد قلنا ليس يشبه
البرد في نزوله الجبال على وجه ولا سبب والسحاب المتراكم يشبه الجبال
وقد جرت عادة العرب بتشبيهه بها فيجب ان تكون الثانية غير زائدة لما ذكرناه
وتكون الاخيرة زائدة والآية تبقى بلا مفعول ولانه تعالى قال فيصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء وهذه كناية عن البرد لا الجبال لانه لو كنى عنها لقال فيصيب
بها ولان الجبال على التأويلات التي حكيناها كلها متنزل منها لا منزلة فان قيل
الا كان المفعول محذوفا مقدرا وكانه قال وينزل من جبال برد في السماء
بردا او الكلام يقتضيه قلنا انما نقدر مفعولا محذوفا في الموضع الذي لا
نجد فيه مفعولا ظاهرا وقد بينا ان في الآية مفعولا ظاهرا فيجب صرف الكلام
اليه على انه لا بد من مفعول اما ظاهرا وهو الذي اشرنا اليه او محذوفا على
ما تضمنه السؤال لا سيما وفي الكلام كناية عنه في قوله فيصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء وما رأينا احدا من المفسرين لهذه الآية على اختلافهم وذكر
اكثرهم كل ما تقتضيه وجوه الاعراب في آيات القرآن تعرض لذكر المفعول
ولا قال انه ظاهر ولا مقدر محذوف يدل الكلام عليه وهذا على كل حال
تقصير ظاهر فاما قوله تعالى يصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء فالمراد به
فيصيب بضرره من يشاء ويصرف ضرره عمن يشاء فان العادة جارية بان البرد
يصيب ارضا ويتعداها الى ما يجاورها ولا يصيبها فاما قوله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار فسنا البرق ضوءه وهو مقصور وسناء المجد والشرف
ممدود والهاء في برقه راجعة الى البرد او السحاب فقد جرى ذكر كل واحد
منهما ويجوز اضافة البرق اليهما فاما قوله يذهب بالابصار وقد قرئ يُذهب
بضم الياء فالمراد به ان البرق من شدة ضوئه يكاد يذهب بالعيون لان النظر
الى ما له شعاع شديد يضر بالعين كعين الشمس وما اشبهها والقراءة بفتح الياء
اجود مع دخول الباء تقول العرب ذهبت بالشيء فاذا ادخلوا الالف اسقطوا

الباء

الباء فقالوا اذهبت الشيء بغير باء واما قوله يقلب الله الليل والنهار فانما
المراد انه يأتي بكل واحد منهما بدلا من صاحبه ومعاقبا له لما في ذلك من
المصلحة والمنفعة فاما قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فانما
اراد بالعبرة العظة والاعتبار وروي عن الحسن انه قال انما اراد ذوي
ابصار القلوب لا العيون لان العين لا تضاف اليها العبرة والعظة وقال
الكلبي لاولي الابصار في الدين ورد قوم على الكلبي بان قالوا لو اراد ذلك
لقال لاولي البصائر لان الدين يقال فيه بصيرة لا بصر والاولى ان يكون المراد
بالابصار ههنا العيون لان بالعيون ترى هذه العجائب التي عددها الله تعالى
ثم يكون الاعتبار والعظة في القلب بها ويكون من لا موعظة له ولا اعتبار
كانه لا بصر له من حيث لم ينتفع ببصره فجعل اولي الابصار هم اولي الاعتبار
من حيث انتفع اولو الاعتبار بابصارهم وان لم ينتفع بها من لا اعتبار عنده
وهذا كثير في القرآن فانه تعالى جعل الكفار في مواضع كثيرة صما وبكما وعميا
لمن حيث اشبهوا باعراضهم عن الفكر والتأمل والاعتبار من لا جوارح له
وهذا بين لمن تأمله مسألة اعلم ان من عادة العرب الايجاز والاختصار
والحذف طلبا لتقصير الكلام واطراح فضوله والاستغناء بقليله عن كثيره
ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة وفي القرآن من هذه الحذوف والاستغناء
بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن في اعلى منازله ولو
اثرنا ما في القرآن من الحذوف الغريبة والاختصارات العجيبة كنا بالكتاب
واجيا فمن ظاهر ذلك قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به
الارض او كلم به الموتى ولم يأت للجواب في صريح الكتاب وانما اراد لو
ان قرآنا سيرت به الجبال لكان هذا ومثل هذا الحذف ما روي عن النبي صلى
الله عليه واله من قوله لو كتب هذا القرآن في اهاب وطرح في النار ما احرقته
النار والمراد وكانت النار مما لا يحرق جسما لجلالة قدره ما احرقته فحذف
ذلك اختصارا لدلالة الكلام عليه ومثل هذا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه

كان ظلوما جهولا وتقديره ان السموات والارض والجبال لو كن مما يابى
ويشفق وعرضنا عليهن الامانة لابين واشفقن وجعل المعلوم بمنزلة الواقع
فقال عرضنا من حيث علم ان ذلك المشروط لو وقع شرطه لحصل هو وهذا
التاويل الذي استخرجناه اولى مما ذكره المفسرون من انه تعالى اراد عرضنا
الامانة على اهل السموات والارض لان اهل السموات والارض هم الناس
والملايكة فاي معنى لقوله وحملها الانسان وهو يريد الجنس ومثله قول الشاعر
، امتلأ الحوض وقال قطني ، والمعنى حتى لو كان ممن يقول لقال ذلك وهذا
اولى في نفسي من تفسيرهم هذا البيت بانه ظهر منه امارات القول والنطق
وهذا الذي اشرنا اليه هو معنى كل ما جرى مجرى هذا البيت من قول الشاعر

، واجهشت للتوباد حين رايته ، وكبر للرحمن حين رآني ،
، فقلت له اين الذين عهدتهم ، بجنبك في خفض وطيب زمان ،
، فقال مضوا واستودعوني بلادهم ، ومن ذا الذي يبقى على الحدثان ،

ومن المحذوف ايضا قوله تعالى حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ولم يات لاذا جواب في طول الكلام
وانما حسن حذف الجواب الذي هو فدخلوها لورود ما يقوم مقامه ويدل
عليه من قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وذلك لا يكون الا بعد
الدخول ومثل ذلك قول امرء القيس ، فلو انها نفس تموت سوية ،
، ولكنها نفس تساقط انفسا ، فحذف جواب لو والجواب هو لكان ذلك
اروح لها واخف عليها ومثله قول الهذلي ، حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ،
، شلا كما تطرد الجمالة الشردا ، ومثل هذا كله في الحذف انما تعني كذا
لو اعطيته وظاهر هذا الكلام كانه مشروط وكانه قال انني اتمناه اذا اعطيته
والامر بالضد من ذلك والمعنى لو اعطيته لبلغت مناي ولنفعني وما اشبه
ذلك المعنى والشعر القديم والمحدث مملو من ذلك قال البحتري ،
، ولو شئت يوم الجزع بل غليله ، محب بوصل منك لو ينفع الوصل ،
وانما اراد لو ينفع الوصل لنفعني وبلغني منيتي وما اشبه ذلك ومثله قوله

نه
مهلا رويدا قد ملأت بطني

التوباد اسم آلة

ونعجب

، وتعجبت من لو عتبي فتبسمت ، عن واضحات لو لثمن عذاب ، وانت
اذا تاملت ضروب المجازات التي يتصرف فيها اهل اللسان في منظومهم ومنثورهم
وجدتها كلها مبنية على الحذف والاختصار ولان قوله تعالى وجاء ربك واسال
القرية مما الحذف فيه ظاهر وانما كان الكلام ابلغ وافصح لان كلامه فلا
يحذف بعضه ومعانيه بحالها وكذلك قولهم في المدح فلان البدر والبحر
والليث وفي الذم هو الحمار والحائط انما هو مبني على الحذف لان المراد
هو مشبه ومماثل لما ذكر فاسقط من الكلام ما يقتضي التشبيه لدلالة القول
عليه فان قيل فاذا كانت الفصاحة هي الاختصار فكيف قال تعالى ليس كمثله
شيء فزاد الكاف ولا معنى لها الا الفصاحة فقد صارت الفصاحة بالزيادة
كما كانت بالنقصان قلنا دخول الكاف ههنا ليست على سبيل الزيادة التي لو
طرحت لما تغير المعنى بل تفيد بدخولها ما لا يستفاد مع خروجها لانه اذا
قال ليس مثله شيء جاز ان يراد من بعض الوجوه وعلى بعض الاحوال فاذا
دخلت الكاف فهم نفي المثل على كل وجه الا ترى انه لا يحسن ان يقال ليس
كمثله احد في كذا بل على الاطلاق والعموم وبمثل هذا الجواب يجيب من سال
عن قولهم ما ان في الدار زيد لانه لو قال ما في الدار زيد لجاز ان يكون
نفيه لكونه فيها على وجه دون وجه فاذا قال ما ان يفهم نفي كونه على كل حال
وهذا يدل على انها مفيدة غير زائدة ومن قال انها دخلت للتوكيد يجب
ان يكون مراده ما قصدناه وشرحناه لان التوكيد متى لم يكن بحته فائدة كان
دخوله عبثا وهذا الكلام الذي بسطناه في تامله فوايد كثيرة وكان السبب فيه
ان بعض من قرئ عليه كلام حكاية في وصف كتابين وجدت فيهما من
التغلغل والتوصل الى مكامن الارتجاف ومغابن الاسعاف لا تطرف فجاجها
ولا يفتح رتاجها ولا يبر شعابها ولا يلم بابوابها واطال الكلام ولم بما يرجع الى
قوله من التغلغل تبلد وهذا من الحذف الذي حسنه طول الكلام ودلالة ما
فيه على المحذوف لان التقدير ووجدت فيه من التغلغل الكثير فاستغنى عن
ذكره بالمفهوم من الكلام كما استغنى بالحذوف التي ذكرناها في القرآن والشعر

بما فى معنى الكلام وعدّ ذلك فصاحة وبلاغة وكم بين ان يفهم المعنى ويلحظ
من غير لفظ صريح وبين ان يأتى فيه لفظ مصرح فى البلاغة والفصاحة وقد
كنت امليت قبل هذا مسئلة اوضحت فيها ان التاكيد لا بد فيه من فائدة وخطأت
من ذهب الى خلاف ذلك وبينت ان كل موضع أُدعى فيه انه للتاكيد من غير
فائدة مجددة فيه فائدة مفهومة وان قوله تعالى فانه يتوب الى الله متابا ورد
هذا المصدر للتاكيد على ما يقوله قوم بل لفائدة مجددة لانه تعالى اراد متابا
جميلا مقبولا واقعا فى موقعه فحذف ذلك اختصارا كما يقول العربى الفصيح
فى الشعر المستحسن هذا هو الشعر والفرس الممدوح هذا هو الفرس وانما حذف
الصفة اختصارا والمراد هذا هو الشعر المستحسن والفرس الكريم ومثله قوله
تعالى وكلم الله موسى تكليما انه اراد الفضل والمدح وقال قوم بل سمع كلامه من
غير واسطة ولا متحمل له فاما قول القائل ضربته ضربا وما اشبه ذلك من ذكر
المصادر مع الافعال وفى ذكر الافعال من غير ذكر المصادر لد لا لتها عليها فله
وجهان احدهما ان يكون نفى صفة الضرب اختصارا واراد ضربا شديدا
مبرحا فحذف او يكون اراد انه باشر الضرب وتولاه لا انه امر به فقد يقال
ضربه اذا امر بضربه ولا يكادون يقولون ضربه ضربا اذا امر بضربه ولم يباشره
فاما قول العرب لامر ما جدع قصير انفه وقولهم لامر ما يسوّد من يسود
وادعاء من ادعى ان ما ههنا زائدة لا معنى تحتها وانما دخلت للتاكيد فالاولى
غير ما ذكره ومعنى قولهم لامر ما كان كذا انه لامر لست به عارفا لانهم لا يكادون
يقولون لامر ما كان كذا وكذا وانا به عارف وان جاز ان يقولوا لامر كان كذا
وانا به عارف وانما قالت الزباء لامر ما جدع قصير انفه لانها كانت جاهلة
بسبب قطع انفه وغير عالمة به وهذا يبطل قول من جعلها زائدة بغير فائدة
فاما قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وتقدير قوم ان ما ههنا زائدة فليس
الامر على ما ظنوه لان من شأنهم ان لا يدخلوا ما ههنا الا اذا ارادوا تخصيصا
وزيادة فائدة على قولهم فبرحمة من الله لنت لهم لان مع اسقاط ما يجوز
ان تكون الرحمة سببا للين وغيرها ولا يكادون يدخلونها مع ما الا والمراد

العرب

انها سببه دون غيرها فقد افادت اختصاصا لم يستفد قبل دخولها فاما قولهم
ما ان فى الدار زيد فيشبه ان يكون دخولها لفائدة تزيد على قولهم ما فى الدار
زيد لانهم اذا قالوا ما فى الدار زيد جاز ان يريد وانه لا تصرف له فى الدار
ولا تأثير لكونه فيها فكانه ليس حالا فيها لانهم ابدا يقولون ما فى هذه البلد
امير ولا لهذا الناس مدبر يريدون على السياسة والتدبير فاذا قالوا ما
ان فى الدار زيد او ما ان للبلد اميرا فلا بد ان يريدوا انه ليس فيها على الحقيقة
من ذكروه وهذا هو معنى قول اهل العربية ان ذلك للتاكيد ومعنى التاكيد
هو الذى اشرنا اليه لان التاكيد لا يجوز ان يكون لغير فائدة وان يكون
دخوله كخروجه فليقس على ما ذكرناه مسئلة وليطلب لكل شئ ادعى فيه
انه لمحض التاكيد فائدة قلت او كثرت فانها توجد وليس جهل الطالب لها بها
يقتضى فقدها فان الادلة الواضحة قد دلت على ان العرب مع حكمتهم لا يتكلمون
بما لا يفيد وان الكلام الذى ما وضع فى الاصل لا لفائدة قليله فى وجوب
الفائدة ككثيره فربما ظهرت هذه الفائدة لكل متدبر وربما خفيت واصول
اهل العربية مملوة من هذا فانهم يتمحلون ويطلبون العوامل التى لا تظهر
فى تمام الكلام ويقدرون فيها التقديرات البعيدة حراسة للاصول ونصرة
لما دل عليه الدليل ومن تصفح تمحلهم للعامل فى الحال اذا عرى الكلام كله
من تصريح به وتغلغلهم الى ضعيف وقوى وبعيد وقريب علم ان الذى
سلكناه فى تخريج فوائد الحروف الزائدة الداخلة على الكلام وظن قوم انها
للتاكيد من غير فائدة زائدة طريق صحيح لا اعتراض عليه مسئلة جرى
بالحضرة السامية الوزيرية العادلية المنصورة ادام الله سلطانها واعلا
ابدا شأنها ومكانها فى بعض الكلام ما روى عن النبى عليه السلام من قوله
نية المومن خير من عمله فقلت على هذا الخبر سوآل قوى وهو ان يقال اذا
كان الفعل انما يوصف بانه خير من غيره اذا كان ثوابه اكثر من ثوابه فكيف
يجوز ان تكون النية خيرا من العمل ومعلوم ان النية اخفض ثوابا من
العمل وانه لا يجوز ان يلحق ثواب النية بثواب العمل ولهذا قال ابو هاشم

ان العزم لابد ان يكون دون المعزوم عليه فى ثواب وعقاب ورد على ابى
على قوله ان العزم على الكفر لابد ان يكون كفرا والعزم على الكبير يجب ان
يكون كبيرا بان قال له لا يجب ان يساوى العزم والمعزوم عليه فى ثواب ولا
عقاب فان كان ههنا دليل سمعى يدل على ان العزم على الكفر كفر والعزم على
الكبير كبير صرنا اليه الا انه لابد مع ذلك من ان يكون عقاب العزم دون
عقاب المعزوم عليه وان اجتمعا فى الكفر والكبير ووقع بالحضرة السامية
العادلة المنصورة ادام الله سلطانها من التفرد لذلك والخوض فيه كل
دقيق غريب مستفاد وهذه عادتها حرس الله نعمتها فى كل فن من فنون العلم دقيق
والادب لانها تنتهى من التحقيق والتدقيق الى غاية من لا يحسن الا ذلك
الفن ولا يعرف الا ذلك النوع وقال بعض من حضر قد قيل فى تاويل هذا
الخبر وجهان حسنان فقلت له اذكرهما فربما كان الذى عندى فيهما استخرجته
احدهما فقال يجوز ان يكون المعنى ان نية المومن خير من عمله العارى من نية
فقلت لفظة افعل لا يدخل الا بين شيئين قد اشتركا فى الصفة وزاد احدهما
فيها على الاخر ولهذا لا يقول احد ان العسل احلى من الخل ولا ان النبى عليه السلام
افضل من ابليس والعمل اذا عرى من نية لا خير فيه ولا ثواب عليه فكيف تفضل
النية الجميلة عليه وفيها خير وثواب على كل حال قال والوجه الاخر ان يكون
نية المومن فى الجميل خير من عمله الذى هو معصية فقلت وهذا يبطل ايضا
بما بطل به الوجه الاول لان المعصية لا خير فيها فيفضل غيرها عليها وقالت
الحضرة السامية العادلة المنصورة ادام الله دولتها تحقيقا لذلك وتصديقا
هذا هجر لنية المومن والكلام موضوع على مدحها واطرائها واى فضل فى ان
تكون خيرا من المعاصى وانما الفضل ان تكون خيرا مما فيه خير فسئلت حينئذ
ذكر الوجه الذى عندى فقلت لا تحمل لفظة خير فى الخبر على معنى افعل الذى
هو للتفضيل والترجيح وقد سقطت الشبهة ويكون معنى الكلام ان نية المومن
جملة الخير من اعماله حتى لا يقدر مقدر ان النية لا يدخلها الخير والشر كما
يدخل ذلك فى الاعمال فاستحسن هذا الوجه الذى لا يحوج الى التعسف

والتكلف

والتكلف اللذين يحتاج اليهما اذا جعلنا لفظة خير معناها معنى افعل
وانقطع الكلام لدخول الوقت السعيد المختار لدخول البلد ونهوض
الحضرة السامية ادام الله سلطانها الى الركوب وكان فى نفسى ان اذكر شواهد
لهذا الوجه ولواحق يقتضيها الكلام وخطر بعد ذلك ببالى وجه اخر
سليم من الطعن اذا حملنا لفظة خير فى الخبر على الترجيح والتفضيل
وانا اذكر ذلك اما شاهد ما استخرجته من التاويل من حمل لفظة خير على
غير معنى التفضيل والترجيح فكثير وقد ذكرت فى كتابى المعروف بالغرر
عند كلامى فى قوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا
من الكلام على هذا الوجه ما استوفيته وذكرت قول المتنبى
ابعد بعدت بياضا لا بياض له لانت اسود فى عينى من الظلم
وان الالوان لا يتعجب منها بلفظ افعل الموضوع للمبالغة وكذلك الخلق
كلها وانما يقال ما اشد سواده وان معنى البيت ما ذكره ابو الفتح عثمان بن
جنى من انه اراد انك اسود من جملة الظلم كما يقال حر من احرار ولئيم
من لئام فيكون الكلام قد تم عند قوله لانت اسود ولو اراد المبالغة لما
كان تاما الا عند صلة الكلام بقوله من الظلم واستشهد ابن جنى ايضا
على صحة هذا التاويل بقول الشاعر وابيض من ماء الحديد كانه
شهاب بدا والليل داج عساكره كانه قال وابيض كائن من ماء الحديد
وقلت انا قول الشاعر يا ليتنى مثلك فى البياض ابيض من اخت بنى اباض
يمكن حمله على ما حملنا عليه بيت المتنبى كانه قال ابيض من جملة اخت بنى
اباض ومن عشيرتها وقومها ولم يرد المبالغة والتفضيل وهو احسن من
قول ابى العباس المبرد لما انشد هذا البيت وضاق ذرعا بتاويله على ما يطابق
الاصول الصحيحة ان ذلك محمول على الشذوذ والندران فان قيل كيف
تكون نية المومن من جملة اعماله على هذا التاويل والنية لا تسمى عملا فى
المعروف وانما تسمى بالاعمال افعال الجوارح ولهذا لا يقولون عملت بقلبى كما
يقولون عملت بيدى ولا يصفون الخالق تعالى بانها اعمال قلنا اليس يمتنع ان

تسمى افعال القلوب بانها اعمال وان قل استعمال ذلك فيها الا ترى انهم لا
يكادون يقولون فعلت بقلبي كما يقولون فعلت بجوارحي وان كانت افعال
القلوب تستحق التسمية بالفعل حقيقة بلا خلاف وانما لا تسمى افعال الله تعالى
بانها اعمال لان هذه اللفظة تختص بالفعل الواقع عن قدرة والقديم تعالى
قادر لنفسه كما لا نصفه تعالى بانه مكتسب لاختصاص هذه اللفظة بمن فعل
لجر نفع او دفع ضرر ولو سلمنا ان اسم العمل يختص بافعال الجوارح جاز ان
ان يطلق ذلك على النية مجازا او استعارة فباب التجوز واسع من ذلك واما
الوجهان اللذان تخطر الي اذا اوردنا ان لفظة خير في الخبر محمولة على المفاضلة
فاحدهما ان يكون المراد نية المؤمن مع عمله خير من عمله العاري من نية
وهذا مما لا اشتبه انه كذلك والوجه الثاني ان يريد نية المؤمن لبعض اعماله
قد تكون خيرا من عمله آخر له لا تتناوله هذه النية وهذا صحيح لان النية
لا يجوز ان تكون خيرا من عملها نفسها وغير منكر ان تكون نية بعض الاعمال
الشاقة العظيمة الثواب افضل من عمل آخر ثوابه دون ثوابها حتى لا يظن ظان
ان ثواب النية لا يجوز ان يساوي او يزيد على ثواب بعض الاعمال وهذان
الوجهان فيهما على كل حال ترك لظاهر الخبر لادخال زيادة ليست في
الظاهر والتاويل الاول اذا حملنا لفظة خير على خلاف المبالغة والتفضيل
مطابق للظاهر وغير مخالف له وفي هذا كفاية بمشية الله تعالى مسئلة
سال بعض الاخوان وقد خطر بباله عند قرآءة شيء من اخبار الائمة واولاد
السادة عليهم السلام من ذكر اسم الله تعالى الاعظم وما خص به من الفضيلة
دون سائر اسماء الله تعالى وما اعطي من دعا به من سرعة الاجابة مثل آصف
ابن برخيا وصي سليمان عليه السلام ومجيئه بعرش بلقيس من سبا اليمن
الى بيت المقدس في اقل من طرف العين وما نقله الانبياء والائمة والصالحون
من المعجزات وعن قول الائمة عليهم السلام في ادعيتهم اللهم اني اسئلك
باسمك الاعظم وفيهم من قال الاعظم الاعظم حتى زاد على ذلك ومنهم من
قال الاكبر الاكبر قال فهل ترى الاعظم غير الاكبر او الاعظم غير الاعظم

مرة واحدة قالوا اذا قلنا الاعظم فيجب ان يكون ثم الطف واذا قلنا اكبر
يجب ان يكون ثم اصغر والله يتعالى من ان يكون له اسم الطف من اسم
او اصغر اذ كانت اسماؤه تعالى لا تذكر الا على معنى واحد ولا يشار بها الا اليه
وقد نطق القرآن بتساويها في المنزلة وهي قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها وقد خير الله تعالى نبيه عليه السلام في ان يدعوه بايها شاء وذكر انها كلها
حسنى فلم خص الائمة عليهم السلام احدها بالتعظيم دون سائرها والمقصود
بها والمراد منها واحد تبارك وتعالى فان قيل لان فيها ما يشاركه فيه المخلوقون
مثل كريم ورحيم وعالم وحاكم وغير ذلك فلهذا كانت رتبة بعضها في التعظيم
اقل من بعض قال والجواب عن ذلك انه قد بقي منها عدة اسماء لا يشاركه
فيها احد من المخلوقين ولا يستحقها سواه مثل الله واله وسبوح وقدوس وما
اشبه ذلك مما لا يوصف بها غيره ولا تليق الا به عز وجل فلم اختص الاسم
الاعظم باحد هذه دون الآخر ام هل الاسم الاعظم او الاكبر شيء غير هذه
الاسماء المتعارفة بين العوام مسئلة وسال غير الاول من الاخوان عن
قوله تعالى في سورة يس لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون قال اذا كان
اباؤهم لم ينذروا فباي شيء يحتج عليهم وكيف يعاقبهم على عبادة الاصنام
وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكيف يصح ان تخلو امة
من الامم من نذير مع قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وقد علم انهم كانوا امما لا يحصيها كثرة
غيره تعالى وقرى كثيرة فكيف هذا واي شيء المراد به ومعلوم ان كلامه تعالى لا
يتناقض قال فان قال ان ما في الآية المتقدمة ليست للنفي بل هي للاثبات
والمعنى فيها مثل ما انذر اباؤهم او بمعنى الذي انذر اباؤهم او زائدة لان
الكلام يتم من دونها لتنذر قوما انذر اباؤهم قال والجواب عن ذلك ان
هذا تاويل يفسد من قبل ان المعلوم الذي لا شك فيه ولا اشكال ان الله تعالى
لم يبعث نبيا بعد عيسى عليه السلام الا المبعوث على فترة من الرسل صلى الله

في هذا الكلام بعض التخليط كأنه ليس بمحرر اليه رحمه الله تعالى

عليه وآله ولاجل ذلك وصفهم بالغفلة لما لم ينذر اباؤهم فثبت بهذا ان ما
التى فى الآية المتقدمة للنفى دون الاثبات وان الاخذ بالمعلوم اولى من المظنون
قال فان قيل ان عيسى عليه السلام قد كان بعث اليهم وشاعت شريعته
فيهم وانتشرت كلمته وسار الحواريون بدعوته شرقا وغربا سهلا وجبلا
قال فالجواب عن ذلك اذا سلمنا ان عيسى عليه السلام بعث اليهم فان الفترة
انما كانت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان الحواريين لم يمكنوا
بعد الافلياد وان الآباء المذكورين بانهم لم ينذروا هم الادنون دون
الابعدين ولقائل ان يقول ان عيسى عليه السلام لم يبعث الا الى بنى اسرائيل
خاصة دون العرب وبذلك نطق القرآن فله ان يقول ان الاباء الابعدين
والادنين فى الآية سواء والذى يؤيد ذلك قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم
على فترة من الرسل الآية الى آخرها وقد صح بالجملة والتفصيل ان الاباء لم ينذروا
وان ما للنفى فى موضعها من الآية دون الاثبات فكيف القول فى الحجة عليهم
ولا يحتج محتج بان العقل هو الحجة عليهم دون الانذار والرسل لان العقل
حجة على من انذر وعلى من لم ينذر وعليه معول الفلاسفة فى الاستغناء
عن الرسل والانبياء عليهم السلام الجواب عن المسئلة الاولى ان الاولى
والاشبه ان يكون اسم الله تعالى الاعظم خارجا عن هذه الاسماء والصفات التى
فى ايدى الناس يناجون الله بها ويدعونه ويسالونه لان ذلك الاسم لو كان
من جملتها وقد اجمعوا على ان الله تعالى لم يسال به شيئا الا اعطاه لكان يجيب لكل
داع بهذه الاسماء والصفات اذا كان الاسم من جملتها ان يجاب دعوته
وتنجح مسالته وقد علمنا خلاف ذلك وان اكثر الداعين بهذه الاسماء المسطورة
غير مجابين فعلمنا ان الاعظم ليس من جملتها فاذا قيل لنا فلم خص الله تعالى
بهذا الاسم قوما دون قوم ولم يجره مجرى سائر اسمائه فالجواب ان ذلك تابع
للمصلحة واذا كان المعلوم ان كل سائل بذلك الاسم مجاب لا محالة فمن علم ان
فى اجابته مفسدة لا يجوز ان يمكن من ذلك الاسم فاذا قيل فينبغى لمن يساله
تعالى وقال بحق اسمك الاعظم اعطنى كذا ان يجاب لا محالة وقد علمنا خلاف

ذلك

ذلك فالجواب انه غير ممتنع ان تكون الاجابة انما تكون واجبة عند التصريح
والتلفظ بهذا الاسم دون الكناية عنه فاما تسميته بانه اعظم وان ذلك
يقتضى ان يكون من اسمائه ما ليس باعظم فالجواب عنه من وجهين احدهما
ان تكون لفظة افعل هنا راجعة الى باقى اسمائه والوجه الاخر ان ترجع الى اسماء
وصفات غيره وبيان الوجه الاول ان معنى اعظم هو اختصاصه بفضيلة ان الدعاء
به مجاب وهذه المزية ليست فى باقى الاسماء فكانه اعظم منها لاختصاصه برتبة
عالية ليست لباقيها واما الوجه الثانى فيكون المعنى انه اعظم بالاضافة الى اسمائكم
وصفاتكم لانه ليس لشئ من صفاتنا هذه المزية ولم يجعل هذه المزية لاجل فقد
المشاركة فى المعنى فيلزم عليه اله وقديم ورحمن على ما مضى فى السؤال بل
لان الله تعالى خص هذا الاسم بهذه المزية لما علم من المصلحة فاما الزامنا ان
يكون فى اسمائه تعالى ما هو اصغر فلا يلزم على الجواب الثانى فاذا الزمنا ذلك
على الجواب الاول قلنا اذا كان قولنا اعظم بالاضافة الى اسمائه تعالى معناه ان
له هذه المزية والرتبة فلا محالة انه يجب فيما ليس له هذه المزية من اسمائه ان
لا يكون الاعظم ولا يجوز ان تقول اصغر واحقر وما يجرى مجرى ذلك لانه
يوهم المهانة وما لا يجوز فى شئ من اسمائه واما قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها فانما اسماها كلها الحسنى وليس يمتنع ان يكون فيما هو حسن تفاضل
وتزايد وكذلك قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا معناه
التخيير لنا بين ان ندعوه باى الاسمين شئنا وما يمضى فى الفاظ الدعاء من انى
اسالك باسمك الاكبر تارة واخرى بالاعظم الاشبه ان يراد باللفظين معنى
واحد واما تكرير لفظ الاعظم فهو على سبيل التاكيد والتفخيم لا لان الاعظم مرة
واحدة غير الاعظم مرتين وبالله التوفيق والجواب عن المسئلة الثانية انه غير
ممتنع عندنا ان يخلو الزمان الطويل والقصير من رسول مبعوث بشريعة وان
كان لا يخلو من امام ولهذا يقول اصحابنا ان الامامة واجبة فى كل زمان
وليست كذلك النبوة والوجه فيه ان ارسال الرسول تابع لما يعلمه الله من المصالح
للمكلفين فى الشرائع والعبادات وغير بعيد فى العقل ان يعلم تعالى انه لا شئ

من الشرائع فيه مصلحة للمكلفين فلا تجب الرسالة بل لا تحسن فاما قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فيجوز ان يكون مخصوصا غير عام ويعنى
به من الشرائع والعبادات من الطافه فان دل دليل قاطع على عموم هذه
الظواهر قطعنا لاجله على ان الشرائع من الطاف المكلفين وان كان جائزا في
العقل ان لا يكون الامر على ذلك وقد اختلف اهل التاويل في تاويل هذه الاية
فقال جماعة ان لفظة ما ههنا للنفي والمراد ان اباءهم ما انذروا لان المصلحة
لم تقتض بعثة رسول اليهم وليس من المعلوم لنا ان عيسى عليه السلام كان الحجة
على كل مكلف كان بين زمانه وبين زمان نبينا عليه السلام ويقوى هذا الجواب
اثبات الفترة وانه عليه السلام بعث على فترة من الرسل وذهب قوم من
اهل التاويل الى ان ما في الاية ليست للنفي بل للاثبات والمراد لتنذر قوما الذى
اباؤهم وهذا ايضا جائز ويقوى هذا الجواب ويضعف الاول ان قوله تعالى فهم
غافلون يقتضي الذم لهم بالغفلة وذلك يقتضي انهم انذروا فغفلوا واعرضوا
ولا يذم بالغفلة من لا سبيل له الى العلم والتبين وفي الناس من حمل قوله
تعالى ما انذر اباؤهم على النفي والمراد انه لم ينذرهم من هو منهم وعلى نسبهم ومن
انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم فيكون تلخيص الكلام لتنذر
قوما انت منهم ما انذر اباءهم من هو منهم اي من قومهم ومن انفسهم ويمكن
في لفظة ما وجه اخر وهو ان يراد بها التنكير كانه قال لتنذر قوما ما وتقف
ثم تبتدي فتقول انذر اباؤهم فهم غافلون كما يقول القائل اكلت طعاما ما
ولقيت جماعة ما ويكون الغرض التنكير والاجمال وليست لفظة ما ههنا زائدة
لان حد الزائد ان يكون دخوله في حد الفائدة كخروجه وهي ههنا مفيدة على
ما بيناه مسئلة في الاعتراض على من استدل بدليل السحارة على ان العالم
ملاء وما ابطل به ذلك اعلم اني فكرت فيما اجاب به ابو هاشم من يقول ان العالم
ملاء اذا استدل بالالة التي تسمى السحارة على ذلك وادعى ان علة وقوف الماء
عن النزول من الثقب الصغار التي في اسفلها اذا اسد دنا راسها وهو منع

الهواء لسد الراس من ان يحدث في مكان الماء وقول ابي هاشم ان العلة
في وقوف الماء عن السيلان اذا اسددنا راس السحارة بالاصبع ان الهواء
منع الماء من النزول لضعف ما يخرج من الماء في الثقب الصغار فاذا انفتح
الراس دفع الهواء الماء من اعلى السحارة فقوى الماء على النزول فوجدته
غير واضح لان الماء فيه اعتمادات سفلا وثقل ونفس الهواء على مذهبنا وهو
الصحيح لا اعتماد فيه البتة فكيف يمنع ما لا اعتماد فيه الجسم الذي فيه اعتماد
سفلا عن الهبوط والنزول واذا كان الهواء هو المانع من نزول الماء من
الثقب الصغار ومن مذهب ابي هاشم جواز خلو الاماكن من الهواء فكان يجب
ان يجوز ان يسيل الماء من اسفل السحارة مع سد اعلاها بالاصبع بان يصادف
ذلك مكانا خاليا من الهواء الذي يدعى انه مانع من نزول الماء فاما تقويته
لذلك بذكر الريشة وانها تقف في الهواء فلا تنزل لان الهواء يمنعها من الهبوط
فاول ما فيه ان الريش لخفته ربما ابطا نزوله فظن انه واقف وربما كانت
في الهواء اعتمادات مختلفة صعدا فتمنع هذه الاعتمادات التي هي في خلاف
جهة اعتمادات الريشة من النزول فاما اذا كانت الريشة في هواء ساكن لا
اعتماد فيه فان الهواء لا يجوز ان يمنعها من الهبوط ومن اطراف الامور قوله
ان الهواء اذا انفتح راس السحارة يدافع الماء ويكون سببا لنزوله من الثقوب
لان الهواء على مذهبنا لا اعتمادات فيه فكيف يدافع الماء ومن قال من الفلاسفة
ان فيه اعتمادا متصعدا لا يليق دفع الماء بقوله لان تلك الاعتمادات في غير
جهة اعتماد الماء واي عاقل يخفى عليه ان الهواء الساكن المعتدل لا يجوز ان
يدفع الماء من راس السحارة وبعد فمع القول بجواز خلو الاماكن من الهواء
والقطع على ذلك في بعض الاحوال قد كان يجب ان يجوز ان يفتح راس
السحارة ولا يسيل الماء من الثقب من اسفلها لان الهواء الذي ادعى انه يدافع
الماء من راسها مفقود والذي يدعيه ابو هاشم من ان السحارة لو ملئت زيبقا
وسد راسها لنزل من الثقوب الصغار وقوله انما كان كذلك لثقل الزيبق
وان الهواء الذي يلاقيه من تحتها الثقوب الصغار لا يقوى على منعه من النزول

كالا يتم ذلك في الماء موقوف على التجربة فاما ما جربناه فنتكلم على العلة المفرقة بين الزيبق والماء والذي يجب ان يعتمد في نقض الاستدلال من القائلين بذلك في الماء والسحارة ان يقال لهم ما انكرتم ان يكون الله تعالى اجرى العادة بان يفعل في الماء السكون والوقوف مع سد راسها فلا ينزل من اسفلها واذا انفتح راسها لم يفعل ذلك السكون فيجري الماء منها من الثقوب وليس ينبغي ان ينكر اصحابنا خاصة ان يكون هذا بالعادة ونحن كلنا نقول ان انجذاب الحديد الى حجر المغناطيس انما هو بالعادة والا فالمغناطيس وسائر الاحجار سواء وان العادة وقع الشبع عند تناول الخبز واللحم وارتفع عند غيرهما والجنس واحد وما نقول جماعتنا انه بالعادة اكثر من ان يحصى واذا انكر الفلاسفة الملحدون تعليقنا ذلك بالعادة لجحدهم الصانع دللناهم على الاصل الذي لما جهلوه ضعف ما نقوله في نفوسهم فبثبوته يسهل ذلك كله فاذا قيل لنا فما طريقه العادة يجوز فيه الاختلاف فجوزوا ان يكون السحارة في بعض البلاد التي لا تتصل بنا اخبارها يسيل الماء من اسفلها مع سد راسها ولا يسيل مع فتحها قلنا نحن نجوز ذلك ولا نمنع ان تختلف العادة فيه كما لا نمنع ان يستمر في كل بلد وعند كل احد ولا يخرج هذا الحكم مع استمراره من ان يكون مستندا الى العادة الا ترى ان القاطعين على العلم الضروري بخبر الاخبار اذا كان العدد زائدا على اربعة مع استيفاء باقي الشروط لا يجوزون ان تختلف العادات في ذلك بل يقطعون على ان العادة مستمرة بذلك في كل موضع فاذا قيل له كيف يتميز ذلك وهو معتاد مع الاستمرار من الوجوب قال المستند الى العادة لا بد ان يختلف على بعض الوجوه ليفارق بذلك الاختلاف الواجب ويتميز عنه والخبر الذي يجب عنده حصول العلم الضروري قد يقع مثله ومن جنسه مع اختلاف بعض هذه الشروط فلا يجب العلم فلو كان هناك ايجاب لوجب العلم على كل حال وهذا بعينه قائم في السحارة لان الثقوب لو وسعت لسال الماء على كل حال ولو كانت هناك طبيعة موجبة لوقوف الماء لم تختلف الحال على بعض الوجوه وبعد فان علة

البربخ واحد البرابخ وهو خزف الكنف توصل من السطح الى الارض

ابي هاشم في وقوف الماء من السحارة من السيلان وان كنا قد بينا بطلانها لا نجدها في القدح المعروف بقدح العدل وهو قدح في وسطه بربخ مجوف يبلغ ارتفاعا الى قريب من اعلاه وهذا البربخ نافذ من جهة اسفله على راس هذا البربخ في وسط القدح كالغشاء يحيط به من جوانبه على تجاف عنه وهو من اعلاه مسدود ومن اسفله مفروج فاذا طرحنا في هذا القدح ماء فهو ثابت حتى يبلغ الى محاذاة راس البربخ فاذا زاد عليها ولو باليسير خرج جميع الماء من القدح بان يصعد من اسفل القدح الى راس البربخ حتى ينزل جميعه واصحاب الملا يدعون ان العلة في صعود الماء الى فوق راس ذلك هو اضطرار الخلاء وحتى لا يخلو مكان من متمكن فيه فاما العلة في صعود الماء ثم هبوطه على مذهب ابي هاشم وما يعلل في السحارة لا ياتي ههنا وليس بعد ذلك الا اسناده الى العادة وجريها والله ولي التوفيق

مسئلة سئل رضي الله عنه عن الفرق بين الالثغ والاليغ فقال الالثغ الذي يكون في لسانه ردة في حرف بعينه كالطاء والسين وما اشبههما من الحروف والاليغ الذي يكون في لسانه في سائر الحروف ردة

مسئلة سئل رضي الله عنه عن قول النبي صلى الله عليه وآله اعلمكم بنفسه اعلمكم بربه ما معناه فقال معنى هذا الخبر ان احدنا اذا كان عالما باحوال نفسه وصفاته فلا بد ان يكون عالما باحوال من جعله على هذه الصفات وصيّر له هذه الاحوال والاحكام لان من علم الفرع لا بد ان يكون عالما باصله الذي يستند اليه ويتفرع عليه واذا دخل التزايد في العلم وكان بالفرع اعلم فهو بالاصل اعلم وشرح هذه الجملة ان من علم نفسه انه محدث مصنوع مخلوق مربوب قادر حي عالم فلا بد من ان يكون عالما بمن جعله على هذه الصفات وصيّر له هذه الاحوال والاحكام ولولاه جل اسمه لم يكن على شيء منها فالتزايد والتفاضل في احد الامرين يقتضي التزايد والتفاضل في الآخر ولا يلزم على هذه الجملة ان احدنا قد يعلم نفسه موجودا وان لم يكن بالله تعالى عارفا وهو جل وعز الذي اوجده ولولاه لم يكن موجودا الا ترى ان الدهرية يعلمون

العالم وما فيه موجودا وان لم يعلموا ان له موجدا وكذلك قد يعلم احدنا كونه
قادرا وعالما وحيا وان لم يعلم من جعله على هذه الاحوال وذلك انا اذا ادخلنا
لفظة افعل فقلنا من كان اعلم بنفسه كان اعلم بربه ومن علم نفسه موجودا ولم
يعلم موجده وخالقه ليس باعلم بنفسه وان قيل هو عالم ولفظة المبالغة تقتضي
انه لا يمتنع فيمن علم قطعة من النحو ان نقول انه عالم بالنحو الا اذا كان مستوليا
على جميع علومه لا يذهب عليه شئ منها وليس يمتنع ان نعكس لفظ هذا الخبر
فنقول اعلمكم بربه اعلمكم بنفسه لانه من كان بالله اعلم فلا بد من ان يكون عالما
بانه خالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا والجاعل لنا على هذه الاحوال والصفات
فمن حيث تعلق كل واحد من الامرين بصاحبه جاز ان يجعل كل واحد من
الامرين تارة فرعا وتارة اصلا مسئلة وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى
ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم وهل يوجب
قوله واختلاف السنتكم ان يكون كلامنا على ظاهر الآية خلقا لله تعالى فعالى في هذه
الشبهة ثلاثة اجوبة منها ان معنى اختلاف السنتكم اى اختلاف لغاتكم في البيان
والاشكال ومنها اختلاف مخارج من السنتكم كلام الالثغ والالثغ والارت
والتمتام ونحوهم ومنها اختلاف السنتكم في خلقها واشكالها وصيغها كالطويل
منها والقصير والعريض والدقيق والله تعالى الموفق للصواب مسئلة
قال رضي الله عنه قد طعن من لا تامل له على استدلالنا على ان الافعال الظاهرة
فينا من قيام وقعود واكل وشرب وما جرى مجرى ذلك متعلقة بنا وحادثة
من جهتنا بوجوب وقوعها بحسب قصودنا واحوالنا ودواعينا بان قال كيف
يجوز ان تدعوا العلم الضروري بوجوب وقوع افعالكم بحسب احوالكم وانما
تشيرون بالوقوع الى الحدوث واذا كان حدوث هذه الافعال لا يعلم ضرورة
وانما يعلم بدقيق الاستدلال والنظر فكيف يجوز ان تعلموا حكم الذات ضرورة
وانتم تعلمون تلك الذات بدليل والعلم بالذات اصل للعلم بالاحكام ولا يجوز
ان يكون العلم بالاصل مستدلا عليه والعلم بالفرع ضروريا والجواب عن ذلك
ان الوجوب او الجواز حكم للاحوال الموجبة عن الافعال التي هي ذوات حادثة

وعن

ونحن نعلم كون الجسم منتقلا وكائنا في جهة من الجهات ضرورة وان كنا لا نعلم
الكون الذي فيه الا بدلالة والوجوب حكم لكونه كائنا وليس بحكم للكون الذي
هو الذات فيما علمنا على هذا التقرير الاصل والفرع الا ضرورة وهذا ان العلمان
منفصلان عن العلم بالذات الذي يحتاج فيه الى الدلالة الا ترى ان الشيوخ
نصوا في كتبهم على ان المدرك منا للجوهر يعلم ضرورة عند الادراك كونه متحيزا
وكونه في جهة مخصوصة وكونه موجودا ونصوا على ان هذه العلوم ضرورية
وواقعة عند الادراك وان كان الادراك لا يتناول الا كونه متحيزا دون ما عدا
هذه الصفة فكيف يشكل هذا الذي ذكرناه ومعلوم ان نفاة الاعراض من
الموحدين والملحدين يعلمون كون الجسم متحركا وساكنا وقريبا او بعيدا ضرورة
ويعلمون كون احدنا قائما او قاعدا او آكلا او شاربا كذلك ويعلمون ما هو
واجب من هذه الاحوال او واجب في الموضع الذي يجب فيه او يجوز ضرورة
وان كانوا لا يثبتون المعاني التي هي الاعراض ولا يعرفونها فكيف يشكل على
متامل ان الاحكام التي اشرنا اليها وادعينا وجوبها على بعض الوجوه ليست
احكاما للمعاني التي لا تعلم الا بالدلالة وانما هي احكام للاحوال ومن حمل نفسه
على ان يخالف في وجوب ما ذكرناه دافع للضرورة لان العلم بما ذكرناه من اوضح
الضرورات والفرق بين وجوب كون احدنا آكلا وقد اشتد جوعه وارتفعت
الموانع عنه وهو صحيح سليم وبين وجوب اكله اذا جاع غيره معلوم ضرورة
وآخر ما يبدأ به العقل واذا كان الفرق الذي ذكرناه معلوما ثبت ما هو مستند
اليه من الوجوب عند قوة الدواعي وخلوصها والمعارضة على هذه الطريقة
بوجوب الشبع عند الاكل والسكر عند شرب الخمر وما جرى مجرى ذلك غير صحيح
لانه لا وجوب في سائر ما ذكرناه الا ترى ان في الناس من يشبع باللقمة وفيهم من
لا يشبع باكل الجفنة وكذلك في السكر والري ولما استند ذلك الى العادة جاز
ان يختلف بالاشخاص والاحوال ولما استندنا الى ما ذكرناه من الوجوب الى
غير العادة كان مستمرا في كل شخص وعلى كل حال وعلى كل وجه وسبب فاين
احد الامرين من الآخر مسئلة في تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم السلام

معلوم ضرورة لاحدنا
ببداية العقول

الجفنة قدر ما يجتني في مرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم
تسليما اعلم انه لاطريق من جهة العقل الى القطع بفضل مكلف على آخر
لان الفضل المراعى فى هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ولاسبيل الى
معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات لان الطاعتين قد تتساوى
فى ظاهر الامر حالهما وان زاد ثواب واحدة على الاخرى زيادة عظيمة واذا
لم يكن للعقل فى ذلك مجال فالمرجع فيه الى السمع فان دل سمع مقطوع به من
ذلك على شئ عول عليه والا كان الواجب التوقف عنه والشك فيه وليس
فى القرآن ولا فى سمع مقطوع على صحته ما يدل على فضل نبى على ملك ولا ملك
على نبى وسنبين ان آية واحدة مما يتعلق به فى تفضيل الانبياء على الملائكة
عليهم السلام يمكن ان يستدل بها على ضرب من الترتيب نذكره والمعتمد فى
القطع على ان الانبياء افضل من الملائكة عليهم السلام على اجماع الشيعة الامامية
على ذلك لانهم لايختلفون بل يزيدون عليه ويذهبون الى ان الائمة افضل
من الملائكة عليهم اجمعين السلام واجماعهم حجة لان المعصوم فى جملتهم وقد
بينا فى مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ورتبناه واجبنا عن
كل سوآل يسأل عنه فيها وبينا كيف الطريق مع غيبة الامام الى العلم بمذاهبه
واقواله وشرحنا ذلك فلا معنى للتشاغل به هيهنا ويمكن ان يستدل على ذلك
بامره تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وانه يقتضى تعظيمه عليهم وتقديمه
واكرامه وان كان المفضول لايجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل علمنا ان
آدم عليه السلام افضل من الملائكة وكل من قال ان آدم عليه السلام افضل
من الملائكة ذهب الى ان جميع الانبياء عليهم السلام افضل من جميع الملائكة ولا
احد من الامة فصل بين الامرين فان قيل ومن اين انه امرهم بالسجود على جهة
التعظيم والتعظيم قلنا لايخلو تعبدهم بالسجود له من ان يكون على سبيل
القبلة والجهة من غير ان يقترن به تعظيم وتقديم او يكون على ماذكرناه
فان كان الاول لم يجز انفة ابليس من السجود وتكبره عنه وقوله ارايتك
هذا الذى كرمت على وقوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين

والقرآن

والقرآن كله ناطق بان امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده التفضيل
به والتكرمة فلو لم يكن الامر على هذا لوجب ان يرده الله تعالى عنه ويعلمه
انه ما امره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله بل على الوجه الآخر الذى
لاحظ للتفضيل فيه وما جاز اغفال ذلك وهو سبب معصية ابليس
وضلالته فلما لم يقع ذلك دل على ان الامر بالسجود لم يكن الا على جهة التفضيل
والتعظيم وكيف يقع شك فى ان الامر على ماذكرناه وكل نبى اراد تعظيم
آدم عليه السلام وصفه بما اقتضى الفخر والشرف نعته باسجاد الملائكة
له وجعل ذلك من اعظم فضائله وهذا مما لا شبهة فيه واما اعتماد بعض
اصحابنا فى تفضيل الانبياء على الملائكة على ان المشقة فى طاعة الانبياء عليهم
السلام اكثر واوفر من حيث كانت لهم شهوات فى القبائح ونفار عن الواجبات
فليس بمعتمد لانا نقطع على ان مشاق الانبياء اعظم من مشاق الملائكة فى
التكليف والشك فى مثل ذلك واجب وليس كل شئ لم يظهر لنا ثبوته وجب
القطع على انتفائه ونحن نعلم على الجملة ان الملائكة اذا كانوا مكلفين فلا
بد من ان تكون عليهم مشاق فى تكليفهم لولا ذلك ما استحقوا ثوابا على
طاعاتهم والتكليف انما يحسن فى كل مكلف تعريضا للثواب ولا يكون التكليف
شاقا عليهم الا وتكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار عما اوجب واذا
كان الامر على هذا فمن اين يعلم ان مشاق الانبياء عليهم السلام اكثر من
مشاق الملائكة واذا كانت المشقة عامة لتكليف الأمة ولا طريق الى القطع
على زيادتها فى تكليف بعض ونقصانها فى تكليف آخرين فالواجب التوقف
والشك ونحن الآن نذكر شبهة من فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام
ونتكلم عليها بعون الله فمما تعلقوا به فى ذلك قوله تعالى حكاية عن ابليس مخاطبا
لآدم وحواء عليهما السلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين فرغبهما فى التناول من الشجرة فى منزلة الملائكة حتى
تناولا وعصيا وليس يجوز ان يرغب عاقل فى ان يكون على منزلة هى دون
منزلته حتى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته وهذا يقتضى فضل الملائكة

الجماعة

على الانبيا، عليهم السلام وتعلقوا ايضا بقوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون وتاخيره ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي
تفضيلهم لان العادة انما جرت بان يقال لن يستنكف الوزير ان يفعل هذا ولا
الخليفة فيقدم الادون ويوخر الاعظم ولم يجر بان يقال لن يستنكف الامير
ان يفعل كذا ولا الحارس وهذا يقتضي تفضيل الملائكة على الانبيا، عليهم السلام
وتعلقوا بقوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قالوا وليس بعد بني آدم
مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة من التي لا تستعمل الا في العقلا، الا الجن
والملائكة ولما لم يقل وفضلناهم على من بل قال على كثير ممن خلقنا علم انه انما
اخرج الملائكة عن فضل بني آدم عليه لانه لا خلاف في ان بني آدم افضل من
الجن واذا كان وضع الخطاب يقتضي مخلوقا لم يفضل بنو آدم عليه فلا شبهة
في انهم الملائكة وتعلقوا بقوله تعالى ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول اني ملك فلولا ان حال الملائكة افضل من حال النبي لما قال
ذلك فيقال لهم فيما تعلقوا به اولا لم زعمتم ان قوله تعالى الا ان تكونا ملكين
معناه ان تصيرا وتنقلبا الى صفة الملائكة فان هذه اللفظة ليست صريحا لما
ذكرتم بل احسن الاحوال ان تكون محتملة له وما انكرتم ان يكون المعنى ان
المنهي عن تناول الشجرة غيركما وان النهي يختص الملائكة والخالدين دونكما
ويجري ذلك مجرى قول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا الا ان تكون فلانا وانما
يعني ان المنهي هو فلان دونك ولم يرد الا ان تنقلب فتصير فلانا ولما كان
غرض ابليس ايقاع الشبهة لهما فمن اوكد الشبهة ايهامهما انهما لم ينهيا وانما المنهي
غيرهما ومن وكيد ما تفسد به هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم ان يكونا رغبا
في ان ينقلبا الى صفة الملائكة وخلقهم كما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه
الرغبة على ان الملائكة افضل منهما لانه بانقلب الى خلقة غيره لا ينقلب ولا
يتغير بانقلاب الصورة والخلق فانه انما يستحق على الاعمال دون الهيات
وغير ممتنع ان يكونا رغبا في ان يصيرا على هيئة الملائكة وصورها وليس ذلك

برغبة في الثواب ولا الفضل فان الثواب لا يتبع الهيات والصور الا ترى انهما
رغبا في ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في ثواب ولا
فضل فيه وانما هو نفع عاجل فكذلك لا يمتنع ان يكون الرغبة منهما في ان
يصيرا ملكين انما كانت على هذا الوجه ويمكن ان يقال للمعتزلة خاصة وكل
من اجاز على الانبيا، الصغاير ما انكرتم ان يكونا اعتقدا ان الملك افضل من
النبي وغلطا في ذلك وكان منهما ذنبا صغيرا لان الصغاير عندكم تجوز على
الانبيا، فمن اين لكم اذا اعتقدا ان الملائكة افضل من الانبيا، ورغبا في
ذلك ان الامر على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب وليس لهم ان يقولوا
ان الصغاير انما تدخل في الجوارح دون القلوب لان ذلك تحكم بغير برهان
وليس يمتنع على اصولهم ان تدخل الصغاير في افعال القلوب والجوارح معا لان
حد الصغير عندهم ما نقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله وليس يمتنع
معنى الحد في افعال القلوب كما لا يمتنع في افعال الجوارح ويقال لهم فيما تعلقوا
به ثانيا ما انكرتم ان يكون هذا القول انما توجه الى قوم اعتقدوا ان الملائكة
افضل من الانبيا، فاخرج الكلام على حسب اعتقادهم واخر ذكر الملائكة لذلك
ويجري هذا القول مجرى قول من قال منا لغيره لن يستنكف ابي ان يفعل كذا
ولا ابوك وان كان القايل يعتقد ان اباه افضل وانما اخرج الكلام على حسب
اعتقاد المخاطب لا المخاطب وانما يجوز ان يقال ايضا انه لا تفاوت في الفضل
بين الانبيا، والملائكة وان ذهبنا الى ان الانبيا، افضل منهم ومع التقارب
والتداني يحسن ان يوخر ذكر الافضل الذي لا تفاوت بينه وبين غيره في
الفضل وانما مع التفاوت والتداني لا يحسن ذلك الا ترى انه يحسن ان
يقول القايل ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان من كذا وان كانا
متساويين متناظرين او متقاربين ولا يحسن ان يقول ما يستنكف الامير من
كذا ولا الحارس لاجل التفاوت واقوى من هذا ان يقال انما اخر ذكر الملائكة
عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة اكثر ثوابا لا محالة من المسيح منفردا وهذا لا
يقتضي ان كل واحد منهم افضل من المسيح عليه السلام وانما الخلاف في ذلك

ثوابه

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثانيا لنا ما انكرتم ان يكون المراد بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبعيض ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى بآياتى ثمنا قليلا معناه لا تشتروا بها ثمنا قليلا وكل ثمن تاخذونه عنها قليل ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة ومثله قول الشاعر، من اناس ليس فى اخلاقهم ، عاجل الفحش ولا سوء الجزع ، وانما اراد نفى الفحش كله عن اخلاقهم وان وصفه بانه عاجل ونفى الجزع عنها وان وصفه بالسوء وهذا من غريب البلاغة ودقيقها ونظائره فى الشعر والكلام الفصيح لا تحصى وقد كنا املينا فى تاويل هذه الآية كلاما مفردا استقصينا م وشرحنا هذا الوجه واكثرنا من ذكر امثلته ووجه آخر فى تاويل هذه الآية وهو انه غير ممتنع ان يكون جميع الملائكة افضل من جميع بنى آدم وان كان فى جملة بنى آدم من الانبياء عليهم السلام من يفضل كل واحد منهم على كل واحد من الملائكة لان الخلاف انما هو فى فضل كل بنى آدم على كل ملك وغير ممتنع ان يكون جميع الملائكة فضلاء يستحق كل واحد منهم الجزيل الاكثر من الثواب فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بنى آدم لان الافاضل من بنى آدم اقل عددا وان كان فى بنى آدم آحاد كل واحد منهم افضل من كل واحد من الملائكة ووجه آخر ومما يمكن ان يقال فى هذه الآية ايضا ان مفهوم الآية اذا تؤملت يقتضى انه تعالى لم يرد الفضل الذى هو زيادة الثواب وانما اراد النعم والمنافع الدنياوية الا ترى الى قوله ولقد كرمنا بنى آدم والكرامة انما هى الترفيه وما يجرى مجراه ثم قال وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ولا شبهة فى ان الحمل لهم فى البر والبحر ورزق الطيبات خارج مما يستحق به الثواب ويقتضى التفضيل الذى وقع اطلاقه فيه ويجب ان يكون ما عطف عليه من التفضيل داخلا فى هذا الباب وفى هذا القبيل فانه اشبه من ان يكون المراد به غير ما سياق الآية وارد به ومبنى عليه واقل الاحوال ان تكون لفظة فضلناهم محتملة للامرين فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما نذهب اليه ويقال لهم فيما تعلقوا به رابعا لا دلالة فى هذه الآية على ان حال الملائكة افضل من حال الانبياء لان الغرض فى

الكلام

الكلام انما هو نفى ما لم يكن عليه لا التفضيل لذلك على ما هو عليه الا ترى ان احدنا لو ظن انه على صفة الملائكة وهو ليس عليها جاز ان ينفيها عن نفسه بمثل هذا اللفظ وان كان على احوال هى افضل من تلك الحال وارفع وليس يجب اذا انتفى ما تبرأ منه من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده ان يكون فيه فضل ان يكون ذلك معتمدا فى كل ما يقع النفى له فالنبى منه واذا لم يكن ملكا لم يكن عنده خزائن الله تعالى جاز ان ينتفى من الامرين من غير ملاحظة لان حاله دون هاتين الحالتين ومما يوضح هذا ويزيل الاشكال فيه انه تعالى حكى عنه قوله فى آية اخرى ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ونحن نعلم ان هذه منزلة غير جليلة وهو على كل حال ارفع منها واعلى فما المنكر ان يكون نفى الملكية عنه فى انه لا يقتضى ان حاله دون حال الملك بمنزلة نفى هذه المنزلة فالتعلق بهذه الآية ضعيف جدا وفيما اوردناه كفاية وبالله التوفيق **تفسير البيت** الذى ذكره السيد بن محمد الحميرى فى قصيدته المذهبة وهو ، ردت عليه الشمس لما فاته ، وقت الصلاة وقد دنت للمغرب ، قال رضى الله عنه هذا خبر عن رد الشمس له عليه السلام فى حياة النبى صلى الله عليه وآله لانه روى ان النبى صلى الله عليه وآله كان نائما وراسه فى حجر امير المؤمنين عليه السلام فلما حان وقت صلاة العصر كره ان ينهض لادائها فيزعج النبى صلى الله عليه وآله من نومه فلما مضى وقتها وانتبه النبى عليه السلام دعا الله تعالى بردها له فردها فصلى عليه السلام الصلاة فى وقتها فان قيل هذا يقتضى ان يكون عليه السلام عاصيا بترك الصلاة قلنا عن هذا جوابان احدهما انه انما يكون عاصيا اذا ترك الصلاة بغير عذر وازعاج النبى عليه السلام وترويعه لا ينكر ان يكون عذرا فى ترك الصلاة فان قيل الاعذار فى ترك جميع افعال الصلاة لا تكون الا بفقد العقل والتمييز كالنوم والاغماء وما شاكلهما ولم يكن عليه السلام فى تلك الحال بهذه الصفة فاما الاعذار التى يكون معها العقل والتمييز ثابتين كالزمانة والرباط والقيد والمرض الشديد

واشتداد القتال فانما يكون عذرا في استيفاء افعال الصلاة وليس بعذر
في تركها اصلاً فان كل معذور ممن ذكرناه يصليها على حسب طاقته ولو
بالايماء قلنا غير منكر ان يكون عليه السلام صلى مومياً وهو جالس لما تعذر
عليه القيام اشفاقاً من ازعاجه صلى الله عليه وآله وعلى هذا تكون فائدة رد
الشمس ليصلي مستوفياً لافعال الصلاة وليكون ايضاً فضيلة له ودلالة على
شانه والجواب الآخر ان الصلاة لم تفته بمضي جميع وقتها وانما فاته ما فيه
الفضل والمزية من اول وقتها ويقوي هذا الوجه شيئان احدهما الرواية الاخرى
لان قوله حين تفوته صريح في ان الفوت لم يقع وانما قارب وكاد والامر الآخر
قوله وقد دنت للمغرب يعني الشمس وهذا ايضاً يقتضي انها لم تغرب وانما دنت
وقاربت الغروب فان قيل اذا كانت لم تفته فاي معنى للدعاء بردها حتى يصلي
في الوقت وهو قد صلى فيه قلنا الفائدة في ردها ليدرك فضيلة الصلاة في
اول وقتها ثم ليكون ذلك دلالة على سمو محله وجلالة قدره في خرق العادة
من اجله فان قيل اذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو الداعي بردها له فان العادة
انخرقت للنبي عليه السلام لا لغيره قلنا اذا كان النبي عليه السلام انما دعا بردها
لاجل امير المومنين عليه السلام وليدرك ما فاته من فضل الصلاة فشرف
انخراق العادة والفضيلة به ينقسم بينهما عليهما السلام فان قيل كيف يصح رد
الشمس واصحاب الهيئة والفلك يقولون ان ذلك محال لا تناله قدرة وهبه كان
جائزاً على مذاهب اهل الاسلام اليس لو ردت الشمس من وقت الغروب الى وقت
الزوال لكان يجب ان يعلم اهل الشرق والغرب بذلك لانها تبطي في الطلوع
على بعض البلاد فيطول ليلهم على وجه خلاف العادة ويمتد من نهار قوم آخرين
ما لم يكن ممتداً ولا يجوز ان يخفى على اهل البلاد غروبها ثم عودها طالعة بعد
الغروب وكانت الاخبار تنتشر بذلك ويورخ هذا الحادث العظيم في التواريخ
ويكون ابهر واعظم من الطوفان قلنا قد دلت الدلالة الصحيحة الواضحة على
ان الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير متحرك لنفسه ولا بطبيعة على ما يهذي
به المنجم وان الله تعالى هو المحرك له والمتصرف باختياره فيه وقد استقصينا

استوفينا

الحجج

الحجج على ذلك في كثير من كتبنا وليس هذا موضع ذكره فاما علم اهل الشرق
والغرب والسهل والجبل بذلك على ما مضى في السوال فغير واجب لانا لا
نحتاج الى القول بانها ردت من وقت الغروب الى وقت الزوال وما يقاربه على
ما مضى في السوال بل نقول ان وقت الفضل في صلاة العصر هو ما يلي بلا فصل
زمان اداء المصلي فرض الظهر اربع ركعات عقيب الزوال وكل زمان وان قصر
وقل يجاوز هذا الوقت فذلك الفضل فائت فيه واذا ردت الشمس له هذا
القدر اليسير الذي نفرض انه مقدار ما يودى فيه ركعة واحدة خفي على اهل
الشرق والغرب ولم يشعروا به بل هو مما يجوز ان يخفى على من حضر الحال وشاهدها
ان لم ينعم النظر والتفتيش عنها فبطل السوال على جوابنا الثاني المبني على فوت
الفضيلة فاما الجواب الآخر المبني على انها كانت قد قاربت الغروب فالعذر الذي
ذكرناه في السوال ايضاً باطل عنه لانه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان
وبين مغيب بعضها وظهور بعضها الا زمان يسير يخفى فيه رجوع الشمس بعد
مغيب جميع قرصها الى ظهور بعضها على كل قريب وبعيد ولا يفطن اذا لم يعرف
سبب ذلك على وجه خارق للعادة ومن فطن بان ضوء الشمس غاب ثم عاد
بعضه جوز ان يكون ذلك لغيم او حائل تفسير قول السيد في هذه القصيدة
ايضاً ، وعليه قد حبست ببابل مرة ، اخرى وما حبست لخلق معرب ،
هذا البيت يتضمن الاخبار عن رد الشمس ببابل على امير المومنين عليه السلام
والرواية بذلك مشهورة وانه عليه السلام لما فاته وقت العصر ردت له
الشمس حتى صلاها في وقتها وخرق العادة ههنا لا يمكن نسبته الى غيره عليه السلام
كما امكن ذلك في ايام النبي عليه السلام والصحيح في فوت الصلاة ههنا احد
الوجهين اللذين تقدم ذكرهما في رد الشمس على عهد النبي صلى الله عليه وآله وهو
ان فضيلة اول الوقت فاتته لضرب من الشغل فردت عليه الشمس ليدرك الفضيلة
بالصلاة في اول الوقت وقد بينا هذا الوجه في تفسير البيت الذي اوله ردت
عليه الشمس وابطلنا قول من يدعي ان ذلك كان يجب ان يعم الخلق في الآفاق
معرفته حتى يدونوه ويورخوه فاما من ادعى ان الصلاة فاتته بان تقضى

جميع وقتها اما لتشاغله بتعبية عسكره او لان بابل ارض خسف لا تجوز الصلاة
عليها فقد ابطل لان الشغل بتعبية العسكر لا يكون عذرا في فوت صلاة فريضة
وان امير المؤمنين عليه السلام اجل قدرا واثخن دينا من ان يكون ذلك
عذرا له في فوت فريضة واما ارض الخسف فانما تكره الصلاة فيها مع الاختيار
فاذا لم يتمكن المصلي من الصلاة في غيرها وخاف فوت الوقت وجب ان
يصلي فيها وتزول الكراهية فاما قول الشاعر وعليه قد حبست ببابل فالمراد
بحبست رُدّت وانما كره ان يعيد لفظة الرد لانها قد تقدمت فان قيل حبست
بمعنى وقفت ومعناه يخالف معنى ردت قلنا المعنيان ههنا واحد لان
الشمس اذا ردت الى الموضع الذي تجاوزته فقد حبست عن السير المعهود
وقطع الاماكن المألوف فاما المعرب فهو الناطق الفصيح بحجته يقال اعرب
فلان عن كذا اذا ابان عنه **مسئلة** سئل رضي الله عنه فقيل ما يقال
لمن يدعي عند اقامة الدليل على حدث الجسم والجوهر والعرض شيئا ليس
بجسم ولا جوهر ولا عرض احدث الله تعالى الاشياء منه وما الذي يفسد دعواه
غير المطالبة له بالدلالة على صحتها الجواب اول ما نقوله في هذا الباب ان
احداث شيء من شيء غيره كلام محال ظاهر الفساد لان المحدث على الحقيقة
هو الموجود بعد ان كان معدوما واذا فرضنا انه احدث من غيره فقد جعلناه
موجودا في ذلك الغير فلا يكون محدثا في الحقيقة ولا موجودا بعد عدم حقيقي
فكانا قلنا انه محدث وليس بمحدث وهذا متناقض على ان الجواهر والاجسام
انما حكمنا بحدوثها لانها لم تخل من الاعراض ولم تتقدم في الوجود عليها
وما لم يتقدم المحدث فهو محدث مثله واذا كانت الاعراض التي توصلنا
بحدوثها الى حدوث الاجسام والجواهر محدثة لا من شيء ولا عن غير هيولى
على ما توهمه هؤلاء المتفلسفون به فيجب ان تكون الجواهر والاجسام ايضا محدثة
على هذا الوجه لانه اذا وجب ان يساوي ما لم يتقدم المحدث في حدوثه
وجب ايضا ان يساويه في كيفية حدوثه على انا قد بينا ان ما احدث من غيره
ليس بمحدث في الحقيقة والعرض محدث على الحقيقة فيجب فيما لم يتقدمه

الهيولى كلمة يونانية يعنون بها مادة لا صورة لها كما يقول اصحاب المعدوم

في

في الوجود ان يكون محدثا على الحقيقة يبين ما ذكرناه ان من احدث من
طين او شمع صورة فهو غير محدث لها على الحقيقة وكيف تكون كذلك وهي
موجودة الاجزاء في الطين والشمع وانما احدث المصور تصويرها وتركيبها
والمعاني المخصوصة فيها وهذا يقتضي ان الجواهر والاجسام على مذهب اصحاب
الهيولى غير محدثة على الحقيقة وانما حدث التصوير والتركيب واذا كان
الدليل على حدوث جميع الاجسام والجواهر قد دل بطل هذا المذهب فاما
الذي يدل على بطلان قول من اثبت شيئا موجودا ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض
من غير جهة المطالبة له بتصحيح دعواه وتعجيزه عن ذلك فهو انه لا حكم لذات
موجودة ليست بجسم ولا جوهر ولا عرض يعقل ويمكن الاشارة اليه وما لا حكم
له من الذوات والصفات لا يجوز اثباته ولا بد من نفيه لانه يؤدي الى اثبات
ما لا فرق بين اثباته ونفيه وتجويز ذلك يؤدي الى الجهالات والى اثبات ما
لا يتناهى من الذوات والصفات وقد بينا هذه الطريقة في مواضع من
كتبنا لا سيما في الكتاب الملخص في الاصول على انا نقول لمن اثبت الهيولى وادعى
انه اصل العالم وان الاجسام والجواهر منها احدثت لا تخلو هذه الذوات — الذات
التي يسميها بالهيولى من ان تكون موجودة او معدومة وما تريد بالوجود
ما تعنونه انتم بهذه اللفظة لان الموجود عندكم يكون بالفعل ويكون بالقوة
ويكون المعدوم عندكم موجودا بالقوة او في العلم وانما نريد بالوجود هنا
الذي نعقله ونعلمه ضرورة عند ادراك الذوات المدركات لان احدنا اذا
ادرك الجسم متحيزا علم ضرورة وجوده وثبوته وكذلك القول في الالوان
وما عداها من المدركات فان قال هي موجودة على تحديدكم قلنا فيجب ان — طريقكم
تكون متحيزة لانها لو لم تكن بهذه الصفة ما حصل منها التحيز الا ترى ان
الاعراض لما لم تكن متحيزة لم يمكن ان يحدث منها التحيز واذا فرضوها التحيز
فهي من جنس الجواهر وبطل القول بانها ليست بجوهر ووجب لها الحدوث
لان دليل حدث الاجسام ينتظمها ويشتمل عليها فبطل ايضا القول بقدمها ونفي
حدوثها وان قالوا هي معدومة قلنا اذا كانت معدومة على الحقيقة فانكم — الى شيء

اثبات قدم لها ولا حدوث لان هاتين الصفتين انما تتعاقبان على الموجود
فكانكم تقولون ان الله تعالى جعل من هذه الهيولى المعدومة جواهر واجساما
موجودة وهذه موافقة في المعنى لاهل الحق القائلين بان الجواهر في العدم
على صفة تقتضي وجوب التحيز لها متى وجدت وان الله تعالى اذا اوجد هذه
الجواهر وجب لها في الوجود التحيز لما هي عليه في نفوسها من الصفة في العدم
الموجبة لذلك بشرط الوجود وان الفاعل انما يؤثر في صفة الوجود ولا
تاثير له في الصفة التي كانت عليها الجواهر في العدم على ان هذه الطريقة اذا
صاروا اليها يقتضي ان لاجناس الاعراض كلها هيولى لان الدليل قد دل
على ان للسواد ولكل جنس من الاعراض صفة ثابتة في حال العدم تقتضي
كونه على الصفة التي يدرك عليها ان كان مما يدرك في حال الوجود وان
الفاعل انما يؤثر في احداثه وايجاده دون الصفة التي كان عليها في حال العدم
والقول في الاعراض كالقول في الجواهر في هذه القضية ويجب ان يكون
للجميع هيولى لان الطريقة واحدة وكلام هولاء ابدا غير محصل ولا مفهوم وهم
يدعون التحقيق والتحديد وما ابعدهم من ذلك مسئلة في العصمة ما
حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء والائمة عليهم السلام وهل هي معنى
يضطر الى الطاعة ويمنع من المعصية او معنى يضام الاختيار فان كان معنى
يضطر الى الطاعة ويمنع من المعصية فكيف يجوز الحمد والذم لفاعلها وان
كان معنى يضام الاختيار فاذكروه ودلوا على صحة مطابقته له ووجوب
اختصاص المذكورين به دون من سواهم فقد قال بعض المعتزلة ان الله عصم
انبياءه بالشهادة لهم بالاستعصام كما ضلل قوما بنفس الشهادة عليهم بالضلال
فان يكن ذلك هو المعتمد انعم بذكره ودل على صحته وبطلان ما عساه يعلم
من الطعن عليه وان يكن باطلا دل على بطلانه وصحة الوجه المعتمد فيه
دون ما سواه الجواب اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار
العبد عنده الامتناع من فعل القبيح فيقال على هذا ان الله تعالى عصمه بان
فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ويقال ان العبد معصوم لانه

اختار عنده هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح واصل العصمة في
موضوع اللغة المنع يقال عصمت فلانا من السوء اذا منعت من حلوله به غير ان
المتكلمين اجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله
الله تعالى به لانه اذا فعل به ما يعلم انه يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه من
القبيح فاجروا عليه لفظة المانع قهرا او قسرا واهل اللغة يتعارفون ذلك ايضا
ويستعملونه لانهم يقولون فيمن اشار على غيره براي فقبله منه مختارا واحتمى
بذلك من ضرر يلحقه وسوء ناله انه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه منه
وان كان ذلك على سبيل الاختيار فان قيل افتقولون فيمن لطف به بما اختار
عنده الامتناع من فعل واحد قبيح انه معصوم قلنا نقول ذلك مضافا ولا
نطلقه فنقول انه معصوم من كذا ولا نطلق فنوهم انه معصوم من جميع القبائح
ونطلق في الانبياء والائمة عليهم السلام العصمة بلا تقييد لانهم عندنا لا يفعلون
شيا من القبائح بخلاف ما يقوله المعتزلة من نفي الكبائر عنهم دون الصغائر
فان قيل فاذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم فالا عصم الله تعالى جميع المكلفين
وفعل بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح قلنا كل من علم الله تعالى ان له
لطفا يختار عنده الامتناع من القبائح فانه لا بد ان يفعل به وان لم يكن نبيا
ولا اماما لان التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دل عليه في مواضع كثيرة غير
انه لا يمتنع ان يكون في المكلفين من ليس في المعلوم ان شيا متى فعل اختار عنده
الامتناع من القبيح فيكون هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف وتكليف
من لا لطف له يحسن ولا يقبح وانما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت
التكليف فاما قول بعضهم ان العصمة هي الشهادة من الله تعالى بالاستعصام
فباطل لان الشهادة لا تجعل الشي على ما هو به وانما تتعلق به على ما هو عليه
لان الشهادة هي الخبر والخبر عن كون الشي لا يؤثر في كونه عليها فيحتاج اولا
الى ان يتقدم لنا العلم بان زيدا معصوم او معتصم ونوضح عن معنى ذلك
ثم تكون الشهادة من بعد مطابقة لهذا العلم وهذا بمنزلة من سئل عن حد
المتحرك فقال هو الشهادة بانه متحرك او المعلوم انه على هذه الصفة وفي هذا

البيان كفاية لمن تأمله **مسئلة** ما القول في الاخبار الواردة في عدة كتب من الاصول والفروع بمدح اجناس من الطير والبهائم والماكولات والارضين وذم اجناس منها كمدح الحمام والبلبل والقنبرة والحجل والدراج وما شاكل ذلك من فصيحات الطير وذم الفواخت والرخم وما يحكى من ان كل جنس من هذه الاجناس المحمودة ينطق بثناء على الله تعالى وعلى اوليائه ودعاء لهم ودعاء على اعدائهم وان كل جنس من هذه الاجناس المذمومة ينطق بضد ذلك من ذم الاولياء عليهم السلام وكذم الجرى وما شاكله من السمك وما نطق به الجرى من انه مسخ بجحد الولاية وورود الاثار بتحريمه لذلك وكذم الدب والقرد والفيل وسائر المسوخ المحرمة وكذم البطيخة التى كسرها امير المومنين عليه السلام فصادفها مرة فقال من النار الى النار ودحا بها من يده ففار من الموضع الذى سقطت فيه دخان وكذم الارضين السبخة والقول بانها جحدت الولاية ايضا وقد جاء في هذا المعنى ما يطول شرحه وظاهره مناف لما تدل العقول عليه من كون هذه الاجناس مفارقة لقبيل ما يجوز تكليفه ويسوغ امره ونهيه وفي هذه الاخبار التى اشرنا اليها ان بعض هذه الاجناس يعتقد الحق ويدين به وبعضها يخالفه وهذا كله مناف لظاهر ما العقلاء عليه ومنها ما يشهد ان لهذه الاجناس منطقا مفهوما والفاظا تفيد اغراضا وانها بمنزلة الاعجمى والعربى اللذين لا يفهم احدهما صاحبه وان شاهد ذلك من قول الله سبحانه فيما حكاه عن سليمان عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وكلام النملة ايضا مما حكاه سبحانه وكلام الهدهد واحتجاجه وجوابه وفهمه فليتنعم بذكر ما عنده في ذلك مثابا ان شاء الله **الجواب** وبالله التوفيق اعلم ان المعول فيما يعتقد على ما تدل الادلة عليه من نفي واثبات فاذا دلت الادلة على امر من الامور وجب ان نبنى كل وارد من الاخبار اذا كان ظاهره بخلافه عليه ونسوقه اليه ونطابق بينه وبينه ونجلي ظاهرا ان كان له ونشرط ان كان مطلقا ونخصه ان كان عاما ونفصله ان كان مجملا ونوفق بينه وبين الادلة من كل طريق اقتضى الموافقة وآل اليها واذا كنا نفعل ذلك ولا

اى رجع

تحتشم

تحتشم في ظواهر القرآن المقطوع على صحته المعلوم وروده فكيف نتوقف عن ذلك في اخبار آحاد لا توجب علما ولا تثمر يقينا فمتى وردت عليك اخبار فاعرضها على هذه الجملة وابنها عليها وافعل فيها ما حكمت به الادلة واوجبته الحجج العقلية وان تعذر فيها بناء وتاويل وتخريج وتنزيل فليس غير الاطراح لها وترك التعريج عليها ولو اقتصرنا على هذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبر ويتفكر وقد يجوز ان يكون المراد بذم هذه الاجناس من الطير انها ناطقة بضد الثناء على الله وبذم اوليائه ونقص اصفيائه معناه ذم متخذيها ومرتبطيها وان هولاء المغرين بمحبة هذه الاجناس واتخاذها هم الذين ينطقون بضد الثناء على الله تعالى ويذمون اولياءه واحباءه فاضاف النطق الى هذه الاجناس وهو لمتخذيها ومرتبطيها للتجاور والتقارب وعلى سبيل التجوز والاستعارة كما اضاف الله في القرآن السوال الى القرية وانما هو لاهل القرية وكما قال تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وفي هذا كله حذوف وقد اضيف في الظاهر الفعل الى من هو في الحقيقة متعلق بغيره والقول في مدح اجناس من الطير والوصف لها بانها تنطق بالثناء على الله تعالى والمدح لاوليائه يجرى على هذا المنهاج الذى نهجناه فان قيل كيف يستحق مرتبط هذه الاجناس مدحا بارتباطها ومرتبط بعض آخر ذما بارتباطه حتى علقتم المدح والذم بذلك قلنا ما جعلنا لارتباط هذه الاجناس حظا في استحقاق مرتبطها مدحا ولا ذما وانما قلنا انه غير ممتنع ان تجرى عادة المومنين الموالين لاولياء الله تعالى والمعادين لاعدائه بان يالفوا ارتباط الاجناس من الطير وكذلك تجرى عادة بعض اعداء الله تعالى باتخاذ بعض اجناس الطير فيكون متخذ بعضها ممدوحا لا من اجل اتخاذه لكن لما هو عليه من الاتخاذ الصحيح فيضاف المدح الى هذه الاجناس وهو لمرتبطها والنطق بالتسبيح والدعاء الصحيح اليها وهو لمتخذها تجوزا واتساعا وكذلك القول في الذم المقابل للمدح فان قيل فلم نهى عن اتخاذ بعض هذه الاجناس اذا كان الذم لا يتعلق باتخاذها وانما يتعلق ببعض متخذيها لكفرهم وضلالهم

قلنا يجوز ان يكون فى اتخاذ هذه البهائم المنهى عن اتخاذها وارتباطها مفسدة
وليس بقبيح خلقها فى الاصل لهذا الوجه لانها خلقت لينتفع بها من سائر وجوه
الانتفاع سوى الارتباط والاتخاذ الذى يمنع تعلق المفسدة به ويجوز ايضا ان
يكون فى اتخاذ هذه الاجناس المنهى عنها شوم وطيرة فللعرب فى ذلك مذهب
معروف ويصح هذا النهى ايضا على مذهب من نفى الطيرة على التحقيق لان
الطيرة والتشائم وان كان لا تاثير لهما على التحقيق فان النفوس تستشعر ذلك
ويسبق اليها ما يجب على كل حال تجنبه والتوقى عنه وعلى هذا يحمل معنى قوله عليه
السلام لا يورد ذو عاهة على مصح فاما تحريم السمك الجرى وما اشبهه فغير ممتنع
لشىء يتعلق بالمفسدة فى تناوله كما نقول فى سائر المحرمات فاما القول بان الجرى
نطق بانه مسخ لجحده الولاية فهو ما يضحك منه ويتعجب من قائله والملتفت الى
مثله فاما تحريم الدب والقرد والفيل فكتحريم كل محرم فى الشريعة والوجه فى
التحريم لا يختلف والقول بانها ممسوخة اذا تكلفنا حملناه على انها كانت على خلق
حسنة غير منفور عنها ثم جعلت على هذه الصور الشنيعة على سبيل التنفير عنها
والزيادة فى الصد عن الانتفاع بها لان بعض الاحياء لا يجوز ان يكون غيره
على الحقيقة والفرق بين كل حيين معلوم ضرورة فكيف يجوز ان يصير حى
حيا آخر غيره واذا اريد بالمسخ هذا فهو باطل وان اريد غيره نظرنا فيه واما
البطيخة فقد يجوز ان يكون امير المومنين عليه السلام لما ذاقها ونفر عن طعمها
وزادت كراهيته لها قال من النار والى النار اى هذا من طعام اهل النار وما
يليق بعذاب اهل النار كما يقول احدنا ذلك فيما يستوبله ويكرهه ويجوز ان
يكون فوران الدخان عند الالقاء لها كان على سبيل التصديق لقوله عليه السلام
من النار والى النار واظهار معجز له واما ذم الارضين السبخة والقول بانها
جحدت الولاية فمتى لم يكن محمولا معناه على ما قدمناه من جحد اهل هذه الارض
وسكانها الولاية لم يكن معقولا ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى وكاين من قرية
عتت عن امر ربها ورسله واما اضافة اعتقاد الحق الى بعض البهائم واعتقاد
الباطل والكفر الى بعض آخر فمما تخالفه العقول والضرورات لان هذه البهائم

مثله

يعجب

جبلة

غير

٣٠٠

غير عاقلة ولا كاملة ولا مكلفة فكيف تعتقد حقا او باطلا واذا ورد اثر
فى ظاهره شىء من هذه المحالات اما اطرح او تؤول على المعنى الصحيح وقد
نهجنا طريق التاويل وبينا كيف التوصل اليه فاما حكايته تعالى عن سليمان عليه
السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شىء ان هذا لهو الفضل
المبين فالمراد به انه علم ما يفهم به ما تنطق به الطير وتتداعى فى اصواتها واغراضها
ومقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجز لسليمان عليه السلام فاما الحكاية
عن النملة بانها قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وقد يجوز
ان يكون المراد انه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى واشعرت باقى النمل
وخوفتهم من الضرر بالمقام وان النجاة فى الهرب الى مساكنها فتكون اضافة
القول اليها مجازا واستعارة كما قال الشاعر ، وشكا الى بعبرة وتحمحم ، وكما
قال الآخر ، وقالت له العينان سمعا وطاعة ، ويجوز ايضا ان يكون وقع من
النملة كلام ذو حروف منظومة كما يتكلم احدنا يتضمن المعانى المذكورة ويكون
ذلك معجزة لسليمان عليه السلام لان الله تعالى سخر له الطير بمثل هذا الكلام
المسموع منا لا يمتنع وقوعه مما ليس بمكلف ولا كامل العقل الا ترى المجنون ومن
لم يبلغ الكمال من الصبيان قد يتكلمون بالكلام المتضمن للاغراض وان كان
التكليف والكمال عنهم زائلين والقول فيما حكى عن الهدهد يجرى على الوجهين
اللذين ذكرناهما فى النملة فلا حاجة بنا الى اعادتهما واما حكايته انه قال
لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتينى بسلطان مبين وكيف يجوز ان
يكون ذلك فى الهدهد وهو غير مكلف ولا يستحق مثله العذاب والجواب
عنه ان العذاب اسم للضرر الواقع وان لم يكن مستحقا فليس يجرى مجرى العقاب
الذى لا يكون الا جزاء على امر تقدم فليس يمتنع ان يكون معنى لاعذبنه اى
لاولمنه ويكون الله تعالى قد اباحه الايلام له كما اباحه الذبح لضرب من المصلحة
كما سخر له الطير يصرفها فى منافعه واغراضه وكل هذا لا ينكر فى نبى مرسل
تخرق له العادات وتظهر على يده المعجزات وانما يشتبه على قوم يظنون ان
هذه الحكايات تقتضى كون النملة والهدهد مكلفين وقد بينا ان الامر بخلاف

وليس يمتنع

ذلك تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا فكيف يجوز ان يكون من جملة ما حرم علينا ان لا نشرك به شيئا والامر بالعكس من ذلك الجواب قيل له هذا السوال سوال من لا تامل عنده بموضوع الاية وترتيب خطابها لان التحريم المذكور فيها لا يجوز البتة على مذهب اهل العربية ان يكون متعلقا بقوله الا تشركوا به شيئا وانما هو من صلة الجملة الاولى ولو تعلق التحريم المذكور بقوله الا تشركوا لم يخل ان يكون تعلقه به تعلق الفاعل او المفعول وكانه قال لحرم الا تشركوا او المبتدا او الخبر فكانه قال الذى حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا والتعلق الاول يمنع منه وان لفظة حرم من صلة ما التى هى بمعنى الذى فلا تعمل فيما بعدها الا ترى انك اذا قلت حرمت كذا فالتحريم عامل فيما بعده عمل الفعل فى المفعول فاذا قلت الذى حرمت كذا ابطل هذا المعنى ولم يجز ان يكون التحريم متعلقا بما بعده على معنى الفعلية بل على سبيل المبتدا والخبر ولا يجوز ان يكون فى الاية التعلق على هذا الوجه لان صدر الكلام يمنع من ذلك الا ترى انه تعالى قال اتل ما حرم فما حرم منصوب على انه مفعول اتل واذا كان كذلك لم يجز ان يكون ما حرم مبتدا حتى يكون الا تشركوا خبرا له واذا بطل التعلق بين الكلام من كلا الوجهين نظرنا فى قوله تعالى الا تشركوا ما ذا يتعلق به واحتجنا الى اضمار متعلق به ولم يجز ان نضمر حرم الا تشركوا به لان ذلك واجب غير محرم فيجب ان نضمر ما وصيكم الا تشركوا به شيئا او اتل عليكم الا تشركوا والاضمار الاول يشهد له آخر الاية فى قوله تعالى ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون والاضمار الثانى يشهد له اول الاية من قوله تعالى اتل وما وصانا به فقد امرنا به وندبنا اليه فان قيل فما موضع ان من الاعراب قلنا فى ذلك وجوه ثلاثة احدها الرفع ويكون التقدير ذلك الا تشركوا به شيئا فكانه مبتدا وخبر والثانى النصب اما على اوصى الا تشركوا او على اتل الا تشركوا والثالث ان لا يكون لها موضع ويكون المعنى لا تشركوا به شيئا فاما موضع تشركوا فيمكن فيه وجهان النصب بان والثانى الجزم بلا على جهة النهى فان قيل كيف يعطف النهى فى قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم على

وكيف

الخبر

الخبر وهو اوصى الا تشركوا قلنا ذلك جائز مثل قوله تعالى قل انى امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين ومثله قول الشاعر

حج واوصى بسليمى الاعبدا ، ان لا ترى ولا تكلم احدا
ولا يزل شرابها مبردا ،

فعطف لا تكلم وهو نهى على الخبر ويمكن فى الاية وجه غير مذكور فيها والكلام يحتمله وهو ان يكون الكلام انقطع عند قوله تعالى اتل ما حرم ربكم والوقف ههنا ثم ابتدا عليكم الا تشركوا به شيئا واذا كان على هذا الوجه احتمل عليكم لا تشركوا وجهين احدهما ان يراد به يلزمكم وواجب عليكم كما يقال عليك درهم وعليك ان تفعل كذا ثم قال وبالوالدين احسانا اى اوصى بالوالدين احسانا والوجه الآخر ان يريد الاغراء كما تقول عليك زيدا وعليك كذا اذا امرت باخذه والبدار اليه ولم يبق بعد هذا الا سوال واحد وهو ان يقال كيف يجوز ان يقول تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم ثم ياتى بذكر اشياء غير محرمات حتى تقدروا لها الوصية او الامر وصدر الكلام يقتضى ان الذى ياتى به من بعد لا يكون الا محرما الا ترى ان القائل اذا قال تعال اتل عليك ما وهبت كذا وكذا لا بد ان يكون ما يعده ويذكره من الموهوب والا خرج الكلام من الصحة الجواب عن ذلك ان التحريم لما كان ايجابا والزاما الى ما بعد من المذكورات على المعنى دون اللفظ بذكر الامور الواجبات والمامورات للاشتراك فى المعنى وايضا فان فى الايجاب والالزام تحريما الا ترى ان الواجب محرم الترك وكل شى ذكر بعد لفظ التحريم فيه على بعض الوجوه تحريم فان قيل الا حملتم الاية على ما حملها قوم عليه من ان لفظة لا زائدة فى قوله ان لا تشركوا فكانه عز وجل حرم ان تشركوا واستشهد على زيادة لا بقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وبقول الشاعر

فما الوم البيض الا تسخرا ، لما راين الاشمط القفندرا ،

وبقول الشاعر

الا يا لقوم قد اشطت عواذلى ، ويزعمن ان اودى بحقى باطلى ،
ويلحيننى فى اللهو ان لا احبه ، وللهو داع دائب غير غافل ،

قلنا قد انكر كثير من اهل العربية زيادة لا فى مثل هذا الموضع وضعفوه وحملوا

اى الشيخ

قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك على انه خارج على المعنى والمراد به ما دعاك
الى ان لا تسجد ومن امرك بان لا تسجد لان من منع من شئ فقد دعى الى ان لا
يفعل ومتى حملنا قوله تعالى الا تشركوا به شيئا على ان لفظة لا زائدة على تضعيف
قوم لذلك فلا بد فيما اتصل به هذا الكلام من تقدير فعل آخر وهو قوله تعالى
وبالوالدين احسانا لان ذلك لا يجوز ان يكون معطوفا على المحرم ولا بد من
اضمار ووصينا بالوالدين احسانا واذا احتجنا الى هذا الاضمار ولم يغننا عنه ما
ارتكبناه من زيادة لفظ لا فالاولى ان نكتفي بهذا الاضمار في صدر الكلام على
حاله من غير الغاء شئ منه ونقدر ما تقدم بيانه فكانه تعالى وصى الا تشركوا به
شيئا وبالوالدين احسانا ويشهد لذلك ويقويه آخر الآية **تاويل آية** ان سال
سائل عن قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني
علما فقال ما معنى هذه الآية فان ظاهرها لا يدل على تاويلها **الجواب** قلنا قد ذكر
المفسرون في هذه الآية وجهين نحن نذكرهما ونوضح صنهما ثم نتلوهما بما خطر لنا
فيها زائدا على المسطور واحد ما قيل في هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وآله كان
اذا نزل عليه القرآن وسمعه من جبرئيل قراه عليه السلام ما يوحى به اليه من
القرآن اولا اولا قبل استتمامه والانتهاء الى المنزل منه في الحال وقطع الكلام عليها
وانما كان يفعل النبي عليه السلام ذلك حرصا على حفظه وضبطه وخوفا من نسيان
بعضه فانزل الله تعالى هذه الآية ليثبت النبي صلى الله عليه وآله في تلاوته ما يسمعه
من القرآن حتى ينتهي الى غايته لتعلق بعض الكلام ببعض قالوا ونظير هذه الآية
قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قراناه فاتبع قرآنه
ثم ان علينا بيانه فضمن الله تعالى انه يجمع له عليه السلام حفظ القرآن ثم يثبته
في صدره ليوديه الى امته واسقط عنه كلفة الاستعجال بترداد تلاوته والمبادرة
الى تلاوته كل ما يسمعه منه تخفيفا عنه وترفيها له واكد وا ذلك بقوله تعالى فاذا
قراناه فاتبع قرآنه اي اذا انهينا الى غاية ما نريد انزاله في تلك الحال فحينئذ اتبع
قراءة ذلك وتلاوته فلم يبق منه ما ينتظر في الحال نزوله والوجه الآخر انهم قالوا
انما نهى النبي عليه السلام عن تلاوة القرآن على امته واداء ما يسمعه منه اليهم قبل

ليثبت النبي عليه السلام

ويثبته

ان يوحى اليه عليه السلام ببيانه والايضاح من معناه وتاويله لان تلاوة على
من لا يفهم معناه ولا يعرف مغزاه لا يحسن قالوا ومعنى قوله من قبل ان يقضى
اليك وحيه المراد به قبل ان يقضى اليك وحي بيانه وتفسير معناه لان لفظة القضاء
وان كانت على وجوه معروفة في اللغة فهي ههنا بمعنى الفراغ والانتهاء الى الغاية كما
قال فقضاهن سبع سموات في يومين وكما قال الشاعر ، ولما قضينا من منى كل حاجة
، ومسح بالاركان من هو ماسح ، اي فرغنا من حاجاتنا وانهينا الى غاية الوطر
منها فاما الجواب الثالث الزائد على ما ذكر فهو انه غير ممتنع ان يريد لا تعجل بان
تستدعي من القرآن ما لم يوح اليك به فان الله تعالى اذا علم مصلحة في انزال القرآن
عليك امر بانزاله ولم يدخر عنك لانه لا يدخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم
لمان قيل على هذا الوجه انه يخالف الظاهر لانه تعالى قال ولا تعجل بالقرآن ولم يقل
بطلبه واستدعائه والظاهر يقتضي ان الاستعجال بنفس القرآن لا بغيره قلنا الامر
على ما ظنه السائل وعلى الوجوه الثلاثة في تاويل الآية لا بد من ان يقدر لا تعجل
بتلاوة القرآن اما على سبيل الدرس والتحفظ على ما ذكر في الوجه الاول وان تتلوه
على امته قبل انزال البيان واي فرق في مخالفة الظاهر بين ان يقدر ولا تعجل
بتلاوة القرآن او يقدر لا تعجل بطلب القرآن واستدعاء نزوله فان قيل هذا
يدل على وقوع معصية من النبي عليه السلام في استدعاء ما لم يكن له ان يستدعيه من
القرآن لان النهي لا يكون الا من قبيح قلنا لا يكون الا عن قبيح لا محالة لكن النهي
لا يدل على وقوع الفعل المنهي عنه لانه قد ينهى عن الفعل من لم يواقعه قط ولا
يواقعه الا ترى ان النبي عليه السلام نهى عن الشرك وسائر القبائح كما نهينا ولم يدل
ذلك على وقوع شئ مما نهي عنه منه وهذا ايضا يمكن ان يكون جوابا لمن اعتمد على
الوجهين الاولين اذا قيل له او قع منه عليه السلام تلاوة القرآن على امته قبل
نزول بيانه او عجل بتكريره على سبيل الدرس كما نهي عنه ويمكن من اعتمد على الوجه
الاول في تاويل الآية ان يقول في قوله تعالى لا تعجل بالقرآن وان كان ظاهره النهي
ليس بنهي على الحقيقة وقد يرد على ما هو بلفظ النهي وهو غير نهي على التحقيق كما
يرد ما هو بصفة الامر وليس بامر وانما ذلك تخفيف عنه عليه السلام وترفيه

ودفع كلفة المشقة عنه عليه السلام لا تتكلف المسابقة الى تكرير ما ينزل عليك
خوفا من ان تنساه فان الله تعا يكفيك هذه المؤونة ويغنيك عن حفظه وضبطه
كما قال تعالى فى الآية الاخرى ان علينا جمعه وقرآنه اى جمعه فى حفظك وتامورك وبعد
فان الاولى التوقف عن معرفة غاية الكلام التى ينتهى اليها وينقطع عليها والتلاوة
لما يريد منه الاول فالاول تلاوة لما لا يعرف معناه لتعلق الكلام بعضه ببعض
فندب عليه السلام الى الاولى من التوقف على غايته واما الوجه الثانى الذى
اعتمد فيه على ان النهى انما هو عن تلاوته على الامة قبل نزول بيانه فان كان
المعتمد على ذلك يقول ليس يمتنع ان تكون المصلحة فى التوقف عن الاداء قبل
البيان فنهى عليه السلام عن ذلك لان المصلحة فى خلافه فهذا جائز لا مطعن فيه
وان كان المقصد الى ان الخطاب لا يحسن الا مع البيان على مذهب من يرى ان
البيان لا يتاخر عن الخطاب فذلك فاسد لان الصحيح ان البيان يجوز ان يتاخر
عن وقت الخطاب وانما لا يجوز تاخيره عن وقت الحاجة وقد بينا الكلام فى هذه
المسئلة والادلة على صحة ما ذهبنا اليه منها فى مواضع من كتبنا وتكلمنا على فساد
قول من اوجبا قتران البيان بالخطاب على ان من اعتمد على هذه الطريقة فى هذا
الموضع فقد غلط لان الاية تدل على ان الله تعا قد خاطب نبيه عليه السلام بما يحتاج
الى بيان من غير انضمام البيان اليه واذا جاز ذلك فى خطابه تعا لنبيه عليه السلام
جاز مثله فى خطاب النبى عليه السلام لامته لان من ابطل تاخير البيان عن زمان
الخطاب يوجب ذلك فى كل خطاب وليس يمكن ان يدعى انه تعا قد بين له لان
تاويلهم يمنع من ذلك لانه قيل له على هذا الوجه لا تعجل بتلاوة القرآن على امتك
قبل ان يقضى اليك وحيه يعنى قبل ان ينزل اليك بيانه فالبيان متاخر عنه على
ذلك الوجه وذلك قبيح على مذهب من منع من تاخير البيان عن وقت الخطاب
والتاويل الذى ذكرناه زائدا على الوجهين المذكورين يمكن ان يفسر به الاية الاخرى
التى هى قوله تعا لا تحرك به لسانك بطلب ما لم ينزل عليك من القرآن فان علينا
انزال ما تقتضى المصلحة انزاله عليك وجمعه لك وقوله تعا فاذا قراناه فاتبع
قرآنه ثم ان علينا بيانه يدل ظاهره على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب لانه

يريد بقوله تامورك القلب وعبر بالتامور عن النفس وهو الدم يقال النفس سالت منه اى دم والنفاس والنفساء منه هذا

التوقف على غايته

هذا

تعا امره اذا قرا عليه الملك واوحى به اليه ان يقراه ثم صرح بان البيان
ياتى بعده فان ثم لا يكون الا للتراخى وما هو مقترن بالشئ لا تستعمل فيه لفظة
ثم الا ترى انه لا يقال اتانى زيد ثم عمرو وانما حضرا فى وقت واحد مسئلة
ان سال سائل عن قوله تعا ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقال اى معنى لقوله تعالى
اورثنا وما الكتاب المشار اليه واذا كان اصطفاه هو الاختيار والاجتباء ولذلك
لا يليق الا بمن هو معصوم مامون منه القبيح كالانبياء والائمة عليهم السلام فكيف
قال بعد ذلك فمنهم ظالم لنفسه وهذا وصف لا يليق بمن ذكرناه الجواب ان
الذى يجب اعتماده فى تاويل هذه الاية ان قوله تعا فمنهم ترجع الكناية فيه الى
العباد لا الى الذين اصطفوا وهو اقرب اليه فى الذكر فكانه تعا قال ومن عبادنا
ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فان قيل فاى فائدة فى وصف العباد
بهذه القسمة وكيف عدل عن وصف الذين اصطفاهم وورثهم الكتاب قلنا
الوجه فى ذلك ظاهر لانه تعا لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاهم من عباده
اراد ان يبين وجه الاختصاص وانما علق وراثة الكتاب ببعض العباد دون
بعض لان فى العباد من هو ظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومن هو سابق بالخيرات
فوجه المطابقة بين الكلام واضح ونحن الآن متبعون ما قيل فى تاويل هذه
الآية وموضحون عما فيه من صحة او اختلال ذكر ابو على الجبائى ومن تابعه ان
المراد بالذين اصطفوا الانبياء عليهم السلام والظالم لنفسه من ارتكب الصغيرة
منهم وانما وصف بذلك من حيث فوت نفسه الثواب الذى زال عنه بفعل
الصغيرة ويودى سائر الواجبات والسابق الى الخير هو الذى استكثر من فعل
النوافل وهذا التاويل يفسد من جهة ان الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم
السلام لا يقع منهم شئ من المعاصى والقبائح وقد اشبعنا الكلام فى ذلك فى
كتابنا المعروف بتنزيه الانبياء والائمة عليهم السلام ولو عدلنا عن ذلك لم يجز
ما قاله لان قولنا فلان ظالم لنفسه من اوصاف الذم والذم لا يستحقه فاعل
الصغيرة فكيف تجرى عليه اوصاف الذم ولا شبهة فى ان قولنا فلان ظالم لنفسه

من اوصاف الذم لانهم يقولون في كل من فعل قبيحا انه قد ظلم من حيث فعل
ما يستحق به العقاب وكانه ادخل على نفسه ضررا ما كان يستحقه فاشبه بذلك
الظالم لغيره ولا يجوز ان يوصف فاعل الصغيرة بانه ظالم لنفسه من حيث
فوت نفسه الثواب لانه ان عنى بذلك الثواب الذي يبطل بعقاب الصغيرة
فعندنا على ان الصغيرة يحبط عقابها بالثواب الكثير من غير ان ينقص
من الثواب شي لانه لا يذهب الى الموازنة التي يذهب اليها ابو هاشم فما فوتت
الصغيرة عنه ثوابا كان مستحقا له وان عنى بتفويت الثواب انه لو لم يفعل
هذه المعصية لكان يستحق على الامتناع منها ثوابا فاته بفعلها فهذا يوجب ان
تكون الانبياء عليهم السلام في كل حال مفوتين لانفسهم الثواب بفعل المباحات
لانهم لو فعلوا الطاعات بدلا منها لاستحقوا الثواب ولوجب ان يوصفوا على
الثانية بانهم ظالمون لانفسهم على ان وضع الكلام وترتيبه يقتضيان ان اي المسئلة الثانية
الظالم لنفسه في الآية في موضع ذم لانه تعالى جعله بازاء المقتصد وليس بازاء
المقتصد الا المسرف المذموم فان قيل فقد قلتم في تاويل حكايته تعالى عن آدم
وحوا عليهما السلام قولهما ربنا ظلمنا انفسنا انما اراد انا نقصنا انفسنا الثواب الذي
كنا نستحقه لو فعلنا ما ندبنا اليه من الامتناع من تناول الشجرة قلنا انما قلنا
ذلك هناك وعدلنا عن الظاهر في هذه اللفظة لقيام الدليل ان النبي عليه السلام
لا يواقع المحظور كبيرا ولا صغيرا من الذنوب وليس في الآية التي نحن في الكلام
عليها ضرورة توجب العدول عن الظاهر بل قد بينا ان ترتيب الكلام ومقابلته
يقتضيان ان لفظة ظالم لنفسه في الآية تقتضي الذم لانها بازاء المقتصد على
انه غير ممتنع ان تكون لفظة ظلم بخلاف لفظة ظالم في عرف الاستعمال كما
انه قد خالفنا ان لفظة آمن بخلاف لفظة مومن لانهم يصفون صاحب
الكبيرة بانه آمن ولا يسمونه بانه مومن ويزعمون ان الانتقال عن الاشتقاق
الى افادة استحقاق الثواب انما هو في مومن دون آمن فلا ينبغي ان ينكروا
مثل ذلك في ظلم وظالم وتاول قوم هذه الآية على ان المراد من اختاره الله تعالى
للتكليف وتوريث الكتاب من العقلاء البالغين ثم قسمهم الاقسام التي تليق بهم

من

من غير ان يكون المراد بالآية الانبياء عليهم السلام وهذا الجواب يفسد لان
الله تعالى يقول ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ومن اصطفاه الله
واختاره واجتباه بالاطلاق لا يكون الا محمودا ممدوحا معظما فكيف يكون فيهم من
يستحق الذم والعقاب ومن يختار الله تكليفه شيئا مخصوصا لا يقال في الاطلاق
ان الله تعالى اصطفاه والمعتزلة ابدا تنكر على المرجئة تاويلهم قوله تعالى ولا يشفعون
الا لمن ارتضى على ان المراد من ارتضى الشفاعة فيه ويقولون من ارتضى شيئا
يتعلق به لا يوصف بانه مرتضى على الاطلاق فكيف يثبتونه هاهنا ووجدت
ابا القاسم البلخي يقول في كتابه تفسير القرآن انه تعالى اراد العقلاء البالغين
ويجوز ان يكونوا عند الاصطفاء اخيارا اتقياء ثم ظلم بعضهم نفسه فيكون كما
قال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وهو في وقت لا ارتداد
غير مومن كذلك يكون في حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين قال ويجوز ايضا
ان يكون فيهم من ظلم نفسه ثم تاب واصلح ويكون قوله منهم ظالم لنفسه اي منهم
من كان قد ظلم نفسه ليس انه في هذا الوقت ظالم لها هذه الفاظه بعينها حكيناها
عنه وهذا فاسد لان من كان منهم ظالما فاعلا للقبيح لا يوصفون على الاطلاق
بان الله تعالى اصطفاهم فهذا الوصف يقتضي ان تكون الجماعة اخيارا وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه بخلاف هذا لان وصفهم بانهم امنوا
في الماضي لا يمنع من الردة في المستقبل وقوله تعالى الذين اصطفينا يمنع ان يكون
فيهم من ليست هذه صفته واما حمل ذلك على من ظلم ثم تاب فهو غير صحيح لان
من تاب لا يوصف بعد التوبة بانه ظالم لنفسه لان التوبة تمنع من اجراء الفاظ
الذم ووجدت بعضهم يتاول هذه الآية على ان المراد بظالم لنفسه من جهد
نفسه في العبادة وحمل عليها وقال هذا يليق باوصاف الانبياء عليهم السلام
ولا يمنع النبوة منه وهذا ايضا غير صحيح لانا قد بينا ان لفظة ظالم لنفسه يذم
بها في التعارف فكيف تجري على المدح ومن هذا الذي يسمي من جهد نفسه في
العبادة الحامل على نفسه ظالما فاي معنى للتكرار وهذا تاويل يفسد القسمة وهذه
الجملة توضح ان التاويل الصحيح ما قدمناه فاما قوله تعالى الكتاب فالظاهر انه

كنايةً عن القرآن المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد صارت هذه
اللفظة بالاطلاق عبارة عنه ولهذا اذا اطلق القائل فقال هذا ينطق به الكتاب
ومحرّم في الكتاب ومن حق الكتاب وورد في الكتاب لم يفهم منه الا ما ذكرناه
ومعنى اورثناه يعني علمه وفوائده واحكامه وليس يليق ذلك بالانبياء المتقدمين
فانه لا حظ لهم في علم هذا الكتاب وانما يختص بهذه الفائدة نبينا عليه السلام
والائمة من ولده عليهم السلام لانهم المتعبدون بحفظه وبيانه والعمل باحكامه
وذلك كله واضح بحمد الله ومنّه تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون
الجواب قلنا اما الذين يدعون من دونه المراد به ما كان يعتقده المشركون ويدعونه
الها من دون الله والهاء في دونه راجعة الى اسم الله تعالى وتحقيق الكلام ولا
يملك الذين يدعون آلهة وارباباً من دون الله ويدعى آلهة ارزاقاً استحسنوا
الحذف لظهور الامر في المراد ولهذا حمل محققو المفسرين قوله تعالى قل ما يعبؤا
بكم ربي لولا دعاؤكم الآلهة من دونه وحذف ما يتعلق بهذا الدعاء في هذه
الآية اشكل من حذفه في قوله تعالى الذين يدعون من دونه لان قوله جل وعز
من دونه قد نبّه وايقظ على ان المراد من كان يدعى الها من دونه والآية الاخرى
لا دليل فيها من لفظها على ما يتعلق به قوله دعاؤكم ومعنى انهم لا يملكون الشفاعة
اى ليس لهم ان يفعلوها ويتصرفوا فيها لان معنى المالك ليس هو الا من كان قادرا
على التصرف فيه وليس لاحد ان يمنعه من ذلك والشفاعة قد بينا في غير موضع
من كتبنا انها لا تستعمل على طريقة الحقيقة الا في طلب اسقاط المضار وانما
استعملت في ايصال المنافع تجوزاً فيه واستعارة وقيل في معنى الآية وجهان
احدهما ان المعبودين من عيسى بن مريم والملائكة وعزير عليهم السلام لا يملك
الشفاعة عند الله تعالى في احد الا فيمن شهد بالحق واقر بالتوحيد وبجميع ما يجب
عليه الاقرار به والوجه الآخر ان الذين يدعون من دون الله من البشر والاجسام
وجميع المعبودات لا يملك الشفاعة عند الله الا من شهد بالحق منهم يعني عيسى
وعزيراً والملائكة عليهم السلام لا يملكون الشفاعة عند الله تعالى الا اذا كانوا

على الحق شاهدين به معترفين بجميعه فانهم يملكون الشفاعة عند الله وان كان
لا يملكها ما عداهم من المعبودات والفرق بين الوجهين ان الوجه الاول يرجع
الاستثناء فيه الى من تتناوله الشفاعة وفي الوجه الثاني يرجع الاستثناء الى الشافع
دون المشفوع فيه فان قيل اى الوجهين ارجح قلنا الثاني وانما رجحناه لان المقصد
بالكلام ان الذين يدعونهم من دون الله تعالى لا يملكون لهم نفعاً كما قال تعالى في مواضع
انهم لا ينفعونكم ولا يضرونكم ولا يرزقونكم ووضع الكلام على نفي منفعة تصل
اليهم من جهتهم ولا غرض في عموم من يشفعون فيه او خصوصه ولما كان فيمن
عبدوه من نبيّ او ملك من يجوز ان يشفع فيمن تحسن الشفاعة له وجب استثناؤه
حتى لا يتوهم ان حكم جميع من عبدوه واحد في انه لا تصح منه الشفاعة وان من
كان تصح منه الشفاعة انما يشفع فيمن يحسن الشفاعة له ممن لم يكن كافراً ولا
جاحداً ويترجح هذا الوجه من جهة اخرى وهي انا لو جعلنا الاستثناء يرجع الى من
يشفع فيه لكان الكلام يقتضي ان جميع من يدعون من دون الله يشفع لكل من
شهد بالحق والامر بخلاف ذلك لانه ليس كل من عبدوه من دون الله تعالى تصح
منه الشفاعة لانهم عبدوا الاصنام وبعض عبد الكواكب والشفاعة لا تصح
منها فلا بد من ان تخصص الكلام ونقدره هكذا ولا يملك بعض الذين يدعون
من دونه الشفاعة الا فيمن شهد بالحق فعود الاستثناء الى الشافعين اولى حتى
تخصص وايضاً فلو عاد الاستثناء الى المشفوع فيه لوجب ان يكون على غير هذه
الصيغة فيقول الا فيمن شهد بالحق واذا قال الا من شهد بالحق كان ذلك بان
يرجع الى الشافع اولى لانه اليق باللفظ لانا اذا اردنا ان نستثني من جماعة لا
يشفعون قلنا هؤلاء لا يشفعون الا من كان بصفة كذا وايضاً فعلى الوجه الاول
قد تقدم عموم ظاهر في اللفظة يجوز ان يستثنى منه وهو قوله تعالى الذين يدعون
من دونه وما جرى ذكر المشفوع فيه عموماً يستثنى بعضه فان قيل الشفاعة لفظ
جنس يقتضي العموم قلنا قد بينا في غير موضع ان الفاظ الجنس لا تقتضي الاستغراق
وضربنا المثل بمن يقول هذه ايام اكل اللحم وزمان لبس الجباب فانه يقتضي
الجنس من غير استغراق وان توهم خصوص وعموم لخطانا ما لا يعقل فان قيل

اى فائدة فى قوله تعالى وهم يعلمون وباى شئ يتعلق علمهم قلنا ليس كل من شهد
بالحق يكون عالما لان المقلد والمبخت ربما شهد بالحق على وجه لا ينفع وانما ينفع
ذلك مع العلم فكانه تعالى قال وهم يعلمون صحة ما شهدوا به فان قيل اذا كان المستثنى
هم الانبياء والملائكة فهولاء لا يشهدون بالحق الا مع العلم قلنا ذلك صحيح الا ان
الاستثناء لما تناول فى اللفظة من كان بصفة وكان مجرد هذه اللفظة لا ينفع فى
المعنى المقصود الا مشروطا بالعلم وجب اشتراط العلم ليعلم افتقار تلك الصفة
فيمن كانت له وهذا واضح فان قيل هذان الوجهان اللذان ذكرتموهما وجهتم
احدهما يقتضيا ان مشاركة نبينا عليه السلام فى الشفاعة للمذنبين ومن مذهب
المسلمين انه ينفرد بالشفاعة قلنا ليس فيما ذكرت تضعيف هذين الجوابين من وجوه
احدها ان انفراده عليه السلام بالشفاعة للمذنبين حتى لا يشاركه احد فيها ليس
بمعلوم ولا مقطوع عليه وانما يرجع فيه الى اقوال قوم غير محصلين الا ترى ان عند
المسلمين كلهم الا من عند المعتزلة ومن وافقهم ان للمومنين شفاعة بعضهم فى بعض
فكيف يدعى الاختصاص فى هذه الرتبة وثانيها ان المزية المدعاة لنبينا عليه السلام
فى الشفاعة انما هى على الانبياء المتقدمين دون الملائكة لانه خلاف فى ان للملائكة
شفاعة وقد نطق القرآن بذلك فقال لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته
مشفقون واذا كان الامر على ما ذكرناه فالاستثناء يعود الى الملائكة عليهم السلام
لانهم من جملة المعبودين فلا يمنع نفى الشفاعة عن الكل ان يستثنوا لان لهم شفاعة
وثالثها ان الشفاعة قد تكون الى الله تعالى والى غيره فان ثبت ما ادعى من تفرد نبينا
عليه السلام بالشفاعة عند الله تعالى فى مذنبى امته جاز ان تثبت الشفاعة لغيره
عند غير الله تعالى فكانه قال انتم تعبدون من لا يشفع فيكم فى الدنيا ولا ينصركم
واستثنى من يجوز عليه ان يشفع فى الدنيا ورابعها ان يكون المراد بالشفاعة ههنا
النصرة والمعونة والمنفعة لان الشفاعة فيمن تتناوله نفع يوصل اليه وارادة
الشفاعة فى الامة معنى الشفاعة وهو المنفعة والنصرة وتقدير الكلام انكم الآية
تعبدون من لا ينفعكم ولا ينصركم ولا يعينكم ولما كان فى جملة هولاء المعبودين من
يصح ان ينصر وينفع استثنى ليبين ان حكمهم مفارق لحكم غيرهم وهذا بين لمن

تامله

تامله مسئلة ان اعترض معترض على ما نقوله من ان الاستثناء انما يخرج
من الجمل ما صلح دخوله فيها وليس بواجب ان يخرج منها ما وجب دخوله بان
يقول هذا يقتضى حسن ان يقول القائل جاءنى رجل الا زيدا لان لفظة رجل تصلح
ان تقع على زيد وعمرو ويقال له من حق الاستثناء فى اللغة العربية ان يدخل على
الجمل من الكلام فيخرج منها ما يصلح دخوله على مذهب مخالفنا ولا يصح دخول
الاستثناء على الفاظ الوحدة ورجل لفظ واحد وان وقع فى المعنى على الطويل
والقصير وزيد وعمرو والاستثناء انما يخرج من الجمل ما يتناولها لفظها دون
معناها فلهذا لم يستحسنوا جاءنى رجل الا زيدا وقد يستحسنوا فى هذا الموضع ما يجرى
مجرى الاستثناء بغير لفظة الا فيقولون جاءنى رجل ليس زيدا وليس بزيد فيخرجون
من الكلام ما صح تناوله له وان لم يسموه استثناء ولا استحسنوا لفظة الا الا خاصة
للاستثناء ولولا صحة الاصل الذى ذكرناه لما استحسنوا ان يقولوا جاءنى رجال
الا زيدا لانهم اخرجوا بالاستثناء ما تصلح لفظة رجال له دون ما تتناوله وجوبا
فان قيل الا كان قوله جاءنى رجال الجنس دون ما يدعى من تناوله للثلاثة
فصاعدا فلهذا احسن الاستثناء منه بالا ولفظة رجل فى قولهم جاءنى رجل للجنس
قلنا لو كان لفظة رجال اريد به جنس الرجال على عموم حسن استثناء النكرة منه
من غير وصف لها ولا تقريب من المعرفة حتى يقول جاءنى رجال الا رجلا لانه
اذا اريد للجنس حسن ذلك لا محالة كحسنه لو قال جاءنى الرجال بالالف واللام
الا رجلا واجمعوا على ان ذلك لا يجوز لانه غير مفيد ولو اريد بلفظة رجال ههنا
الجنس لكان استثناء الرجل الواحد منها من غير وصف له مفيدا فاما لفظة
رجل فى الاثبات كقولهم جاءنى رجل فانه لا يجوز ان يكون عبارة عن الجنس فى
شئ من كلامهم ولو ارادوا به الجنس لحسن الاستثناء كما يحسن من الفاظ الجنس
وانما يراد فى بعض المواضع بلفظة رجل الجنس اذا كانت فى النفى مثل قولهم
ما جاءنى رجل وما ضربت رجلا وههنا يجوز ان نستثنى فنقول الا زيدا مسئلة
ان سال سائل عن قوله تعالى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى
بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب

الرحيم فقال كيف يجوزان يتعبدهم بقتل انفسهم والعبادة بذلك لا تحسن الا
ان تكون مصلحة لهذا المكلف فى دينه اما بان يفعل طاعة او يمتنع من قبيح وهو
بعد الموت قد خرج من كل تكليف فلا يصح منه شئ من الافعال **الجواب** ان المفسرين
قد اختلفت اقوالهم فى هذه الآية فمنهم من ذهب الى انه تعالى كلفهم ان يقتلوا
انفسهم القتل الحقيقى المعهود ومنهم من ذهب الى انه تعالى كلفهم ان يقتل بعضهم
بعضا ومنهم من حمل الآية على ان المراد بها تكليف الاستسلام للقتل ويقول انهم
استحقوا بعبادة العجل القتل فلما تابوا امرهم الله تعالى بان يستسلموا لمن يقتلهم
كما كلف الله القاتل لغيره ان يستسلم للقود منه فاما الوجه الاول فيبطل بما ذكر
فى السؤال ولا يجوز ان يكون وجه حسن هذا التكليف المصلحة لغير المقتول لان
مصلحة زيد لا تكون وجها فى وجوب الفعل على عمرو ولا يمكن ان يقال ان
مصلحة المامور بقتل نفسه فى نفس الامر والتكليف قبل ان يقتل نفسه فان ذلك وان
ربما كان لطفا له فى بعض العبادات وذلك لان الامر بما ليس له وجه وجوب
او ندب لا يحسن بل يكون الامر قبيحا واذا كان الامر قبيحا لم يحسنه ان يكون
فيه لطف لبعض المكلفين بل يمنع منه كما يمنع من ان يلطف لبعض المكلفين بما
هو قبيح فى نفسه فلم يبق بعد ابطال هذا الوجه الا الوجهان الاخيران من
الاستسلام لمن يقتلهم القتل الذى استحقوه او قتل بعضهم بعضا فقد روى انهم
برزوا باسيافهم واصطفوا صفين يضرب بعضهم بعضا فمن قتل منهم كان
شهيدا ومن نجا كان تائبا ويمكن فى الآية وجه آخر ما رأينا احدا من المفسرين
سبق اليه وهو انه لم يرد فى القوة على ما ذكروه لم يبعد عنه وهو ان يكون
المراد بقوله تعالى فاقتلوا انفسكم اى اجتهدوا فى التوبة بما اقدمتم عليه والندم
على ما فات وادخال المشاق الشديدة عليكم فى ذلك حتى تكادوا ان تكونوا قاتلين
انفسكم وقد يسمى من فعل ما يقارب الشئ باسم فاعليه ومذهب اهل اللغة
فى ذلك معروف مشهور يقولون ضرب فلان عبده حتى قتله وفلان قتله العشق
واخرج نفسه وابطل روحه وما جرى مجرى ذلك وانما يريدون المقاربة
والمشارفة والمبالغة فى وصف التناهى والشدة فلما اراد تعالى ان يامرهم بالتناهى

والمبالغة

والمبالغة فى الندم على ما فات وبلوغ الغاية القصوى فيه جاز ان يقول
فاقتلوا انفسكم فاذا قيل طعنا على هذا الجواب انما يسمى مقاربة القتل قتلا مجازا
وتوسعا وحمل الكلام على حقيقته اولى **الجواب** ان الوجهين اللذين ذكرهما
المفسرون فى هذه الآية من قتل بعضهم بعضا والاستسلام للقتل مبنيان ايضا
على المجاز وظاهر التنزيل بخلافهما لان الاستسلام للقتل ليس بقتل على الحقيقة
وانما سمى باسمه من حيث يؤدى اليه وكذلك قتل بعضهم بعضا مجاز لان القاتل
غير المقتول وظاهر الآية يقتضى ان القاتل هو المقتول واما استشهادهم فى
تقوية هذا الوجه بقوله ولا تقتلوا انفسكم يعنى اخوانكم ولا يعنى بشئ لان
ذلك مجاز لا محالة وانما حمل على الاخوان بدليل والظاهر ان يكون تكليفا
لقتل الواحد نفسه وسلامة على نفسه فان قيل كيف يجوز ان يستحق القتل بعد
التوبة من الوجوه التى بها يستحق القتل قلنا غير ممتنع ان يكلفنا الله تعالى بعد
التوبة من الكفر القتل امتحانا لا على سبيل العقوبة فان قيل كيف يصح ان تكون
العقوبة نفسها قتل انفسهم والتوبة هى الندم والعزم وهما غير القتل قلنا الجواب
الصحيح عن هذا السؤال ان الفاء فى الآية عاطفة للقتل على التوبة وليست بمنبئة
ان القتل هو التوبة على ما ظنه بعض من لم يتامل وهو جار مجرى قوله ضرب
زيد فعمرا فالفاء هاهنا عاطفة وقائمة مقام الواو الا ان لها زيادة على حكم
الواو فان الفاء تقتضى الجمع الذى تقتضيه الواو وتقتضى الترتيب والتعقيب
اللذين لا يفهمان من الواو فكانه تعالى قال فتوبوا الى بارئكم واقتلوا انفسكم فلما
امرهم بالقتل عقيب التوبة ادخل الفاء التى هى علامة على ذلك وقد اجاب
بعض الناس بان قال ما لا تتم التوبة الا به ومعه يصح ان يسمى باسمها كما يقال
للغاصب اذا عزم على التوبة ان توبتك رد ما غصبت وانما يريد ان توبتك لا تتم
الا به وقد بينا ما يغنى عن ذلك فى الجواب الذى اخترناه وهو اولى واوضح
مسئلة ان سال سائل عن قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا
واحسنوا والله يحب المحسنين هذه الآية تشاغل المفسرون بايضاح الوجوه فى

التكرار الذي تضمنته وظنوا انه المشكل منها وتركوا ما هو اشد اشكالاً من التكرار
وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين امنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء
والايمان وعمل الصالحات واذا اريد بالاتقاء تجنب القبائح والمحارم كان ذلك
شرطاً صحيحاً في نفي الجناح الا ان الايمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي
الجناح على وجه ولا سبب لان من جانب القبيح المحظور عليه لم يكن عليه جناح
فيما طعمه وان لم يكن مؤمناً ولا ممن عمل الصالحات الا ترى ان المباح اذا وقع
من الكافر لا اثم عليه ولا وزر في وقوعه منه مع كفره في نفي الاثم كوقوعه من
المؤمنين والاشكال انما هو في اشتراط الايمان وعمل الصالحات وليس لذلك
تاثير معقول في الجناح ونحن نبين ما يحل هذه الشبهة القوية ونتكلم على التكرار
ولنا في ذلك طريقان احدهما ان نضم الى المشروط المصرح بذكره غيره حتى يظهر
تاثير ما ذكر من الشروط او نجعل ما ولي الاتقاء من الايمان وعمل الصالحات ليس
بشرط حقيقي وان كان معطوفاً على الشرط وكل ذلك جائز اذا قاد الدليل اليه
واحوج الى التعويل عليه اما الوجه الاول فبيانه ان يكون تقدير الكلام ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره اذا ما اتقوا وامنوا
وعملوا الصالحات لان الشرط في نفي الجناح لابد ان يكون له تاثير حتى يكون
متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان بانتفاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط
الذي لا زيادة عليه ولما ولي ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تاثير لهما
في نفي الجناح وجب ان نقدر هناك ما تؤثر هذه الافعال في نفي الجناح عنه
فاشرنا الى اضمار ما تقدم ذكره حتى يصح الشرط ويطابق المشروط لان من اتقى
الحرام فيما يطعم لا جناح عليه فيما يطعم لكنه قد يصح ان يثبت عليه الجناح فيما
اخل به من واجب وضيعه من فرض فاذا شرطنا انه مع اتقاء القبيح ممن آمن
بالله وبما اوجب عليه الايمان به وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه
وليس بمنكر حذف ما قدرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادتهم ان يحذفوا ما
يجري هذا المجرى وتكون قوة الدلالة عليه وسوقها اليه مغنيين عن النطق به
وفي القرآن وفصيح كلام العرب واشعارها امثلة كثيرة لذلك لا تحصى فمنه

قوله

قوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان فقد ذكر في الآية وجوه من اوضحها
انه تعالى اراد آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان لانه لما عطف الفرقان على
الكتاب الذي اوتيه موسى عليه السلام وعلمنا انه لا يليق به لان الفرقان ليس مما
اوتيه موسى عليه السلام وجب ان نقدر ما يطابق ذلك ومثله قول الشاعر،
، تراه كان الله يجدع انفه ، وعينيه ان مولاه بات له وفر ، لما كان
الجدع لا يليق بالعين وهي وان كانت معطوفة على الانف الذي يليق به الجدع
اضمرنا ما يليق بالعين وهو البخص وما يجري مجراه ومثله يا ليت زوجك قد
غدا ، متقلداً سيفاً ورمحا ، ومثله ، علفتها تبناً وماءً بارداً ، والاضمار مع
قوة الدلالة احسن من الاظهار وادخل في البلاغة والفصاحة واما بيان الوجه
الثاني فهو انا نعدل عن ظاهر الشرط فيما ولي الاتقاء من ذكر الايمان وعمل الصالحات
ونجعله ليس بشرط وان كان معطوفاً على شرط لان العدول عن الظاهر
بالادلة القاهرة واجب لازم مستعمل في اكثر القرآن فكانه تعالى لما اراد ان
يبين وجوب الايمان وعمل الصالحات وتاكد لزومه عطفه على ما هو واجب
لازم من اتقاء المحارم لاشتراكهما في الوجوب وان لم يشتركا في كونهما شرطاً في
نفي الجناح فيما يطعم وهذا تفسح وتوسع في البلاغة يحار فيها العقل استحسانا
واستغراباً وتعويل على ان المخاطب بذلك على ارساله والعدول عن تفصيله
يضع كل شيء منه في موضعه وكم في القرآن من هذه الغرائب في الفصاحة والتجاوز
والمحذوف والاختصارات التي لا يتجاسر بليغ ولا فصيح على الاقدام عليها والمرور
بتبعها خوفاً من الزلل والخلل واما الجواب عن مشكل التكرار فالوجه فيه
على الجملة ان نجعل الاحوال التي يقع فيها الاتقاء والايمان وعمل الصالحات
مختلفة بمضي واستقبال فيزول التكرار او نجعل المامور به من الاتقاء والايمان
وعمل الصالحات مشروطاً مخصوصاً يتناول الاول غير متناول الثاني والثاني
غير متناول الاول فيزول ايضاً بذلك التكرار وقد اول المفسرون على الخلاف
بكثير من الجملة التي اشرنا ههنا اليها وذكروا ان الشرط الاول يتعلق بالزمان
الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والثالث

مختص باتقاء ظلم العباد وذكر ابو علي الجبائي هذا بعينه واستدل على ان
الاتقاء الثالث يختص بظلم العباد بقوله واحسنوا وان الاحسان اذا كان
متعديا وجب ان يكون ما امروا باتقائه من المعاصي ايضا متعديا وهذا
ممن اعنت من المفسرين مزج لاختلاف الاحوال باختلاف المامور به وما ينبغي
اي خلط
ان يكون كذلك بل الواجب ان تبطل التكرار اما من جهة اختلاف الاحوال من
غير ان يمزجها باختلاف غيرها او تعدل عن اختلاف الاحوال فتبطل
التكرار من حيث اختلاف المامور به في عموم وخصوص ولعل ابا علي وغيره
انما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الاحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن
في الاول والثاني فتبين ان الامر بخلاف ما ظنه وهو انه لا يمتنع ان يحمل الشرط
الاول على الماضي من الزمان والثاني على الحال والثالث على المنتظر المستقبل
وليس لاحد ان يقول لا واسطة عند المتكلمين بين الماضي والمستقبل لان
الفعل اما ان يكون معدوما فيكون مستقبلا او موجودا فيكون ماضيا وانما
يجعل الاحوال ثلاثة النحويون ولا يرتضي ذلك المتكلمون والجواب عن هذا
ان الصحيح انه لا واسطة بين العدم والوجود على ما ذكر غير ان الموجود في اقرب
الزمان لا يمتنع ان نسميه حالا ويفرق بينه وبين الماضي الغابر السالف فرق كما كان
كذلك بينه وبين المنتظر واما بيان اختلاف المامور فانه يحمل الاتقاء الاول
على اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه والايمان الاول
الايمان بالله تعالى وبما اوجب الايمان به والايمان الثاني الايمان بقبح هذه
المعاصي ووجوب تجنبها والاتقاء الثالث الاتقاء لما يتعدى من المعاصي
من الظلم والاساءة وليس ينبغي ان يفزع في ان الاتقاء الثالث يختص بمظالم
العباد الى ما اعتمد ابو علي من قوله تعالى واحسنوا من حيث كان الاحسان
اذا كان متعديا فكذلك ما عطف عليه لان ذلك من ضعيف الاستدلال لان
قوله تعالى واحسنوا ليس بصريح في ان المراد به الاحسان المتعدي لانه غير
ممتنع ان يريد به فعل الحسن والمبالغة فيه وان اختص الفاعل ولم يتعده
الا ترى انهم يقولون لمن بالغ في فعل الحسن وتناهى فيه وان اختصه احسنت

واجملت ثم ان سلم ان المراد به الاحسان المتعدي لم يمتنع ان يعطفه وهو
متعد على فعل لا يتعدى الا ترى انه لو صرح بذلك لقال اتقوا المعاصي كلها
والقبائح واحسنوا الى غيركم لكان حسنا غير قبيح وانما ينبغي ان يفزع في
التخصيص الى الفرار من التكرار وحمله على ما يفيد وذلك يغني عما تكلفه ابو
علي فان قيل اي فائدة في تخصيص الذين امنوا وعملوا الصالحات بنفي الجناح
فيما يطعمونه بالشرط المذكور ومن ليس بمومن يشاركهم في هذا الحكم مع ثبوت
الشرط قلنا تعليق الحكم بالصفة او الاسم لا يدل على نفيه عمن عدا المسمى
الموصوف وقد دل العلماء على ذلك في مواضع كثيرة وليس يمتنع على المذهب
الصحيح ان يعلق الحكم باسم او صفة ويكون من عدا الموصوف والمسمى مشاركا
في ذلك الحكم وقد قيل ان السبب في نزول هذه الاية انه لما نزل تحريم الخمر
قال المسلمون كيف باخواننا الذين تناولوا الخمر قبل نزول تحريمها وماتوا وهو
في اجوافهم وكيف باخواننا الطائفين في اطراف البلاد وهم لا يشعرون بهذا
التحريم فانزل الله تعالى هذه الاية تطييبا لنفوسهم واعلاما لهم ان من يطعم ما
لم يبين له تحريمه لا جناح عليه وقيل ايضا ان الاية وردت في قوم حرموا على
انفسهم اللحوم وسلكوا طريق الرهب كعثمان بن مظعون وغيره فبين الله سبحانه
ان الحلال لا جناح في تناوله وانما يجب التجنب للمحرم وهذه الاسباب لا تنفي
معها مسالة عن سبب تخصيص المومنين بنفي الجناح وكل هذا واضح **مسئلة**
سئل رضي الله عنه عن قوله عز وجل في قصة زكريا عليه السلام انى يكون لي
غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر فكانه سال امرا يستحيل كونه وقد علمنا لا
محالة ان زكريا يعلم ان الله تعالى لا يعجزه ما يريد فما وجه الكلام فاجاب عن ذلك
وقال انه غير ممتنع ان يكون زكريا عليه السلام لم يسال الذرية في حال كبره
وهرمه بل قبل هذه الحال فلما رزقه الله تعالى ولدا على الكبر ومع كون امراته
عاقرا فقال انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر من غير انكار منه
لقدرة الله تعالى على ذلك بل ليرد من الجواب ما يزداد به بصيرة ويقينا ويجوز
ايضا ان يكون سال الولد مع الكبر وعقم امراته ليفعل الله تعالى ذلك على سبيل

الاية له وخرق العادة من اجله فلما رزقه الله تعالى الولد عجب من ذلك وانكره
بعض من تضعف بصيرته من امته فقال عليه السلام انى يكون لى ولد ليرد
من الجواب ما يزول به شك غيره فكانه سال فى الحقيقة لغيره لا لنفسه ويجرى
ذلك مجرى سول موسى عليه السلام ان يريه الله تعالى نفسه لما سئل قومه فى ذلك
فسال لهم لا لنفسه مسئلة وسئل ايضا رضى الله تعالى عنه من قوله تعالى واذ نجيناكم
من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم فقال
اى شىء فى استحياء النساء من سوء العذاب وانما العذاب فى ذبح الابناء فقال
اما قتل الذكور واستبقاء الاناث فهو ضرب من العذاب والاضرار لان الرجال
هم الذين يردعون النساء عما يهممن به من الشر وهو واقع منهن فى الاكثر مع
الردع فاذا انفردن وقع الشر ولا مانع وهذه مضرة عظيمة ووجه آخر وهو
ان الراجع الى قوله يسومونكم سوء العذاب هو قتل الابناء دون استبقاء النساء
وانما ذكر استحياء النساء لشرح كيفية الحال لا لان من جملة العذاب ذلك كما يقول
احدنا فلان عذبنى بان ادخلنى داره وعليه ثياب فلانية وضربنى بالمقارع
وفلان حاضر وليس كل ما ذكره من جملة العذاب وانما العذاب هو الضرب دون
غيره وذكر الباقى على سبيل الشرح للحال ووجه آخر وهو انه روى انهم كانوا
يقتلون الابناء ويدخلون ايديهم فى فروج النساء لاستخراج الاجنة من بطون
الحوامل فقيل يستحيون النساء اشتقاقا من لفظة الحيا وهو الفرج وهذا عذاب
ومثلة وضرر شديد بلا محالة وسئل ايضا فقيل اليس قد وعد الله تعالى
المومنين فى عدة مواضع من كتابه المجيد بالجنة والخلود فى النعيم فما معنى قول
النبى عليه السلام ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فقال انه لا يجوز ان يريد النبى عليه
السلام بقوله ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم الثواب والعقاب ودخول الجنة او النار
لانه عليه السلام عالم بان الجنة ماواه والثواب عاقبته ولا يجوز ان يشك فى انه
ليس من اهل النار وان شك فى ذلك من حال غيره والمراد بالاية انى لا ادرى ما
يفعل بى ولا بكم من المنافع والمضار الدنياوية كالصحة والمرض والغنى والفقر
والخصب والجدب وهذا المعنى صحيح واضح لا شبهة فيه ويجوز ايضا ان يريد

انني لا ادرى ما يحدثه الله تعالى من العبادات ويامرنى به واياكم من الشرعيات
وما ينسخ من الشرائع وما يقر منها ويستدام لان ذلك كله مغيب عنه عليه السلام
وهذا يليق بقوله تعالى فى اول الآية قل ما كنت بدعا من الرسل وفى آخرها ان
اتبع الا ما يوحى الى وسئل ايضا عن قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين كيف يكون النبى عليه السلام فى شك مما اوحى اليه وكيف يسال عن
صحة ما انزل اليه الذين يقرؤن الكتاب من قبله وهم اليهود والنصارى المكذبون
له فقال ان قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك ظاهر الخطاب له عليه السلام
والمعنى لغيره كما قال تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فكانه قال فان كنت ايها
السامع للقرآن فى شك مما انزلناه على نبينا فاسال الذين يقرؤن الكتاب وليس
يمتنع عند من انعم النظر ان يكون الخطاب متوجها الى النبى صلى الله عليه وآله وليس
اذا كان الشك لا يجوز عليه لم يحسن ان يقال له ان شككت فافعل كذا كما قال تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان الشرك لا يجوز عليه ولا خلاف بين العلماء
فى انه عليه السلام داخل فى ظاهر آيات الوعيد والوعد وان كان لا يجوز ان
يقع منه ما يستحق به من العقاب وان قيل له ان اذنبت عوقبت فهكذا لا يمتنع
ان يقال له ان شككت فافعل كذا وكذا وان كان ممن لا يشك ووجدت بعض
المفسرين يجعل ان ههنا بمعنى ما التى للجحد ويكون تقدير الكلام ما كنت فى
شك مما انزلنا اليك واستشهد على ذلك بقوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم اى ما نحن وقوله تعالى ان انت الا نذير اى ما انت الا نذير ولا شك ولا
شبهة فى ان لفظة ان قد تكون بمعنى ما فى بعض المواضع الا انه لا يليق بهذا الموضع
ان تكون ان بمعنى ما لانه لا يجوز ان يقول تعالى ما انت فى شك مما انزلنا اليك
فاسال الذين يقرؤن الكتاب لان العالم لا حاجة به الى المسالة وانما يحتاج
ان يسال الشاك ثم انه يمكن نصرة هذا الجواب بانه تعالى لو امرهم بسوال اهل الكتاب
من غير ان ينفى شكه لاوهم امره بالسوال انه شاك فى صدقه وصحة ما انزل عليه
فقدم كلاما يقتضى نفى الشك عنه فيما انزل عليه ليعلم انه امر بالسوال ليزول

الشك عن غيره لاعنه فاما الذين امره بسالتهم فقد قيل انهم المومنون من اهل
الكتاب الراجعون الى الحق ككعب الاحبار ومن جرى مجراه ممن اسلم بعد
اليهودية لان هولاء يصدقون عما شاهدوه فى كتبهم من صفات النبى عليه
السلام والبشارة به وان كان غيرهم ممن اقام على الكفر والباطل لايصدق عن
ذلك وقال قوم آخرون ان المراد بالذين يقرؤن الكتاب جماعة اليهود ممن آمن
وممن لم يومن فانهم يصدقون عما وجدوه فى كتبهم من البشارة بنبى موصوف
يدعون انه غيرك وانك اذا قابلت بتلك الصفات صفاتك علمت انك وكل من
انصف ان المبشر بنبوته هو انت وقال آخرون ما امره ان يسالهم عن البشارة لانهم
يصدقون عن ذلك بل امره عليه السلام ان يسالهم عما تقدم ذكره على هذه الاية
بغير فصل من قوله تعالى ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوء صدق ورزقناهم من
الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون ثم قال تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك اى فى شك مما تضمنته هذه الاية من النعمة على بنى اسرائيل فما كانت
اليهود تجحد ذلك بل تقويه وتفتخر بمكانه وهذا الوجه يروى عن الحسن البصرى
وكل ذلك واضح لمن تامله **مسألة** سئل رضى الله عنه فقيل ما القول فيما يخبر
به المنجمون من وقوع حوادث ويضيفون ذلك الى تاثيرات النجوم وما المانع من
ان تؤثر الكواكب على حد تاثير الشمس الادمية فينا وان كان تاثير الكواكب بجلد
فما المانع من ان تكون التاثيرات من فعل الله تعالى بمجرى العادة عند طلوع
هذه الكواكب وانتقالها فلينعم ببيان ذلك فان الانفس اليه متشوقة وكيف
تقول ان المنجمين حادسون مع انه لايفسد من اقوالهم الا القليل حتى انهم يخبرون
بالكسوف ووقته ومقداره فلا يكون الا على ما اخبروا به فاى فرق بين
اخبارهم بحصول هذه التاثيرات فى هذا الجسم وبين حصول تاثيرها فى اجسامنا
الجواب اعلم ان المنجمين يذهبون الى ان الكواكب تفعل فى الارض ومن عليها
افعالا يسندونها الى طباعها وما فيهم احد يذهب الى ان الله تعالى اجرى العادة
بان يفعل عند قرب بعضها من بعض او بعده افعالا من غير ان يكون للكواكب

نفى

وثما

فى الادمية

متشوقة
اى مشتاقة

هذه التاثير

انفسها تاثير فى ذلك ومن ادعى هذا المذهب الآن منهم فهو قائل بخلاف ما
ذهبت القدماء فى ذلك ومتجمل بهذا المذهب عند اهل الاسلام ومتقرب اليهم
باظهاره وليس هذا بقول لاحد ممن تقدم وكان الذى كان يجوز ان يكون
صحيحا وان دل الدليل على فساده لايذهبون اليه وانما يذهبون الى المحال
الذى لايتمكن صحته وقد فرغ المتكلمون من الكلام فى ان الكواكب لايجوز ان
تكون فينا فاعلة وتكلمنا نحن ايضا فى مواضع على ذلك وبينا بطلان الطبائع
التى يهذون بذكرها واضافة الافعال اليها وبينا ان الفاعل لابد ان يكون حيا
قادرا وقد علمنا ان الكواكب ليست بهذه الصفة فكيف تفعل وما يصح الافعال
مفقود فيها وقد سطر المتكلمون طرقا كثيرة فى انها ليست بحية ولا قادرة اكثرها
معترض واشف ما قيل فى ذلك ان الحياة معلوم ان الحرارة الشديدة كحرارة
النار تنفيها ولا تثبت معها ومعلوم ان حرارة الشمس اشد واقوى من حرارة النار
بكثير لان الذى يصل الينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل
او يزيد على حرارة النار وما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حيا
واقوى من ذلك كله فى نفى كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب احياء
السمع والاجماع فان لاخلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل
عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله
صلى الله عليه وآله ضرورة واذا قطعنا على نفى الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف
تكون فاعلة وعلى انا قد سلمنا لهم استظهارا فى الحجة انها قادرة قلنا ان الجسم
وان كان قادرا فانه لايجوز ان يفعل فى غيره الا على سبيل التوليد ولابد من
وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بيننا وبينها
فكيف تكون فاعلة فينا فان ادعى ان الوصلة بيننا الهواء فالهواء اولا لايجوز
ان يكون آلة فى الحركات الشديدة وحمل الاثقال ثم لو كان الهواء آلة تحركنا بها
الكواكب لوجب ان نحس بذلك ونعلم ان الهواء يحركنا ويصرفنا كما نعلم فى غيرنا
من الاجسام اذا حركناه بآلة على ان فى الحوادث الحادثة فينا ما لايجوز ان يفعل
بآلة ولا يتولد عن سبب كالارادات والاعتقادات واشياء كثيرة فكيف فعلت

كذا
اى افضل

وبعله
اوضح

الكواكب ذلك فينا وهي لا يصح ان تكون مخترعة للافعال لان الجسم لا يجوز
ان يكون قادرا الا بقدرة والقدرة لا يجوز لامر يرجع الى نوعها ان يخترع
بها الافعال فاما الادمة فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجوهنا وابداننا
وانما الله تعالى هو المؤثر لها وفاعلها بتوسط حرارة الشمس كما انه تعالى هو المحرق
على الحقيقة بحرارة النار والهاشم لما يهشمه الحجر بثقله وحرارة الشمس مسودة
للاجسام من جهة معقولة مفهومة كما ان النار تحرق الاجسام على وجه معقول
فاي تاثير للكواكب فينا يجري هذا المجرى في تمييزه والعلم بصحته فليشر اليه
فان ذلك لا قدرة عليه ومما يمكن ان يعتمد في ابطال ان تكون الكواكب فاعلة فينا
ومصرفة لنا ان ذلك يقتضي سقوط الامر والنهي والمدح والذم عنا وتكون
معذورين في كل اساءة تقع منا ونحيلها بايدينا وغير مشكورين على شيء من
الاحسان والافضال وكل شيء نفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب
واما الوجه الآخر وهو ان يكون الله تعالى اجرى العادة بان يفعل افعالا مخصوصة
عند طلوع كوكب او غروبه او اتصاله او مفارقته فقد بينا ان ذلك ليس بمذهب
للمنجمين البتة وانما يتجملون الآن بالتظاهر به وانه قد كان جايزا ان يجري الله تعالى
العادة بذلك لكن لا طريق الى العلم بان ذلك قد وقع وثبت ومن اين لنا بان
الله تعالى اجرى العادة بان يكون زحل او المريخ اذا كان في درجة الطالع كان نحسا
وان المشتري اذا كان كذلك كان سعدا واي سمع مقطوع به جاء بذلك واي
نبي خبرنا به واستفيد من جهته فان عولوا في ذلك على التجربة بانا جربنا ذلك
ومن كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة واذا لم يكن موجبا وجب ان يكون معتادا
قلنا ومن سلم لكم صحة هذه التجربة وانتظامها واطرادها وقد راينا خطاكم
فيها اكثر من صوابكم وصدقكم اقل من كذبكم فالا نسبتم الصحة اذا اتفقت
منكم الى الاتفاق الذي يقع من المخمن والمرجم فقد راينا من يصيب من هولاء
اكثر ممن يخطي وهو على غير اصل معتمد ولا قاعدة صحيحة فاذا قلتم سبب خطا
المنجم ذلك دخل عليه في اخذ الطالع او تسيير الكواكب قلنا ولم لا كانت اصابته
سببها التخمين وانما كان يصح لكم هذا التاويل والتخريج لو كان على صحة احكام

النجوم دليل قاطع هو غير اصابة المنجم فاما اذا كان دليل صحة الاحكام الاصابة
فالا كان دليل فسادها الخطا فما احدهما في المقابلة الا كصاحبه ومما اقحم
به القائلون بصحة الاحكام ولم يتحصل منهم عنه جواب ان قيل لهم في شيء
بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يوخذ او يترك فانهم حكموا اما بالاخذ او الترك
خولفوا وفعل خلاف ما اخبروا به وقد اعضلتهم هذه المسئلة واعتذروا عنها
باعذار ملفقة لا يخفى على عاقل سمعها بعدها من الصواب فقالوا في هذه المسئلة
يجب ان يكتب هذا المبتلى بها ما يريد ان يفعل ويخبر به غيره فانا نخرج ما قد عزم
عليه من احد الامرين وهذا التعليل منهم باطل لانه اذا كان النظر في النجوم يدل
على جميع الكائنات التي من جملتها ما يختاره احدنا من اخذ هذا الشيء او تركه
فاي فرق بين ان نطوي ذلك فلا نخبر به ولا نكتبه حتى يقول المنجم ما عندك وبين
وبين ان نخبر به ونكتبه قبل ذلك وانما فزعوا الى الكتابة وما يجري مجراها حتى
لا يخالف المنجم فيما يذكره ويحكم به من اخذ او ترك ولو كانت الاحكام صحيحة وفيها
دلالة على الكائنات لوجب ان يعرف المنجم ما اختاره من احد الامرين على كل
حال ولو تركنا تحت حكمهم وكتبنا ما نريد ان نفعله لما وجدنا اصابتهم في ذلك
الا اقل من خطائهم ولم يزيد وافيه على ما يفعله المخمن المرجم من غير نظر في طالع
ولا عقارب ولا رجوع الى اصل والا فالبلوى بيننا وبينكم وكان بعض الرؤساء
بل الوزراء ممن كان فاضلا في الادب والكتابة ومشغوفا بالنجوم عاملا عليها
قال لي يوما وقد جرى حديث يتعلق باحكام النجوم وراى مني مخايل التعجب
ممن يتشاغل بذلك ويفني زمانه به اريد ان اسالك عن شيء في نفسي فقلت سل
عما بدا لك قال اريد ان تعرفني هل بلغ بك التكذيب باحكام النجوم الى ان لا تختار
يوما لسفر ولبس ثوب جديد وتوجه في حاجة فقلت قد بلغت الى ذلك والحمد
لله وزيادة عليه وما في داري تقويم ولا انظر فيه وما رايت مع ذلك الا خيرا
ثم اقبلت عليه فقلت ندع ما يدل على بطلان احكام النجوم مما يحتاج الى ظن دقيق فكر
وروية طويلة وههنا شيء قريب لا يخفى على احد ممن دلت طبقته في الفهم او تخلفت
خبرني لو فرضنا جادة مسلوكة وطريقا يمشي فيه الناس ليلا ونهارا وفي محجته

آبار متقاربة وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه الى تأمل وتوقف حتى
يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار هل يجوز ان تكون سلامة من يمشي في
هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي من البصراء وقد فرضنا انه لا يخلو
طرفة عين من المشاة فيه بصراء وعميان وهل يجوز ان يكون عطب البصراء
يقارب عطب العميان او سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء فقال هذا مما
لا يجوز بل الواجب ان تكون سلامة البصراء اكثر من سلامة العميان ولا يجوز
في مثل هذا التقارب فقلت اذا كان هذا محالا فاجعلوا نظيره وما لا فرق بينه وبينه
وانتم تجيزون شبيه ما ذكرناه وعديله لان البصراء هم الذين يعرفون احكام
النجوم ويميزون سعدها من نحسها ويتوقون بهذه المعرفة مضار الزمان
ويتحفظون منها ويعتمدون منافعه ويقصدونها ومثال العميان كل من لا يحسن
تعلم النجوم ولا يلتفت اليه من الفهماء والفقهاء واهل الديانات والعبادات ثم
سائر العوام والاعراب والاكراد وهم اضعاف اضعاف من يراعي عدد النجوم
ومثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي يمضي عليه الخلق اجمعون ومثال
آباره مصائبه ونوائبه ومحنه وقد كان يجب لو صح العلم بالنجوم واحكامها ان
تكون سلامة المنجمين اكثر ومصائبهم اقل لانهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل
كونها وتكون محن كل من ذكرناه من الطبقات الكثيرة اوفر واظهر حتى تكون
السلامة هي الطريقة الغريبة وقد علمنا خلاف ذلك وان السلامة والمحن في
الجميع متقاربة غير متفاوتة فقال ربما اتفق مثل ذلك فقلت له فيجب ان
تصدق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بان سلامة العميان
كسلامة البصراء وتقول لعل ذلك اتفق وبعد فان الاتفاق لا يستمر بل ينقطع
وهو الذي ذكرناه مستمر غير منقطع فلم يكن عذرك صحيحا ومما يفسد مذهب
المنجمين ويدل على ما لعله يتفق لهم من الاصابة على غير اصل انا قد شاهدنا
جماعة من الزراقين الذين لا يعرفون شيئا من علم النجوم ولا نظروا قط في
شيء منه ويصيبون فيما يحكمون به اصابات مستطرفة وقد كان المعروف بالسعراني
شاهدناه وهو لا يحسن ان يأخذ الاصطرلاب للطالع ولا نظر قط في زيج بل

ولا تقويم غير انه ذكي حاضر الجواب فطن بالزرق معروف به كثير الاصابة
وبلوغ الغاية فيما يخرجه من الاسرار ولقد اجتمع يوما بين يدي جماعة كانوا
عندي وكنا كلنا قد اعتزمنا جهة نقصدها لبعض الاغراض فسأله احدنا عما
نحن بصدده فابتدأ من غير اخذ طالع ولا نظر في تقويم فاخبرنا بالجهة التي
اردنا قصدها ثم عدل الى كل واحد من الجماعة فاخبره عن كثير من تفصيل
امره واغراضه حتى قال لاحدهم وانت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء
يوصله اليك وقلبك به متعلق وفي كمك شيء مما يدل على هذا وقد انقضت
حاجتك وانجزت وضرب بيده الى كمه واستخرج ما فيه فاستحيا ذلك الرجل
ووجم ومنع من الوقوف على ما في كمه بجهده فلم ينفعه ذلك واعان الحاضرون
على اخراج ما في كمه لما احسوا بالاصابة من الزراق فاخرج من كمه رقاع
كثيرة من جملتها صك على دار الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت
فعجبنا مما اتفق من اصابته مع بعده من صناعة النجوم وكان لنا صديق
يقول ابدا من ادل دليل على بطلان احكام النجوم اصابة السعراني وجرى
يوما مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث فقال عند المنجمين ان السبب
في اصابة من لا يعلم شيئا من علم النجوم ان مولده وما يتولاه وتقتضيه كواكبه
اقتضى له ذلك فقلت له لعل بطليموس وكل عالم من علماء المنجمين ومصيب
في احكامه عليها انما سبب اصابته مولده وما تقتضيه كواكبه من غير علم ولا
فهم فلا يجب ان يستدل بالاصابة على العلم اذا كانت تقع من جاهل ويكون
سببها المولد واذا كانت الاصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث ولعب
لا يحتاج اليه لان المولد ان اقتضى الاصابة او الخطأ فالتعليم لا ينفع وتركه
لا يضر وهذه علة تسري الى كل صنعة حتى يلزم ان يكون كل شاعر مفلق
وصانع حاذق وناسج للديباج ومزوق لا علم له بتلك الصناعة وانما اتفقت
الصنعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده وما يلزم على هذا من الجهالات
لا يحصى واعلم ان التعب بعلم مراكز الكواكب وابعادها واشكالها وتسييراتها
متى لم يكن ثمرته العلم بالاحكام والاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى

له ولا غرض فيه لانه لا فائدة في ان نعلم ذلك كله وتخص نفس العلم به وما يجري
الاطلاع على ذلك فاذا المستعد المعرفة الى العلم بالاحكام الا يجري العلم بعدد
للحصى وكيل الثوى ومعرفة اطوال الجبال واوزانها وكما ان العنا في تعرف
ذلك عبث وسفه لا يجدي نفعاً فكذلك العلم بشكل الفلك وتسييرات كواكبه
وابعادها والمعرفة بزمان قطع كل كوكب للفلك وتفاصيلها فيه وما شغل القوم
بهذا الشان وافنوا اعمارهم الا لتقديرهم انه يفضي الى معرفة الاحكام فلا نغتر
بقول من يقول منهم انا ننظر في ذلك لنشرف نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف ما فيها من
الاعاجيب فان ذلك تجمل منهم وتقرب الى اهل الاسلام ولولا ان غرضهم معرفة
الاحكام لما تعنوا بشيء من ذلك كله ولا كانت فيه فائدة ولا منه عائدة ومن ادل
الدليل على بطلان احكام النجوم انا قد علمنا ان من جملة معجزات الانبياء عليهم السلام
الاخبار عن الغيوب وعد ذلك خارقاً للعادات كاحياء الميت وابراء الاكمه والابرص
ولو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن ما ذكرناه معجزاً ولا خارقاً للعادة
وكيف يشتبه على مسلم بطلان احكام النجوم وقد اجمع المسلمون قديماً وحديثاً على
تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان احكامهم ومعلوم من دين
الرسول عليه السلام ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون والازراء عليهم والتعجيز
لهم وفي الروايات عنه عليه السلام من ذلك ما لا يحصى كثرة وكذلك عن علماء اهل
بيته عليهم السلام وخيار اصحابه فما زالوا يبرؤن من مذاهب المنجمين ويعدونها
ضلالاً ومحالاً وما اشتهر هذه الشهرة في دين الاسلام كيف يغتر بخلافه منتسب
الى الملة ومصل الى القبلة فاما اصابتهم في الاخبار عن الكسوفات وما مضى في
اثناء المسئلة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تاثيرات
الكواكب في اجسامنا فالفرق بين الامرين ان الكسوفات واقترانات الكواكب
وانفصالها طريقه الحساب وتسيير الكواكب وله اصول صحيحة وقواعد سديدة
وليس كذلك ما يدعونه من تاثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضر ولو
لم يكن في الفرق بين الامرين الا الاصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما
يجري مجراها ولا يكاد يبين فيها خطأ البتة وان الخطأ المعهود الدائم هو في

الاحكام

سنى

الاحكام الباقية حتى ان الصواب هو العزيز فيها وما يتفق لعله فيها من الاصابة
قد يتفق من المخمن اكثر منه فحمل احد الامرين على الآخر بهت وقلة دين مسئلة
في المنامات ما القول في المنامات اصحيحة هي ام باطلة ومن فعل من هي ومن اي
جنس هي وما وجه صحتها في الاكثر وما وجه الانزال عند رؤية المباشرة في المنام
وان كان فيها صحيح وباطل فما السبيل الى تمييز احدهما من الآخر الجواب اعلم ان
النائم غير كامل العقل لان النوم ضرب من السهو والسهو ينفي العلوم ولهذا يعتقد
النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه وجميع المنامات انما هي
اعتقادات يبتدئها النائم في نفسه ولا يجوز ان تكون من فعل غيره فيه لان من
عداه من المحدثين كانوا بشراً او ملائكة او جناً اجسام والجسم لا يقدر ان يفعل
في غيره اعتقاداً ابتداء بل ولا شيئاً من الاجناس على هذا الوجه وانما يفعل ذلك في
نفسه على سبيل الابتداء وانما قلنا انه لا يفعل في غيره جنس الاعتقادات متولداً
لان الذي يتعدى الفعل من محل القدرة الى غيرها من الاسباب انما هو الاعتمادات
وليس في اجناس الاعتمادات ما يولد الاعتقادات ولهذا لو اعتمد احدنا على قلب
غيره الدهر الطويل ما تولد فيه شيء من الاعتقادات وقد بين ذلك وشرح في
مواضع كثيرة والقديم تعالى هو القادر على ان يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب
اجناس الاعتقادات ولا يجوز ان يفعل في قلب النائم اعتقاداً لان اكثر الاعتقادات
للنائم جهل وتتناول الشيء على خلاف ما هو به لانه يعتقد انه يرى ويمشي وانه
راكب وعلى صفات كثيرة وكل ذلك على خلاف ما هو به وهو تعالى لا يفعل الجهل فلم
يبق الا ان الاعتقادات كلها من جهة النائم وقد ذكر في المقالات ان المعروف
بصالح قبة كان يذهب الى ان ما يراه النائم في منامه على الحقيقة وهذا جهل منه
يضاهي جهل السوفسطائية لان النائم يرى ان راسه مقطوع وانه قد مات وانه
قد صعد الى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله واذا جاز عند صالح هذا
ان يعتقد اليقظان في السراب انه ماء وفي المردي اذا كان في الماء انه مكسور
وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس فالا جاز ذلك في المنام وهو من
الكمال ابعد والى النقص اقرب وينبغي ان نقسم ما يتخيل النائم انه يراه الى اقسام

اعتقادات النائم

رجل

المردي خشبة تكون مع
الملاح باب
الزورق

ثلاثة منها ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو اليه اعتقادا مبتدا ومنها
ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاما خفيا يتضمن اشياء
مخصوصة فيعتقد النائم اذا سمع ذلك الكلام انه يراه فقد نجد كثيرا من النيام
يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم فيعتقدون انهم يرون ذلك الحديث
في منامهم ومنها ما يكون سببه والداعي اليه خاطر يفعله الله تعالى او يامر بعض
الملائكة بفعله ومعنى هذا الخاطر ايضا ان يكون كلاما يفعل في داخل السمع فيعتقد
النائم ايضا انه ما يتضمن ذلك الكلام والمنامات الداعية الى الخير والصلاح في
الدين يجب ان تكون الى هذا الوجه مصروفة كما ان ما يقتضي الشر منها الاولى ان
تكون الى وسواس الشيطان مصروفة وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه
ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حد ما يراه في منامه وفي كل منام يصح تاويله
ان يكون سبب صحته ان الله تعالى يفعل كلاما في سمعه لضرب من المصلحة بان شيا يكون
او قد كان على بعض الصفات فيعتقد النائم ان الذي يسمعه هو يراه فاذا صح
تاويله على ما يراه فما ذكرناه ان لم يكن مما يجوز ان يتفق فيه الصحة اتفاقا فان
في المنامات ما يجوز ان يصح بالاتفاق وما يضيق فيه مجال نسبته الى الاتفاق
فهذا الذي ذكرناه يمكن ان يكون وجها فيه فان قيل اليس قد قال ابو علي الجبائي
في بعض كلامه في المنامات ان الطبائع لا يجوز ان تكون مؤثرة فيها لان الطبائع
لا يجوز على المذاهب الصحيحة ان تؤثر في شيء وانه غير ممتنع مع ذلك ان يكون
بعض الماكل يكثر عندها المنامات بالعادة كما ان فيها ما يكثر عنده بالعادة تخيل
الانسان وهو مستيقظ ما لا اصل له قلنا قد قال ذلك ابو علي وهو خطا لان تاثير
الماكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة اذا لم تكن مضافة الى الطبائع فهو من
فعل الله تعالى فكيف نضيف التخيل الباطل والاعتقاد الفاسد الى فعل الله تعالى فاما
المستيقظ الذي استشهد به فالكلام فيه والكلام في النائم واحد ولا يجوز ان نضيف
التخيل الباطل الى فعل الله تعالى في نائم ولا يقظان فاما ما يتخيل من الفاسد وهو
غير نائم فلا بد ان يكون ناقص العقل في الحال وفاقد التمييز بسهو وما يجري
مجراه فيبتدئ اعتقادا لا اصل له كما قلناه في النائم فان قيل فما قولكم في منامات

الانبياء

الانبياء عليهم السلام وما السبب في صحتها حتى عد ما يرونه في منامهم كما يسمعونه
من الوحي قلنا الاخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحتها ولا هي مما
توجب العلم وقد يمكن ان يكون الله تعالى اعلم النبي بوحي يسمعه من ملك على الوجه
الموجب للعلم اني سارتك في منامك في وقت كذا ما يجب ان تعمل عليه فيقطع على
صحته من هذا الوجه لا بمجرد رؤيته له في المنام وعلى هذا الوجه يحمل منام
ابراهيم عليه السلام في ذبح ابنه ولولا ما اشرنا اليه كيف كان يقطع ابراهيم عليه
السلام بانه متعبد بذبح ولده فان قيل فما تاويل ما يروى عنه عليه السلام من
قوله من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتخيل بي وقد علمنا ان المحق والمبطل والمؤمن
والكافر قد يرونه عليه السلام في النوم ويخبر كل واحد منهم عنه بضد ما يخبر
به الآخر فكيف يكون رائيا له في الحقيقة مع هذا قلنا هذا خبر واحد ضعيف من
اضعف اخبار الآحاد ولا معول على مثل ذلك على انه يمكن مع تسليم صحته ان يكون
المراد به من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة لان الشيطان لا يتمثل بي لليقظان
فقد قيل ان الشياطين ربما تمثلت بصورة البشر وهذا التاويل اشبه بظاهر
الفاظ الخبر لانه قال من رآني فقد رآني فاثبت غيره رائيا له ونفسه مرئية وفي
النوم لا رائي في الحقيقة ولا مرئي وانما ذلك في اليقظة ولو حملناه على النوم لكان
تقدير الكلام من اعتقد انه يراني في منامه وان كان غير راء لي على الحقيقة فهو
في الحكم كانه قد رآني وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته وهذا
الذي رتبناه في المنامات اسد تحقيقا من كل شيء قيل في اسباب المنامات وما
سطر في ذلك معروف غير محصل ولا محقق فاما ما يهذي به الفلاسفة في هذا
الباب فهو مما يضحك الثكلى لانهم ينسبون ما صح من المنامات لما اعيتهم الحيل في
سببه الى ان النفس اطلعت الى عالمها فاشرفت على ما يكون وهذا الذي يذهبون اليه
في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط وكيف اذا اضيف اليه الاطلاع على عالمها
وما هذا الاطلاع والى اي شيء يشيرون بعالم النفس ولم يجب ان تعرف الكائنات
عند اهل الاطلاع وكل هذا زخرفة ومخرقة وتهاويل لا يتحصل منها شيء وقول صالح
قبة مع انه تجاهل محض اقرب الى ان يكون مفهوما من قول الفلاسفة لان صالحا ادعى

يروون النبي عليه السلام

ما ليس بصحيح وان كان مفهوما وهولاء عولوا على ما لا يفهم مع الاجتهاد ولا يعقل مع
قوة التامل والتدبر والفرق بينهما واضح واما سبب الانزال فيجب ان يبنى على
تحقيق سبب الانزال في اليقظة مع الجماع ليس هو ما يهذي به اصحاب الطبائع لانا
قد بينا في غير موضع ان قول اصحاب الطبع لا اصل له وان الاحالة فيه على سراب
لا يتحصل واما سبب الماء فان الله تعالى اجرى العادة باخراج من ظهر الرجل عند هذه
الحركة المخصوصة وليس يمتنع ان يجري الله العادة بان يخرج هذا الماء من الظهر عند
اعتقاد النائم لانه يجامع وان كان هذا الاعتقاد باطلا **مسئلة** سئل رضي الله عنه
عن الخبر المنسوب الى الصادق عليه السلام من انه قال لقد آخى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بين سلمان وابي ذر ولو اطلع ابو ذر على ما في قلب سلمان لقتله وكيف
يجوز ان يواخي النبي عليه السلام بين رجلين يستحل احدهما اذا اطلع على ما في قلب
الآخر دمه وما القول فيمن تاول هذا القول وهو قتله على ان الهاء راجعة على ما
في قلبه واراد لقتله علما وهل ذلك تاويل جائز ام لا وما القول ايضا فيمن تاوله
على غير هذا الوجه فقال ان معنى قوله لقتله اي لكد فكره وخاطره كدا يجهده وانه
عبر بالقتل هنا على سبيل المبالغة في تعبيره عن شدة المبالغة والمشقة كما يقول
القائل قتلني انتظار فلان ومت الى ان رايتك والى ان تخلصت من الشدة التي كنت
فيها عدة دفعات وهو يريد الاخبار عن شدة الكلفة والمشقة والمبالغة في وصفها
الجواب وبالله التوفيق ان هذا الخبر اذا كان من اخبار الاحاد التي لا توجب
علما ولا تثلج صدرا وكان له ظاهر ينافي المعلوم المقطوع به تاولناه ظاهره على ما
يطابق الحق ويوافقه وان كان ذلك سهلا والا فالواجب اطراحه وابطاله واذا
كان من المعلوم الذي لا يختل سلامة سريرة كل واحد من سلمان وابي ذر ونقاء
صدر كل واحد منهما لصاحبه وانهما ما كانا من المدخلين في الدين ولا المنافقين
فلا يجوز مع هذا المعلوم ان يعتقد ان الرسول عليه السلام يشهد بان كل واحد منهما
لو اطلع على ما في قلب صاحبه لقتله على سبيل الاستحلال لدمه ويعلم انه ان كان
قال ذلك فله تاويل غير هذا الظاهر الذي لا يليق بهما ومن اجود ما قيل في تاويله
ان الهاء في قوله لقتله راجعة الى المطلع لا الى المطلع عليه كانه اراد انه اذا اطلع على

ما في قلبه وعلم موافقة باطنه وشدة اخلاصه له اشتد ضنه به ومحبته له وتمسكه
بموداته ونصرته فقتله ذلك الضن والود بمعنى انه كاد يقتله كما يقولون فلان
يهوى غيره وتشتد محبته له حتى انه قد قتله حبه واتلف نفسه وما جرى مجرى
هذا من الالفاظ وتكون فائدة هذا الخبر حسن الثناء من النبي عليه السلام على الرجلين
وانه آخى بينهما وباطنهما كظاهرهما وسرهما في النقاء والصفاء كعلانيتهما حتى لو
ان احدهما اطلع على ما في قلب الآخر لاعجب به وكاد يقتله محبة له وضنا به وهذا
اشبه بمنزلة الرجلين في نفوسهما وعند النبي عليه السلام واليق بان يكون مدحا
وتقريظا وذلك الوجه الآخر يقتضي غاية الذم ونهاية الوصف بالنفاق وسوء
الدخيلة لان من يظهر جميلا ولو اطلع على باطنه لاستحل دمه هو من المنافقين
المداهنين فاما تاويل هذه اللفظة وحملها على العلم فغير مرضي لان المطلع على ما في
قلب غيره لا يكون الا عالما بما اطلع عليه واي معنى للفظة قتله في هذا الموضع وهل
ذلك الا تكرير وما لا فائدة فيه فاما حمله على انه كد خاطره وقسم فكره فيما المسالة
عنه قائمة ولم يكون مثل كل واحد من هذين الرجلين متى اطلع على قلب صاحبه
كد خاطره واتعب قلبه حتى كاد يقتله لولا انه يطلع على سوء ومكر وهذا هو النفاق
الذي نزه الرجلين عنه ولا يليق بهما ولا بالنبي عليه السلام ان يصفهما به **مسئلة**
الاجباء في اللغة العربية هو ان يباع الزرع قبل ان يبدو صلاحه يقال اجبى
الرجل يجبي اجباء اذا فعل ذلك فعنى ما روي عنه عليه السلام من اجبى فقد
اربى اي من باع الزرع قبل ان يبدو صلاحه وقد نهى عن ذلك وحظر عليه
يجري مجرى من اربى لانه فاعل لمعصية محظورة عليه وان لم يكن بيع ما لم يبد
صلاحه ربا في الحقيقة ولا معناه معناه غير انه جار مجراه في الحظر والمعصية
وجار مجرى قول القائل من زنى فقد سرق اي هو عاص مخالف لله تعالى كما ان
ذاك بهذه الحال **مسئلة** وما ورد في القرآن من معاتبات الرسول عليه السلام
مع عصمته وطهارته وكونه الحجة على الخلق اجمعين الجواب انه اذا ثبت بالدليل
عصمة الانبياء عليهم السلام فكل ما ورد في القرآن ما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضي
وقوع الخطا منهم فلا بد من صرف الكلام عن ظاهره وحمله على ما يليق بادلة

العقول لان الكلام يدخله الحقيقة والمجاز ويعدل المتكلم به عن ظاهره وادلة العقول لا يصح فيها ذلك الا ترى ان القرآن قد ورد بما لا يجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال كقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ولا بد مع وضوح الادلة على ان الله تعالى ليس بجسم واستحالة الانتقال عليه الذي لا يجوز الا على الاجسام من تاويل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح الفاظها قرب التاويل او بعد ولو جهلنا العلم بالتاويل جملة لم يضرنا ذلك مع التمسك بالادلة وكان غاية ما فيه ان لا نعلم قصد المتكلم بما اطلقه من كلامه ونعلم اذا كان حكيما ان له غرضا صحيحا على ان ظواهر الآيات التي خوطب بها النبي عليه السلام منها ما ظاهره العتاب منها المقصود به امته والخطاب متوجه اليه ولهذا روي عن ابن عباس انه قال نزل القرآن بإياك اعني واسمعي يا جارة ويشهد بذلك قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فخوطب النبي عليه السلام والمراد بذلك جميع الامة ومنها ما يظن انه عتاب وليس كذلك بل هو تعليم وتاديب ولا محالة ان تاديب النبي عليه السلام كان صادرا عن الله تعالى والمواعظ له تترادف في كل وقت والشروع في ذكر جميع الآيات والتنبيه على المراد بها يطول بغير ان جملة الكلام ما ذكرناه ونذكر بعض ذلك ليتبين ان الكلام في الجميع على هذا المنهاج فمن الآيات قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وكقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الى امثال هذه الآي اما قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه فالقصة فيه مشهورة وهي ان العرب كانت تحرم على نفوسهم نكاح زوجة من استضافوه الى نفوسهم بالبنوة وادعوه كما يحرمون ازواج الابناء في الحقيقة فلما اراد الله تعالى نسخ ذلك لما علم فيه من المصلحة اعلم نبيه قبل طلاق زيد بن حارثة الذي كان النبي عليه السلام تبناه زينب بنت جحش زوجته وامره بتزويجها اذا فارقها فلما خاصم زيد زوجته عازما على طلاقها وعظه النبي عليه السلام وكفه عن ذلك اشفاقا من تكونه عنه مع ما عزم عليه من نكاحها ان يرجف عليه المنافقون ويضيفوا اليه

ما قد نزهه الله تعالى منه عند اخفاء عزمه على تزويجها بعد فراق زيد لها لينتهي الى امر الله تعالى في ذلك يشهد بصحة ما ذكرناه قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فان قيل فالعتاب حاصل لانه كان ينبغي ان يظهر ما اضمره ويخشى الله ولا يخشى الناس الجواب عن ذلك ان اخبار الله تعالى انه اخفى ما الله مبديه هو خبر محض لا يتعلق به ذم وقوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فالشبهة به ايضا ضعيفة لانه خبر انه خشي الناس والله احق بالخشية ولم يخبر انه لم يفعل الاحق وعدل الى الادون فمن اين حصول العتاب مع الذي بيناه على ان غاية الاقتراح في هذا انه عليه السلام فعل ما غيره اولى منه وليس يكون بترك الاولى عاصيا وانما يكون تاركا للافضل والوجه في تركه العذر الذي بيناه واما قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فالعتاب في الحقيقة متوجه الى سواه لان الله تعالى قد صرح بذلك في تمام الآية بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم والقصة في هذه الآية ايضا مشهودة وانما اضاف الاسرى الى نبيه عليه السلام بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى وان كان المراد بالخطاب من أسر لانهم اسروهم ليكونوا في يده عليه السلام فهم في الحقيقة اسراؤه ومضافون اليه وان لم يأمر باسرهم واما قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك اذا تأمل في الحقيقة لم يكن فيه عتاب وانما هو توجع له عليه السلام يدل على ذلك ان تحريم الرجل زوجته او طلاقه اياها او اعتزاله بعض امائه ليس بقبيح بل هو مباح وما هو بهذه الصفة لا يستحق الفاعل له عتابا فلما فعل النبي عليه السلام ذلك لمرضات بعض ازواجه وادخل المشقة على نفسه بفعله قال الله تعالى له لم فعلت ذلك والا امسكتها على ما كنت عليه ولم تبتغ مرضات ازواجك بادخال المشقة على نفسك هذا هو الظاهر واذا نزل على اقتراح الخصم في هذه الآية كان النبي عليه السلام قد عدل عن الاولى فكان الامساك وترك التحريم افضل وله ان يحرم ويجري قوله تعالى له مجرى قول الواحد منا لغيره لم تركت صلاة الليل ولم تترك صيام

ثلاثة ايام فى كل شهر وان كان بترك ذلك لم يفعل قبيحا بل اخل بمندوب اليه
وما غيره اولى فاما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فليس يقتضى معصية وذلك
ان المقصد فى الغالب بمثل هذا الخطاب التعظيم للمخاطب واستيضاح ما عنده فيما
فعله الا ترى ان الواحد منا يقول لغيره لم كان كذا وكذا رحمك الله وغفر لك
وهو لا يقصد الا الملاطفة له وحسن المحاورة ولا يقصد الاستفصاح له عن زلة
وانما الغرض الاجمال فى الخطاب وقد صار ذلك عرفا بين الناس والمقصد به
التوقير والاجلال فاما قوله لم اذنت فليس يجب حمله على العتاب لان هذه
اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام وتارة يراد
بها التقرير وتارة العتاب وهى محتملة لجميع المذكور فلم تحملها فى حق النبى عليه السلام
على العتاب دون بقية الاقسام وغاية ما فى ذلك حمله على ترك الاولى حسبما تقدم
فى الآيات واستقصاء ذلك وذكر ما فى الايات يطول ويكفى فى التنبيه على الآى
الباقية ما ذكرناه مسئلة قد رسمت الحضرة العالية الوزيرية العيدية حرس الله
سلطانها ذكر ما عندى فى تاويل قوله تعالى فى سورة التغابن ذلك يوم التغابن
ولفظة التغابن ههنا مشتقة من الغبن الذى يكون فى البيع والتجارة وما اشبه
ذلك وهو النقصان والخسران لان المغبون هو الذى زاد غابنه عليه ورجح
ولما كان يوم القيمة يبين فيه مستحق الثواب ودخول الجنة والتعظيم فيها من
مستحق العقاب ودخول النار صار مستحق الثواب ودخول الجنان كانه غابن
لمستحق العقاب ودخول النار لانهما جميعا عرضا بالتكليف لاستحقاق الثواب
ففعل احدهما ما استحق به ذلك وقصر الآخر عن هذه الغاية وعدل الى فعل ما
استحق به العقاب وجريا مجرى متبايعين فاز احدهما بما هو اجدى عليه وانفع
واصلح واخص الآخر بما هو ضار له ووبال عليه فسمى الفائز بالخير والصلاح
غابنا والآخر مغبونا وتسمية يوم القيمة بانه يوم التغابن من افصح كلام
واحصره وابلغه والله الموفق للصواب هذا آخر ما وجدنا من خطه
رضى الله عنه لاضافته الى كتابه المعروف بغرر الفوائد ودرر
القلائد والحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

وقد تجزت هذه النسخة المباركة بحمد الله تعالى وحسن توفيقه بكرة السبت
ثالث شهر ربيع الثانى سنة ثلاث وسبعين ومائة والف برسم خزانة
من ارتسمت مآثره العلية فى مرآة الزمان ، واتسقت غرر درر معاليه
الجليلة فى لبات الاكوان ، وابتسمت ثغور سعادته عن اقحوان المهابة
والاجلال ، وافترت مباسم صدارته عن شنب المعارف والافضال
الصدر الاعظم الذى شفى الصدور [illegible] ، والدستور الافخم
الذى تتزين المجالس بديع تحبيره ، [illegible] الذى تطفو سفن
الآمال بسواحله ، فترجع بجرى [illegible] جدا وله
، وذو الشيم الغر التى لو تجسمت [illegible] وحاجبا ،
الجناب الذى تتلى سور امداحه على لسان كل شاكر [illegible] الذى تبتهج
باملاء مناقبه خواطر كل ناظم وناثر [illegible] حيث ،
، له همم لا منتهى لكبارها ، وهمته الصغرى اجل من الدهر ،
حضرة الوزير الاعظم العالى ، والمشير الاجل الاكرم واسطة عقد
المملكة العثمانية المصطفوية الغالى ، محمد راغب باشا ، بلغه الله
تعالى من جميل الرغبات ما شا ، ولا زالت الرعية ترتع من سوح اقباله
فى ظلال الامان ، كما لم تزل سدته السنية منبع الرفد والاحسان
ولا برحت غرر مساعيه مشرقة على الآفاق ، ودرر فوائده واياديه
واضحة فى صفحات الصدور والاعناق ، بحرمة النبى الاكرم صلى
الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، على يد العبد الفقير
محمد شاكر بن مصطفى العمرى ، وصلى
الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه اجمعين
امين

[illegible]

من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
[illegible] عفي عنه

[illegible] هذا آخر ما وجد مما [illegible]
[illegible] الى كتابه المعروف [illegible] الفوائد [illegible]
[illegible] والحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين